جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
بمكة المكرمة
قسم الدراسات العليا الشرعية

تام لطالب بما طلب
منه من تصويب وتعديل

أثر الفكر الغربي

في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية

الرسالة

مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في العقيدة الاسلامية

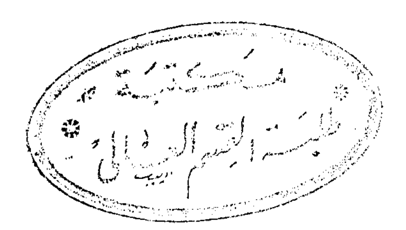
إعداد

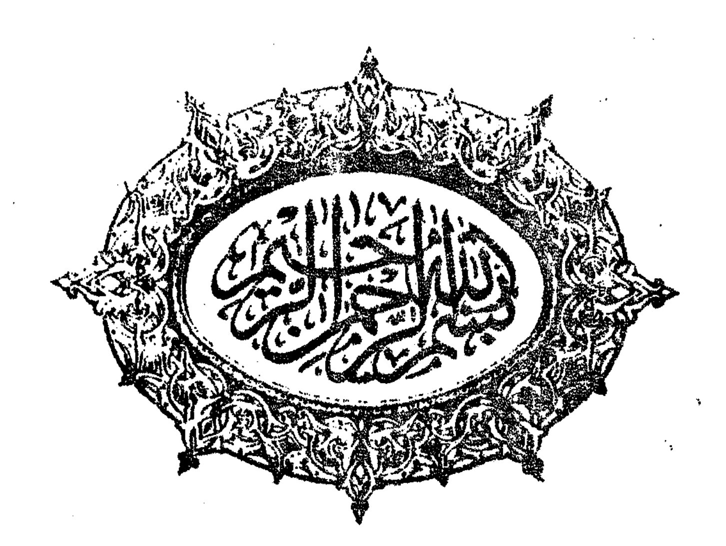
خادم حسين إلهي بخش

إشراف

للأستاذ محمد قطب

لعام ١٤٠٤-١٤٠٥هـ



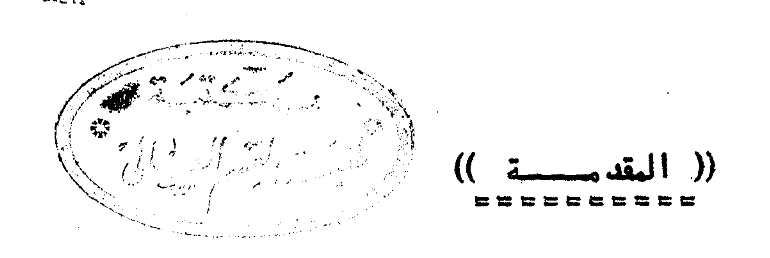

بسم الله الرحمن الرحيم

((بسم الله الرحمن الرحيم))

((كلمة شكر وتقدير))

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على رسوله الأمين وبعد : اعترافاً بالفضل وعرفاناً بالجميل أتقدم بالشكر والتقدير لكل من مد الىّ يد العون والمساعدة ، أو النصح والارشاد والتوجيه أثناء البحث وجمع المعلومات .

واسجل شكرى للاستاذ محمد قطب المشرف على هذه الرسالة ، على الرعاية والعناية التى شملنى بها ، والتوجيهات النيرة التى أرشد اليها أثناء البحث ، كما اسجل شكرى لمسئولى جامعة أم القرى حفظهم الله ، الذين هيئوا لى فرصة اكمال الدراسات العليا فى بلد الله الحرام ، جزى الله الجميع خير الجزاء ، ووفقهم لما يحبه ويرضاه .



((المقدمـــــة))

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين ، ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم ونهج مناهجهم الى يوم الدين .

أما بعد : فإن تتابع الرسالات الالهية يدل على أن الأمم تنحرف عن جادة الحق كلما تباعد الزمن ، وطالت الأحقاب بين صاحب الدعوة واتباعه ، ولم يكن المسلمون بدعا في هذا الباب ، اذ أخذ الانحراف يغزوهم منذ قيام الدولة الأموية ، فبدأ بأمور لا تلفت النظر ، ولا تهز كيان الاسلام ، واستمر خط الانحراف يتسع كلما انحدر وسفل .

وساعد في ايجاد هذا الجو وجود العداء المستحكم بين الحق والباطل ، الذى لا يخلو منه عصر من العصور ، فما أن جهر محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته حتى حاربته قريش ، واضطرته الى ترك مكة أحب بلاد الله اليه ، وفي المدينة تظاهر المنافقون بالاسلام للنيل منه ومن دعوته الحقة ،ثم اتخذ العداء أشكالا مختلفة عبر مسيرة المسلمين التاريخية فمن حروب وقتال لسد الدعوة الاسلامية ، وأفكار ومعتقدات منتحلة على دين الله عز وجل .

هذا وقد نالت الهند حظها من دعوة منقذ البشرية محمد صلى الله عليه وسلم ،اذ فتحها المسلمون بالجهاد حينا ، وبالدعوة أحيانا أخرى ، وحاربهم المعادون لهم ولدعوتهم في العلن مرة ، ومن وراء الستار باسم الاسلام لهدمه مرة أخرى ، وظهرت الصورة العدائية المكتملة في استيلاء المسيحيين الغربيين على الهند المسلمة ، وذلك حين فرضوا الانحراف عن دين الله على المسلمين فرضا ، وحاولوا اقامة التثليث مكان التوحيد ، ونشر المسيحية بين الهنود .

ولدعم هذا الاتجاه وجهوا التعليم وجهة تخدم المسيحية ، أو تعادى الاسلام ومبادئه الخالدة ، ولتعميم الانحراف عن الاسلام صبغوا الحياة الاجتماعية الاسلامية بصبغة حياتهم المنحلة ، ولجعل الانحراف مصيرا محتما لا مفر منه نحوا شرع الله وقضاءه العادل عن جميع شعب الحياة الا ما كان متصلا بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق ....، ولبقاء الدين الحق بعيدا عن حياة المسلمين وللمحافظة على مخططهم الاقصائى أبرزوا فرقا تفسر الاسلام بما يتناسب مع فكر الغرب وحضارته المادية ، وتدافع عنه في كل معترك .

وظهرت نتيجة كل ذلك فى انحراف المسلمين عما رسمه لهم الاسلام ، فغاب عنهم هديه فى أغلب نواحى الحياة ، فتأثروا بالايحاءات الغربية وحضارة الماديين الملحدين وقلدوا الغرب تقليد المغلوب للغالب ، وتطلعوا الى منهجه فى الحياة كتطلع الجائع الى الطعام ، ومن هنا آثرت ان يكون موضوع الدكتوراة بعنوان : " أثر الفكر الغربى فى انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية "

والذى دفعنى الى الخوض فى الموضوع أمور أهمها : فى العصر الحديث

أ ـ ظهر لى أثناء رسالة الماجستير أن فكرة انكار حجية السنة ، والتشكيك فى متونها ورواتها ما هى الا جزء من فكر غربى استهدف سلخ المسلمين من دينهم ، والانحراف بهم عن شرع الله ، فاستشرفت نفسى للبحث عن الأصول التى نفذها الانجليز المستعمرون وأعوانهم لتوجيه المجتمع المسلم الى غير الاسلام .

ب ـ انفصلت باكستان بشطريها ـ باكستان وبنجلاديش ـ عن الهند عند نيل الاستقلال على أساس العقيدة ، وأن المسلمين أمة متميزة ، يختلفون عن الشعوب الوثنية فى التوحيد والتشريع والخضوع للواحد الأحد ، ويريدون التخلص من كل فكر دخيل على حياتهم الاسلامية ، غير أن ذلك لم يتحقق حتى الآن لقلة من يعى المشكلة فى اطارها المحكم ، وأرجو أن أكون بهذه الدراسة قد شرحت المشكلة وأبعادها ، وعينت وضعنا الحالى من الاسلام .

ج ـ تنبيه الغافلين الى ما هم فيه من الولاء لغير الاسلام ، والتبعية لغير المسلمين واعادة الثقة الى النفوس المتأرجحة التى تظن أن الاسلام فقد صلاحيته ، وأنه محتاج الى اطار جديد ، وشرح يتلائم مع حضارة العصر المادية .

د ـ اعلام العالم الاسلامى أن مشكلته واحدة ، تختلف فى الفروع والشكليات وتتفق فى الأسس والأصول فالتنصير هو التنصير سواء كان فى باكستان أو اندونيسيا أو مصر أو الأردن ، والقانون الوضعى هو القانون سواء كان فى نيجيريا أو العراق أو بنجلاديش ، ومشكلة التعليم وتغذية الطلاب بالعلم والمعرفة واحدة فى كل البلدان الاسلامية ، والتغريب فى القضايا

الاجتماعية قلما يختلف من بلد الى آخر ، فما دامت المشكلة واحدة فلتنضم الجهود الاسلامية الخيرة بعضها الى بعض في البحث عن الحلول للمشاكل المتماثلة .

ولاخراج هذه الدراسة في هذا الاطار الجامع واجهتني عقبات كثيرة تتلخص أهمها فيما يلي :

١ ـ سعة الموضوع وكثرة تشعباته ، اذ عنوان كل فصل من فصول الرسالة يستحق كتابة رسالة مستقلة ،غير أن تسابق الزمن والشعور بالمسئولية " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... [(1)] حملني على مواصلة العمل ليل نهار حتى استخلصت هذه الحصيلة ، وحاولت أن تكون مركزة في كل فصل من فصول الرسالة ، تأخذ بامهات المسائل ، وتتحاشى الفروع وما يتصل بالأطراف .

٢ ـ كثرة الترجمة وتعريب النصوص غير العربية الى العربية ، ولا يقدر هذه العقبة حق قدرها الا من مارس الترجمة ، ناهيك اذا كانت الترجمة في موضوعات متنوعة ، ومن مؤلفات مختلفة الأهواء والنوازع .

٣ ـ شح المصادر ولا سيما في باب الفرق ،وقد استعنت لتذليل هذه العقبة بالسفر الى كل دولة كانت مظنة لحصول المقصود ، وقد نجحت في ذلك بحمد الله ، وازددت غبطة حين درست تلك المجتمعات دراسة ميدانية في مواطنها وأمهات مراكزها في المدن والأرياف ، في كل من آسيا وأفريقيا وأوربا .

ومنهجي في البحث مبني على أمور أذكر منها :

أ ـ الاكتفاء بسني الأحداث عن التراجم ، لأن سنة الحادثة أو التحديد بالعدد (بعد كذا سنة) يشعر بالمتحدث عنه ، وعن أعماله والعصر الذي عاش فيه ، لذا لم أر داعيا لذكر التراجم وتحديد عام الولادة والوفاة ، وما شذ عن ذلك ذكرت له ترجمة مختصرة .

ب ـ طبيعة الترجمة الحرفية لا تفي بالمقصود ، ومن هنا التزمت بترجمة المفهوم بدقة وامانة علمية ، دون ترجمة الحروف والكلمات ، ووضعت تلك الترجمة بين قوسين ، واعتبرتها نصا من نصوص المؤلف ، ونسبته الى المصدر الذي ورد فيه ، وان كانت الترجمة بتصرف لتوضيح

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه جـ ٢١٥/١ كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن .

المفهوم ،أو أردت الاشارة الى أن المعلومة المذكورة أو الحادث المنوه عنه ورد في المصدر أو المرجع الفلاني عزوت كل ذلك بلفظة " انظر "

ج ـ ترجمت عنوان المصدر والمرجع غير العربي عند العزو أول مرة ، واذ تكرر العزو نسبته الى اسمه الأعجمي ،ومن استشكل عليه شئ من ذلك فليرجع الى قائمة المراجع ، حيث يجد أمام عنوان كل مصدر ومرجع ترجمته العربية .

د ـ اذا اختلفت طبعات المصادر أو المراجع عند الاستخدام نبهت على ذلك في محلـه وما لم أنبه عليه فالمعتمد طبعة قائمة المراجع ، وهذا الاستخدام نادر في الرسالة .

هـ ـ في تخريج الأحاديث حاولت الالتزام بعزوه الى مصدر من مصادر السنة ، وذلـك بذكر المجلد والصفحة والكتاب والباب .

و ـ الأرقام التي وردت عند ذكر المصادر والحواشي يشير الأول منها الى رقم المجلد والثاني الى الصفحة (جـ ١٠/٦١) المجلد العاشر الصفحة الحادية والستـون ، وما شذ عن ذلك بينته في محله .

هذا وقد تضمنت الرسالة مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة فقد اشتملت على بيان الموضوع ، وأهميته لواقعنا المعاصر ، والأسباب الداعية لاختياره ، وذكر العقبات التي اعترضت طريق البحث ، ومنهجي فيه .

وأما الباب الأول فقد خصصته لدراسة المجتمع المسلم في الهند ، قبل تحول السلطة عنه الى الانجليز عام ١٢٧٣ هـ ، ١٨٥٧م وجعلته في ثلاثة فصول : تضمن الأول منهـا دراسة المجتمع المسلم قبل قيام الدولة المغولية ، وضم ضمن ابحاثه كيفية دخول الاسلام الى الهند ابان حكم الخلفاء الراشدين والغزنويين والغوريين ، ثم عرجت بالبحث الـى ذكر مظاهر المسلمين المميزة حتى نهاية الدولة الغزنوية فالمظاهر المميزة لعهد الغوريين ، والمماليك ، ثم اتبعت ذلك بذكر مميزات عهد الخلجيين وبني تغلق ، ثم أفردت الملـك فيروز تغلق وعهده الميمون ، وأخيرا مميزات عهد الامارات المستقلة .

وجاء الفصل الثاني مبينا للمجتمع المسلم في عهد سلاطين المغول ، وشملت أبحاثـه

سياسة المغول فى الحكم ، والملك أكبر ونتائج انحرافه ، ومرسوم العصمة وآثاره ، والتنصير وموقف الملك أكبر منه ، ومقاومة انحراف أكبر ونتائجها ، ومميزات المجتمع المسلم فى عهد جهانكيز وشاهجهان ، والملك الصالح اورنك زيب ومميزات عهده الميمون ، وأخيرا اورنك زيب فى نظر أعدائه .

وجاء ختام فصول هذا الباب موضحا لحالة المجتمع فى عهد شركة الهند الشرقية ، وجاءت نقاطه الرئيسية موضحة مميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنك زيب ، وبيان موقف المسلمين من مطامع شركة الهند الشرقية ، واقتضى ذلك تعيين الموقف الرسمى ، ثم تحديد الموقف الشعبى وما قام به المسلمون من الأعمال الجهادية لطرد الدخلاء ، وجاءت خاتمة الفصل فى ذكر المحور والاتجاهات التى سلكها الحكام البريطانيون فى حكم الهند .

أما الباب الثانى فقد جعلته خاصا بدراسة أثر الفكر الغربى فى حياة المسلمين ، وقسمته الى أربعة فصول : تضمن الأول منها أثر النشاط التنصيرى فى الأفكار والعقائد ، وشملت مباحثه الاساسية التنصير فى عهد المغول ، فالتنصير أثناء الحكم الانجليزى المباشر ، واتبعت ذلك بذكر طرق نشر المسيحية قبل الاستقلال ، فالسبل الحديثه لبث الانجيل ، ثم الطرق المعاصرة لنشر المسيحية اليوم ، وختمت الفصل بذكر أسباب نجاح التنصير فى المنطقة .

وأوردت فى الفصل الثانى أثر الفكر الغربى فى مجال التربية والتعليم ، وتضمنت نقاطه الرئيسية موقف الدول الاسلامية فى الهند من التعليم ، والدرس النظامى ، وطرق القضاء عليه ، ودار العلوم ديوبند ، ومنهجها التربوى والتعليمى ، ودار العلوم ندوة العلماء ومنهجها التعليمى ، وبداية التعليم العصرى ، وتوصية اللورد ميكالى التعليمية ، وموقف السيد أحمد خان من التعليم ، وأهداف التعليم عند الانجليز ، ومحاولات اصلاحية فى التربية والتعليم ، ودور المعاهد التنصيرية فى العملية التربوية والتعليمية ، والتعليم بعد الاستقلال ، ونظره فحص فى المنهجين التعليميين المصرى والدينى ، وختمت الفصل بذكر بعض المميزات للتعليم الاسلامى .

وجاء الفصل الثالث مبينا لأثر الفكر الغربى فى مجال القضايا الاجتماعية واحتوت مباحثه قضية تعليم المرأة ، وعملها ، والحجاب ، والزواج ، والقوامة ، ودية الانثى ، وارثها

وسفرها بدون محرم ، وشرب المسكرات والاقتصاد ووسائل الاعلام .

وكان آخر فصول هذا الباب موضحا أثر الفكر الغربى فى مجال النظم التشريعية ، وشملت نقاطه الرئيسية قضاء المسلمين فى الهند قبل الحكم الانجليزى ، واتفاقية بكسر وخيانة شركة الهند الشرقية فى تنفيذ بنودها المتصلة بالقضاء وبداية التحريف فى التشريع وآثاره الوخيمة ، وفتوى السيد رشيد رضا المصرى حول القوانين الوضعية ، ومناقشة الفتوى فى ضوء الكتاب والسنة وأقوال علماء الاسلام .

وتبع ذلك ذكر جهود العلماء فى وضع دستور اسلامى لدولة باكستان المسلمة وقانون العقوبات الباكستانى ومحتوياته ، وبادرة خير فى اصلاح القانون ، والجوانب التشريعية الحديثة فى القانون الوضعى وموقف الشريعة منها ، ونماذج مقارنة من الجرائم والعقوبات بين القانون والشريعة ، وقانون الاثبات وبعض محتوياته ، وعدد الشهود بين القانون والشريعة فى اثبات قضية من القضايا ، وشهادة المرأة وشاهد الملك فيهما .

واتبعت ذلك بذكر الاصلاحات المطلوبة فى القضاء كالغاء المحاماة الحرفية ، والغاء الرسوم القضائية ، وتكوين مجمع علمى قضائى ، واصلاح التعليم التشريعى فى كليات الحقوق والمدارس الدينية .

وآخر أبواب الرسالة أتى موضحا لأثر الفكر الغربى فى الفرق المنحرفة عن الاسلام ، وانتظم عقده فى خمسه فصول ، كان الأول منها فوا لشيعة ــ الاثنى عشرية والبهرة والأغاخانية وأثر الفكر الغربى فيها ، وتضمنت مباحثه ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة ، ومعنى التشيع ، والشيعة الاثنى عشرية وأثر الفكر الغربى فيها ، والبهرة وظاهرة اخفاء ما يدينون به ، والبهرة والاستعمار ومنابذة البهرة لأهل السنة ، والبهرة والربا ، وتقويم البهرة وأثره فى صوم رمضان والحج ، والبهرة والتعليم .

وتلا ذلك ذكر المرتكزات الاغاخانية المعاصرة ، والتعاون العسكرى بين جيش أغا خان وشركة الهند الشرقية ، ودور الانجليز فى دعم امامة أغا خان وموقف أغاخان من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى ، وولى عهد الامامة على خان وقتاله فى صفوف

الغربيين فى الحرب العظمى الثانية وبعض الأسس للديانة الأغاخانية ، وأخيرا نشاطات الأغاخانية المعاصرة فى باكستان .

وجاء الفصل الثانى فى الصوفية وأثر الفكر الغربى فيها ، وشملت نقاطه الرئيسية طريقة صوفية الهند فى الدعوة الى الاسلام ، والصوفية وعدم تصادمها بالسلطة وعلوم الصوفية وصلتها بالشرع ، وحال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزى ، والنظرة السلبية الصوفية الى الحياة ونتائجها لصالح الفكر الغربى .

وكان أوسط فصول هذا الباب فى البريلوية وأثر الفكر الغربى فيها ، واحتوت مباحثه التعريف بمؤسس البريلوية أحمد رضا خان ، وتعاون البريلوية مع الاستعمار ، وتكفيرهم المسلمين ، وأهم الأسس للفرقة البريلوية ، وتأثير الفكر البريلوى لصالح الفكر الغربى فى الأمة .

ورابع الفصول جاء فى القرآنيين وتأثرهم بالفكر الغربى ، وكانت نقاطه الرئيسية هى : السيد أحمد خان وأثر أفكاره فى القرآنيين والقاديانيين ، والقرآنيون وصلة فكرهم بالغرب وأبرز زعماء القرآنيين ، ونماذج من التغريب فى أفكارهم .

وأتى الفصل الختامى للرسالة فى القاديانية واخلاصها للفكر الغربى وشملت مباحثه فتوى العلماء حول تمييز دار الحرب من دار الاسلام ، وغلام أحمد القاديانى ودعاواه ، والهدف الرئيسى من دعاوى الغلام ، وموقف القاديانية من الجهاد بعد موت غلامها ، والغلام وادعاء النبوة ، وتفسير القاديانية ل " خاتم النبيين " ونماذج من وحى الغلام ، وختمت الفصل بذكر ما تختلف فيه القاديانية عن الاسلام .

وقبل الخاتمة ذكرت الكلمة الأخيرة ، وبينت فيها الوضع الحالى المبشر لصالح الاسلام ، وجاءت الخاتمة متضمنة بين طياتها نتائج البحث ، وبها انهيت الرسالة التى أتقدم بها الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، لنيل درجة الدكتوراة فى فرع العقيدة الاسلامية ، وأرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفيت الموضوع ما يستحقه من العناية والاهتمام ، وعلى الله قصد السبيل وبه نستعين .

١١ جمادى الأولى عام ١٤٠٥ هـ

الموافق لـ ١ فبراير ١٩٨٥ م .

البـــاب الأول

((المجتمع المسلم فى الهند قبل الفكر الغربى))

الفصل الأول : المجتمع المسلم قبل قيام الدولة المغولية :

١ ـ دخول الاسلام الى الهند .

٢ ـ الهند فى الخلافة الراشدة .

٣ ـ فتح السند فى العهد الأموى .

٤ ـ جهاد الغزنويين فى فتح الهند .

٥ ـ مظاهر المسلمين المميزة حتى نهاية الدولة الغزنوية .

٦ ـ المظاهر المميزة لعهد الغوريين والمماليك .

٧ ـ مميزات عهد الخلجيين وبنى تغلق .

٨ ـ فيروز تغلق وعهده الميمون .

٩ ـ مميزات عهد الامارات المستقلة .

دخول الاسلام الى الهند :

أشرق نور الاسلام على الهند عن طريق المسلمين من التجار العرب ، الذين استوطنوا ساحل مليبار قبل دخول المسلمين اليها من جهة الغرب فى اواخر القرن الأول من الهجرة ، والامة النائرية الهندية هى أول الامم ايمانا برسالة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام .[1]

غير أن أشعة ذلك النور الوهاج ظلت مغطاة بوثنية الهند ، المهاجرة من الشمال الى الجنوب حتى القرن الثانى عشر من الهجرة ، حين قامت دويلات اسلامية فى كل من ولايتى ميسور ومدراس ، فرحب الجنوب عندئذ بديانة التوحيد والمساواة بين البشر .[2]

الهند فى الخلافة الراشدة :

وفى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة خمس عشرة من الهجرة احتك المسلمون بالهنود الوثنيين على شواطئ تا نه (بجانب ميناء بومباى) وبروص (بروج)[3] ، وخور الديبل[4] (كراتشى) ، وبعد مضى ثمان سنوات

---

(١) انظر عبد الحليم الندوى ، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية ، والدينية فى الهند ص أ ، ومسعود عالم الندوى مجلة الفتح القاهرية ص ١٠ / ٦١ .

(٢) انظر الدكتور محمد اسماعيل افندى الهند القديمة حضارتها وديانتها ص ٢٦٢ .

(٣) مدينة من مدن الهند على خليج كهمبايت .

(٤) انظر ابا الحسن البلاذرى فتوح البلدان ص ٤٢٠ والمستشرق ل ـ ا ـ سيد يو تاريخ العرب العام ، امبراطورية العرب حضارتهم مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية ص ١٧١ . وموضع الديبل الآن خراب يطلق عليه اسم بهنبهور على بعد ٧٠ كم من مدينة كراتشى

من هذا الاحتكاك نرى مبشر فتح مكران يصف السند المجاورة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائلا " أرض سهلها جبل ، وماؤها وَشَل ، وثمرها دَقَل .(١) وعدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير فيها قليل ، والقليل فيها ضائع ، وما وراءها شر منها ، فقال عمر أسجاع أنت ام مخبر ؟ لا والله لا يغزوها جيش لى ابدا ، وكتب الى سهل والحكم بن عمرو الا يجوزنّ مكران احد من جنودكما ".(٢)

وهذا أول فتور بثه المخبر فى عضد الجهاد ، لفتح السند ، فخوف الخليفة وجنوده المجاهدين من امة لم تكن تتمتع بتلك القوة آنذاك ، فاحدث تأخرا فى وصول رسالة الحق الى تلك الديار قرابة بضع وسبعين عاما ، ولعل الحدود الطبيعية حالت دون رؤية الحقيقة ، وسترت المداخل الضيقة المنيعة ضعف السند عن انظار المخبرين وصرفت الجبال الشامخة الممتدة على مساحات واسعة هم المجاهدين الى غير السند مدة من الزمن .

وتكررت الحادثة ذاتها أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، حين طلب من نائبه بالعراق أن يوجه الى ثغر الهند من يعلمه احواله ، فنصرف اليه بخبره ، فكان الرسول كرسول عمر وحديثه كحديثه (٣)

---

(١) الوشل : الماء القليل ، والدقل أردأ التمر ، والمراد قلة المياه ورداءة الثمار .

(٢) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ جـ٣ / ٢٣ .

(٣) انظر فتوح البلدان ص٤٢٠ ، وعبد الحى الحسنى ، الهند فى العهد الاسلامى ص١٣٠ .

فتح السند في العهد الأموي :

وفي خلافة معاوية رضي الله عنه عام ثلاث وأربعين من الهجرة حصل المسلمون على الهند مرة اخرى ، فغزوا القيقان وبنه ، والاهور[١] واصابوا مغنما ، واهدوا للخليفة خيلا قيقانية ، غير أن السنود قضوا على تلك الفئة المجاهدة قضاء مبرما ،[٢] ثم استمرت الحرب تباعا بين المسلمين والهنود يغلبون ويغلبون ، دون أن يتمكن المسلمون من تخطى تلك الحدود الطبيعية حتى ولى الحجاج بن يوسف أمر العراق .

وقبل فتح محمد بن القاسم جرت محاولتان لفتح غرب الهند على يد عبدالله ابن ابى بكرة امير سجستان عام ٧٨ هـ ، وعبد الرحمن بن الاشعث ، وكادت الاخيرة أن تكلل بالنجاح ، لولا كتب الحجاج التى أخذت ترد الى الجيش وتنسب اليه الجبن والوهن ، لتوقفه عن التوغل مدة من الزمن ثم عودته الى قتال الحجاج بدير الجماجم[٣] فلو تمهل الحجاج وعالج الامور بحكمة ، لكان حديث الاسلام اليوم في السند كحديثه في الدول العربية الافريقية ولكن قدّر الله وما شاء فعل .

وفي أواخر التسعينات من القرن الأول الهجرى تعدى بعض أهل السند على بعض العزل من المسلمين ، مما أثار حفيظة الحجاج ، فجهز

---

(١) اسم مكان في منطقة بلوجستان بباكستان ، لا تبعد عن مدينة تلات الباكستانية كثيرا وبنه هي مدينة بنو ن المعروفة اليوم الواقعة جنوب مدينة بشاور في منطقة سرحد بباكستان ، والاهور قرية عتيق مدينة بنو ن على نهر اتك في باكستان . انظر عبد المجيد سالك مسلم ثقافت هندوستان مين (الثقافة الاسلامية في الهند) ص ٧٨

(٢) انظر الكامل جـ ٣ / ٢١٨ و جـ ٣ / ٢٢١ ، وفتوح البلدان ص ٤٢١ .

(٣) انظر الكامل جـ ٤ / ٣٦ ، ٧٢ ـ ٧٨ . وشريف الدين بيرزاده نشأة باكستان ص ٢٢ .

ولد ابن عمه محمد بن القاسم بستة آلاف مقاتل بكل ما يحتاجون اليه حتى الأبر والخيوط لفتح المنطقة ، فبدأ محمد منذ عام تسع وثمانين من الهجرة يفتح السند مدينة تلو أخرى ، حتى وصل الى الملتان ، وأتم فتحها عام ثلاث وتسعين من الهجرة (١) ، يقول الحافظ بن كثير " ثم سار محمد ابن القاسم فافتتح مدينه الكَيْرَج وبرها ... وغير ذلك ، فكانت سوق الجهاد قائمة فى بنى امية ، ليس لهم شغل الا ذلك ، قد علت كلمة الاسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وبحرها " . (٢)

ولم تجر اية محاولة بعد فتح محمد بن القاسم لتوسيع هذه الرقعة ، ولا تحدثنا مصادر التاريخ عن اضافة العباسيين جديدا من خضراء الهند الى الدولة الاسلامية ، رغم جهادهم فى بعض الفترات .

يقول صاحب البداية والنهاية : " قد كان الصحابة فى زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ... ، مثل الشام ومصر والعراق واليمن واوائل بلاد الترك ، ودخلوا الى ما ورآء النهر ، واوائل بلاد المغرب ، واوائل بلاد الهند ، فكان سوق الجهاد قائما فى القرن الأول من بعد الهجرة ، الى انقضاء دولة بنى امية وفى أثناء خلافة بنى العباس ، مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشيد وأولاده فى بلاد الروم والترك والهند " (٣)

---

(١) انظر الكامل جـ ١١١/٤ ، وتاريخ العرب العام ... ص ١٧١ ، وستانلى لين بول الدول الاسلامية مع اضافات بارتولد وخليل ادهم التركى جـ ٨١٦/٢ . وفتوح البلدان ص ٤٢٣ .

(٢) البداية والنهاية جـ ٨٧/٩ .

(٣) ابن كثير جـ ٨٧/٩ .

جهاد الغزنويين في فتح الهند :

ثم أخذت السند بعد وهن الدولة العباسية تتبع ولاية سجستان - سيستان (١) قوة ضعفا ، والظاهرة التي تلفت النظر في هذا العهد أن الخوارج (٢) اخذوا يتجمعون - بعد التشتيت الذي أصابهم على أيدي الدولة الصفارية - في مدينة قصدار (خضدار) (٣) ، لضعف السامانيين وانفراط عقدهم بعد قوة ، فما كان من سبكتكين والد محمود الغزنوي الا أن قضى على السامانيين وعلى الخوارج ، الذين يتاخمون حدوده قبل ضرب الهند ، وقيام الدولة الغزنوية القوية .

ولما توفي سبكتكين عام ٣٨٧ هـ خلفه على الملك ابنه محمود الغزنوي وسلك الابن مسلك أبيه في الجهاد وفتح البلاد ، فحمل على الهند سبع عشرة حملة لنشر راية الاسلام ، واحلال التوحيد محل البرهمية في المعابد الوثنية .

ويصف صاحب الكامل بداية جهاد محمود تجاه آلهه الهنود ، وما يدور في خلده عن الوثنية فيقول : " عام ٣٩٢ هـ أوقع يمين الدولة محمود ابن سبكتكين بجيبال ، ملك الهند وقعة عظيمة . وسبب ذلك أنه

---

(١) منطقه تقع بين جنوب افغانستان وشرق ايران .

(٢) الخوارج فرقة من الفرق الاسلامية ، لها آراؤها المعينة في الامامة والامام واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وكان ظهورهم في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) وتذكر هذه المدينة باسم الملتان في فتوحات الغزنويين ، وهي غير الملتان الشهيرة اذا كانت على مسافة عشرين منزلا منها انظر السيد سليمان الندوي عرب اور هند كے تعلقات " صلة العرب بالهند " ص ٣٩٣ .

لما اشتغل بامر خراسان (١) وملكها وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد (٢) وخلا وجهه من ذلك ، احب أن يغزو الهند تكون كفَّارة لما كان منه من قتال المسلمين ، فثنى عنانه نحو تلك البلاد ، فنزل على مدينة برشور ، بشاور - فأتاه عدو الله جيبال ... فالتقوا فى محرم ... ، واسر جيبال وجماعة كثيرة من أهله وعشيرته ". (٣)

ويميز بعض مؤرخى الافرنج بين فتوحات محمود وفتوحات اسكندر المقدونى فيقول :

" ان محمودا كان اسكندر الاسلام ، فإنه فتح الهند كما فتحها اسكندر ، الا أن فتوحات اسكندر ذهبت بذهابه ، واما فتوحات ابن سبكتكين نبقيت الى اليوم ، وكان همه من فتح الهند نشر كلمة التوحيد فيه وقلع عباده الاصنام منه ". (٤)

ويقدم لنا كارل بروكلمان خلاصة أعمال محمود الجهادية ومغازيه فى قوله " كانت حياة محمود حافلة بالمغازى ، ولقد سار بجيوشه الى الهند مرة بعد اخرى ، ففى سنه ١٠٠١ م تم له فتح كابلستان ، وبعد ذلك بقليل فتح ملتان وقشمير ، - كشمير - وسعى الى أن ينشر لواء الاسلام ويحله محل البرهمية فى كل مكان ... ، ومهما يكن فقد اندفع محمود فى فتوحاته بعيدا الى ما وراء نهر الكنج ، ليختم فتوحاته فى الهند عام ١٠٢٥م باحتلال كجرات" (٥) فلمع الهلال من ثلوج هملايا

---

(١) للقضاء على الثورة المناوئة لحكمه فى تلك البلاد .
(٢) أمير سجستان .
(٣) ابن الأثير جـ ٧/٢١٣ .
(٤) الامير شكيب ارسلان حاضر العالم الاسلامى جـ ٤/٢٨٨ وانظر حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى جـ ٣/٩٤ .
(٥) تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٦٨ .

الى أقصى الجنوب الشرقي من الهند .

ويمكننا أن نعد محمود أول مسلم فاتح دخل الهند عن طريق الجبال الشمالية الغربية ، وفتح من الهند ما امتنع على غيره ، وعبد طريقا سلكه كثيرون بعده ، امثال محمد بن سام الغوري وخلفائه ، الذين تولوا حكم (دلهي) ونشروا العقيدة الاسلامية في المناطق النائية من شمال الهند .(١)

مظاهر المسلمين المميزة حتى نهاية الدولة الغزنوية
==

(١) ظل الاسلام محور كل مظهر من مظاهر حياة المسلمين الاجتماعية والقضائية والسياسية ... لا يعرفون مرجعا سواه ، فهو العمدة في العقيدة والتشريع وفصل النزاعات بين الافراد والدول ـ فحققوا العدل بين المحكومين ، وسووا بين البشر في الحقوق والواجبات ، وازالوا الامتيازات الطبقية الهندوسية من الأرض التي حكوها باسم الاسلام .

(٢) شاركت السند غيرها من الولايات الاسلامية في خدمة الكتاب والسنة ولم تترك فرصة الا استغلتها لذلك الهدف النبيل ، فحين طلب ملك السند الوثني من ولاية منصورة المسلمة مترجما يقوم بترجمة القرآن الى لغة الهنود والسنود ، لُبي الطلب بأَسرع ما يمكن تلبيته ، وأعطى كل اهتمام الدولة وعنايتها .(٢) كما شارك علماء السند غيرهم في خدمة السنة جمعا وترتيبا وتدوينا ، يقول الاستاذ محمد اسحاق "في هذه الآونة ـ بعد انفصال

---

(١) انظر تاريخ الاسلام السياسي جـ ٣/٩٤ ومحمد بن احمد البيروني ، في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة ص ١٦ .

(٢) انظر عرب اورهند كے تعلقات ص ٢٤١ .

السند عن الخلافة العباسية سنة ٢٢٨ هـ — دخل علم السنة الى السند غير أنه لم يأخذ مكانه المرموق الا عند قيام امارتى منصورة وملتان — المستقلتين ، فى اواخر القرن الثالث من الهجرة ، واستمرت السند تخدم السنة كبقية الولايات المسلمة ٠٠٠ ، غير أن المسلمين السنود لم يوفقوا فى ذلك على ما يرام مدة طويلة ، لأن الاسماعيلية [١] استولت على الامارتين ، وسددت سهامها المسمومة الى السنة وعلومها دون هوادة [٢]

(٣) امتاز الجهاد الاسلامى الى نهاية الدولة الغزنوية بتخليف الفاتحين علماء فى البلاد المفتوحة بعد الفتح ، يقومون بالدعوة الى الاسلام وتعليم من يسلم من أهلها امور الدين ، وما يجب عليه عمله فى حياته الاسلامية . [٣]

(٤) انصب جهاد الغزنويين على محاربة أهل البدع والنحل الدخيلة على الاسلام ، فانفقوا حياتهم فى مقاومة تلك الطوائف التى تحمل بين افكارها الكثير من الافكار الشرقية الوثنيه المتوارثه ، وتحلها مكان بعض المعتقدات الاسلامية . [٤]

---

(١) سيأتى الحديث عنهم فى الباب الأخير .

(٢) علم حديث سين باك وهندكا حصة " مساهمة الهند وباكستان فى خدمة السنة ص ١٠ — ١١ .

(٣) انظر عمر رضا كحالة ، العالم الاسلامى جـ ١ / ١٨٢ ، وعبد الحى الحسنى الثقافة الاسلامية فى الهند ص ٩١ ، والكامل جـ ٧ / ٢٢٦ . وابن خلدون تاريخ ابن خلدون جـ ٤ / ٧٨٤ .

(٤) انظر آدم متز، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ص ١١٩ ، وتاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٦٩ .

المظاهر المميزه لعهد الغوريين والمماليك :ـ

وبعد فقد الغزنويين السلطة على أفغانستان عام ٥٥٠ هـ ، وعلى الهند عام ٥٧٩ هـ ، خلفهم الغوريون الافغان فى حمل الراية الاسلامية ، وأول فاتح غورى حاول أن يضم شتات الهند فى دولة واحدة هو محمد بن سام شهاب الدين الغورى .

وباغتيال الشهاب فى مستهل القرن السابع الهجرى طوى بساط الغورية ، وأعلن كل مملوك استقلاله بما تحت يده ، وظلت الهند على هذه الحال بضعاً وثمانين عاما . ومميزات هذا العهد كثيرة أهمها :

(١) ظل الاسلام هو المظلة الوحيدة التى يستظل بظلها المسلمون ، وساسهم الحكام بهذا المنطلق الفريد ، ويتلألأ أبرز نواحيه فى باب القضاء وانصاف المظلومين ، وارجاع الحقوق الى أهلها الشرعيين ، والضرب على يد العابث دون استثناء ، وذلك بنصب القضاة فى الأقاليم النائية ، ومراقبة تصرفات الناس العلنية فى كل صغيرة وكبيرة (١) ومن الحكام من بنى دوراسماها " دار الأمن " من دخلها خائفا أمن ، ومن دخلها وقد ارتكب جناية ارضى عنه أولياء المجنى عليه ، حتى سار الناس فى اطراف الدولة بأمان ، لا يخافون على أنفسهم أو ممتلكاتهم الا الوحوش الضوارى أو الكوارث الكونية . (٢)

---

(١) انظر الكامل ... جـ ٩ / ٢٧٣ ، وتاريخ ابن خلدون جـ ٤ / ص ٨٧٥ .

(٢) انظر ابن بطوطة رحلة ابن بطوطه ص ٤٢٤ ، وعبد الحى الحسنى نزهه الخواطر وبهجه المسامع والنواظر جـ ١ / ٢٢٨ ، ١٩٢ ، والهند فى العهد الاسلامى ص ١٨٣ .

(٢) استمرت راية الجهاد معقودة فى أغلب الاحيان ، فمرة لقتال الخارجين على الاسلام ، ومرة لرفع الظلم عن الهندوس المضطهدين فالغوريون استهلوا جهادهم بمحاولة تطهير الهند من الاسماعيلية الذين استغلوا ضعف الدولة الغزنوية السابقة ، فتغلبوا على السند بواسطة اسرة " سومرة " الاسماعيلية ، التى قد تكوّن جل أفرادها من اختلاط العرب بالسنود ، وكانت الدعوة الاسماعيلية قد غزتهم منذ ٤٤٥هـ ، فظلت السند سومرية الى ما بعد منتصف القرن الثامن من الهجرة ، ويصف القاضى اطهر المباركبورى الوضع الدينى للمنطقه فيقول : " وكان مذهبهم مختلطا من القرامطة والاسماعيلية ، فاعلنوا فى الهند أن عليا مظهر لوشنو ، معبود الوثنيين وكان يرد اليهم الدعاة والمبلغون من قلعة الموت ، مركز الاسماعيلية ". (١)

(٣) وظاهرة أخرى لم يغفل من عاصر هذا العهد عن ذكرها وتلك هى الاعتناء بالمدارس ، وتكثيرها فى طول البلاد وعرضها لتغطية حاجة الدولة من القضاة والوزاريين والدعاة ... وشاركت الامة القيادة فى هذا الغرض النبيل ، فاحتضن أثرياؤها العديد من معاهد المعرفة ومنارات العرفان ، ولا ينبئ ذلك الا عن حب العلم ونشر الوعى الدينى بين عامة المسلمين (٢)

---

(١) رجال السند والهند الى القرن السابع ص ٢٦٤ .

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون جـ ٤/ ٨٦٩ ، والكامل جـ ٩/ ٢٥٩ ، ٢٧٣ .

أضف الى ذلك أن المماليك ملأوا أرض الهند بفن معمارى بديع ، ما يزال بعضه قائما يرد على المفترين ، وينوه بعظمة المماليك ، وصلتهم الوثيقة بالاسلام . (١)

ولكن على الرغم من البساط الاسلامى العريض ، الذى احاط بالمسلمين من كل جانب ، فهناك بعض المظاهر الغريبة عن الاسلام نوجزها فيما يلى :-

(أ) بروز ظاهرة البناء على قبور العائلة المالكة ، كبناء شهاب الدين على ضريح زوجته ، ابنة ملك "آجره" وقد نوه ابن الأثير الى ذلك فقال : " فلما تسلمه - البلد - أخذ الصبية فاسلمت وتزوجها وحملها الى غزنة ، واجرى عليها الجرايات الوافرة ، ووكل بها من علمها القرآن ، وتشاغل عنها فتوفيت والدتها ثم توفيت هى بعد عشر سنين ... ، فبنى لها مشهدا ودفنها فيه ، وأهل غزنة يزورون قبرها " . (٢)

وهذه الظاهرة رغم أنها وجدت قبل الغوريين ، غير أن بناء من قبلهم كان يختص بالرجال الصالحين ، ولا سيما من كان من أهل البيت رحمه الله ، فابتدع الغوريون البناء على قبور الملوك ومن ينتسب الى بيت الملك ، ولم تزل هذه الظاهرة تمدو بخطى وطيدة حتى العصر الحديث (٣)

---

(١) انظر علم حديث صين ... ص١٠٢ . ونزهة الخواطر جـ١/١٣٨ ترجمة حسن الصاغانى .

(٢) الكامل فى التاريخ جـ٩/٣٦ وانظر تاريخ ابن خلدون جـ٤/٨٥٤

(٣) كتجديد محمود الغزنوى البناء على مشهد على بن موسى الرضا بطوس ، وكان ابوه قد خربه انظر الكامل جـ٧/٣٤٧ وكبناء القبة على قبر الملكة المخلوعة رضيه بنت التمشى .
انظر رحلة ابن بطوطة ص٤٢٤ والهند فى العهد الاسلامى ص ١٨١ ، وكالبناء على مدافن ملوك المغول وغيرهم .

(ب) وثانى الظواهر التى أحدثها الغوريون فى الهند ابان حكمهم واقتدى بهم من جاء بعدهم من الملوك هى ظاهرة الاقطاع واعطاء الأرض منحة للماليك شريطة أن يدفعوا مالا معينا كل سنة وأن يمدوا الجيش المسلم المحارب بجند وسلاح محدودين ، فاجبر المماليك العباد على الكد لصالحهم ، دون النظر الى المصلحة العامة ، وحاجة الكادين ، مما أدى الى انهيار رباط الود بين الحاكم والمحكوم .(١)

(ج) وفى عهد التتمش ظهر أبو الرضا رَتَنْ بن كِرْبَال الهندى ، الذى ادعى صحبة النبى وطول العمر بدعائه عليه الصلاة والسلام ، والف الرسالة الرَتَنية " فادرج فيها الأحاديث التى ادعى سماعها من النبى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، فصدقه اناس وانكر عليه آخرون ، وكان وجوده وظهوره مثار جدل بين العلماء ، وفتنة لعامة المسلمين .(٢)

---

(١) انظر الكامل جـ ٩ / ٣٦ و ٢٢٣ والهند فى العهد الاسلامى ص ١٧٦ .

(٢) انظر نزهة الخواطر ... جـ ١ / ١٤٧ ومن قبيل رتن هذا عبد العزيز علمبر دار المكى الذى يقال عنه أنه ادرك زمن الخليل وعيسى بن مريم ومحمد عليه الصلاة والسلام ، وحمل راية من راياته الجهادية ، وكان من أهل الصفة ، وأنه غلبته عيناه عدة مرات وكان ينام كل مرة أربعين سنة ، وكان ظهوره اخيرا فى القرن السابع ، واليه تنتسب القَلَنْدَرِيَّة من الصوفية .

انظر لمزيد من التفصيل عنه نزهة الخواطر جـ ١ / ١٧٢ .

د - اجتمع ابان حكم التمش صفوة الصوفية الهنود والمهاجرين ، الذين قاموا بخدمة الاسلام عن طريق الدعوة السلمية ، فالشيخ معين الدين حسن ابن الحسن الجشتي الأجميري السجستاني اتى الى الهند بعد أن ساح في منطقة ما وراء النهر والعراق ، وقدم الشيخ قطب الدين الكعكي من تركستان ، بعد أن اجتمع برؤساء التصوف آنذاك في بغداد ، كما اشتهر الشيخ بهاء الدين زكريا بن محمد الملتاني ، واصبح مزار الناس في الولاية وكسب " الانوار الروحية " ، واصطبغ التصوف منذ عصر هؤلاء الشيوخ بصبغة تصوف الهندوس ، ومجاهداتهم الصعبة الصماء .

فاجتهد هؤلاء الصوفية وغيرهم ممن تأثر بهم واقتدى بنهجهم في جلب الناس الى الاسلام ،وتقديم المعتقدات الاسلامية الى جميع طبقات الشعب الهندوسي دون تمييز ، فالتصق بهم الهندوس كالتصاقهم بقسس دينهم ، لعدم الفارق بين دعاة الاسلام ودعاة الهندوسية في طرق التقديم وسبل الدعاية كابتداع بعض رجال الصوفية المسلمين الرقص والوجد والغناء عند العبادة والذكر ، مشابهة بقسس الهندوس زاعمين أن الغاية تبرر الوسيلة ، ويصف الشيخ عبد الحي الحسني هذا الوضع عند الشيخ الكعكي فيقول : " وكان من الأولياء السالكين المرتاضين ، يقوم الليل ويصوم النهار ، ويشتغل بالذكر والفكر على الدوام ، فارغا قلبه عن هواجس الخطرات زاهدا متورعا عزبا ، يستمع الغناء ويتواجد ويستغرق في بحار المعارف ، حتى انه توفي في تلك الحالة " .(١)

ولم تكن تلك الصفة تخص الصوفية وحدهم ، بل هي خاصة ذلك العصر استظل بظلها اعلام المسلمين آنذاك ، يشترك فيها الفقيه والمحدث ، رغم عرفانه أن السماع معصية يسأل عنها يوم القيامة ، ولا يستثنى من ذلك

---

(١) نزهه الخواطر جـ ١ / ١٩٧

الا من رحمه الله ، فهذا محمود بن ابى الخير البلخى الامام العالم المحدث الفقيه الذى تلقى علم السنة من أعلم أهل زمانه ـ حسن ابن محمد بن الحيدر الصاغانى اللاهورى ـ وأخذ الفقه عن صاحب الهداية برهان الدين المرغيناتى ، يفتتح صباحه بالاستماع الى الغناء ، ويروى عنه صاحب نزهة الخواطر قوله : " ولا أسأل يوم القيامة عن كبيرة الا استماع الغناء بصبح ".(١)

وكانت بغداد وما جاورها من البلاد حصن التصوف ومعاصمته ، وكثيرا ما كان المتصوفة يرحلون اليها ، للكسب الاشعاع الروحى ، وكان ذلك يرتكز فى لبس خرقة الخلافة ، ـ كآداب العلماء ـ ولا يمنح ذلك الاشعار الا لمن يفقد الحس فى ذكر الخالق ، ويتواجد ويذوب ـ بالعبادة والتفكير ، كما تذوب الشمعة بالنار .

والخرقة اشبه ما تكون بمترجم ينبئ عن افتراق السلطة الدينية من السلطة الدنيوية ، واختصاص أحدهما بعالم الروح والآخر بعالم البدن ، لذا ترى أن قطب الدين بعد أن فرغ من تلقى العلم والتتلمذ على المشائخ رحل الى بغداد لأخذ الخلافة الروحية . ويصف مؤرخ الهند عبدالحي الحسني ذلك الحفل والتنصيب بقوله : " ثم رحل الى بغداد ، وسعد بملازمة الشيخ معين الدين حسن السنجرى الاجميرى فى مسجد الفقيه أبى الليث السمرقندى ، فلبس منه الخرقة ، وكان المجلس محفوفا بالشيوخ ، كالشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السَهرَوَردِى ، والشيخ اوحد الدين الكرمانى ، والشيخ برهان الدين الجشتى ... "(٢)

---

(١) عبد الحي الحسني جـ ١ / ٢٣٠ .

(٢) نزهة الخواطر جـ ١ / ١٩٧ .

كما خلق المتصوفة ظاهرة الاعتكاف على القبور ، وقضاء العديد من السنين عندها ، للتمرن على التقشف والزهد ، وكسب الولاية والأنوار الروحانية من تلك البقاع ، ويصف عبد الحي الحسني هذه الملازمة عند الصوفي الاجميري فيقول : " ودخل هارون قرية من أعمال نيسابور ، وادرك بها الشيخ عثمان الهاروني ، فلازمه واخذ عنه الطريقة وصحبه عشرين سنة ، ثم قدم الهند وأقام بمدينة لَاهُور ، واعتكف على قبر الهجويري والزنجاني ، ثم قدم دهلي ثم سار الى اجمير وسكن بها ، وكانت تحت سلطة الهنود في ذلك الزمان ، فاسلم على يده خلق كثير"(١)

(هـ) دخل الى الاسلام التصوير والتمثيل المنحوتان بصوره عفوية ، وذلك شئ لم يكن لمسلمي الهند عهد به ، ويصف الرحالة ابن بطوطة الوضع القضائي والتصوير المنحوت فيقول : " ومن مآثره - التمش - أنه اشتد في رد المظالم وانصاف المظلومين ، وامر أن يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغا ، واهل الهند جميعا يلبسون البياض ... ، ثم إنه اعيا في ذلك ، فقال ان بعض الناس تجرى عليهم المظالم بالليل ، واريد تعجيل انصافهم ، فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام ... ، وفي اعناقهما سلسلتان من الحديد ، فيهما جرس كبير ، فكان المظلوم يأتي ليلا فيحرك الجرس فيسمعه السلطان ، وينظر في أمره وينصفه "(٢)

---

(١) نزهة الخواطر ... جـ ١٣٦/١ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٤٢٢ وانظر الهند في العهد الاسلامي ص ١٧٩ .

مميزات عهد الخلجيين وبني تغلق :-

ثم خالف الخلجيون المماليك في الحكم مدة ثلاثين سنة ، وفي عهدهم حطم سيل التتار الجارف سور الهند الطبيعي ، غير أن الخلجيين تمكنوا من رد عدوانهم ، ودحرهم الى خارج الهند [١] ويعتبر عهدهم عهد الامبراطورية الاسلامية الكبرى ، التي جمعت تحت رايتها اغلب اطراف الهند ، وقد اعترف بهذه الحقيقة الكتاب الاوربيون . يقول هامرتن

" وفي نهاية القرن الثالث عشر غزا علاء الدين الخلجي الدكن ، وتم له فتح الاقليم كله ابان حكمه ، حتى بلغت جيوشه اقصى جنوب شبه الجزيرة الهندية ، كما اخضع الكجرات "

ويمتاز هذا العهد بامور بينه منها :-

(١) ظلت راية الدعوة الى الاسلام تسير سيرها الطبيعي في فتح الهند بالسيف حينا ، وبالموعظة أحيانا اخرى ، ولا سيما في منطقة " وَرَنْكَل " و " دَلَنْك " وولايات جبال هملايا وحدود الصين ، [٣] ولم يكن قتل آخر ملوك الخلجيين عام ٧٢١ هـ الا شاهداً من تلك الشواهد ، فما أن ابدى " خسر وخان " - أكبر امراء قطب الدين رغبة نفر من الهندوس اعتناق الاسلام حتى رحب بهم السلطان ، الا ان الأمير تعلل باستحياء الهندوس نهاراً فسمح له بالاتيان بهم ليلاً ، ليكسوهم كسوة الاسلام ،

---

(١) انظر نزهة الخواطر جـ٢/١٥٠ - ١٥٢.

(٢) تاريخ العالم ٥/٦٢١. وانظر الامير شكيب ارسلان حاضر العالم الاسلامي جـ٤/٢٩٣ والدول الاسلامية جـ ٢ / ٦٣٥ .

(٣) انظر احمد محمود الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم جـ١/١٧٧.

اذ كانت العادة كما حكاها ابن بطوطة " أن الهندى اذا أراد الاسلام ادخل الى السلطان فيكسوه كسوة حسنة ، ويعطيه قلادة واساور من ذهب على قدره " (١) غير ان الامير غدر به فقتل غيلة على ايدى الهندوس .

(٢) عادت امور الدين والتمسك بها أكثر متانة من بعض العهود السابقة لا سيما فى عهد التغلقيين ، كاهتمامهم باقامة الصلوات بالجماعة وتعريف الناس اركانها وواجباتها ، ورفع المكوس غير الشرعية عن العباد ، ومد الفلاحين بالبذور والأموال ليستعينوا بها على حفر الآبار وتنمية الزراعة .(٢)

(٣) الاهتمام بشئون العباد المعيشية ، وذلك بوضع حلول يمكن العمل بها حتى اليوم ، كتخزين الدولة قوت الناس - وحاجياتها فى أماكن تعدها لهذا الغرض ، لا تفتحها الا حين تخشى ارتفاع الاسعار ، اضف الى ذلك وضعها التسعيرة التدنية المعينة ، لتكون امور المعيشة فى متناول الجميع ، وبالتالى تفسد على المحتكرين خططهم الاستغلالية ، فيعودون الى السوق وتسعيرة الدولة او دونها .(٣)

(٤) استطاع القرامطة تجميع افرادهم المشتتين فى اطراف البلاد ، وتمكنوا من نشر ما يدينون به سراً بين الناس فى العاصمة دهلى

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٤٣٤ .

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٦٩ و ٥٠٢ .

(٣) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٣٠ . والهند فى العهد الاسلامى ص ١٨٧ .

-كاباحة الفحشاء وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ومساندة الهندوسية فى بعض معتقداتها - فقضى عليهم علاء الدين الخلجى وطهر المجتمع المسلم من هذه المنظمة .(١)

غير أن هذا المجتمع المسلم بهذه الصفحة الاسلامية البيضاء لم يخل من مظاهر لا تتمشى مع شرع الله ، أهمها :-

(١) تجاوز بعض الحكام فى العقوبة الشرعية لبعض الجرائم ، بحجة ان الناس يستخفونها ، فحبس شاربى الخمر وبائعيها فى الآبار ، وعاقب الزناة بقطع اعضائهم أو اعدامهم دون تفريق بين المحصن وغيره .(٢)

(٢) واغرب ظاهرة يمكن لمسها فى هذه الحقبة هى تقبيل الأرض بين يدى السلطان ، كاظهار للاتباع وتجديد الولاء ، وتكيفت هذه الظاهرة مع مرور الزمن ، وبرزت اخيراً فى صورة السجود أو ما يقاربها بين يدى السلطان ، ونتج عن ذلك ترفع الملك عن الناس وعد نفسه واسرته وعائلته افرادا مختارين ومفضلين ، يجب على الرعية تعظيمهم وتبجيلهم ، واستحدث لهذه الظاهرة اصطلاح " الخدمة " ولم يستثن من ادائها احد ، وقد امدنا الرحالة ابن بطوطة ببيان غير واف لها حين قال :

---

(١) انظر خليق أحمد نظامى سلاطين دهلى كے مذهبى رجحانات "الميول الدينية عند سلاطين دهلى " ص ٢٤٦ .

(٢) انظر نزهة الخواطر جـ ٢ / ١٦٦ .

" ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير ... ، وبه يجلس السلطان الجلوس العام ، فخدم الوزير عند ذلك حتى قرب رأسه من الأرض ، وخدمنا نحن بالركوع وأوصلنا اصابعنا الى الأرض ، وخدمتنا لناحية سرير السلطان ، وخدم جميع من معنا " (١)

ولم تقتصر " الخدمة " على الملك وحده ، بل تجاوزت الى جميع أفراد الاسرة المالكة ، فأوجبت لام السلطان واخته ... على من أراد التشرف برؤيتهم ، حتى ولو كان المتشرف زوجا وبعلا (٢) ، بل اتخذت الخدمة مفاهيم أوسع واشمل ففرضت لسرير السلطان الذى خلا من صاحبه ، ومظلته التى طويت لعدم الحاجة اليها ، وأخيرا لجهة السلطان . (٣)

(٣) وفى هذا العهد نلمس كثرة ارتياد الناس لقبور الصالحين شعبا وحكاما ، لالتماس البركة والدعاء ، ورحلة السلطان محمد تغلق لزيارة قبر الشيخ الصالح " البطل سالار " التى اشترك فيها ابن بطوطة نفسه مثال من تلك الامثلة .(٤)

(٤) حدث فى الصوفية فكرة الانقطاع عن الناس ، والاتجاه الى الكهوف والغابات ، والتخلى عن جميع مستلزمات الحياة ، حتى وصل الأمر ببعضهم الى التعرى ونبذ اللباس ، بحجة التجرد التام عن هذه الحياة .(٥)

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٥٠٢ .

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٦٥ .

(٣) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٩٨ .

(٤) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٩٤ .

(٥) انظر نزهة الخواطر جـ ٢ / ٩ .

فيروز تغلق وعهده الميمون !

ويعتبر فيروز متفردا بين ملوك الهند ، فقد بذل الجهود المضنية فى ابطال كل ما وجده مخالفا للشرع الحنيف، فلم يرق دما حراما ، ولا عاقب مجرما الا من اعتدى على شئ من محارم الله ، وأصدر مرسوما سلطانيا أوقف به العمل بجميع العقوبات التى كان الملوك السابقون يعاقبون بها ، وقد دون ذلك ببنانه فقال : "ان الله عز وجل قد أنعم على هذا المبدأ بأن اخذ الرجاء موضع الخوف، والأمن انتشر ظله على البلاد ... ، فلم تبق حاجة الى التعذيب والقتل والضرب والايلام ... ، فلا عقاب اليوم بمثل ما جرى به العمل فى سالف الزمان ، انما يعاقب اليوم من اعتدى على شئ من حدود الله ، حسب ما يقتضيه الشرع ، فيجرى القضاء بحيث لا يحيد عن حدود الشريعة ولا قيد شعرة " (١)

وأمر أن لا يجمع فى بيت المال الا ما أخذ بطريق مشروع ، كالخراج والعشر والزكاة والجزية وخمس الغنائم ... ، وأبطل ستاً وعشرين نوعا من انواع الضرائب ، كانت تجبيها الدول السابقة مما لا يسمح به الشرع ، ولم يكن له أصل فى الكتاب والسنة .

وفى عهده ظهر الالحاد والزندقة بصور مختلفة ، من اسماعيلية اباحية ، ورافضة اطلقت لسان القدح فى الخلفاء الراشدين ، وفى ام المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، وفى اعيان الاسلام وكانوا يجتمعون رجالا ونساء لتعاطى الخمر والفحشاء فى ليال معينة ، ومن متكبر يدعى الالوهية فى بِهار ، فيتبعه عدد غير قليل ، وصوفى يزعم (انا الحق) فيجيبه أهل كُجرات (انت انت) ، ومدع للنبوة فى دلهى ، يعترف بالاثم غير هياب ، فقضى فيروز تغلق على جميع هؤلاء واتباعهم بالقتل والحبس والجلاء ، وطهر المجتمع المسلم من درن المتطفلين ولو الى حين . (٢)

ومن البدع التى حاول السلطان التخفيف من ارتكابها زيارة المسلمات لمشاهد الأولياء ومراقدهم أيام الأعياد والمواسم، فأصدر أمرا بمنعهم من الزيارة ، وتعزير كل من تجاسر منهن على ركوب هذا المسلك الوعر ، وتحقيقا لمطلب الشرع ، وسد أبواب الفتنة والقضاء

(١) نقلا عن مسعود عالم الندوى تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص٣١ .

(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٣٤ — ٣٥ . وسلاطين دهلى ص ٤٢٨ .

على ما يخالف شرع الله .[١]

كما طهر رحمه الله حياته الشخصية السلطانية مما يخالف الشرع ، فمنع استعمال أوانى الذهب والفضة وملابس الحرير وما نهى الشرع عن ارتدائه ، ومنع تصوير ذوات الروح على الاثاث والستور ... وقوفاً عند أوامر الله عز وجل ، فلا نرى بنان النقد ترتفع اليه الا فى انفاق الاموال الطائلة لتجديد ما اندرس او تهدم من مشاهد أهل الله ومراقد الملوك .[٢]

ولعل فيروز أول سلطان هندى وقف الموقف الصحيح حول فرض الجزية ، وصنف الناس طبقات وفق أوامر الشرع ، وأعلن اسقاطها عمن يسلم من أهل الذمه[٣] كما حدد موقف الشرع من معابد الوثنيين ، فأمر بحفظ التليد وهدم الحديث ، وما أقيم بعد قيام الدولة الاسلاميه ، وقوفا عند امر الخليفه الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٤] ومن هنا لم تكن راية الجهاد نشيطة فى عهده اذ آثر تطبيق الاسلام على التوسع فى الفتوح اسوة بعمر ابن عبد العزيز رحمهما الله .

ميزات عهد الامارات المستقلة :

ما أن لحق فيروز تغلق بخالقه حتى نجم قرن الفتن ، وانفرط عقد الدولة الاسلاميه ذات الولايات الثلاث والعشرين ، وباتت الفرصة مهيأة لتدخل المغول عام ٧٩٩ هـ ، وتم لتيمور لنك فتح دهلى عام ٨٠١ هـ ، بعد أن عاث جيشه فسادا فى منطقة البنجاب سنتين كاملتين .

وعهد الامارات هذا تميز بامور منها :

(١) ظل الاسلام محط الانظار يسعى اليه كل الامارات المسلمة ، حسب فهمها للاسلام لدخول التشيع وغيره من الافكار المنحرفة الى بعض هذه الامارات ، وكان اشرف مساعيها يتمثل فى تحقيق العدل فى مجتمعاتها على الأسس الاسلاميه ، فسعى القضاة الى تطبيق الشرع فى فصل النزاعات واقامة الحدود دون تمييز بين الحاكم والرعية .[٥]

---

(١) انظر تاريخ الدعوة الاسلاميه ص ٣٦ .

(٢) انظر ضياء الدين برنى تاريخ فيروز شاهى ص ٧٥٦ ، ٧٦٤ .

(٣) انظر تاريخ العالم جـ ٥/ ٦٢٥ .

(٤) " تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٣٧ .

(٥) " نزهة الخواطر ... جـ ٤/ ١٣٩ ، ٣٥٦ .

(٢) بذل الكثير من القضاة والتجار واصحاب المناصب العليا فى هذه الامارات جهوداً مشكورة لخدمة العلم ، من اقامة المكتبات ، وجلب العلماء الاكفاء ، وبناء المدارس لنشر الوعى بين الأمة ، ومنهم من ألزم نفسه بدفع نفقات الطلاب والمعلمين العلمية والمعيشية ، لتعم المعرفة كل طبقات الشعب ، ومنهم من تخلى عن جميع ممتلكاته لخدمة هذا الجانب من الاسلام .(١)

(٣) تقدم أفراد من الامة فعقدوا الالوية الطوعية للجهاد ورد العدوان ، دون الانضمام الى الجيوش النظامية ، التى أصبحت لا تتحرك الا لمصالح سياسية ، فخدم المتطوعون العقيدة فى احلك الظروف ، وضحوا فى سبيلها بكل غال ورخيص ، حتى الأهل والامارة ، ومدوا يد العون الى كل منطقة مسلمة اصيبت بمكروه من اغلبية عبدة الأوثان .(٢)

(٤) كثر التنديد على البدع ، فكم من منكر على تجصيص القبور وصرح بالتبذير فيما انفق عليها من اموال بيت مال المسلمين ، وكم من مندد بالغناء والتواجد الصوفيين ، مرجعهم فى ذلك الكتاب والسنة وسلف الأمة رحمهم الله .(٣)

غير أن هذه الاتجاهات الطيبة الكثيرة صاحبت القليل من المظاهر التى لا يرتاح اليها الاسلام منها :ـ

(١) وجد التصوف منفساً جديدا فى الحياة ، لايثار مسلمى الشمال حياة التعبد والهدوء على النزال والحركة من جهة ، ولعدم مساس تيمور حياة المتصوفة بسوء يذكر من جهة أخرى ، فنشأت الرغبة الملحة فى الانقطاع والتجرد ، نتيجة الفراغ الذى اعقب الغزو ، فساد التصوف حياة مسلمى الشمال ملكا وشعباً وامراء بالجملة ، يقول احمد محمود الساداتى عن آخر سلاطين السادات نُوّاب تيمور " وقصد المتآمرون من بعد ذلك الى السلطان علاء الدين بمقامه فى بيانه (٤) يعلنون

---

(١) انظر نزهة الخواطر ... جـ ٧١/٣ ، ٩٩ . و جـ ٢٩٩/٤ .
(٢) انظر نزهة الخواطر ... جـ ١١٠/٣ ـ ١١٤ و ١٤٩ .
(٣) انظر نزهة الخواطر ... جـ ٤٥/٣ و جـ ٨٦/٤ .
(٤) لعل الصواب مدينة بدايون انظر نزهة الخواطر ... جـ ٤٣/٣ .

ولا ٠هم له ولكنه كان من الزاهدين "(١)

ويقول صاحب نزهة الخواطر ... عن الامير الصوفى سارنك اللهنوى "احد كبار المشائخ الجشتية ، كان من أمراء السلطان فيروز شاه الدهلوى ملك الهند ، ... ثم أخذته الجذبة الربانية ، فترك الامارة وصحب الشيخ قوام الدين بن ظهير الدين الكروى ، وتلقى الذكر منه "(٢)

(٢) اتخذ التصوف شكلا جديدا فى حياة المسلمين ، فبدأ يحول دون اكتساب العلم والمعرفة ، وينحصر فى الذكر واعادة مالا يفقه كثيراً ، وقد حكى صاحب نزهة الخواطر عن الامام الصوفى أحمد بن عرابة سافر الى دهلى لتلقى العلم من أخيه تقى الدين " فأقام عنده مدة ولم يبلغ درجة العلم ، لميلانه الى الزهد والمجاهدة "(٣)

بل تقدم التصوف خطوة أخرى حين لم يلق النجاح المطلوب من صد الناس عن العلم ، فزحف الى ينابيعه لتجفيفها ، حيث ترى نفرا من أهل العلم يترك منصة التدريس وافادة الامة ، وينقطع الى الذكر والمجاهدة ، وكأنه فى الآخرة قبل الآخرة ومنهم من لوّن مياه الأنهر بكتبه التى كان يملكها ، لئلا تحول دون الاستغراق وتصور الملأ الأعلى .(٤)

ومن لم يصل الى الوجد والطرب " كنه الحقيقة " اباح له دين بعض الصوفية السكر وشرب ما يذهب بعقله ، للوصول الى الهدف المطلوب ، وقد طغى هذا المحظور الشرعى عند شيخ الصوفيه السَدَارِيَة ، فأتى اصحاب هذا المسلك كل ما يأتيه فاقد العقل من كشف العوره والهذيان ... ، فادعى بديع الدين المدار الحلبى أنه أحد الأقطاب الذين عليهم مدار العالم ، وأن تصرفات الكون لا تعدوه ، وانه يحى الموتى ، ولا يحتاج الى طعام ، ويقول عنه اصحابه " إن على وجهه أنوار الله ، فمن يراه يرى فى وجهه جمال الله ، ولذلك يضطر الى السجدة له ".(٥)

---

(١) تاريخ المسلمين فى جـ ٣٣٨/١ .

(٢) عبد الحى الحسنى ٧٦/٣ ، وانظر أيضا جـ ٣٢/٣ .

(٣) عبد الحى الحسنى جـ ٨/٣ و جـ ٣٠٧/٤ ، ٢٣ .

(٤) انظر نزهة الخواطر جـ ٤٥/٣ ، ٨٧ ، ١٦٩ ، ١١٢ .

(٥) انظر نزهة الخواطر جـ ٣٧/٣ و ٨٥ .

وانى لاستشف من الصفات التى وصف بها الشيخ المدار أنه أحد أقطاب الاسماعيلية الأغاخانيه الذين اضطروا للهجرة الى الهند حفاظا على حياتهم امام ضربات اسماعيل بن حيدر الصفوى الفارسى .

(٣) وأهم خطر داهم جنوب الهند وسواحلها الغربية فى عهد الامارات المسلمة هو التشيع وحمل الناس قهراً على اعتناق المعتقدات الامامية الاثنى عشرية ، كما وقع فى امارة بيجابور الدكنية ، ابان حكم عادل شاه ، وعلى عادل شاه ، رغم أنهما ينتسبان الى الاتراك الد أعداء الامامية دون نزاع .(١)

وشمال هذه الامارة وشرق بومباى تقع امارة أحمد نكر ، التى حملت لواء نصر التشيع الاسماعيلى الأغاخانى ، حين أوت امام الاغاخانية طاهر بن رضى القزوينى الهمدانى الفار من قسوة اسماعيل الصفوى ، فآمن بدعوته "برهان نظام امير أحمد نكر ، وثلاثة آلاف من خدمه وأهل بيته فضاقت الأرض بما رحبت على أهل السنة ، ويصف مؤرخ الهند ذلك الوضع فيقول : "تشيع وبالغ فى ذلك حتى أنه امر الناس أن يسبوا الخلفاء الثلاثة فى المساجد ، والخوانق والاسواق والشوارع ، وجعل الارزاق السنية للسابين من خزانته ، وقتل وأسر خلقا كثيرا من أهل السنة والجماعة"(٢)

وفى ولاية كجرات وما والاها شمالا وجنوبا وجد دعاة الاسماعيلية البهرة أرضا خصبة لبث أفكارهم فنقل يوسف بن سليمان السده بورى الدعوة الطيبية من اليمن الى الهند .(٣)

(٤) وفى هذا التشتيت غير الواعى حط البرتغاليون رحالهم فى مرفأ جوا ، كتجار مسافرين ، ليس لهم هدف سوى التجارة ، بيد أنهم تشبثوا بذلك الميناء لمسالمة أهله (٤) .

وازدادوا تمكينا لمدهم يد العون للشخصيات الشيعية البارزة ، التى قصدتهم فرارا من سيف اسماعيل الصفوى ، فاوصى السواردون بدورهم اتباعهم بمسالمة أصحاب المرفأ ، وعدم مس مصالحهم بسوء ، شكراً لصنيعهم وتقديراً ، وتلك هى بداية استقرار الاوربيين فى

---

(١) انظر مسعود عالم الندوى مجلة الفتح ٢٩١/١٠ ونزهة الخواطر جـ ٢٩٧/٤ ، ٢٣٢ .
(٢) عبد الحى الحسنى نزهة الخواطر جـ ٥٣/٤ .
(٣) انظر نزهة الخواطر جـ ٢٩٥/٤ و ٦٩ و ١٠٧ .
(٤) انظر مانورامامودك ، الهند شعبها وأرضها ص ١٢٠ .

الهند . (١)

(٥) واذا اتجهنا الى أقصى الشرق نجد من حكام البنغال عند أوائل القرن العاشر من الهجرة حسين شاه ، الذى اختلق مذهبا جديدا بمزج المعتقدات الوثنية وحقائق التوحيد ، كل ذلك لتوطيد السلطة ، وارضاء الهندوس على حساب الاسلام . (٢)

وكانت كشمير قبل البنغال بقليل من مثل هذا الاجحاف ، حين تودد زين العابدين أمير كشمير الى الهندوس بمنع ذبح البقر ، والسماح لنسائهم باحراق أنفسهن حسب ديانتهن الوثنية ، واجازة الكفار الذين اسلموا هربا من الجزية فى عهد أبيه أن يرتدوا عن الاسلام ، ويعودوا الى ماكانوا عليه قبل التوحيد . (٣)

(٦) وانتج هذا التساهل أن وجد مؤسس الفرقة النوربخشية الشيعية ارضا خصبة لبث أفكاره فى كشمير ، وما جاورها شرقا وغربا وشمالا من المناطق الجبلية المنيعه ، ابان عهد السلطان زين العابدين ، فادعى المهدية واحقيه الخلافة ، وتوسط بين أهل السنة والشيعة الامامية الاثنى عشريه فى فروع الفقه المختلفة . ويزعم مؤرخ الاغاخانية على محمد جنارا ! أن محمد نور بخش هو احد دعاة الاسماعيلية ، اشترك معه كمال الدين الثانى فى وضع الأسس المذهبيه النوربخشية ، وبذا ينتسب هؤلاء الى الاسماعيلية إن صح الخبر . (٤)

(٧) قد استغل هذا الوضع المصاب بالتمزق والوهن فى وسط الهند السيد محمد ابن يوسف الجونبورى ، فادعى المهدية عند انسلاخ القرن التاسع من الهجرة ، وشطر الامة المسلمة بعلمائها وقضاتها وامرائها الى شطرين ، مصدق ينصر دعوته ويمد حركته بالرجال والعتاد ، ومكذب يفتى بأرهاق روحه وينسب اليه الزندقة والالحاد .

---

(١) انظر ارنولد تونبى مختصر دراسة التاريخ جـ ٣/ ٢٩٥ ، والقسيس بركة الله مغليه سلطنت اورمسيحيت (التنصير والدولة المغوليه) ص٦٦. ونزهة الخواطر جـ ٤/ ١٦٣. وذلك برسو الرحالة فاسكودى جاما البرتغالى عام ١٤٩٨م ـ ٩٠٥ هـ بجوا أولا ثم كالى كوت ثانيا .

(٢) انظر تاريخ المسلمين جـ ١/ ٢١٨.

(٣) انظر نزهة الخواطر جـ ٣/ ٧٢.

(٤) انظر محمد بن ملا طبقات نورية سر احوال نورنجشية (الطبقات النورية فى احوال نوربخشية) ص ١٢٥ ـ ١٢٨ ، وعلى محمد جنارا نور مبين حبل الله المتين ص ٥١٥ ، ونزهة الخواطر ٤/ ١٤٢ .

وكانت أشد المناطق افتتانا بهذه الحركة هى مناطق جنوب الهند وغربها ـ اماكن التشيع والرفض المذمومين ـ ويصف عبد الحى الحسنى موقف الأمة من هذه الدعوة فيقول : " وادعى ـ محمد بن يوسف . . فيها ـ في مدينة فتن بكجرات ـ مرة رابعة أنه مهدى من الكره فقد كفره فتعقبه العلماء وباحثوه ونفوه من ذلك المقام أيضا ، فرحل الى بلاد السند ودخل الناس فى دينه أفواجا ، فأمر بقتله صاحب السند ، فشفع له ندماؤه ، وأمر باخراجه من أرض السند ، فرحل الى خراسان ومعه ثمانمائة رجل من أصحابه " (١)

ولم يزل أعقاب هؤلاء فى دكن وكجرات وجى بور وكراتشى يؤمنون بمهدية السيد حتى اليوم ، ويقوم مذهبهم على ترك الحياة العاجلة ، والعزلة عن الخلق ، والهجرة عن الوطن ، وصحبة الصديقين ، ودوام الذكر ، واعطاء العشر ، وطلب مشاهدة البارى عز وجل . (٢)

(٨) وأهم انحراف وضعت لبنة بنائه فى هذا العهد المنحل ان سمح بعض ذوى الفقه من العلماء لاتباعهم بالسجود لهم تعظيما وتكريما ، ولم تجد هذه الظاهرة اليد الحديدية التى توقفها عن الزحف ، وتطهر البلاد من امثال هؤلاء المتلاعبين ، وتوقفهم عند حدودهم فى شريعة الله . (٣)

(٩) شارك بعض ملوك هذه الامارات فى الطرب والغناء ، حتى ضرب بسهم ملموس تأليفا واختراعا ، ومن العلماء من شارك فى الكتابة عن اباحة الغناء (٤) ، وكان الأمر من قبل لا يعد والمشافهة والمناقشة ، اللتين كثيرا ما أفضتا الى تغليب جانب الحرمة على غيره .

(١٠) وآخر ما نلمسه من المظاهر غير المتمشية مع الاسلام ابان حكم هذه الامارات هو بدعة دفن المشائخ والعلماء فى ركن من أركان المسجد أو المدرسة ، أو غرفة من غرف الدار المسكونة ، عوضا عن المقابر وأماكن الدفن البعيدة عن العمران . (٥)

---

(١) نزهة الخواطر جـ ٤ / ٣٢٣ .
(٢) انظر الدكتور شيخ محمد اكرام رود كوثر (نهر كوثر) ص ٢٧ ـ ٣٠) وعبد الشكور سياونى احسن البيان فى تنبيه الفرق والاديان ص ١٦ ونزهة الخواطر جـ ٤ / ٣٢٥ .
(٣) انظر نزهة الخواطر جـ ٣ / ٦٩ .
(٤) انظر نزهة الخواطر جـ ٣ / ٦٣ و جـ ٤ / ٤٩٧ .
(٥) انظر نزهة الخواطر جـ ٣ / ٢١ ، ٥٠ ، ١٤٩ ، ١٧٣ و جـ ٤ / ١٢٠ .

الفصل الثانى

* المجتمع المسلم فى عهد المغول *

ويشتمل

(على النقاط الرئيسية التالية)

(١) سياسة المغول فى الحكم .

(٢) الملك أكبر ونتائج انحرافه .

(٣) مرسوم العصمة وآثاره .

(٤) التنصير وموقف أكبر منه .

(٥) مقاومة انحراف أكبرونتائجها .

(٦) مميزات عهد جهانكيروشا هجهان .

(٧) اورنك زيب ومميزات عهده الميمون .

(٨) " " فى نظر أعدائه .

الفصـــل الـثا نــــى

سياسة المغول فى الحكم :

منذ اكتسب بابر مؤسس الدولة المغولية معركة "بانى بت" من اللودهين عـام ٩٣٢ هـ سهل عليه اخضاع الولايات المستقلة ،ولم يمت حتى ضمت دولته أغلب تلك الولايات . وأهم ما يوقف الدارس من أعمال هذا الفاتح هو وصيته ، التى ظلت محور الحكم وسياسة الدولة تجاه المحكومين قرابة قرن من الزمان ، فقد أوصى بابر أبناءه الملوك عند الموت فقـــال : " ابنائى إن من نعم الله عليكم أن منحكم سلطة الهند ،وملككم على أهلها المختلفين فـى الديانة والمذهب فراعوا الأمور التالية :ـ

(١) سلـوا التعصب المذهبى من سويداء قلوبكم،واعدلوا بين الناس مع مراعاة مذاهبهـــم ووجدانهم .

(٢) اياكم وذبح البقر ، وسيجد ترفعكم عنه مكانا محترما فى قلوب الناس، فيشكرونك بالامتثال والطاعة .

(٣) اياكم والتعرض لمعابد القوم بسوء ، واعدلوا بين من تحكمونهم لتبقى صلة الصفاء بينكم فيعم الأمن اطراف البلاد .

(٤) إن نشر الاسلام بسيف الرأفة والاحسان أفضل من سيف الظلم والتعدى .

(٥) غضّوا طرفَكم عن اختلاف الشيعة والسنة ، ففى اثارته قتل للاسلام .

(٦) وليكن ما تختص به امة من امم رعاياكم ، كفصول السنة حتى تسلم الدولة مـن العلة والوهن ".(١)

وانك لتشعر بالاجحاف المكشوف فى الوصية تجاة الاسلام . لذا مدح رينان الفرنسى بابر فى ضوء كتابه بابرنامة " فقال : " فتجد فى تلك الأسطر كلاما معقولا مع اصالة الـرأى

---

(١) انظر نص الوصية محمد ميان ، علماء حق اوران كےمجاهد انه كارنا مے(العلماء الربانيون وأعمالهم البطولية)ص ١٣. وروود كوثر ص ٢٣. ومسلم ثقافت ص ٤٧٩ .

ورقة الطبع وشدة الجلد ، بدون تعصب دينى ومع عدم اهتمام زائد بالاسلام ، الا فى احايين يظهر عليه فيها اثر التدين "(١)

الملك أكبر ونتائج انحرافه :

تولى أكبر سدة الحكم بعد موت والده همايون بن بابر عام ٩٦٤ هـ ، وهو حدث لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، فناب عنه وزيره الشيعى بيرم خان ، فطفق يحابى أبناء مذهبه ويخصهم بالمناصب الرفيعة فى الدولة ، ويمعن فى اضطهاد السنيين ، أصحاب الغالبية بين مسلمى الهند (٢)

وفى عام ٩٦٩ هـ تسلم أكبر زمام الحكم فى يده ، وكان امياصرفاً نشأ على حب الاستطلاع والتطلع الى المعرفة لجبر النقص الذى أصابه من عدم التعليم فى صباه ، فحشد جملة من المشائخ فى بلاطه ، وأخذ يسألهم ويناقشهم فى مسائل الدين ، حتى جنح الى أن الأديان كلها حق وأن الاسلام لا يمتاز على غيره بشئ ، فسعى الى ايجاد ثقافة موحدة بين الهندوس والمسلمين لازالة ما بينهما من عوامل التميز والتفرقة .

والذى بلغ باكبر الى ما وصل اليه من اختلاق مذهب يجمع بين المعتقدات المتضاربة والنحل المختلفة أموراً اهمها :

(١) جمع العلماء فى النادى "عبادتخانه" على أساس التنافس ، وابراز العضلات العلمية فنتج عنه تنقيص بعضهم لبعض ، وشتم بعضهم بعضا ، دون وازع من الدين أو الضمير أو الانسانية ، مما ازال هيبة الاسلام ، ووقاره من عقل الملك وذهنه . (٤)

(٢) نشوء أكبر فى بيئة شيعية اذ ولد من أب سنى وأم شيعية ، واحكم الحلقة وزيره بيرم خان ، اذ عين له عبد اللطيف الشيعى مربيا ومعلما .

(٣) كثرة لجوء علماء الشيعة البارعين فى المنطق والفلسفة الى أرض الهند ، محتمين بحمى

---

(١) لوثروب حاضر العالم الاسلامى ٢٩٨/٤
(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٦٠ وتاريخ المسلمين جـ ١٠٣/٢ .
(٣) انظر رودكوثر ص ١٢٦
(٤) انظر هـ . ج ولز معالم تاريخ الانسانية جـ ٩٥٩/٣ .

أكبر ، أمام ضربات اسماعيل الثانى الصفوى ، الذى أعلن تَسَنُّنَه امام الملأ ، واظهر كراهيته للمذهب الشيعى والشيعة دون وجل .[١]

(٤) زواج أكبر باميرات هندوسيات ، ظللن متمسكات بعبادة الأوثان داخل القصر الملكى ، وهؤلاء لم يدخرن جهدا فى تهنيده وصرفه عن وجه الحق ، ومنهج الصواب .

(٥) حركة الترجمة الضخمة للكتب غير الاسلامية من البرهمية والبوذية والنصرانية الى اللغة الفارسية ، فقد أمر بنقل "اَتهريَن ويد " — رابع كتب الهندوس المقدسة — "ومَهابَهارَت " ، " ورمائن " — فى تاريخ الهند — كما أمر بترجمة الانجيل وكليلة ودمنة والتاجك فى التنجيم — " ومَهاكوت كِيتا " "وَرَاك سَاكَر" فى الموسيقى .[٢]

(٦) مضافا الى ذلك اميته وجهله ، وعدم معرفته الكتابة والقراءة ، اذ أدى اضطراب حياة ابيه الى حرمانه من التعليم فتولى الملك صبيا ، فمنعه غرور السلطان وابهة البلاط من أن يذعن لأحد من العلماء ، ويأخذ عنه امور الدين .

(٧) أخيرا لحوق الدهاة من دارسى الفلسفه والحكمة بأكبر عن طريق " عبادتخانه "كمبارك ابن خضر الناكورى ، وابنيه ابى الفضل وفيضي الشيعيين ، والحكيم ابى الفتح ، والملامحمد اليزدى ، وتاج الدهلوى ، ومير محمد شريف الآملى الوجودى ، وكان أكبر قبل لحوق هولاء به لا يشغل نفسه الا بالمعروف من الشرع ، وبعد لحوقهم به شغلوه بعلوم الفلسفة والأسرار الصوفية الحلولية الوجودية ، زاعمين الوصول الى الحق المجرد وكنه الحقيقة .

مرسوم العصمة وآثارة :

ولهذه الأسباب وغيرها جرت السنن الالهية الكونية ، فاحدثت زعزعة فى كيان أكبر الداخلى ، فاستغل الشيخ مبارك الفرصة فوجهه وجهة معينة — أثر تنفيذ حكم الاعدام فى البرهمى الذى سبّ صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، رغم عدم استحسان أكبر لذلك الحكم — بتقديم مرسوم

---

(١) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٥٠١ .

(٢) انظر معالم تاريخ الانسانية جـ ٩٥٩/٣ ونزهة الخواطر جـ ٧٨/٥ و ٢٣٨ .

العصمة اليه عام ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩ م مذيلا بامضاءات أشهر العلماء ، وتضمن " ان الهند أضحت بسياسة عدل السلطان بلاد الدعة والأمن ، فقصدها رجال العلم من العرب والعجم...

" والآن يعلن جمهور العلماء الذين تضلعوا فى العلوم النقلية ، وفاقوا اقرانهم فى الفنون العقلية .... بعد ما تدبروا معانى الآية الكريمة " اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " وامعنوا فى مغزى الأحاديث الشريفة " ان أحب الناس الى الله يوم القيامة إمام عادل " ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمير فقد عصانى " وتفطنوا الى غيرها من الشواهد العقلية والدلائل النقلية .

" ان السلطان العادل أرفع درجة عند الله من العالم المجتهد ، ويصرحون بأن سلطان الاسلام أمير المؤمنين ظل الله فى الأرض الملك الغازى ابا الفتح جلال الدين محمد أكبر — خلد الله ملكه — أعدل الملوك وأعقلهم وأعلمهم .

" فاذا عرضت مسألة من المسائل التى تضاربت فيها أقوال الأئمة المجتهدين ، وأراد الملك أن يعزز جانبا ، ويرجح رأيا مستندا الى ثقوب ذهنه .... تسهيلا للأمة وتحسينا لادارة السلطة ، وجب على الجميع الخضوع لامره والعمل به .

" واذا أصدر الملك أمرا لا يعارض النص ويحتوى على ما فيه ترفيه الشعب وجب العمل بمقتضاه ، وان من يخالف أمره من رعيته يستحق العذاب فى الآخرة ، والخسران فى الدين والدنيا جميعا "(١)

ولو نظرت الى المرسوم بتمعن فلن يصعب عليك الحكم بأنه صيغ ليكون الملك محور التشريع ينقض من أحكام الشريعة السمحاء ما يشاء ، ويضيف اليها تحت ستار الاجتهاد والمصلحة ما تملى عليه نفسه وهواه ، وانك لتشتم من كلمات المرسوم "امام" "المجتهد" "ظل الله فى الأرض" "الترفيه" انها تومئ الى الفكر الشيعى بنوعيه ، الاسماعيلى والامامى — كما أنها تشير الى الفكر الحلولى .

---

(١) انظر ، تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٨٣ الى ٨٥ بتصرف بسيط بعد مراجعة النص الفارسى فى رود كوثر ص ١٠٣ وتعريبه فى نزهة الخواطر جـ ٧٥/٥ ، وملخصه فى قصة الحضارة ص ١٤٢ .

وسرعان ما أخذ المحضر طريقه الى العمل ، فابيحت متعة النساء ، ونكاح المسلم بالوثنية [١] والغيت الجزية عن المشركين ، وحرم على الناس أكل لحوم الحيوانات الأليفة من البقر والشياه ... ، واباح أكبر البغاء والخمر والربا والقمار ، وأسقط العقوبات الجسدية الاسلامية جميعا ، وحرم على المسلمين التزوج ببنات العم والعمة والخال والخالة وأسقط الاغتسال من الجنابة ، بل أمر بالاغتسال قبلها ، وزعم أنها أوفق للصحة ، وأنشط للجسد ، كما حرم صيام رمضان بحجة نقصان الانتاج ... [٢]

والقول الفصل ان الامتثال لاحكام الاسلام مع مراعاة تشريعات أكبر اصبح محالا وضربا من العبث ، فما من تشريع الهى الا مسته يد التحريف ، وازاحته عن ميدان العمل وساحة الدين الحنيف ، وتدرج صاحب المراسيم فى الاجتهاد من الفروع الى الأصول فقال بخلق القرآن ، والتشكيك فى النبوات باستحالة الوحى ، وانكر الحشر والنشر والمعجزات والملائكة والجن وسائر المغيبات ، وجوز التناسخ على الطريقة الهندوسية . [٣]

وأخطر هذه التشريعات هو تشريع السجود للملك ، كالسجود لرب العالمين ، واستبدال " كلمة لا اله الا الله أكبر خليفة الله " بكلمة الشهادة ، والسماح للناس بالارتداد عن الاسلام ، وانهم مخيرون فى اختيار الديانة بين الاسلام وغيره .

التنصير وموقف أكبر منه :

ولأول مرة فتح باب التنصير ، وأصبح قسس المسيحية يجوبون الهند ، ويقومون بتبليغ التثليث ، ويتهجمون على الاسلام وصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام بمساندة الدولة ، وقد ذكر القس بركة الله نتائج البعثة المسيحية الثالثة فقال : " عندما وفد على أكبر الوفد المسيحى الثالث بلاهور عاصمة ملكه رحب بهم ، وسمح لهم بتبليغ مذهبهم الى الناس ، وأمر ألا يضايق ولا يمانع من يقبل المسيحية ، كما سمح لهم ببناء كنيسة عند قصره " . [٤]

---

(١) انظر الأمير شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامى جـ ٤ / ص ٣٠٢ .
(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٧١ الى ص ٨١ .
(٣) انظر حاضر العالم الاسلامى جـ ٤ / ٣٠٢ . ونزهة الخواطر جـ ٥ / ٧٧ .
(٤) مغلية سلطنت اومسحيت ص ٢٠٠ وانظر العمل التنصيرى با لتفصيل ابان عهد أكبر فى رود كوثر ص ١٣٨ - ١٥٦ وتاريخ المسلمين جـ ٢ / ١٣٤ ، ١٣٦ .

هذا وقد تعمقت تشريعات أكبر في أبراز ظاهرتين خطيرتين : ظاهرة القول بوحدة الوجود ، وظاهرة التشيع ، وتعني الأولى أن للوجود ظاهرا وباطنا ، وان الباطن هو النور ، وانه بمنزلة الروح لجميع العالم ، وان ظل ذلك النور هو الوجود الظاهر الذي يشاهد في صور الممكنات ، وان الاسماء والصفات والأفعال الظاهرية بمنزلة الأمواج من البحر وبالجملة فإن أفراد الكائنات هي صور متجلية للحق تبارك وتعالى ، سبحان الذي خلق الأشياء وهو عينها ، وإن الكثرة الاعتبارية هي الوحدة والتوحيد في الحقيقة والواقع ، وإن وجود الممكنات هو عين وجود الواجب تعالى وتقدس جل وعز .(١)

وقد يكون لعقيدة التناسخ الوثنية الهندوسية دخل في شد أزر هذه النظرية ، اذ التناسخ الهندوسي يصل بالارواح الطاهرة في المقامات العليا الى الاتحاد بالرب عز وجل ، كما تعود بالنجسة لتشكل حلقة الحياة في صور الحيوانات الكريهة .

وترأس هذا الاتجاه الخطير الشيخ محب الله الاله آبادي ، وامان الله البانى بتي ، فقاما بنشره بين الأمة ، معتقدين بالوحدة المطلقة من أن العبد عين الرب ، وان الرب عين العبد ، وتوسع بعضهم فسمى كل ما وقع تحت بصره الهاً ، فتبعهم العديد من المشائخ والصوفية ، وأصبح النكير عليها ضربا من العبث ، وصنفت العديد من الرسائل والكتب لاثبات هذا التوحيد المزعوم .(٢)

اما ظاهرة التشيع الاثنى عشرى فقد ورثها أكبر من تركة أبيه ، اذ لم يمد طمها سب شاه الصفوي ـ شاه ايران يد العون الى همايون لاسترداد الهند ـ الا بعد أن أخذ عليه العهد بمؤازرة التشيع ، وسواء اعتنق همايون التشيع أو لم يعتنقه فقد أذن بنشره بين السنيين الهنود ، وذلك بفتح باب الهند أمام علماء الشيعة المهاجرين ، ليبثوا نزعاتهم تحت حماية الدولة في عهده وعهد ابنه وحفيده .(٣)

---

(١) انظر نزهة الخواطر جـ ٣/٣١١ ، ونزهة الخواطر جـ ٤/١٧٤ و ٢٣ و ٣٢ و ٤٩ و ٢١٦ .

(٢) انظر للتفصيل نزهة الخواطر ... جـ ٥/٣٢ ، ٦٩ ، ١٦٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٥٣ .

(٣) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٥٦ . ونزهة الخواطر جـ ٥ / ٤٢ و ٧٣ .

مقاومة الأمة لانحراف أكبر ونتائجها :

وكان من الطبيعي اثر هذه التشريعات والسماحات من حاكم أتى الى منصة الحكم عن طريق انتسابه الى الاسلام — أن هبت رياح المعارضة والمقاومة في العديد من أجزاء الهند المسلمة ، وعلى جميع المستويات شعبا وعلماء وامراء ، كل في دائرته حيث وقف الكثير من الأمراء موقف المقاوم المعاند لأفكار أكبر وتشريعاته ، فترى ميرشهباز خان كنبو ينزع يده من يد أكبر خشية فوات فريضة المغرب ، رغم الحاح أكبر بأدائها قضاء ، والأمير مرزا عزيز الدين — رئيس الوزراء وأخو أكبر من الرضاع — كان يغلظ عليه القول فيما يخالف الشرع فعزله السلطان لذلك ، فقبل تلك التنحية باستبشار صيانة للدين والشرع الحنيف ، ولم تكن ثورة الأمير جلال الدين المسلحة في " سَوَات " و "بَاجُور " الا من هذا القبيل .(١)

وكان العلماء أشد جرأة من هؤلاء جميعا ، فترى القاضي يعقوب المانكبوري يفتي بتحريم المتعة خلافا لاباحة أكبر اياها ، ويفتي قاضي القضاة محمد اليزدي الشيعي على الملأ بكفر أكبر عام ٩٨٠ هـ ، ويوجب شهر السيف في وجهه ، ويتصدى المحدث ابراهيم الأكبر آبادي والشيخ حسن الأجميري للملك في تحيته السجودية .(٢)

وتكاتف علماء الجنوب جميعا تجاه هذا الطغيان فحدثت ثورة شملت البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وقد تداركها أكبر بالمكر والخديعة ، والدهاء والوقيعة ، فنفى رؤساء العلماء كشيخ الاسلام مخدوم الملك عبد الله السلطانبوري ، وصدر الصدور الشيخ عبد النبي ، وكثيرا غيرهم الى الحجاز ، بعد أن هيأ لهم الزاد والراحلة بحجة وجوب الفريضة ، وأمرهم ألا يعودوا الا باذنه ، ودفن الآخرين في كهوف وهم أحياء ، وسجن من تبقى منهم كالقاضي يعقوب والشيخ حسين الأجميري في القلاع النائية .(٣)

---

(١) انظر للتفصيل رود كوثر ص ١٤٢ ونزهة الخواطر جـ ٥/١٧٠ و٢٧٢ و١١٥ .

(٢) انظر رود كوثر ص ١٠٥ ونزهة الخواطر جـ ٥/٤ ، ١٣٥ .

(٣) انظر نزهة الخواطر جـ ٥/١٣٥ . ورود كوثر ص ١٠٥ .

وقد أنتج هذا الاضطهاد حدثا تفتخر به الهند حتى اليوم ، اذ دخل علم السنة بصورة منتظمة اليها ، وذلك بعد تأمين الطريق البحرى لاداء فريضة الحج ، فحمل العديد من العلماء علم الحجاز بالحديث الى الهند ، واجدر هؤلاء بالتنويه تلامذة المحدث أحمد بن حجر الهيتمى المكى وعزيز الدين عبد العزيز الزمزمى ، اللذين كانا موظفين من قبل السلطان محمود الكجراتى بمدرسته فى مكة حرسها الله — والمحدث عبد الحق الذى خدم السنة — فى كتبه المتعددة خمسين عاما بعد أن تحملها من الحجاز .(١)

ولم يفارق أكبر الحياة حتى شاهد انهيار دعوته ، وفشل تشريعاته بام عينيه ، وقد ندبه ول ديورانت بقوله " وهكذا قضى الملك أكبر دون أن يجد من يصلى على روحه ، بين انصار أية عقيدة أو مذهب ، ولم يشيع جنازته عدد كبير من الناس ٠٠٠ ، مع أنه أعدل وأحكم حاكم شهدته آسيا فى كل عصورها " .(٢)

ميزات عهد جهانكير وشاهجهان :

لم يرض أعيان الأمة المسلمة بمبايعة جهانكير بن أكبر عام ١٠١٤ هـ الا بعد أن أخذوا عليه العهد بالعودة الى الاسلام ونبذ كل ما يخالفه من التشريعات الأكبرية ، وتميز مجتمع هذا العهد بأمور أهمها :—

(١) ركز العلماء جهودهم على اصلاح التصوف ، ودرء ما فتقه الحلول والتشيع وعظمة الملك ، فوقف الشيخ أحمد السرهندى — مجدد الألف الثانية — والشيخ أحمد محمد البجوارى ومن على شاكلتهما موقف العزيمة من سجدة التحية ، وأبوا أن يأخذوا بالتأويل والرخصة ، وفضلوا الغريمة والسجن على السلامة والامان .(٣)

---

(١) انظر للتفصيل علم حديث مين باك وهند كاحصة ص ١٢ ، ونزهة الخواطر جـ٥/٢٠١ ، و ٢٨٧ و ٣٥١ .

(٢) قصة الحضارة ٣/١٤٤ وانظر حاضر العالم الاسلامى ٤/٣٠٦ .

(٣) انظر بدر الدين سرهندى حضرات القدس ص ٨٩ — ٩٠ وروود كوثر ص ٢٦٩ ، ونزهة الخواطر ٤٣/٥ ، ٦٨ .

وشاركهم الشيخ آدم بن اسماعيل البنورى والشيخ عبد الباقى السهارنبورى ، والمحدث عبد الحق الدهلوى فى ارجاع التصوف الحلولى الى ديانة التوحيد ، بانشاء الطرق الصوفية الحديثة ، وانماء القديمة الوثيقة الصلة بالاسلام ، تلبية للاعتقاد السائد آنذاك أن اسلام المرء لا يقبل عند الله مالم يكن على صلة بطريقة من طرق التصوف (١)

(٢) رغم عدم اعتناء الدولة بالدين ، ولا سيما فى باب بعض الحدود — نجد أن بوادر العودة الى الشرع وضعت بذورها فى أوائل هذا العهد ، اذ بذل العلماء ورجال الاصلاح العديد من المحاولات للعودة الى الاسلام ، وما يخدم أهدافه السامية ، فما ترجمة القرآن الى الفارسية واعانة الايامى على الزواج وتحمل نفقات النكاح الاجزء من تلك النهضة الشاملة ، التى أعادت الاسلام بجميع فروعه الى حياة المسلمين ايام حفيد جهانكير . (٢)

(٣) ادرك المجتمع المسلم عن طريق العلماء ، خطر التنصير والتشيع ، اللذين كانا ينخران عقيدة التوحيد ، فحاول الحد منها بالجهاد حينا وبالنصح والارشاد أحيانا اخرى ، فما معارك شاهجهان فى " هوكلى " ضد البرتغاليين ومعاركه فى غزو لكندة " وبيجابور " ضد الشيعة الا جزء من ذلك الحد ، ومنع للانحراف من الانتشار . (٣)

غير أن الحاد أكبر هيأ فرصا لأمور مبتدعة ، لم يكن للمجتمع المسلم عهد بها نوجزها فيمايلى :

(١) تبذير الأموال على بناء المشاهد والقبور ، وانفاق ما يفى بنفقات الدولة لعدة سنوات على مقبرة من المقابر ، وكأنّ بساطة الاسلام وهديه لم يعد لهما وجود فى وسط هذا البذخ والاسراف ، رغم أن مثل هذه البنايات كانت موضع ترحيب واعتزاز عند الفنانين والمشتغلين بفن العمارة الاسلامية .

---

(١) انظر نزهة الخواطر جـ ١/٥ ، ١٩٩ — ٢٠٦ .

(٢) انظر تاريخ المسلمين جـ ١٧٩/٢ ونزهة الخواطر جـ ١٣٤/٥ ، ١٢١ ، ٣٠٩ .

(٣) انظر Ishwari Prasad. "A Short History of Muslim Rule in India" ايشورى براساد (مختصر تاريخ الهند فى العهد الاسلامى) ص ٣٨٨ ، وخافى خان منتخب اللباب ص ٢١٢ وتاريخ المسلمين جـ ١٩٥/٢ ونزهة الخواطر جـ ٧٣/٥ ، ١٧٢ ، ٣٤٩ ، ٣٨٥ .

(٢) عمت ظاهرة نقل الاجساد بعد الوفاة من موضع لآخر بين المسلمين ، قد يصل الى مسافة بضعة آلاف من الكليومترات ، وقد ينقل الجثمان بعد الدفن بستة أشهر وما شابه ذلك . وكأنه خفى على الامة دفن الصحابة وسلف الأمة رضى الله عنهم فى اطراف الدولة الاسلامية المترامية(١)

اورنك زيب ومميزات عهده الميمون :

معن النظر فى شخصية اورنك زيب — من مخالف ومؤيد — لا يسعه الا الاقرار باسلامه وأمانته وعدله وتقواه ، يقول عنه دل يورانت " لقد كان فى السياسة باردا ، (هادئا) — يقدر عواقب الأمور تقديرا دقيقا .... امتنع عن كل ما يحرمه دينه من الوان الطعام والشراب وأسباب الترف امتناعا كان يرقبه فيه ضميره ، والظاهر أنه نفذ ما صمم عليه وهو الا ينفق على نفسه الا ما كسبت يداه بالعمل ". (٢)

ويقول الساداتى احمد محمود : وقف اورنك زيب عالمكير حياته كلها على اعلاء شأن السنة ، ونشر لواء الاسلام خفاقا عاليا ، ومجاهدة عبادة الأوثان ، والخارجين على اجماع أهل السنة من أصحاب المذاهب الشيعى وغيرهم ، وقضى ايامه على خير ما يقضيها مسلم تقى ، يحفظ القرآن ، ويصوم أغلب ايامه ".

وما ان تسلم عالمكير زمام السلطة عام ١٠٦٨هـ حتى أمر بالغاء ثمانين نوعا من المكوس المفروضة على المسلمين والهنادكة ، وأمر ألا يؤخذ من أموال الناس الا الزكاة والجزية وفرض على المسيحيين جزية ثلاث روبيات فى السنة ، كما أصدر أمره بمنع زراعة الأفيون وشرب أى مسكر .... وتقدم خطوة فمنع الفحشاء ، وأصدر مرسومه لمرتكبات هذه الجريمة

---

(١) انظر نزهة الخواطر جـ ٨٤/٦ و٨٦ و٩٩ و١٠٣ و١٥٢ و١٩٧ و٢٠٩ و٣٢٢ و٣٧٧ .

(٢) قصة الحضارة ٣/١ /١٤٩ وانظر مغلية سلطنت اورمسيحيت ص ٣٢١ ونشأة باكستان ص ٢٥.

(٣) تاريخ المسلمين جـ ٢٤٤/٢ وانظر رودكوثر ص ٤٥٥ .

بالزواج أو النزوح من دولته . [1] وتركزت اهتمامات عالمكير على أمور أهمها :ـ

١ ـ العودة الى الشرع فى أمور القضاء الدقيقة والعظيمة ، وتعيين القضاة فى القرى ، والأرياف فضلا عن المدن والمقاطعات ، ولا يقل عدد من انتسب الىّ هذا المنصب فى عهده عن الآلاف ، وبذلك أصبح العدل يطرق أبواب الناس عوضا عن أن يطرقوا بابه ، ولتوحيد المحاكم القضائية اختار نخبة من العلماء ممن توسم فيهم أورنك زيب الفهم السليم لنصوص الشرع لتصنيف قانون الدولة القضائى فبرزت " الفتاوى الهندية " كقانون يفصل القضاة فى ضوئها بين البشر ، [2] ولتكييف حياة الناس وفق الشريعة ضاعف عالمكير جهوده فى تعيين المفتين ، للاجابة عما يجد للناس من الأمور فى الحياة اليومية [3]

ولحاجة السجالين الى العلماء ورجال العلم نشط التعليم الاسلامى فى طول الهند وعرضها ، فظهرت العشرات من المدارس والمئات من المكاتب ، وكان للدولة ورجال الخير الأثرياء أيد ملموسة فى ادارة هذه المدارس ، ومد يد العون لابقائها تفيض بالعطاء والخير ، بوقف العديد من القرى وتعيين رواتب مقطوعة للمشتغلين فى تلك المعاهد ، وتقديم الهبات العينية والمالية اليها بين الحين والآخر ، وما زال " الدرس النظامى " الذى وضعت أسسه ابان عهد عالمكير أحد الطريقين فى التعليم ، وكسب المعرفة فى شبه القارة الهندية ، يمد الأمة بأئمة المساجد ورجال الافتاء .

٢ ـ أ تطهير المجتمع المسلم مما اختلط به مما ليس منه بالضرب بيد قوية على الصوفية الوجوديين ومن يسير سيرهم ، [4] فلم يكن الأمر الملكى بمنع قراءة مكتوبات الشيخ أحمد السرهندى وديوان الحافظ الشيرازى وقتل سرمد اليهودى المسلم وحبس محمد فياض الهزكامى الا نتفا من ذلك التطهير الشامل . [5]

---

(١) انظر للتفصيل فيما نهى عنه عالمكير من الأمور المخالفة شرعا محمد اسحاق بهتى فقهاء هند جـ ٥ / ٥٠ والهند فى العهد الاسلامى ص ٣٨٩ وورود كوثر ص ٤٥٨ وتاريخ الدعوة الاسلامية ص ١٢٣ وما بعدها .

(٢) انظر نزهة الخواطر ص ٦ / ٢٨ و٦٤ و٧٧ و١١١ و١٢٧ و١٣١ و١٣٢ و١٤٨ و١٤٩ و١٧٩ و١٨٩ و٢٤٧ و٢٥٠ و٢٨٣ و٣٠٣ و٣١٩ و٣٧٢ و٣٨٠ و٣٨٩ وفقهاء هند جـ ٥ / ٥٤ .

(٣) انظر نزهة الخواطر ص ٦ / ١٤٣ و٣٧٩

(٤) سيأتى تفصيله فى فصل التعليم .

(٥) انظر رود كوثر ص ٤٨٢ و ٤٨٥ ونزهة الخواطر ص ٦ / ٢٦٧ .

ب — انتفضت البهرة الاسماعيلية بعد أن شرب شاه جى الكجراتى — أمامهم المستور — سماًلقتل نفسه ،إثر استدعاء اورنك زيب اياه عام ١١١٤هـ ، بسبب ماظهر منه من الأعمال غير الشرعية ، كالستر وراء الحجاب وابراز رجله عند الالحاح للتقبيل والقاء النذور ٠٠٠ فامتطى الاسماعيلية الحسام لموته ، وقاتلوا الدولة حتى غلبوا ، فلم يكن من الملك الصالح الا أن أمر " أن يبعث أهل العلم الى أحمدأباد ونواحيها ، ليعلموا ذراريهم — أى ذرارى المقتولين — العقائد الصحيحة ".(١)

ج — سعى عالمكير الى الحصول على الحدود الطبيعية للهند المسلمة ، وذلك بمد راية الاسلام الى أقصى الجنوب ، والقضاء على الجيوب الهندوسية المحتمية بامارتى غو لكنده ، وبيجابور الشيعيتين ، وقد استغرق تحقيق هذا الهدف النبيل أكثر من ربع قرن ، يزعم بعض الناس ان " قضاء اورنك زيب على امارات دكن الشيعية كان بمثابة هدم سور حصين أمام قوة مراهته — الهندوس — المتصاعدة (٢) وقد خفى عليهم ان عالمكير قداكتسح الجنوب كله ، بما فيه امارة مراهته ، فقد سقطت راجكر ، عاصمتهم عام ١١٠١هـ فى أيدى المسلمين وبلغ الجيش الاسلامى تنجورة اقصى المدن الجنوبية الساحلية ،انما يكمن سر انهيار الدولة المغولية بعد اورنك زيب فى حروب الوراثة التى اتت على اليابس والأخضر ، ومن خلفه من الابناء غير الاكفاء ٠٠٠

أورنك زيب نظر اعدائه :

ولشدة وطأة عالمكير الاسلامية حاول اعداؤه النيل منه ، والغض من منجزاته ، وقد تكفل ول ديورانت بتوجيه الاتهامات الهندوسية اليه قائلا : وظل خلال نصف القرن الذى حكم البلاد فيه يحارب فى سبيل محو الديانات كلها من الهند الا ديانته ، وأمر عماله فى الأقاليم وغيرهم من اتباعه أن يقوضوا كل المعابد التى تتبع الهندوس أو المسيحيين ، وأن يحطموا الأصنام جميعا ، وأن يغلقوا مدارس الهندوس بغير استثناء ٠٠٠ وأقام مسجدا اسلاميا

---

(١) نزهة الخواطر جـ ٦/١٠٢ .

(٢) شمس بريلوى اورنك زيب خطوط ك آئينه مين (اورنك زيب فى ضوء مذكراته) ص ٦١ .
وانظر أحمد ابراهيم البشيشى الهند خلال العصور ص ٩٩ .

فى مكان معبد كان قائما فى بنارس ، وكان موضع قدسية خاصة عند الهندوس بغية الاساءة المتعمدة اليهم ". (١)

وبالعودة الى مرسوم عالمكير الذى نشره المستشرق فلت عام ١٩١١ فى الصحف الأوربية تتضح حقيقة التهمة ، وهذا المرسوم خير سبيل للكشف عن موقفه تجاه هذه المعابد ، وجاء فيه "بناء على ما تقتضية الشريعة الاسلامية لا يجوز بناء معابد جديدة للهندوس ، وقد بلغنى ان بعض العمال تعدى على البراهمة والهندوس وعلى معابدهم فى بنارس وضواحيها ويودون اخراجهم منها ، مما سيجعلهم يتيهون فى الأرض حائرين ، فيا أبا الحسن حاكم بنارس أمرك بضبط الأمور ، حتى لايتعدى احد على البراهمة والهندوس ولا على معابدهم وتظل طائفة البراهمة فى مكانها من القيادة لبنى ملتهم ". (٢)

واما ما يتصل بتحطيم الأصنام فلم يقدم أعداء اورنك زيب حادثة معينة هدمت فيها الأصنام من غير نزال أو حرب ، وانما جل الحوادث التى ساقوها لاثبات هذه التهمة يعود تاريخها الى الحرب أو نتيجة الحرب ، اذ كانت المعابد مركز القيادة ونقطة انطلاق المقاومة الهندوسية ، وقد تصدى شبلى نعمانى لبيان واقع هذه الوقائع فقال : " واشنع لوم يوجه الى اورنك زيب هو أن الرجل كان شديد التعصب لدينه ، هدم معابد الهندوس ، مما أجبرهم على الثورة ، وسل سيف المقاومة فى وجهه ، بيدان الحقيقة عكس ذلك اذ كانت السياسة والدين أمرين لا ينفك احدهما عن الآخر ، وكان المسجد والمعبد محط انظار الشعوب وعقر دار الثواب ، فحينما ثار الهندوس من خلال أماكن العبادة اصطدمت المعابد بالجيش فكسرت الأصنام ، وازيلت المعابد "(٣)

ويعود أمر قفل المدارس الهندوسية والمسيحية الى ما كانت تنتهجه هذه المدارس فى سياستها التعليمية منذ عهد أكبر ، الذى أنشأ مثل هذه المعاهد لانتزاع أبناء المسلمين

---

(١) قصة الحضارة ٣/١ / ١٤٩ .

(٢) مسلم ثقافت ص ٤٨٣ . واورنك زيب خطوط .... ص ٦٠ .

(٣) اورنك زيب عالمكير برايك نظر (نظرة فى اورنك زيب) ص ٧١ وانظر فقهاء هند ٩ / ٦٨ .

من الدين الحنيف ، فلم تؤسس " آب بات شال " الا لهذا الفرض ... اذ لم يكن غلق هذه الدور الا من باب الحفاظ على العقيدة الاسلامية . غير أن المؤرخين الشيعة البعاد دولتهم اطلقوا عنان اقلامهم فى الكتابة عن موضوع القفل فعمموا المعين المحدود والخاص المعدود ، لتحويل الصفحة السنية الناصعة وحماية الشرع الى الحنق وظلم العباد .(١)

وثانى التهم التى سود بها بياض هذا المسلم أنه حجر على الهندوس أبواب التوظيف لدى الدولة " وأمر عام ١٠٨٢ هـ جميع حكام المقاطعات بالا يعين لخدمة الحكومة الا مسلم وبالعودة الى الأمر الملكى ينجلى أن المنع لم يأت الا لوظيفة جمع أموال الدولة (الخراج) ، وذلك للحد من الرشا التى كان يتقاضاها الهندوس المعينون على هذه الوظيفة ، وبعد مضى بضع سنوات نرى الأمر قد عدل فوظف هندوسى جوار كل مسلم ، فلو كان الهدف هو حرمان الهندوس فما معنى جعلهم شركاء فيما بعد مع المسلمين فى هذه المهنة الوظيفية ، وما معنى جعلهم امراء وأصحاب المناصب العليا فى الدولة . وبالمقارنة والاحصاء نجد أن عدد امراء الهندوس ابان حكم عالمكير بلغ واحدا وستين ، بينما لم يتسلم الامارة فى عهد أكبر الا اثنان وخمسون اميرا هندوسيا ، بل لم تكن امارة كابل المسلمة الا تحت تصرف أمير من امراء الهندوس .(٢)

وملصق التهم من المسلمين يدور كلامه بين قتل عالمكير اخوته ، ووضع ابيه تحت الاقامة الجبرية بعد تسلم الحكم وتحويل من سلم عليه بالمسنون — السلام عليكم — الى الشرطة ، وقراءة الكتاب المجيد لايصال ثوابها للموتى ونكاحه بالمغنية زين آبادى (هيرابائى) وتكميله بناء الاضرحة (٣) وغيرها من الامور التى يمكن تبريرها فى ضوء الملك والسلطة وظروف المجتمع المسلم المحاط بسياج التصوف آنذاك ، والقول الفصل : ان اورنك زيب رغم سعيه الحثيث فى نشر الاسلام واقامة الشرع الحنيف كان بشرا ، يخطئ ويصيب غير معصوم فى تصرفاته .

---

(١) انظر شيلى نعمان اورنك زيب برايك نظر ص ٦١ و ٦٦ وما بعدها .

(٢) انظر فقهاء هند ج ٥ / ٣٤ و ٦٨ . اورنك زيب برايك نظر ص ٦٢ واورنك زيب خطوط ٦١ .

(٣) انظر الامير شكيب ارسلان حاضر العالم الاسلامى ٤ / ٣١٠ وفقهاء هند ج ٥ / ٧٨ وتاريخ الدعوة الاسلامية ص ١٢٧ ، واورنك زيب خطوط ج ص ٣١ و ٢٦٤ وورود كوثر ص ٤٢٧ .

ظل رحمه الله يجاهد لاعلاء كلمة الله فى جنوب الهند وشمالها طوال خمسين عامـــا قضاها فى السلطة والحكم ، فاخضع البراهته وشدد الخناق على البريطانيين حين ناهضـــوا الدولة فى فرض الجزية ، فدحرتهم قواته فى كل مراكزهم ، فضاعت منهم مصانعهم فى "هنوكلى" "وسولبياتام" غير أن دهاة الانجليز بتمسكهم تمكنوا من أخذ اذن السماح باقامة حى لهـــم عند قرية كلكتـــة وظلت القرية تتسع فى تدرج سريع حتى أصبحت عاصمة المستعمرة البريطانية فى عهد خلفائه قبل انتقال كرسى الحكم الى العاصمة دهلى .[1]

---

(١) انظر تاريخ المسلمين ٢/٢٤٩ .

الفصـــل الثـــالـــث

ـ{ المجتمع المسلم فى عهد شركة الهند الشرقية }ـ

ويشتمل

على النقـاط الرئيسيـــة التاليـــة :

(١) مميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنك زيب •

(٢) موقف المسلمين من شركة الهند الشرقيـة •

(أ) الموقف الرسمى •

(ب) الموقف الشعبى (حركة السيّد بن الجهادية) انتفاضة ١٨٥٧م وآثار هافى المسلمين •

(٣) محور اتجاهات النواب البريطانيين فى حكم الهند •

الفصل الثالث

مميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنك زيب :

رفرفت راية التوحيد فى عهد عالمكير من جبال هملايا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ، ومن آسام ببورما شرقا الى كابل غربا ، وتعتبر دولته أوسع دولة مسلمة حكمت الهند على الاطلاق ولكن دخول هذه المناطق لم يأت الا بعد ان وَخط الشيب عالمكير ، ومَلَّ من الحروب أكثر القادة والجند .[1]

وتتميز فترة خلفاء اورنك زيب المعاصرة لعهد شركة الهند الشرقية ، وقبل انتقال السلطة الى الحكم البريطانى المباشر بأمور منها :ـ

(١) ظل الاسلام مظلة الدولة الرسمية فى تسيير شئون البلاد ، كما ظل القضاة وأصحاب الافتاء يعينون لفصل المنازعات والاجابة على ما يستفتون فيه من أمور الحياة المستجدة .

(٢) فقد الحكام والأمراء تلاحم الشعب ومساندته ، حين نفذ بعضهم فرض التشيع الأ ثنى عشرى بقوة السلاح ، فجرت بين الطرفين مصادمات دموية حينا وكلامية أحيانا أخرى .[2]

(٣) وجد التشيع أثمن فرصة لاقامة دولته فى الهند ، اذ كان أغلب امراء الدولة من الشيعة وازدادوا رسوخا فيها بعد غزو نادر شاه الفارسى الشيعى للهند ، وبالتالى اعاد سلاطين الهند دور الخلفاء العباسيين مع بنى بويه ، أو فاقوهم فى الولاية والعزل .[3]

(٤) يمكنك تصور مدى التدنى والانحطاط الذى وصل اليه المجتمع المسلم ، من الخطابين اللذين أرسلهما الشاه ولى الله ـ عالم الهند ومؤسس دراسة السنة الحديثة فيها الى أحمد شاه الابدالى سلطان أفغانستان والى السيد أحمد على زعيم الروهيلا الافغانيين فى الهند ،بعد أن راقب الوضع الخطير بمعاصرته عشرة من ملوك هذا العهد ، فسعى الى استعادة الاسلام

---

(١) انظر فقهاء هند ج ٣١/٥ وتاريخ المسلمين ٢٥٢/٢.
(٢) انظر رود كوثر ص ٦١٧ ونزهة الخواطر ج ٤٢٩/٦.
(٣) انظر مناظر حسن كيلانى "هندوستان مين مسلمانون كانظام تعليم وترتيب" نظام التربية والتعليم عند مسلمى الهند ٢٧٨/١ والهند فى العهد الاسلامى ص ٢١٤ وتاريخ المسلمين ج ٢٦١/٢ ورود كوثر ص ٦١٨ ونزهة الخواطر ج ٢٨٥/٦ و ج ١٩٧/٧ .

وتشكيل مجتمع اسلامي من واقع قيادة اسلامية واعية .

وكتب الى الأول يقول : " قد بلغ السيل الزبى اذا تساهل الامراء في جمع الخراج ، كما تمادى الفلاحون في عدم الدفع ، فضاع بذلك دخل الدولة ، وخلت الخزانة من المال ، وتفرق الجند شذر مذر ، وليس وضع العامة من العمال والصناع والتجار أفضل من عمال الدولة وان الأمر يتطلب من الناحية الشرعية وجود سلطان مسلم يعيد الى الاسلام شوكته ، ومجده ، ويهزم المشركين بخططه البعيدة ، ولم يبق من رجال هذا الميدان سواك ، وانى لعلى ثقة أنك ستقوم باداء هذا الواجب ، وتقصد الهند لهذا الهدف النبيل ، وتزيل عن المسلمين الظلم والاستبداد ، وتقطع المَرَاهتَه اربا اربا بسيفك المسلول ، وأتوب الى الله من عمل نادر شاه الذى مزق المسلمين شر ممزق ، وترك المراهتة والجات ـ الهندوس ـ قواهم دون أن يطالبوا بسوء ، وان الكفار لم يقو ساعدهم الا بعد نادر شاه ولم تضعف دولة الاسلام الا بعده ، وان دهلي اليوم كلعبة أطفال يتقاذفها الصبيان انى يشاؤون " (١)

وكتب الى الثانى يقول : "وانى لاشكرك على جهودك المضنية في مد الجيش الاسلامى بالرُوهيلا وإنك بهذا العمل حفظت على المسلمين دماءهم وأموالهم .... وان تلك الفئة الشقية (الحكام والمراهتة) جمعت جميع خصال الشر ، من قطع الطريق والغدر والاستعانة بغير المسلمين وتفريطهم في الحفاظ على بلاد الاسلام أو ان استهزاءهم بعقائد الاسلام بلغ مدى لا يمكن التسامح فيه ، وكان من الطبيعى ان تبغضهم في الله ، وتسعى في ازالة دولتهم بكل الوسائل المتاحة ". (٢)

(٥) وفي الأمور الاجتماعية نجد الاسراف والتبذير في الزواج والوفاة ، والكره والشؤم في نكاح الأرامل والرغبة الملحة في تقبيب القبور وقراءة القرآن على الأموات . والاستشفاء بالتمائم والمعلقات . والتواكل في الأخذ بسنن الله الكونية في الحياة ، والبعد عن حقيقة التوحيد في قضاء الحاجات ، كل ذلك ظاهرة هذا العصر المشتركة بين أغلب المسلمين .

---

(١) شاه ولى الله ــ سياسى مكتوبات (رسائل الشاه ولى الله السياسية) جـ ١/٩٠ جمع وترتيب خليق أحمد نظامى .

(٢) شاه ولى الله ــ سياسى مكتوبات جـ ١/١٣٨ .

موقف المسلمين من شركة الهند الشرقية :

(١) الموقف الرسمي ، وفى هذه الغربة الاسلامية دخل البريطانيون الساحة بعدد راسة دقيقة ، فخرجوا من حيهم بكلكة يزحفون على البنغال حتى ابتلموها فجرت أولى — المعارك الحاسمة بينهم وبين ملك الهند ، شاه عالم (على جوهربن عالمكير الثانى فى ساحة بَلاسِى عام ١١٧٠ هـ ، ولم يضمن الانجليز النصر الا بعد أن استمال كلايف مدير شركة الهند الشرقية قائد شاه عالم مير جعفر خان برشوة قدرها ثلاثة ملايين روبية .(١)

وتلت بلاسى معركة بَكسَر بسنوات سبع وكانت القاضية على قوة الدولة ، اذ تنازل شاه عالم للبريطانيين بموجب معاهدة الصلح المنعقدة فى مدينة اله آباد ، باطلاق أيديهم فى جمع خراج البنغال وبهار واُريسه ، مقابل ضمان الانجليز له معاشا سنويا قدره ٦و٢ مليون روبية (٢) واعادته الى دهلى أثر تفويض أحمد شاه الابدالى اليه نيابة حكم الهند . ووقفت مَيسُور آخر الولايات المسلمة بعزم وصمود تعاند النوايا الانجليزية التوسعية وظلت تنشئ العراقيل امام زحف البريطانيين الى الجنوب بضعا وثلاثين سنة ، وقضى الامير حَيدَر عَلِى نحبه فى محاولة طرد هولاء الدخلاء ، فخلفه ابنه تيبو سلطان الذى ظل يجالدهم بسيفه وسنانه طوال ثلاثة عشر عاما ،ولم يتقدم الانجليز الى الشمال حتى خضبت دماؤه أرض المعركة عام ١٧٩٩ م فسقط شهيدا فى الدفاع عن عاصمته سِرنجَبا تَم المحاصرة (٣) ولم يمض على وفاة هذا المغوار ست سنوات حتى دخلت القوات البريطانية دهلى متخطية جميع العقبات ، ووجدت " شاه عالم " على حافة القبر فتركته يلفظ انفاسه الأخيرة لسَنَة من الزمن ، فمات سنة ١٨٠٦ م بعد أن ظل سلطانا صوريا خمسا وأربعين سنة . وبلحده لحد الحكم الاسلامى فى الهند اذ لم يكن ابنه أكبر شاه الثانى وحفيده بهادرشاه ابو ظفر الامغلو بيمنى امرهما مثقل شركة الهند الشرقية ، يتقاضيان مرتباً معينا . (٣)

Dumbar,G.H. History of India from the Earlist Time to thePresentDay. P. 341.

(١) دنبر ، ج — هـ — تاريخ الهند بين الماضى والحاضر ص ٣٤١

(٢) انظر المصدر السابق ص ٣٥٤

(٣) انظر الأمير شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامى جـ ٣١٨/٤ وأبا الحسن الندوى مجلة المنار جـ ٣١ / ٦٣٥ .

الموقف الشعبى :

أ ـ حركة السيدين الجهادية : ورث الشاه عبدالعزيز أكبر أبناء الشاه ولى الله جمع أفكار والده تجاه الدولة الاسلامية . وما أن ايس رحمه الله من رفع لواء الجهاد بين الأمراء المستقلين حتى أخذ يعمل لبذر الروح الجهادية فى المستمعين لحلقته العملية ، وكان لفتواه أثر فعال اذ أعلن فيها " إن الاجزاء التى احتلها غير المسلمين من الهند هى دار حرب ، يجب السعى لاستردادها ، وإن الوضع الحربى قائم بينها وبين بقية الهند ، حتى تعود الى حكم الاسلام ". (١)

ويعترف هنتر ـ الذى كلف بالتحقيق حول الحركة الجهادية ـ بمكانة بيت الشاه ولى الله القيادية فى هذه الحركة فيقول " حين استفتى الناس اعلم علماء الهند السيد عبد العزيز وابن أخيه (٢) عبدالحى افتيا أن الهند دار حرب " (٣) فلم يضيع السيد فرصة لاشعال الروح الجهادية فى الشعب الا اغتنمها ، وساقت القدرة الالهية السيد أحمد بن عرفان زعيم حركة الجهاد اليه عام ١٢٢٢ هـ ، فلم يتوان الشيخ فى تربيته ، بل خص أخاه ـ عبدالقادر لهذا الفرض ، وامد الزعيم بعد فراغه من التعليم بعالمين نابهين من اسرته ، هما ابن أخيه عبدالغنى وختنه عبدالحى ، فجال الشيخ أحمد أطراف الهند يمتار للحركة من اشتاتها . (٤)

ويلخص هنتر أهداف الحركة وما كان يقصده السيد أحمد بن عرفان من أعماله الجهادية فيقول " يجب أن يعلم كل طالب صراط الله المستقيم ... أن معنى البيعة على يد شيخ من المشائخ هو طلب رضاء الله عز وجل وذلك منحصر فى اتباع المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وينبنى أتباعه على أصلين : هما الا يعبد مع الله أحد ، و ألا يتخذ دستور أو منهج لم

---

(١) شاه عبدالعزيز المحدث فتاوى عزيزى ص ٤٢٢ وانظر مسلم ثقافت ص ٦٢٤ .

(٢) الصواب ختنه وهو زوج ابنة الشاه عبد العزيز ، ولا يوجد فى احفاد الشاه ولى الله من تسمى بهذا الاسم .

(٣) همارے هندوستانى مسلمان ص ٢٠٨

(٤) انظر نزهة الخواطر ٧/٢٩ .

يكن فى زمنه أو زمن خلفائه ، ويعنى الأول الا يطلب ازالة مكروه ... من ملك أو شيخ أو استاذ أو ولى من الأولياء أو نبى من الأنبياء ، ويعنى الأخير أن الطريق الأمثل للمسلم أن ينظم حياته المعيشية و العبادية وفق ما كان فى زمن النبوة وأن يجنبها جميع تلك البدع ، التى استحدثت فى الزواج والوفاة وتعظيم المشاهد وتقبيب القبور والتبذير فى قراءة القرآن للموتى عند نهاية كل سنة .(١)

وتلاقت أفكار السيد مع أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية على أرض الحجاز ، بعد وفاته بمدة لا تعد وربع قرن ، ومن غير المستبعد أن يكون السيد أحمد قد التقى ببعض أفراد حركة الشيخ ، وتأثر بهم فى استعجال العودة الى الحياة الاسلامية الأولى ، اذ لم يمض على ايابه من الحجاز ثلاث سنوات حتى أعلن الجهاد بالسيف عام ١٨٢٦ لطرد الحكام غير المسلمين من أراضى الاسلام ، فبدأ بالهنجاب واتخذ منطقة سرحد الباكستانية مركزا لجيشه الباسل .

وتحددت أغراض السيد أحمد بن عرفان القتالية فى اعلانه الذى نشره بين المسلمين فقال :

" وصل ظلم السِّيخ الى نقطة لا يسع المسلم تحمله فقد استولوا على لاهور وما جاورها ... ، وقتلوا الألوف من المسلمين دون ذنب ، واذلوا الآخرين دون جريرة ، منعوا الاذان من المساجد ، وحرموا ذبح البقر البتة ولما تجاوز ظلمهم الحدود البشرية وأصبح لا يطاق ، أخذ السيد أحمد ايده الله بنصره فى ايقاظ المسلمين من سبات النوم فى بشاور وكابل وما جاورها من البلاد ، ونفخ فيهم روح التضحية والفداء ، فلبى نداءه بضعة آلاف من المسلمين مستعدين لبذل مهجهم فى سبيل الله "(٢)

ويصف هنتر اسهامات عامة المسلمين تجاه الجهاد بالمال والنفس بقوله : " أخبرنى أحد تجارنا الاثرياء من المنطقة الشمالية الغربية ، الذى يدير مصنعا للاصباغ ، أن عماله المسلمين كانوا ينحون جزءا من مرتباتهم لمخيم ستهانة (عاصمة المجاهدين) بين عامى ١٨٣٠ـ

---

(١) همار هندوستانى ص ٨٤ وانظر الشيخ محمد اكرام موج كوثر ص ٢٠.

(٢) موج كوثر ص ٢٤ وهمار هندوستانى مسلمان ص ٢٥ .

ـ ١٨٤٦م ، وان المتحمسين منهم يذهبون لخدمة الامام (الجهاد) لمدة شهر أو شهرين باجازة اعتذارية ، كالتى تمنحها للهندوس لاقامة الحفل السنوى لآبائهم الاموات "[1]

وبهذه الروح رفعت راية الجهاد ، وتأسست دولة الاسلام المبسطة بعد فتح مدينة بشاور عام ١٨٣٠ م فاقفلت حوانيت الخمر ابوابها وعدمت مصانع الخمر من يعمل فيها ، وغاب البغاء عن الانظار ، وعين من يجمع العشر من المناطق الزراعية ، والقضاة لفصل الخصام ، وأهم من ذلك كله القضاء على ما يشبه بيع البنات عند الامة الباتانية اذ كان الأولياء يجحفون فى طلب العوض من الزوج عند العقد على المولية ، وكثيرا ما كانت الزوجة تشيب أو تتوفى قبل أن يضمها عش الزوجية لعدم استطاعة الزوج أداء المبلغ المحدد فاصدر الشيخ أحكاما صارمة لوأد هذه المادة وصرف الزوجات الى أزواجهن الشرعيين[2]

وأقام اتباع السيد تحت قيادة تتومير (الفرائضيون) دولة أخرى عند فيروز أباد ، شمال شرق كلكته عام فتح بشاور ، فحمل عليهم البريطانيون ثلاث حملات مكثفة ، منوا فى الأوليين بالفشل ، وتغلبوا فى الثالثة واستشهد تتومير ، وشنق نائبه وحكم على اتباعهما بعقوبات سجن مختلفة مع تأميم ممتلكاتهم جميعا .[3] وتبعت بشاور مسير اختها نتيجة الغدر الذى دبره رؤساء القبائل ، فضاعت بارقة الأمل بعد أن رويت منطقة بشاور بدماء الشهداء ، ولم تطل الحياة بالبقية المهاجرة اذ لاقت ربها دفاعا عن عقيدتها فى ساحة بالاكوت ، فاستشهد السيد أحمد ، والسيد الشيخ اسماعيل وأكثر من ثلاثمائة مجاهد من أصحابهم فى ١٢٤٦/١٢/٢٤ هـ ـ ١٨٣١ م ، نتيجة احداق الجيش السيخى بهم تحت قيادة ونتورا Vantoral ؟ أحد قواد نابليون الشهير .[4]

---

(١) همارے هندوستانى مسلمان ص ٢٥.

(٢) أنظر غلام رسول مهر ـ جماعت مجاهدين (جماعة المجاهدين) ص ٤٥ وموج كوثر ص ٢٩ .

(٣) همارے هندوستانى مسلمان ص ٦٩.

(٤) انظر أبا الحسن الندوى : اذا هبت ريح الايمان ص ٢٣٨ .

فخمدت حركة الجهاد بضعاً وعشرين سنة ، تستعيد فيها أنفاسها وتجمع شملها من جديد ، فما ان انتزع الانجليز منطقة بنجاب عام ١٨٤٩م من السيخ حتى اشتبكوا مع المجاهدين، وأرسلوا عشرين حملة عسكرية الى نهاية عام ١٨٦٣م ، وبلغ عدد الجنود المشاركين فى هذه الحملات ستين ألفا حسب التقديرات الرسمية (١) ، وظل الجهاد قائما حتى نهاية عام ١٨٦٩م ، وتمكن التجسس الانجليزى من كشف خطوط التموين ، ومراكز التدريب فى المناطق التى يحكمها الانجليز ، فزج بالالوف من المسلمين فى السجون، وصودرت أملاك كل من حامت حوله الشبهة ، وحكم على العديد المباشرين للجهاد بالشنق والسجن المؤبد بجزر اندمان ، رحم الله المجاهدين وأدخلهم فسيح جناته .

وكان التشهير والدعاية أفتك سلاح استعمله الانجليز لفصل التلاحم المقدى بين المجاهدين وبين سائر المسلمين ،ولم يأت العفو العام عنهم وعمن ينتمى الى الجهاد فكرياً عام ١٨٧٧م الا مشروطا بعدم اختلاط المجاهدين بغيرهم من سائر المسلمين فى أماكن العبادة (٢) مضافا الى ذلك وسمهم امام اخوانهم المسلمين ، وفى وثائق الدولة الرسمية "بالوهابية" اتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفيين الذين هدموا قباب الحجاز فى أوائل القرن التاسع عشر ــ مسبة وعارا ، فانزعج لذلك الشيخ محمد حسين البتالوى وطلب من الدولة استبدال "أهل الحديث" بالوهابية (٣) ومازال أثر تلك الدعاية سارى المفعول فى كثيرمن مناطق شبه القارة حتى اليوم .

ب ــ انتفاضة ١٨٥٧م وآثارها فى المسلمين :

وآخر انتفاضة شارك الجنود المسلمون الجنود الهندوس التابعين لشركةالهند الشرقية لطرد المستعمرين اتت عام ١٨٥٧ ــ ١٢٧٣ هـ ، حين ثار الجنود على اسيادهم، وبايعوا آخر ملوك المغول الاجير لدى الشركة ابا ظفربهادرشاه ، وتحمل المسلمون تبعة قيادة

---

(١) انظرهما رے هندوستانى مسلمان ص ٤٠ .

(٢) انظر كارسان وتاسى الفرنسى مقالات كارسان ج ٢/٣٨٣ .

(٣) انظر مجلة اشاعة السنة المجلد ١٩ ، العدد ٩ ص ٢ ، لعام ١٩٠٢ وصديق حسن خان ترجمان وهابية ص ١٩و١٢٠ ، ومحمد أيوب قادرى كالابانى (الماء الأسود) ص ٢٥ .

حرب التحرير هذه ، فاضطهدوا فى جميع ميادين الحياة فسلبت منهم أراضيهم ، واقفلت الدوائر الحكومية أبوابها عن التوظيف فى وجههم ، حتى أضحت النسبة عام ١٨٧١ م فى الوظائف فرداً من المسلمين يقابله سبعة هندوس وأربعة عشر أوربيا ، بل إن من الادارات ما خلا من المسلمين كالمساحة والشرطة والهندسة والتعليم والبحرية بشهادة من وكل اليه التحقيق الرسمى عن مظالم المسلمين [1]

محور اتجاهات النواب البريطانيين فى حكم الهند :

وبعد فشل المعارك نتيجة عدم التكافؤ فى الأسلحة وآلات الحرب نفى سلطان المسلمين الشيخ المعمر بهادرشاه " مع أفراد أسرته الى خارج الهند [2] وتولت الحكومة البريطانية الحكم المباشر على الهند ، وتشكلت سياسة الحكام الجدد فى ضوء تصريحات هنرى هملتن وحاكم الهند بعد الانتفاضة اللورد ألنبرو فيما يلى :

يقول الأول " لقد قدمت أن الهنادك لم يكونوا أصحاب النكرة فى ثورة ١٨٥٧م ، ولم يكونوا مصدرها و سأثبت بهذه المناسبة أن الثورة كانت نتيجة مؤامرة اسلامية ٠٠٠ وأن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية وفية لحكومة تدين بغير الاسلام ، لأن ذلك مستحيل فى ظل أحكام القرآن " ، وصرح الأخير " أن العنصر الاسلامى هو عدو بريطانيا الاصيل ، وأن السياسة الانجليزية فى الهند يجب أن تهدف الى تقريب العناصر الهندوكية اليها ، لتستعين بهم فى القضاء على الخطر الذى يهدد بريطانيا فى هذه البلاد . [3]

وبعد سلب السلطة من المسلمين بذل الانجليز جميع ما يملكون من طرق الاغراء والتحذير لقطع صلات الامة الموحدة عن الاسلام ، واحلال التثليث مكان التوحيد ، ونشر المسيحية بين المسلمين ، ولبتر الناشئة عن الماضى الميمون بثوا المدارس اللادينية فى القرى والارياف ، فضلا عن المدن

---

(١) انظر همارے هندوستانی مسلمان ص ٢٢٦ و ٢٤٥ — ٤٦ ومحمد فضل حق باغى هندوستان (الهند الآبقة) ص ٢٥٥ .

(٢) انظر نزهة الخواطر ج ١٧/٧ والهند فى العهد الاسلامى ص ٢٩٣ .

(٣) نقلا عن أبى الحسن على الحسنى الندوى ، المسلمون فى الهند ص ١٧٥ — ١٧٦ وعلماء حق ص ٣٨ .

والامصار حاثين الآباء على ارسال أفلاذ كبدهم الى تلك المدارس ، لكسب العلوم الأوربية الحديثة وامعانا فى الفصم بين الماضى والحاضر ، وربط المنزل بالمدرسة غير الاسلامية هدموا الاسرة وسلبوا المسلمة حنو الامومة ورعايتها المنزلية ، باخراجها من البيت لتشارك الرجال فى أعمال لم تخلق من أجلها ،ولتحقيق هذه الغايات ومساندتها احلّوا القوانين الوضعية مكان التشريع الاسلامى ، واستبدلوا القضاة القانونيين بالقضاة الشرعيين ،وجميع هذه التطورات موضع الحديث فى الباب التالى .

الباب الثانى

(أثر الفكر الغربى فى حياة المسلمين)

الفصل الأول : أثر النشاط التنصيرى فى الأفكار والعقائد .

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

١ ـ التنصير فى عهد المغول .

٢ ـ التنصير أثناء الحكم الإنجليزى المباشر .

٣ ـ طرق نشر المسيحية قبل الإستقلال (الجامعات ، دور الأيتام ، الكتاب ، التعليم ، المناظرة ، التطبيب ، الإعانات المالية ...)

٤ ـ السبل الحديثه لبث الانجيل (التوظيف ، المشافى ، دور الأيتام معاهد التعليم ، الصحافة ...)

٥ ـ الطرق المعاصرة لنشر المسيحية .

٦ ـ أسباب نجاح التنصير فى المنطقة .

الفصـل الأول

التنصير في عهد المغول :

ارتبط نشر المسيحية وتحويل ديانة شعب الهند الاسلامية والوبدية بالجبر والاكراه ، منذ وطئت أول قدم أوربية أرض الهند ، فما أن خضعت منطقة جوا الساحلية للبرتغاليين عام ١٥١٠م حتى اكرهوا زوجات الجنود المقتولين وبناتهم على الزواج بالجنود البرتغاليين بعد اجبارهن على اعتناق ديانـة التثليث ، ويوجد ألوف النصارى من نسلهن على ساحل الهند الغربى حتى اليوم .[١]

وفتح الباب على مصراعية للنشاط التنصيرى عن طريق أعمال التطبيب والإستشفاء ، فقد وضـع السلطان اورنك زيب الجزية عن المسيحيين عام ١٦٨٦م ، جزاء لهم لنجاح الطبيب الأوربى فى علاج امرأتين من اسرته[٢] ، كما أن فرخ سير لم يؤكد هذه المنحة فحسب بل وهب لمعالجه هاميلـين الانجليزى ثمانيا وثلاثين قرية ، بجوار كلكته ، واعفى البضائع الانجليزية من الضرائب كمجازاة ـ لخدماته الطبية .[٣] وأول مبشر انجليزى وصل الى أرض الهند لهدف التنصير هو الأب تومـاس ستيفـرز (Thomas Stevers) عام ١٥٧٩م[٤] غير أن حركة الارتداد ظلت منحصرة فـى الجنوب الغربى من الهند حتى وهنت الدولة الاسلامية ، فخرج الانجليز من عزلتهم بكلكته ، وأخـذ دعاة التنصير يرتادون الهند أثر استنهاض القيسيس كارى Cary للهمم ، بعد أن فتح بـاب الاكتتاب لهذا الغرض ، ويلخص ادوين بلس أعمال كارى بقوله " المستر كارى هو الذى فاق أسلافه فى مهنة التبشير ، فدرس لغة اللاتين واليونان ... ولما نشر كتبه فى التحريض على التبشير قوبلت بالاستحسان ، ففتح له باب الاكتتاب ، وذهب الى الهند لهذا الغرض ، وصارت الأموال ترسل اليه ، ثم طلب أن يرسل له اناس يؤازرونه فى التبشير ، فتأسست سنة ١٧٩٥م جمعية لندن التبشيريـة (لوندرة)[٥] وما عتمت أن تأسست جمعيات على شاكلتها فى اسكوتلندة ونيويورك ، وانتشرت هذه الفكرة فى المانيا والدانمارك وهولنده والسويد ونرويج وسويسرا وغيرها ".[٦]

---

(١) انظر الهند شعبها وأرضها ص ١٢٠ ، (٢) انظر مغلية سلطنت اورمسيحيت ص ٤٢٩ .

(٣) انظر نشأة باكستان ص ٣٠ . (٤) انظر نشأة باكستان ص ٣٠ .

(٥) انظر مجلة المنار المصرية ١٥/٢٦٥ حيث سميت المجلة هذه الجمعية بجمعية لوندرة " .

(٦) ا ٠ ل شاتليه الغارة على العالم الاسلامى ص ١٣ ومجلة الفتح المصرية ج ٥/٦٣٠ .

وفى الثانى والعشرين من يونيه عام ١٨١٣م منحت الدولة الانجليزية الاذن العام لنشر المسيحية فى الهند ، وجدد هذا الاذن فى كل من عام ١٨٣٣م و ١٨٥٣ ويعتبر عهد جارلس كرانت والقائد جانشور أكثر من ملأبقاع الهند بدعاة التنصير [1] ويذكر م . هورى نتائج هذا الاذن فى قوله "ابتدأ ـ التبشير ـ منذ مائة سنة عندما نال جيروم كزافيه اليسوعى اذنا بالتبشير فى لا هور ، ففتح باب الجدال فى مسائل التوحيد والتثليث والوهية المسيح وصحة الكتب المقدسة" [2]

وتلا جيروم المبشر هنرى مارتن ، الذى ترجم الانجيل الى الفارسية والأردية ثم جاء بعده المناظر فنذر صاحب " ميزان الحق " الذى هاجم القرآن من جهة محتوياته ، وزعم أن معلوماته مقتبسة من الانجيل بدون وحى من السماء كما بذل جهودا مضنية للتقليل من قيمة تشريعات الاسلام الخلقية ، والقول بأنها عادية لا امتياز فيها وأن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم اكتسبها من يهود المدينة بحكم الجوار [3] .

التنصير فى الحكم الانجليزى المباشر :

ولم يستهل عام ١٨٤٩م عقب سقوط البنجاب حتى انهالت حركات التنصير ، كأفواه الغرب على الهند ، فغزيت باثنتين وثلاثين حركة تنصيرية ، يحمل جميع أفرادها الشهادة الجامعية "بكالوريوس" B . A وازداد فكا الكماشة تضيقا حين استصدر المبشر "ايدمند" مرسوما ملكيا ، ثم نشره فى صورة خطابات مغلقة بين عمال الدولة وموظفيها جاء فيه " ستكون الهند موحدة فى جميع الأحكام والقوانين والمنافع والبرق وطرق المواصلات ، لذا يجب أن تكونوا مسيحيين جميعا " [4]

وخطب مِنِى كَلَسْ أحد أعضاء الحكومة فى صالة البرلمان العامة عام ١٨٥٧م مستبشرا بسيادة الانجليز على الهند حاثا بنى جلدته على نشر الانجيل فى تلك الأرجاء فقال : ـ

" لقد أرانا الله ذلك اليوم الذى أصبحت فيه الهند تحت السيادة الانجليزية

---

(١) انظر المبشر خورشيد عالم تاريخ بشارت الهند وپاكستان (تاريخ التبشير فى الهند وپاكستان) ص ١٥٠ وميجردى باسو تاريخ التعليم ايست انديا كمپنى كے عهد مين " تاريخ التعليم فى عهد شركة الهند الشرقية " ص ٢٨٤ ، والهند فى العهد الاسلامى ص ٢٨٦ .

(٢) الغارة على العالم الاسلامى ص ٣١ .

(٣) انظر فندر ميزان الحق ٢٥٥ و ٢٦٣ .

(٤) علماء حق اورن كى مجاهدانه كارنامے ص ٢٥ .

وليرفرف علم المسيح من أقصى الهند الى أقصاها ، ويجب على كل شخص منا أن يضحى بجميع قواه لنشر المسيحية فى الهند ، وصرف الهنود أجمعين الى الانجيل المبارك ولا ينبغى التساهل فى هذا العمل الميمون طرفة عين . "(١)

وما أن فشلت انتفاضة (حرب) التحرير بعد الخطبة ببضعة اشهر حتى أدين المسلمون بجريمة قيادة تلك الحرب ، وبلغ حقد وشهوة الابادة الجماعية بالانجليز ان أخذوا يقتلون كل من أطلق عليهم لفظ " نصارى " كتابة أو نطقا من المسلمين ، ولم تتوقف تلك المذبحة حتى نشر زعيم الحضارة الغربية السيد أحمد خان كتيبه " تحقيق لفظ نصارى " باللغتين الانجليزية والأردية ، فبيّن أن اطلاق المسلمين لفظ " نصارى " على المسيحيين لا يعنى الامتهان والاحتقار ، وأنه ليس من قبيل اطلاق اليهود " ناصرى " نسبة الى قرية ناصرة — على عيسى ابن مريم عليه السلام ، بل أنه من باب النصر والاعانة حسب استعمال القرآن .(٢)

طرق نشر المسيحية قبل الاستقلال :

وبعد دخول الهند فى الحكم الانجليزى أثر حرب التحرير أخذت الحكومة الانجليزية على عاتقها .مهمة تنصير المسلمين، فأنشئت فروع خاصة لتنشئة دعاة النصرانية بالمدارس والجامعات الأوربية ، وأخذ مجلس اللوردات يترأس الجلسات السنوية للمنظمات التى كانت تتولى نشر المسيحية فى الهند (٣) ، وأهم طرقهم فى ذلك ما يلى :

(١) انشأت الجامعات والكليات الأوربية فروعا خاصة لدراسة اللاهوت ، ولم تهدف هذه الفروع الا الى ايجاد منصرين ومبلغين للمسيحية ، وارسالهم الى العالم الاسلامى (٤) وأسهمت الكنائس فى ذلك اسهاما مباشرا ، فأسست كليات منفصلة لابلاغ رسالة الانجيل الى ما وراء البحار ،

---

(١) علماء حق ص ٢٥.

(٢) انظر سر سيد أحمد خان مقالات سرسيد جـ ١٥/ ١٨٨ .

(٣) انظر مقالات كارسان رتاسى جـ ٢/ ١٠٢ و٣٠٨ .

(٤) انظر مجلة المنار جـ ١٥/ ٦١٨ .

ثم مدت تلك الكليات نشاطها الى الهند ذاتها ، فأنشأت لها فروعا هناك ، ويعتبر مدلتن Middleton أول مبشر فتح فرعا فى كلية بشب الهكلية لدراسة التنصير فى الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وامتاز متخرجوا الكليات الهندية بالجمع بين التعليم النظرى والعملى فى ميدان التنصير .

(٢) — لم يأت عام ١٨٧٥م حتى كانت ستمائة وست بعثات ارسالية تجوب أطراف الهند لاحلال التثليث محل التوحيد [١] ووقع كل هؤلاء فى بداية الأمر فى الحيرة ، لأنهم لم يعلموا بمن يبدأون وهل يسهل بث النصرانية فى البرهمى أو المسلم المتنور أو الهندى العامى ، وأخيرا اهتدوا الى التقاط الأطفال والبالغين الذين عضهم ناب الفاقة والعوز ، فأخذوا يحسنون اليهم ويستجلبونهم الى الحظيرة المسيحية . [٢]

وزاد نشاطهم تخلى كثير من الناس عن أولادهم أثر الجفافين فى كل من عام ١٨٧٧م - و ١٨٨٧م حتى ترى رجل التغريب السيد أحمد خان يشكو من وضع الأطفال ويبدى أسفه على التقاط المسيحيين لهم وتنصيرهم ، لصغرهم ويتمهم وعدم قدرتهم على المقاومة بقوله : " لو تنصر بالغ عاقل أو أسلم لا حرج عليه " واقترح لحل تلك المعضلة بانشاء ملجأ لايتام الهندوس وملجأ لأيتام المسلمين تحت رعاية اسلامية هندوسية ، تشارك فيه جميع الأمة حسب طاقتها ، ويسهم فيه أغنياء الهند وفقراؤها على السواء . [٣]

وفى الجفاف الثانى وكلت الدولة عملية توزيع الأطعمة الى دعاة المسيحية ومن يبثون التنصير فى شعب الهند ، فاستغل هؤلاء هذه الفرصة فاشترطوا على المستفيد منها أن يتنصر ويعتنق المسيحية عوضا عن ديانته السابقة ، وتصف مجلة "منشور محمدى" الوضع فتقول : " فى العام الماضى اصيبت الهند بجفاف معدم ، واشترط موزعوا الأطعمة التنصير على من يأخذها ، فتنصر كثير من الناس خشية الفاقة وخوف الموت " . [٤]

٣ — جلب الأوربيون المطبعة من بلادهم واحتكروا اعمالها لنشر المسيحية بين أبناء الهند ،

---

(١) انظر مقالات كارسان دتاسى ج ١٨٥/٢ .

(٢) انظر " مختصر دراسة التاريخ ج ٣٠٦/٣ ومجلة المنار ج ٢٦٨/١٥ .

(٣) انظر مقالات سرسيد ١٤٠/٥ ، والطاف حسين حالى سرسيدكى كهانى انكى ابنى زبانى "حكاية السيد الشفهية لحياته" ص ١٠٠ .

(٤) مجلد ١٤ الجزء ٢٦ ص ٣٠١ بتاريخ ١٨٨٨/٦/٢٩م .

فاستنسخوا العديد من الكتب لمحاربة الاسلام ،ولم يحل عام ١٨٧٣م حتى تم نشر ١٩٥ كتابا ، يهاجم فيها أصحابها شرع الله فى شتى نواحيه بلغات مختلفة .[1] وبلغ العدد عام ١٨٨٢م بموجب تقرير الدولة الرسمى الى ٢٨٥ كتابا ، ولم يكتف رجال التنصير بالكتاب بل اتخذوا الصحافة غرضا لخدمة الانجيل ، فصدرت العشرات من المجلات نصف الأسبوعية والأسبوعية ، ونصف الشهرية والشهرية والتى تصدر ثلاث مرات فى الشهر فى جميع أطراف الهند أهمها . " وكيل هندوستان " الامرتسرية و " نورافشان " ـ النور المنتشر ـ اللودهيانية الأسبوعية ، التى كان يشرف عليها مبلغ المسيحية وهرى "Wherry" وخير خواه أطفال " (مرشد الاطفال)بلغاتها المتعددة ، وهندى ميكزين " للبعثة اللندنية التى كان يرأسها داعية التنصير ديودن (Dudden.) وشمس الأخبار " للبعثة الأمريكية اللكهنوية ومخزن مسيحى " الالـه آبادية .[2]

كل هذه المطبوعات وغيرها كانت معنية أساسا بهدم الاسلام ونقض أسسه ، وبنظرة سريعة الى فصول " ميزان الحق " الذى يدعى المنصرون أنه زلزل ايمان كثير من المسلمين ترى أن مؤلفه فندر عقد الفصل الثانى من الباب الثالث لتحقيق " هل فى القرآن ما يدل على أنه من الله " ، ووصل ببحثه الى تكذيب تحدى القرآن (وان كنتم فى ريب مما ...)[3] وادعى أن البشر قادرون على أن يأتوا بمثل القرآن وعضد رأيه بقول المزدارية المعتزله الذين زعموا أن فى وسع الناس أن يأتوا بمثله .[4]

ثم اتجه الى موضوعات القرآن فنفى أن تكون أخبارا عن أمور لا يعرفها البشر ، بل اتهم النبى صلى الله عليه وسلم بأخذها من اليهود والمسيحيين ، فقال : " والحاصل أننا قد أثبتنا أن القرآن هو مجموع ما يرشد اليه العهد القديم والجديد ، وان كان مشاعا بين اليهود والمسيحيين والمجوس والعرب من الأحاديث والتقاليد والعادات جمعها محمد ، فتكون منه القرآن تحقيقا لرغبة الجمع بين الأديان الثلاثه ـ اليهودى والمسيحى ووثنية العرب والرئاسة المرتقبة على جميع البشر ".[5]

وبعد أن هدم الحقيقة القائلة أن القرآن كتاب الله على النيل من خصائص

---

(١) انظر مقالات كارسان دتاسى جـ ١/ ٣٨٨ .
(٢) انظر مقالات كارسان جـ ١/ ٤٤و٢٢٤ .
(٣) البقرة آية ٢٣ .
(٤) انظر فندر ميزان الحق ص ٢٥٥ .
(٥) ميزان الحق ص ٢٢٢ .

المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فنفى عنه النبوة ووصفه بأنه غير نزيه النفس ، يحمل الحقد والحسد على أعدائه ،وأن العهد القديم والجديد لا يدلان على رسالته البتة ، وختام فصول الكتاب يصل بالقارئ الى أن انتشار الإسلام رهين بتقديم محمد الى الناس ما كانوا يرغبون فيه .

ويصل المبشر سكندره آرفنبج فى كتابه " دين حق كى تحقيق " البحث عن الدين الحق الى تأييد النتائج التى توصل اليها فندر ،فيؤكد ان دين محمد ليس من عند الله ، لخلوه من علامات دين الحق ،وان القرآن ليس كلاما لله عزوجل ،ولكنه لا يخلو من أمور حسنة [1] ويزعم كارسان دتاسى الفرنسى فى مقالاته ان الاسلام هو الصورة المشوهة للمسيحية ،ويتألم ممن يسلم من بنى جلدته لنبذهم الاصل الوطيد والتوجه الى الفرع غير الثابت . [2]

بل لم يتورع دعاة التنصير من طبع ترجمة للقرآن تخدم أغراضهم الدنيئة ،ولو بحذف كلمات منه ، فترى وهرى منصر منطقة لودهيانة يطبع ترجمة محرفة يعمد فيها لاثبات نبوة المسيح من القرآن ، الى حذف كلمة " قالوا " من الآيتين (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) [3] "وقالوا اتخذ الله ولدا ... " [x] ووضع داعية التنصير هوز مقدمة لتلك الترجمة ، أشار فيها الى نقاط الاعتراض على الشريعة السمحاء ، ومواضع النقاش مع علماء الاسلام . [4]

هذا وتسربت سموم المنصرين الى المسلمين عن طريقين محاولة اثبات صحة الكتب المقدسة وعدم التحريف فيها ، وأن التثليث هو الواقع فى الفطرة ، كالشجرة اذ لها جذع وفروع وأوراق ، والأعداد الكتابية لها طول وعرض وعمق ، والانسان عبارة عن الروح والجسد والقوة الخيالية [5] فلا يدرك كنه التوحيد عندهم الا من تجرع التثليث .

وكانت الطريق الأخرى أشد وقعا وأبعد مرمى ، اذ زرعوا الشك بين المسلمين فى العديد من جزئيات الاسلام ، كالرق وتعدد الزوجات والحجاب وحجية السنة فى التشريع ، وعدم ابدية أحكام

---

(١) انظر سكندره آرفنج دين حق كى تحقيق (البحث عن الدين الحق) ص ٦٢.
(٢) انظر مقالات كارسان ١/٧٥.
(٣) البقرة آية : ١١٦ .
(x) يونس آية : ٦٨ .
(٤) انظر مجلة منشور المحمدى المجلد ١٦ العدد الرابع ص ٣٤ ٥ صفر عام ١٣٠٤هـ.
(٥) انظر محمد قاسم نانوتوى ميله خدا شناسى (حفل معرفة الاله) ص ٤٠ .

القرآن وعصمة الأنبياء ، وختم الرسالات الآلهية بالرسالة المحمدية ، وانكار الجن والملائكة والجنة والنار ، وانكار كل ما غاب عن أنظار البشر .... وقد أفلحوا في خلق جيل يتبنى هذه النظريات ويدافع عنها مع انتسابه الى الاسلام .

٤ـ وكلت الدولة أمور التعليم الى المبلغين المسيحيين في المنطقة، ففتحوا المكاتب المدارس والكليات ، وما فتح من قبل الدولة لم يكن يخلو من دراسه الانجيل الاختيارية على الورق والاجبارية في الواقع والعمل ، ولم يحل عام ١٨٧٦م حتى تم افتتاح ٣٥٠٠ معهد ، لتلقى العلم والمعرفة تتصرف فيها الهيئات التنصيرية كما تشاء[1] ، وقد انتج هذا النوع ما خطط له المستعمرون ، وأثبت فعاليته ، وعقد " ويتبرتشت " في مؤتمر القاهرة التنصيري عام ١٩٠٦م أمالا على الطلاب المسلمين الوافدين الى أوربا ، للاغتراف من معين المعرفة وخدمة المسيحية في بلادهم عند الاياب فقال : " ان تعاليم أوربا تقرب المسلمين من النصرانية ، ويجب علينا أن ننشئ جسرا فوق الهاوية التي تفصل بين العناصر، وللتوصل الى ذلك يجب أن ننتفع من وجود الطلبة المسلمين في انكلترا ".[2]

وتسربت مع اللغات الأوربية : الانجليزية والألمانية والفرنسية والهولندية ... الأفكار المسيحية تشربها الاحداث دون ادراك ، واستساغها الآباء بحجة الاطلاع على علوم الأعداء ، وقام تعلم تلك اللغات مقام جسر العبور الى التنصير دون وعي ، وأدرك هذه الحقيقة كثير من الأوربيين ويشير الدكتوركروفورد الى ذلك فيقول " إن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطرا من المدينة النصرانية ، ويدخلونه في ارتقائهم الاجتماعي ، وما دامت الشعوب الاسلامية تتدرج الى غايات ونزعات ذات علاقة بالأنجيل ، فان الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها على غير قصد منها "[3] ولخص القسيس ولسون في تقريره بمؤتمر لكهنو ١٩١١م أثر التربية والتعليم الغربيين في مناهضة الاسلام فقال : "إن التربية الغربية هي من قبيل قوة تنحل

---

(١) انظر مقالات كارسان جـ٢/٢٠٣.
(٢) الغارة على العالم ص ٣٣ .
(٣) الغارة على العالم ص ٦٥ .

بها عرى الروابط الاسلامية "[١]

لذا علق مؤتمر لكهنو نجاح التنصير بين المسلمين على نجاح حركات الاصلاح الاسلامية ، وطلب التريث من دعاته حتى تنضج ثمار تلك الحركات . يقول القسيس ولسون " ان الحركة التى تتمخض بها الأرجاء الهندية لم تأت بثمرة للآن ، ولم تظهر الا بشكل أفكار وأميال ونزعات ، ولكى يتسنى لنا الوقوف على مايكون من تأثير هذه الحركة فى أعمال التنصير يجدر بنا الانتظار ، ريثما تحقق مآرب حاملى لواء الاصلاح فى الهند"[٢] وحلل زويمر أعمال حركات الاصلاح فوسم أعضاءها بأنهم مبشرو الاسلام الجديد فى مصر والهند وجاوة وفارس ، وأنهم يبنون أسسهم على رسم الطرق المعقولة ، وان شيعة الاسلام هؤلاء يريدون أن يرموا من السفينة مشحونها لينقذوها من الغرق .[٣]

وبنظرة سريعة الى المنهاج الجديد للمدارس المسيحية الابتدائية الذى نقح بعد شكاوى اسلامية ، وحل مكان المنهج القديم عام ١٩٣٠م نرى الطالب يبدأ كتابه التعليمى بعنوان " محاربة الأعداء " فيدرس انجيل متى الباب الثالث عشر وتلخص المؤلفة الهدف المنشود بقولها "الغرض هو تهيئة الطالب لتحمل المشاق ذهنيا ، حتى يتهيأ لحملها فى المستقبل ، والبحث عن طرق الخلاص منها "[٤] وفى الدرس الأخير الثانى والخمسين يلقن الطالب بداية انجيل لوقا حتى الفقرة الثامنة عشرة وتحصر المؤلفة الغاية من الدرس فتقول : " وظل يوحنا وفيا لصاحبه "[٥] فالتعليم التنصيرى لم يهدف سوى ايجاد متعلمين يوالون المستعمرين ، ويحاولون الحفاظ على الثقافة التنصيرية .

٥ـ لم يقتصر رجال المسيحية على هذا القدر من افساد التعليم ولكن تقدموا خطوة الى الامام ، ففتحوا العديد من المكتبات العامة وخصصوا الكثير منها لبيع الكتب بأسعار زهيدة ، وهدايا لا تقدر بثمن ، وقدموا المطبوعات الى جميع طبقات الشعب ، الى الفلاح بلغة الفلاحة ، والى الصانع

---

(١) الغارة على العالم ص ٧١ .

(٢) مجلة المنار جـ ١٥/٦٧٥ . (٣) انظر مجلة المنار جـ ١٥/٦١٢ .

(٤) السيدة أى ـ اى ـ اينت انديا سندے سكول يونين (اتحاد مدارس التنصير الهندية) ص ١٩ .

(٥) انديا سندے سكول يونيين ص ١٣٣ .

بلغة الصناعة ، والى المتعلم بلغة التعليم ، والى رجال التجارة بلغة التجارة الى كل حسب مهنته [(١)]

والمتتبع لمؤلفات المسيحيين يدرك بيسر أنها دأبت على الشتم وتكذيب المصطفى وانكار معجزاته ، ورفع مكانة عيسى ابن مريم والثالوث المقدس ، وتبرير كل ما يمت بصلة الى المسيحية وخلق موافقة بينها وبين العقل ، وقراءة أسماء المؤلفات تشف عما تحتها من الغث باسم الثمين ، فمن " اعجاز القرآن " الى تكذيبه ، ومن " تعليم محمد " الى هدم أسس الاسلام ، ومن " تاريخ محمد " الى تشويه خلقه ، ومن " تحقيق الايمان " الى التعميد والتثليث ومن "مكاشفات يوحنا " الى اثبات معجزاته ، ومن " آثار القيامة " الى صلب المسيح ، كفارة عن ذنوب البشر . [(٢)]

والمقوم لأعمال المنصرين لايسعه الا أن يقول إن عماد الدين هو الركن الركين للأعمال المسيحية فى الهند ، اذ خدم الانجيل قرابة بضع وثلاثين سنة وقدم الى مكتبه ما يقارب نيفا وثمانين كتابا ، فمنحته احدى جامعات انجلترا درجة الدكتوراة فى اللاهوت ، فمن هنا كان موضع اشادة عند الدكتور ويتبرخت الالمانى وعلق أمانى وآمالاً على ما سودت به يدا العماد فقال " واهمية هذه المؤلفات كبيرة ، لأن الذين يكتبونها هم مسلوا الهند المتنصرون مثل عماد الدين " [(٣)] ويلى عماد الدين فى المرتبة وارث على الذى تسمى بوارث الدين ، ثم داعية التنصير محمد بخش الذى تسمى بطالب الدين ، وأشهر كتبه " معجزات المسيح " وأتخم هؤلاء الثلاثة المكتبة المسيحية تأليفا وترجمة نظما ونثرا . [(٤)]

٦ — ومن الطرق التى تبناها المسيحيون لنشر الانجيل فى العهد الذى حاولت فيه الدولة فرض المسيحية على الشعب أن يخلو غلاف الكتاب من اسم المؤلف أو المترجم ، وإن وجد شئ من ذلك فانك تجد معه لقب " مولوى " الشيخ لايهام القراء أن الكتاب يتحدث عن الاسلام ، وانه لأحد الغيورين على الدين ، أضف الى ذلك أن العديد من المؤلفات المسيحية وضعت بأسماء علماء الاسلام لتتخطى الحواجز المفروضة على كتب التنصير ، وتنفذ الى قلوب الامة للنيل من الاسلام

---

(١) انظر محمد أيوب قادرى ، تبليغى جماعت كا تاريخى جائزة (استعراض تاريخى لجماعة التبليغ) ص ٦٤ ، وانظر النداء الذى وجهته جمعية حماية الاسلام فى مجلة منشور محمدى مجلد ٢٤ جزء ٢٥ صفحة ٢٧٤ فى ٢٥ شعبان ١٣٠٣ .

(٢) انظر مقالات كارسان جـ ٨٧/١ و جـ ٢١٨/٢ .

(٣) مجلة المنار جـ ٦١٥/١٥ وانظر مقالات كارسان جـ ٣٨٥/١ (٤) انظر تبليغى جماعت ص ٦٧ .

باسم أحد حماته .

٧ — فتح دعاة التنصير باب الترجمة لكتب قدامى النصارى ولاسيما الذين كان لهم نفوذ فى بلاط ملوك المسلمين، وقدموا الجوائز المغرية لترجمة كتب الطب الكندى — جبريل بختيشوع الذى ظل على مسيحيته فى قصر هارون الرشيد — للتأثير فى عقلية من يقوم بالترجمة وتشويه صورة الدولة الاسلامية من ناحية وتكثيف الأدب المسيحى الاردى من ناحية اخرى ، ولم يكن أمام المسلم المثقف سبيل الى كسب عيش الكفاف سوى خدمة المسيحية .(١)

٨ — بنى رجال الانجيل التنصير على المجادلة والمناظرة ، وأعلنوا للملأ صحة التثليث والوهية المسيح وعدم تحريف الكتب المقدسة ، وحشروا الأدلة الجدلية لاثبات دعواهم وبطلان ما ينافيها ، وظلت الجدليات تساير التنصير منذ الاذن العام لنشر المسيحية فى الهند ، واشتد ساعدها حين دخل الساحة المناظرون ذووا اللجاجة كفندر، ونولس ، وجورج الفرد ليفرى ، وأهم مناظرات الأول هى ما وقعت بينه وبين الشيخ رحمة الله صاحب "اظهار الحق" عام ١٨٥٤م ، وأهم مناظرات الأوسط هى ما وقعت بينه وبين الشيخ محمد قاسم نانوتوى عام ١٨٧٦م ، وأهم مناظرات الأخير ما عقدت بجوار دهلى العاصمة عام ١٨٩٠م بينه وبين الشيخ اشرف الحق ،(٢) واستمرت المناظرات مع علماء الاسلام يهزم فيها المنصر تلو الآخر حتى عقد مؤتمر القاهرة ، اذ غير القسيس هاريك خط السير بقوله " لا فائدة لطريقة المناظرة والجدل التى وضعها الدكتور بفندر المبشر ، ولم يكن من نتائجها غير وقوف الحكومة العثمانية فى وجه المبشرين ، أو الذين ينتمون اليهم "(٣)

وقبيل الاستقلال ترى القبضة الحديدية المسيحية قد شددت الخناق على الاسلام ، حتى بدت واضحة تلفت نظر الزائر الغريب ، وهذا ما حمل وكيل رئاسة قضاء الحجاز الشيخ محمود شويل حين زار الهند على الاستفسار من أحد أئمة المساجد فى عدم استعجال التلقين كلمة التوحيد لمن يريد اعتناق الاسلام ، ووضع العديد من الأسئلة التى لم يأمر بها الشارع الحكيم أمامه ، فأجاب الامام بقوله " هناك أوامر حكومية توجب عليهم القاء كل ما سمعته اذناى على مريدى الاسلام ، فلا بد من فعلها وتقييدها فى ورقة خاصة ، تقدم الى الحكومة عند الطلب " .(٤)

---

(١) انظر مجلة منشور محمدى المجلد ١٦ العدد الثالث ص ٢١ للعام ١٣٠٤هـ
(٢) انظر تبليغى جماعت كا ٠٠٠ ص ٦٦. (٣) الغارة ص ٢٨، وانظر مجلة المنار جـ ١٥/٣٧٨
(٤) مجلة الفتح جـ ٨/٦٠٢ .

٩ — بعد تحطيم المسلمين سياسيا واقتصاديا أغرت ارساليات التنصير العديد من الشخصيات الاسلامية المتعلمة ، التى ذلت بعد عز وافتقرت بعد غنى ، بفتح أبواب التوظيف الكنسى أمامهم ، بعد أن أغلقت الدولة فى وجههم أبواب الرزق الشريف ، فتنصر من كتب عليه الشقاء وخدم الانجيل بعد خدمته القرآن ، ومن أبرز هؤلاء المنصرين عماد الدين لاهز وجانى علىء اللذان ضحيا بالآجلة الباقية من أجل العاجلة الفانية ، وقبل الأول توظيف الكنيسة عام ١٨٦٨م ، والأخير عام ١٨٧٧م من الميلاد أثر انسداد سبل المعيشة المشروعة أمامهما (١)

١٠ — كثفت كثير من الجمعيات أعمال التنصير أثر نداء زويمر فى مؤتمر لكهنو ، واتخذوا خدمة الانسانية ، وأعمال التطبيب مهنة لزرع المسيحية بين مرضى المسلمين ، وقضوا الساعات الطوال بجوارهم ، رجاء التنصير والدخول فى الحظيرة المسيحية ، ويوجز الدكتور اراهارس طبيب الارسالية بالشام وطرابلس مهمة الطبيب المنصر فيقول : " يجب على طبيب ارساليات التبشير ان لا ينسى ولا فى لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شئ ثم هو طبيب بعد ذلك . " (٢)

وأدرك رجال النصرانية ما للمنصرة والطبيبة المسيحية من تأثير فعال فى الأسر الاسلامية لزيارتهن للمسلمات فى البيوت وتردد الأمهات اليهن لعلاج الأطفال ، وعدم اهتمام المسلمين من الرجال بأعمال النساء المنصرات أو اساءة الظن بهن ، فغطوا المنطقة بالتنصير النسائى تحت ستار العلاج ، وتصف الآنسة ولسن أعمال المبلغات فتقول : " إن النساء المبشرات يستعن فى الهند بالمدارس ، وبالعيادات الطبية ، وزيارة قرى الفلاحين ، لينشرن النصرانية بين طبقات الناس " (٣)

بل من الجمعيات ما حصرت أعمالهن فى التطبيب " كجمعية التوراة الطبية " وجاء فى تقريرها السنوى أنها تقوم بتبليغ المسيحية بين المسلمات والهندوسيات على السواء ، ويقوم مبلغوها ومبلغاتها بأكثر من ٦٠٠٠ زيارة منزلية ، وتعتنى بتعليم ٦٠٠٠ شخص ، وتعالج ٣٢٠٠٠ امرأة (٤)

---

(١) انظر المبشر خورشيد عالم تاريخ بشارت الهند وباكستان ص ١٥٩ وهمارے هندوستانى مسلمان ص ٢٢٠.

(٢) مجلة المنار ج ١٥/٣٧٥ (٣) مجلة المنار ج ١٥/٣٧٦ وانظر ج ١٥/٦٧٣

(٤) انظر مرزا مهدى على خان كزيتر ممالك محروسة ص ٤٧ والغارة ص ٨٥ .

١١ — منحت الدولة الحاكمة الاعانات السخية لرجال الانجيل وعضدتهم بالجاه وسلطة الشرف ، حتى اكتسى دعاة التنصير ثوب الراحة والأمن على يديها . يقولون ما يشاؤن ويشتمون من يريدون ويكذبون ما يحلو لهم تكذيبه ، ولايجسر أحد أن ينبس ببنت شفه تجاههم ، وقد اعترف بهذا التأييد والأيادى البيضاء التى قدمت لهؤلاء الدعاة الاستاذ شلاتار فى مؤتمر ادنبره المنعقد عام ١٩١٠م فصرح : " أما فى الهند فالمشرون متمتعون بالراحة ، لأن الحكومة تساعدهم وتعضدهم بالاعانات ، وتشرف على المكان الذى تصرف فيه هذه الأعانات " .[1]

١٢ — خرجت على اثر الكوارث الطبيعية فكرة انشاء دور الأيتام لتربية الأطفال وتنشئتهم على الديانة المسيحية ، واستولت الارساليات على أبناء المسلمين والهندوس الأيتام على السواء ، ولم تُجْدِ الاحتجاجات وأصوات المعارضة نفعا تجاه أعمال المنصرين التربوية ، كما أنه لم تجد أنفة السيد أحمدخان وصيحاته المدوية اذنا صاغية ، بل وقع منزله أول ضحايا الاحتجاج ، اذ سلب من بيته ما يربو على أربعة أطفال ، لتتولى البعثات المسيحية تربيتهم لحساب المسيحية والتثليث .[2]

١٣ — ولقطع صلة المسلمين بالماضى شجع دعاة التنصير اللهجات المحلية المهجورة باسم الادب الشعبى ، لخلو تلك اللهجات من الكتابات الاسلامية ، فترجموا الكتاب المقدس وقصصه الشعبية والغرامية الى اللهجات التى لم تعرف التدوين طوال حياتها ، ولخص الاستاذ حميد الله الغاية المنشودة من وراء هذا الأدب فقال : " إن كارسان دتاسى كان عالما بالمخططات الانجليزية ، وما تهدف اليه من الغاء الفارسية .... ونشر اللغات المحلية وتشجيعها اذ لاوجود لأدب دينى فى تلك اللغات ، ومن وراء ستار الأدب ينبغى تشجيع القصص والفكاهيات والشعر ، حتى نزول العقبات أمام نشر المسيحية بين أبناء تلك البلاد " .[3]

---

(١) الغارة ص ٤٧ .

(٢) انظر سرسيدكى كهانى ص ١٠٠

(٣) مقالات كارسان تاسى جـ ١/٤٠٦ .

وأقدم نسخة اطلعت عليها باللهجة المحلية البنجابية هى صحف الزبورصهت فى قالب شعرى شعبى نشرته " بنجاب ريلجئس بك سوسائتى " عام ١٩١٦م غير أن ترجمة التوراة تمت الى اللغات الحية الهندية عام ١٨٢٢م ، ثم تلتها ببضع سنوات ترجمة الكتاب المقدس كله ، وقامت جيوش التنصير بابلاغه الى الناس بالقاء الخطب فى الشوارع الرئيسية بالمدن وتقاطع الطرق وعقد المحاضرات وتوزيع المنشورات ، والدعوة الى المناظرات العلمية فى الارياف وعواصم المقاطعات ، ولم يكن يلذ التجوال فى الأسواق الهندية الا لجيش الاخضاع والسياح الانجليز ورجال التنصير .[1]

١٤ — جبلت النفس الهندية على حب الالحان وسماع النغم ، وقد شغل حِلّ السماع وحرمته الحيز الأكبر من حياة العلماء الصوفية ، وأدرك منظمو التنصير ما للموسيقى من تأثير على النفس الهندية ، فدربوا الدعاة عليها وأمروهم بالعزف لجمع الناس ، وايصال صوت الانجيل الى الخلق بسهولة وأضافوا لتيسير المهمة عرض مناظر الغانوس السحرى — السينما فى صورتها البدائية — ممثلا فى صورة عيسى المسيح وامه البتول وأعمالهما الخيرية دون مقابل ، وحاولوا جمع أكبر حشد ممكن بالطريقتين للتأثير فيهم بالصوت والصورة .[2]

١٥ — استباح رجال المسيحية كل وسيلة لتنصير المسلمين ، ولما اعترض بعض السلاطين طريقهم أزاحوه عن المنصة وخلعوه كما يخلع الثوب ، لذا لم يمض على قرارات مؤتمر القاهرة زمن طويل ، حتى حدث الانقلاب الفارسى والعثمانى وعزل السلطان عبدالحميد وانهدم الصرح الذى ظل يهدد أعداء الدين باعلان الجهاد لطردهم من بلاد الاسلام ، وهذا ما جعل مخططو التنصير يعيدون تقويم أعمالهم وتنفيذ خططهم فى مؤتمر لكهنو ، وصرح رئيسه القسيس زويمر أن — السنوات الخمس التى اعقبت مؤتمر القاهرة أتت بتغييرات خطيرة فى العالم الاسلامى ، منها الانقلابان ومد سكة حديد الحجاز ، وانشاء عدة مجالس ادارة واستشارة فى الهند .... وان هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجد فى أمر التنصير .[3]

---

(١) انظر حاضر العالم الاسلامى ج ١/ ٢٨ والغارة ص ٨٤ .

(٢) انظر مجلة المنار ج ١٥/ ٣٧٢ .

(٣) انظر مجلة المنار ج ١٥/ ٦٧١ .

١٦ — نشأت فكرة عقد المؤتمرات التنصيرية — أثر تقويم أعمال التنصير فى الهند خلال قرن من الزمان — للبحث عن ازالة المشاكل التى حالت دون تعميم التنصير بين المسلمين والهندوس معـــا ، ووقع أول اجتماع للمهتمين بنشر الأنجيل بين المسلمين فى لمبث عام ١٨٨٨م وخاض المجتمعون فى العديد من جزئيات الاسلام كخوضهم فيما لو تنصر الزوج هــل يفرق الاسلام بينه وبين زوجته المسلمة ، ثم تلاه اجتماع كلفلند وبحث المؤتمرون فيه أوضاع العالم الاسلامى كله وأوصوا باتخاذ الاجراءات الكفيلة لتنصير المسلمين جميعا ⸱ (١)

وعقد بعد كلفلند مؤتمر الأديان بشيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٣م ومثله من الهند المبشر عماد الدين وقرأ على المؤتمرين صحيفة أعماله التنصيرية بذكر خمسين اسما مسلمـــا ارتد أصحابها عن الاسلام، وأخلصوا للنصرانية ، وتلا شيكاغو مؤتمر تاشفيل فى فبراير عـــام ١٩٠٦م وخرج بنداء يستنهض هم الأمة الأوربية ، ويطلب منها التطوع لايجاد فئة يوقفـــون حياتهم لخدمة الأنجيل ، ويضحون بدمائهم وراحتهم لابلاغ المسيحية الى العالم الاسلامى كله وجاء عقد مؤتمر القاهرة لتأكيد نداء تاشفيل بمدة لاتعدو ستين يوما ، وكان انعقاده تلبية لطلب زويمر — رئيس ارسالية التنصير البحرينية الذى حث فى طلبه على عقد مؤتمر عام يجمـــع البعثات التنصيرية البروتستانتية كلها ، فوضعت فكرته على بساط البحث فى ميسور، — ولاية تيبو سلطان المسلم — ثم عرض الاقتراح على مؤتمر مدراس الذى كان يعقد كل عشر سنوات ،فأجازه.

وافتتح مؤتمر القاهرة التنصيرى أعماله فى منزل عرابى باشا ، يوم ٤/٤/١٩٠٦م ، وبلغ عـــدد المندوبين ٦٢ بين رجال ونساء، وترأسهم زويمر وشمل برنامجهم : الاسلام فى أفريقيا وفى الدولة العثمانية ، وفى الهند وفارس وملايو والصين والارتداد عن الاسلام ووسائل انقاذ المتنصريـــن المضطهدين ، وشئون نسائية اسلامية ، وموضوعات تتعلق بتربية المنصرين وعلاقة بعضهم ببعض، وتعيين النشرات التى ينبغى نشرها بين المسلمين المتنورين ، والمسلمين من عامة الناس ⸱ (٢)

وفى عام ١٩١٠م عقد المؤتمر العالمى — مؤتمر أدنبره — بانجلترا لجميع المنظمات التنصيرية وحضره ألف ومأئتا مندوب منهم ٥٠٢ من الانجليز والأمريكيين ، وباقيهم بين فرنسى وهولندى والمانى ٠٠٠، واعتذر الرئيس روزفلت الأمريكى عن الحضور واشترك المستر برايان الذى رشح نفسه أكثـر

---

(١) انظر مجلة المنار جـ١٥/٣٧٨و٣٨٠ . (٢) انظر مجلة المنار جـ١٥/٣٦٩ .

من مرة لرئاسة الجمهورية ، وكان أهم المباحث وأعقدها حلا أمام المؤتمرين هى كيف تقاوم الاسلام الذى يقف سدا منيعا فى وجه التنصير ، [1] وامتدح رئيس الشرف لمؤتمر أدنبره اللورد بلفور أعمال المنصرين ، وعين مكانتهم فى كل دولة فقال : "ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات فى أمور هامة ، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرا من العقبات ، وعلى هذا فنحن فى حاجة الى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل بما فيه مصلحة المبشرين . [2]

وخرج مؤتمر أدنبره بتشكيل لجان دائمة العمل ، منها لجنة الاحصائيات ، ولجنة النشر والتوزيع ولجنة التربية والتعليم ، ولجنة دراسة العقبات التى تحول دون نشر الانجيل بين المسلمين ، ولمتابعة أعمال أدنبره انعقد مؤتمر المانيا الاستعمارى ظاهرا ، التنصيرى غاية وهدفا بعد بضعة شهور ، وحصر شِنكال رئيس غرفة التجارة الألمانى بها مبورج غرض المؤتمر فى قوله " ان نمو ثروة الاستعمار تتوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون الى المستعمرات ، وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمنية ادخال الدين المسيحى فى البلاد المستعمرة ، لأن هذا هو الشرط الجوهرى للحصول على الامنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية " [3]

وكان آخر المؤتمرات التنصيرية العلنية هو مؤتمر لكهنو بالهند ، وبدأت جلساته فى مدرسة " ايزابلاثوربون " للبنات البروتستانتية ، واستمرت مناقشاته الى ١٩١١/١/٢٩م على امتداد تسعة أيام متتالية ، واشترك فيه ١٦٨ مندوبا عن أربع وخمسين جمعية تنصيرية وترأس مناقشاته ومداولاته زويمر ، واشترك فيه العديد من الأساتذة المستشرقين والدعاة المنصرين كالدكتور وتبربرخت الألمانى ، والدكتور وهرى .

هذا ومنع الصحفيون بما فيهم الانجليز والأمريكيون من حضور جلسات المؤتمر ، ولم ترسل اليهم مذكراته الا بعد تنقيح وتطهير ، وشعار المؤتمر الذى وزع على المشتركين ينبئك عما دار بين جدار تلك المدرسة ، اذ كتب على جهة منه تذكار مؤتمر لكهنو ١٩١١م ، وعلى الجهة الأخرى عبارة " اللهم يامن يسجد لك العالم الاسلامى خمس مرات فى اليوم بخشوع ، انظر بشفقة الى الشعوب الاسلامية ، والهمها الخلاص بيسوع المسيح " [4] وخرج المؤتمر بتوصيات تحث على نشر المسيحية فى أفريقيا وجلب أكبر عدد

---

(١) انظر رئيس أحمد جعفرى على برادران (الاخوان العليان محمد على وشوكت على) ص ٢١٣.
(٢) انظر مجلة المنار جـ ٥٢٠/١٥ . (٣) مجلة المنار جـ ٥٢١/١٥ .
(٤) نفس المصدر والصفحة .

ممكن من النساء لهذا الغرض •

ولأول وهلة يرى المتتبع لأعمال المؤتمرات أنها استهدفت جمع المعلومات عن العالم الاسلامى واقتناص الثغرات التى يمكن بواسطتها هدم التوحيد ، والحث على اجتناب كل طريق تبعد المسلمين عن المسيحية ، فمن قائل بوجوب ارتداء داعية التنصير زيا غير زى رجل الدولة [١] ومن ناصح أن المبلغ الذى يعد نفسه لمجادلة المسلمين يجب أن تتفوق فيه الصفات الخلقية ، والاستقامة التامة على المزايا العقلية ، وأن يكون مقتنعا بصحة البراهين التى يستدل بها ،وأن يضع الفوز على خصمه نصب عينيه [٢] ويجمل زويمر أوصاف رجل الأنجيل الناجح فيوصى بوجوب جلوسه أثناء الخطبة ، ليكون تأثيره أقوى وأنفذ فى قلوب السامعين ، والا تتخلل خطبته كلمات أجنبية عنهم ، وأن يبذل العناية فى اختيار الموضوعات وأن يكون مستحضرا لآيات القرآن والأنجيل ، عالما بمحل المناقشة ، وأن يلقى الخطبة بصوت رخيم وفصاحة تفهم عنه كل كلمة. [٣]

تلك هى الطرق التقليدية القديمة ، التى أنتهجتها المنظمات المسيحية حتى الاستقلال ، وتقسيم شبه الجزيرة الهندية الى جمهوريتين — باكستان والهند — عام ١٩٤٧م ، وبعد — بروزهما على خارطة العالم اختلفت طرق التنصير ، وتغيرت خطط المسيحيين لاستقلال الدولتين على أسس دينية ، فلم يعد يؤثر اليوم ما كان ذا تأثير عام الى ا مس القريب من ناحية ، ومن ناحية أخرى تطورت الطرق التقنية الدعائية وسهل الوصول الى كل بيت ، ومن هنا اقتضى الحديث الفصل بين الجديد والقديم من طرق التنصير •

السبل الحديثه لبث الانجيل :

ما تزال جل الطرق القديمة سارية المفعول ولو على نطاق ضيق ، ولا زال أمر البعثات وتوزيع المطبوعات وفتح المكتبات العامة واقامة دور الضيافة (Hostels.) للأيتام ••• قائما على ما كان ، ولم يختف من الطرق القديمة الا الفروع التى اختصت فى الكليات لتخريج دعاة المسيحية ، واعانة الدولة المالية لاغراض التنصير •

---

(١) انظر مقالات كارسان جـ١/٢٢٠ .
(٢) انظر الغارة ص٢٧.
(٣) انظر الغارة ص ٢٠ •

١ — من السبل ما تغيرت جهاتها كاستبدال التوظيف لدى الادارات الحكومية بالتوظيف الكنسى ، ويعتنى دعاة التنصير ذوو النفوذ بالمتخرجين فى الكليات غير المسيحية ، رجاء جلبهم الى الانجيل ، فيتوسطون لدى الحكام حينا ، ويوظفونهم فى اداراتهم المسيحية أحيانا أخرى ، ويصبح الموظف المسلم بذلك أسير احسانهم ، يتألم من الحرمان الذى اصابه من اخوانه المسلمين وتزداد الحركة المسيحية به حفاوة وتكريما ، حتى يقع فى شباكهم فيغمر بالمال ، فيعين لكل فرد من أفراد اسرته منحة مالية يتسلمها عند نهاية كل شهر ، ويعفى أبناؤه من ضرائب التعليم ، وكثيرا ما يُسَاح به فى الدول الأوربية على حساب المسيحية [1] . ولو أردت حصر من تنصر عن هذا الطريق لتجاوز الآلاف منذ الاستقلال حتى اليوم .

٢ — تعنى العيادات والمستوصفات والمشافى المسيحية بالمرضى المسلمين ذكورا واناثا ، ويحاول العاملون فى تلك الدور كسب ثقتهم بكل وسيلة ، غير أن جرعات العلاج لاتخلو من جرعات التنصير [2] واذا اقتضى الامر ادخال مريضة مسلمة فى احدى تلك المستشفيات فإن العناية الطبية تحيط بها من كل جانب ، وما ان تحس المصابة بتحسن حتى تحوم الاستفسارات عن اسرتها ، وصلة الوفاق أو الخلاف بينها وبين الأسرة ، فإن وجد أن المريضة على خلاف مع اسرتها وإن المودة لا تغمر المنزل ، فإن العاملين من الأطباء والممرضات ... يبذلون كل ما فى وسعهم تأجيج نار الشقاق ، وترغب المريضة فى الالتجاء اليهم عند الخصام ، وكم من اسرة تهدمت وطفل فقد حنان الام وولى هربت منه موليته لحماية تلك الدور العلاجية اياهن ، وتهريبهن الى الجهات المسيحية المأمونة ، ليأخذن طريقهن الى التنصير والتعميد . [3]

اضف الى ذلك اثارة الشبهات فى اذهان المرضى المقبلين على العمليات الجراحية والولادة فى اللحظات الحرجة ، فترى الأطباء ومعاوينهم يرددون كلمة " انا نطلب من الاله المسيح نجاح هذه العملية ، ونستجلب عونه " فى السويعات التى تسبق العملية ، وكثيرا ما ترسخ تلك

---

(١) انظر الدكتور نادر رضا . باكستان مين مسيحيت (التنصير فى باكستان) ص ٣٣٥.
(٢) انظر ابا الاعلى المردودى مكاتيب ترتيب عاصم نعمانى جـ١/٢٢٠.
(٣) انظر مجلة اردو دائجست الشهرية اللاهورية ص ١٦٨ عدد أبريل ١٩٦٧م .

الكلمات فى العقول غير المدركة معنى كلمة التوحيد ، فتجرى على ألسنتها كلمات المستشفى عن غير قصد عند كل اصابة .

ويرى الدكتور نادر أن دور العلاج الانجيلية كلها تعطى الجرعات الأولى للمريض خالية من العناصر العلاجية ، وتقدمها الممرضة المسيحية قائلة " تناولها باسم الله وباسم رسولـــه " وتستمر العملية الخداعية عدة أيام حتى يضجر المريض ويزداد ألما على ألم ، فيسعف عندئـــذ بالدواء ، ويقال له " اشربه باسم الالـــه يسوع المسيح " فيبرأ باذن الله لاصابة الـــدواء الداء ، ويظل أثر تلك الكلمات مرتسخا فى مخيلة المريض [1] يعيدها عند كل حدث ونازلـة .

والأمر الملفت للنظر أن هذه الدور الشفائية لا تمتثل للأوامر الرئاسية الا اذا وافقتهـــا مصلحة التنصير ، لذا لم تدمج جمعية " سنت جان ايمبولنس " الطبية فى الهلال الأحمر الباكستانـــى حتى اليوم رغم صدور الأمر الرئاسى بذلك عام ١٩٧٩ من الميلاد . [2]

٣ — صاحب اقامة دور الأيتام دخول دعاة المسيحية الى الهند ، غير أن فترة ما بعد الاستقلال بدت كفرصة ذهبية لذلك العمل اذ فقد العديد من الأبناء آباءهم ابان الهجرة من الهنـــد الى باكستان ، أو العكس نتيجة التصادم بين المسلمين والهندوس ، واستمر التشاحن بضع سنين حتى تمت عملية نقل السكان ، ولو حاولت أن تقارن بلغة الاعداد بين الفترتين فى جزء من أجـزاء باكستان ، لا تضح لك أن الكاثوليك لم يكن لهم قبل الاستقلال سوى دار واحدة فى كراتشى [3] ، وبلغ العدد فى المقاطعات الباكستانية الأربعة ٦٢ دارا لهذه الطائفة فى الثمانيـنات من هذا القرن ، ثلاثون منها للبنات ، وسائرها للأولاد ، وبلغ عدد القاطنين بها أكثر من ٣٫٤٠٠ بين طالب وطالبة متنصرين أو ينتظرون التنصير . [4]

اذا كان هذا ما يملكه الكاثوليك الذين لا تعدو نسبتهم ٣٩٪ بين الفئات العاملة للانجيل فماذا عسى أن يملك ٦١٪ من المسيحيين العاملين للتنصير فى باكستان ؟ .

---

(١) انظر باكستان مين مسيحيت ص ٣٣٨ .

(٢) انظر صحيفة جارت اليومية عدد ٢٩/١/١٩٨٢م الملحق الخاص عن التنصير فـــى باكستان ص ١ .

(٣) انظر : الكوين ون فى أرض السندى والبلوشى ص ٢٦
Alcuin Van Miltenburg, Rt. Rev. MGR Inthe Land of Sindi and Balochi . P 26.

(٤) انظر باكستان مين مسيحيت ص ٤٧٣ الى ٤٧٦ .

ولتموين هذه الدور بالبشر طرق عديدة أهمها :ــ

أ ــ ما يولد من الأطفال غير الشرعيين فى المستشفيات المسيحية يوهبون لهذه الدور،سترا على الزانية وحفظا لكرامة الأسرة ، وما يولد من هؤلاء فى مستشفيات الدولة تسعى الممرضات المسيحيات لتسلمه من الأسرة ، أو ادارة المستشفى بكل السبل الممكنة .

ب ــ ما يلتقط من الأطفال فى الأزقة والشوارع العامةنتيجة اللقاء الجنسى المحرم ، يأخذ طريقه لملئ فراغ تلك الدور ، وكثيرا ما يجول رجال الانجيل فى مناطق مظان الفساد ، والأماكن المظلمة ليلا لهذا الغرض ، بينما دور الأيتام الحكومية لاتقبل الا ما يأتيها عن طريق الشرطة أو القضاء .

ج ــ يهرول دعاة التنصير الى الأماكن المصابة بالكوارث تحت ستار تقديم الاسعاف والمعونة العاجلة للمصابين ، فيستغلون تلك الظروف الحرجة ويحوزون الأيتام الاحداث دون معاناة ، وحرب انفصال بنجلاديش كانت أعظم فوز أفلحت فيه الحركات المسيحية فى تسلم الأطفال .

د ــ يشير التقرير الهندى لولاية مدهيه برديش أن المسيحين كثيرا ما يرتكبون حوادث الأختطاف للأطفال والنساء ، لتعميم المسيحية وتكثير عدد نفوسها فى الهند ،[1] وهناك حادثة مشهورة فى منطقة كراتشى اذ اختطف المسيحيون عام ١٩٥٥م فتاة تسمى قمر الضياء، وغيروا اسمها بعد تنصيرها بالقوة ــ الى ايستهر ،ثم قتلوها فى مدينة جيجة وطنى عام ١٩٠٩م حين سمعوا منها ما ينبئ عن رغبتها فى زيارة أسرتها المسلمة . وأمثال هذا الحادث كثيرا ما يتكرر لحساب التثليث [٢] .

٤ ــ ظل التعليم بعد الاستقلال بضع عشرة سنة موافقا لما كان عليه قبل ذلك فى الباكستان، وفى أوائل السبعينات حاولت الدولة الزام المدارس والكليات تدريس مادة "إسلاميَات" الثقافية الاسلامية ،غير أن جميع الكليات المسيحية احتجت على فرض هذه المادة عليها ، وأعلنت ان كل ما يلزم لتدريس تلك المادة يجب أن تتحمل الدولة نفقته ، من دفع ايجار المكان وجلب الأثاث

---

(١) انظر : Govt.ofMadhiaPerdesh. Report Enquiry Committee onChristain Missionary Activities. P. 1.
حكومة مدهية برديش الهندية ، تقرير لجنة التحقيق عن نشاطات المسيحين ص١ .

(٢) انظر باكستان مهن ص٣٨٦ .

والكتاب المقرر ودفع رواتب المدرسين الذين سيتولون التدريس ... وقد صرح بهذه الحقيقة المرة وزير التعليم الباكستانى ، مشيرا الى أن الدولة قدمت اعانة تقدر بـ ٤٠٩ر٧٨٩ر٦ روبية الى المدارس المسيحية ، لتدريس الاسلاميات للفترة ما بين ١٩٦٢ ـ ١٩٦٦م [1] بينما لا تزال العديد من المعاهد تدرس الانجيل لأبناء المسلمين حتى اليوم ، وتقوم العديد من البعثات بفتح مدارس جديدة لها متحدية مشاعر جميع الأمة المسلمة .

وتقوم حاليا جل المدارس المسيحية بطبع دراسات مستقلة (.Course) عن المسيحية ذات مراحل متعددة ، ويعلنون عنها فى الصحافة وبواسطة مبلغيهم بين الحين والآخر وترسلها المدارس مجانا الى كل من ابدى الرغبة فى الحصول عليها ، ويحتوى كتاب المنهج البدائى " السلسلة الأولى " على خمسة وعشرين درسا ، ففى اسئلة سهلة عامة يمتحن الدارس عند نهايتها بالمراسلة ، ويعطى شهادة مزخرفة ذات ألوان جذابة وتنبسط كف المصحح عند وضع الدرجات لادخال الفرحة الى صاحبها ، وكسبه للمسيحية ، ويعقب نهاية المرحلة الأولى السلسلة الثانية التى عنون لها " سيرة المسيح وظروفه المعيشية " وتأتى الثالثة تحت اشعار " طريق النجاة " مطمعة الدارس فى ارسال نسخة من الكتاب المقدس كهدية تذكارية عند اجتياز الامتحان لهذه الدراسات ، وتأتى الحلقة الرابعة من هذه الدراسات تحت عنوان " حياتك اليومية " وتصل الحلقة المكملة لهذه الدراسة الى الدارس باسم " الأسس المسيحية " وبذلك يتم المقصود ، ويصيب السهم مرماه .

٤ ـ تحول عرض الأفلام ، ومناظر الفانوس السحرى من الساحات العامة الى الكنائس ، ومراكز العمل الكنيسية ، ويرغب فى رؤيتها بالاعلان عنها فى الصحف المسيحية ، وبارسال البطاقات الخاصة لمن يتوهم فيهم السكوت على العرض المشاهد ، ويقوم المنصر المسيحى عقب انتهاء الشريط السينمائى بالقاء محاضرة عن أحد دروس الانجيل ، لغرس المسيحية فى المستمعين ، ولتهيئة التربة لالقاء البذر ثم التعميد فى القريب العاجل .

٥ ـ اتقنت العديد من المسيحيات الضرب على آلات العزف والموسيقى ، واختصصن بتنغيم

---

(١) انظر صحيفة جنك اليومية عدد ١١/٦/١٩٦٦م وسيأتى تفصيل هذه المدارس فى فصل التعليم .

أناشيد الكتاب المقدس ، وأخذن في الآونة الأخيرة في جوب قرى الفلاحين على شكل فرق وجماعات ، تضمن رحالهن في كل قرية اسبوعا أو أكثر ،ويعتبر هذا المنهج أمضى سلاح وقع في الأيدي المسيحية لخدمة مسيحيتهم بين الأرياف والقرى في شبه القارة .

٦ — تطورت طرق ابلاغ الكلمة الانجيلية من الخطبة وتوزيع الكتاب والقاء المحاضرات العامة الى ارسال الصحف المسيحية دون مقابل ،وكم من متحير لا يدري عن الكيفية التي تمكنت بموجبه تلك المجلات من أخذ عنوانه ، وكثيرا ما تُخْدَمُ هذه الجهة من قبل المكتبات الأميريكية والبريطانية وأدلة الهاتف وادارته المحلية .

الطرق المعاصرة لنشر المسيحية :

تلك هي أهم السبل التي اختلف وضعها بعد عهد الاستقلال ، ولكن هناك طرقا استحدثت في المنطقة بعد التقسيم ،لم يكن للهند بها عهد من قبل ، وهذا ما سيمر بك في الأسطر التالية :

١ — التحمت شبه القارة بعد الاستقلال بالدول الأوربية والولايات المتحدة أكثر من ذي قبل ، وأخذ الهنود يجوبون تلك البلاد سياحا وتجارا مصدرين ومستوردين ..... وتمت الحلقة حين أقدم العديد من المتعلمين ورجال الدولة الأغنياء على الزواج بالمسيحيات في تلك البلاد ، إن شاءت الارادة الالهية اسلام هؤلاء الزوجات ، ونطقن بكلمة التوحيد فان عاداتهن وتقاليدهن الاجتماعية تظل على حالها ، لا تختلف بالاسلام عما كانت عليه قبله ،بل تبقى على صلة بالرهبان والراهبات وأبناء بلادها المسيحيين ، يزورونها بين الحين والآخر ، وفي الأعم الأغلب تبقى على عقيدتها لاشتراط القسيس عليها بذلك عند الاذن بالعقد ، ويصل الضغط الكنسي أحيانا الى أن يقبل المسلم تربية أولاده على عقيدة أمهم المسيحية .[1]

وفي السبعينات من هذا القرن ازداد الوضع سوءا حين أقدم الموظفون العاملون في السفارات الأجنبية بباكستان من ذوي الدخل المحدود على البناء بالمسيحيات الأوربيات بصورة تلفت النظر ، مما حمل الدولة على تشريع قانون يمنع ذلك الزواج ويضع العديد من الشروط في طريقه ، قلما تتوفر في المقدم عليه .[2]

---

(١) انظر باكستان مين مسيحيت ص ٣٥٥ . (٢) انظر صحيفة جنك عدد ٤/أغسطس/ ١٩٦٥م .

ولاقتناص عامة الشعب اغرت الكنيسة الكثير من الشباب بالعقد على المسيحية المحلية المتعلمة، اذا اعتنق التثليث ، ويعترف تقرير الهند ضمن طرق نشر المسيحية بعرض نبات الصليب على الشباب ، اذا رضى بتحويل عقيدته الى عقيدة من سيبنى بها [1] وقائمة الاستاذ نادر لمثل هذا العرض أو من تنصر عن هذا الطريق غرفة من حوض ، وغيض من فيض ، [2] لذا يحصر البروفيسور ج — وبليو — فيوك تعليم البنت الأوربية فى أن تهيأ عن طريق التدريس وتلقى العلوم ، حتى تستطيع اقتناص أحد المسلمين البارزين ، بواسطة النكاح . [3]

٢ — والمصدر الآخر الذى ينفذ منه التنصير ويحاول التأثير على مسلمى شبه القارة هم أساتذة الكليات والجامعات والاخصائيون فى مختلف الميادين ، المستقدمون لأهداف التعليم والزراعة والبث الاذاعى والتعمير ومختلف الميادين التقنية ، وأينما حل امثال هؤلاء بذلوا كل ما فى وسعهم فى محاولات التغريب ، وتمثيل بلدانهم المسيحية فى كل مركز من مراكز العمل ، وأغلبية هؤلاء يأتون كمستشارين ومخططين فتعم البلوى جميع طبقات الشعب ، لسير الدولة على وفق ما يرسم لها أولئك المسيحيون ، وتلك حقيقة يدرك مرماها كل مسلم ينعم النظر فى بعد المسلمين عن الاسلام وقربهم من المسيحية ان لم يعتنقوها .

٣ — يزور السياح الغربيون معاقل التعليم والمدارس والكليات فى شبه القارة بطرق شتى ، ويتطرقون الى طرح سؤال أو أكثر على الصفوف الدراسية ، وتشجيعا للطالب المجد فى الظاهر ، وخدمة للمسيحية فى الباطن على المدى الطويل ، يعلن الزائر عند نهاية الزيارة صرف مكافأة شهرية للطلاب المجدين طوال مدة الدراسة ، فيقع الاحداث رجال القيادة فى المستقبل أسرى للمنن الغربية ، ولو تتبعت تلك المنح لوجدت أنها مقدمة من الحركات التى تدير دفة التنصير فى العالم ، ونسبة المبتعثين لتلقى الدراسات العليا من هؤلاء الأسرى أكثر من غيرهم فيما تحتاج اليه دول المنطقة ، ونقاش هؤلاء فى استسلامهم للمسيحية أو عودتهم متنصرين أمر لا يجدى كثيرا ، اذ أنهم وقعوا فى الشباك منذ حداثة سنهم ، ونعومة أظفارهم بأخذ تلك المكافآت منذ بداية حياتهم الدراسية .

---

(١) انظر Report Enquiry : P. 1. (٢) انظر باكستان مين مسيحيت ص٤٠٩ و ٤١٠

(٣) انظر قمرالدين أحمد بنات الصليب ص ٢٤ .

٤ — تقيم حركات التنصير بين الحين والآخر مباريات للألعاب المتنوعة المحببة الى الشعب ، وامتلكوا لهذا الغرض الملاعب الرياضية فى أغلب المدن الكبيرة ، ويحشد الجم الغفير لرفع صوت التشجيع بما يثبت صلة الملعب بالانجيل ، ويقوم المبلغ الرياضى بالقاء موعظة عند نهاية كل مباراة ويتقرب الى السامعين بشتى طرق الاغراء ، من توزيع الجوائز والصحف الرياضية عند نهاية الكلمة ، بل لم تتورع هذه الحركات من عقد دورات للقمار لبث المسيحية فى المقامرين ، فضلا عن الألعاب المباحة ، وشهدت مدينة كراتشى هذه الدورات الأسبوعية العلنية فى منتصف الستينات ، ولا أظنها تخلو منها خلف الكواليس اليوم .

٥ — استغلت المنظمات المسيحية عوز المنطقة وفقرها ، فانشأوا الكثير من المراكز لخدمة الفقراء ، ولتلبية حاجاتهم المعيشية ، من تقديم الملابس الصيفية والشتوية ، والحنطة والحليب المجفف والمناظر الطبية والأحذية ... ، كل ذلك فى مناسبات مسيحية معينة ، وتخرج المبلغات العاملات فى هذا الميدان لزيارة البيوت عند خروج الرجال الى العمل ، فتختار كل منهما منزلا متواضعا فتعين صاحبة البيت فى أعمالها المنزلية ، من الكنس والطبخ وغسل الأطفال الملطخين بالطين ، والباسهم الثياب المهداة منها ، وتسعى العاملة الى نيل حب أطفال البيت جميعا غير مبالية بما يصيب ثيابها النقية من أوساخ لتترك أثرا نفسيا على ربة البيت ، فتصغى الى سماع نصيحتها فى كل شأن من الشئون ، وتمتثل لحلولها ثقة بتعليمها فى كل معضلة من معضلات الحياة المنزلية .

٦ — يفوض المسيحيون افتتاح العديد من مشاريعهم الاجتماعية ، ومراكزهم العاملة فى مختلف الميادين الى الحكام لكسب الثقة ، وتبرئة أعمالهم التى ينفذونها لغرض التنصير ، واعلان نزاهتها أمام عامة المسلمين ، ويهدى الكتاب المقدس فى هذه المناسبات الى رؤساء الشرف والوفود المشاركة ، فيَعِد الكثير منهم بقراءة الهدية ومنهم من يقطع العهد بوضع نسخها فى جميع مكتبات الجيش (١)

---

(١) انظر باكستان ميں مسيحيت ص ٣٣٤ .

٧ — يؤخذ تعهد خطى على كل مسيحى سنويا فى باكستان وبنجلاديش على النهوض بشرح المسيحية ، وعرض معتقداتها على غير المسيحيين مرة كل أسبوع ، وصيغة اليمين التعهدية التى يجبر كل انجيلى على توقيعها هى كالتالى " اتعهد لمدة سنة بتفسير اسس الاله المسيح ، وتوضيحها أمام غير المسيحيين مرة كل اسبوع على أقل تقدير " (١)

٨ — وأوسع الطرق وأسهلها لايصال صوت الانجيل الى كل بيت فى شبه القارة يأتى عن استخدام البث الاذاعى ، لقد غزا المنصرون بالمذياع كل مدينة وقرية ، وأرسلوا نشراتهم على الموجات المتوسطة الى جميع العالم ، وترسل محطه .F.E.B.A" فيبا " بثها المكثف الى المتكلمين بالاردية والسندهية والبنجابية والبنغالية ولغة الباتان ،على فترتين لا تقل مدة كل منها عن ساعة ، كما تعين منظمة " اليونسيف " البث المرئى فى اعداد البرامج لتعليم الكبار فى باكستان ويتولى التدريس مسيحى يلحن فى الأردية بصورة مخزية ، ولم تجد احتجاجات جامعة العلامة محمد اقبال المفتوحة وادارة البث المرئى وصراخ العامة فى تغيير الوضع شيئا . (٢)

وإن اردت المعلومات الاحصائية فان عدد من تنصر خلال خمس سنوات (١٩٦٠م — ١٩٦٥م) فى بنجلاديش كان ١٢٤٧٩ شخصا ،وفى باكستان ١٩٦٣ شخصا ، حسب اعتراف الدولة ،وقد صرح وزير الداخلية أثناء جلسة البرلمان يوم ١٩٦٥/٦/٢٥م بعدم وجود هيئة تكافح التنصير ، وترصد حركات دعاته فى باكستان . (٣)

وبلغ التساهل حدا يتحير فيه اللبيب حين يصرح وزير السياحة والاقليات الباكستانى عام ١٩٧٣م بعدم وجود سجل لدى الحكومة المركزية أو الاقليمية ينبئ عن عدد المرتدين ، فضلا عن انتمائهم العرقى ،(٤) ويشير احصاء ١٩٨٢م الى أن ٤٩٠ مبلغا بروتستانتيا وقرابة ١٤٠٠ مبلغ كاثوليكى من غير الباكستانيين يعملون لصالح التنصير على الأرض الطاهرة (باكستان) (٥)

---

(١) انظر :باكستان مين مسيحيت ص ٣٣٠ .

(٢) انظر صحيفة جسارت اليومية عدد ١٩٨٢/١/٢٩م الملحق الخاص عن التنصير فى باكستان ص ١

(٣) انظر باكستان مين مسيحيت ص ٣٧٩ .

(٤) انظر شيخ الحديث مولانا عبد الحق قومى اسمبلى مين اسلام كا معركة (المعركة الاسلامية فى البرلمان) ص ٣٢٤ .

(٥) انظر صحيفة جسارت اليومية عدد ١٩٨٢/١/٢٩م الملحق الخاص عن التنصير فى باكستان ص ١ .

هذا ويكون المسيحيون ٤ر١ ٪ من مجموع سكان باكستان ، ويقدرون بحوالى مليون نسمة بينما لم يكونوا يعدون ٨٨٤ر٥٨٣ نسمة حسب احصاء الدولة لعام ١٩٦١م وهذه الزيادة المذهلة يكمن سرها فى كثرة الانجاب عند المسيحيين ، وجلب غير المسيحيين الى الحظيرة المسيحية ، ومن هنا كانت نسبة الزيادة عند المسلمين فى عدد نفوسهم ٢ر٥٢ ٪ فى السنوات الأحد عشر (١٩٦١ـ١٩٧٢) بينما النسبة للفترة ذاتها ٥ر٥٥ ٪ عند المسيحيين [1] وللحركة التنصيرية بضع وثلاثون صحيفة ما بين يومية واسبوعية وشهرية ٠٠٠، تصدر فى أشهر ثمان مدن باكستانية ، وتتصدر القائمة مدينة لاهور ، اذ يحمل صوتها بضع عشرة صحيفة ، لأطفال النصارى وشبابه وشاباته وشيوخه ونسائه .

ويعمل فى بنجلاديش أكثر من ١٥٠٠ قسيس لايغطى المحليون الا ثلث هذا العدد ، وجلبت المنظمات الكاثوليكية العاملة للتنصير تحت ستار المساعدات فى بنجلاديش ما يربو على ١٤ مليونا من الدولارات فى علم ١٩٧٣م ، وخصت فى ميزانيتها السنوية لعام ١٩٧٨م ٠٠٠ر٦٠٠ر١٣ تكه بنجلاديشية لخدمة الفقراء والمعوزين ، و ٠٠٠ر٤٠٠ر١٨ تكه لمشروعات التطوير ، وتعمل عدا هذه المنظمة أكثر من ٣٥ منظمة بروتستانتية لصالح الانجيل ، وجميع هذه المنظمات كانت تنفذ أكثر من ١٤٠ مشروعا لتطوير بنجلاديش وأكثر من ١٨٠ مشروعا لرفاهية شعبه ، ومن هنا ندرك مكمن الخطر الانجيلى على بنجلاديش المسلمة التى يخنقها الجوع والجوائح الطبيعية ، ولا تجد من يقدم لها يد المساعدة الا رجال الانجيل . [2]

ويبدو أن الهند قد نجت من الضغط الصليبى منذ الثمانينات ، إثر ظهور تقرير مد هيه برديش ، فحرمت العديد من الولايات العمل التنصيرى فى أراضيها وأصبحت جوا المسيحية ودمن ديو اللائى تبلغ نسبة المسيحيين فيها ٣٧ ٪ ـ مورد حتف دعاة التنصير ، ويوجز الوضع القائم فى الهند الشيخ كوثر نيازى فيقول : " لا تجيز الهند تعميد هندوسى البتة ، من قبل أى منصر أو قسيس ، حتى أضحى مسيحيو جوا يبحثون عن طرق الحصانة والصيانة ، لماء وجوههم وجلودهم وأموالهم فلا يصح منهم بلاغ رسالة المسيح فى جوا ودمن وديو فضلا عن بقية الهند " . [3]

---

(١) انظر ريبورت ورد م شمارى لعام ١٩٦١ و١٩٧٢م (احصاء الدولة لعام ١٩٦١م و١٩٧٢م) .

(٢) انظر صحيفة جسارت اليومية عدد ١٩٨٢/٢/٥م الملحق الخاص عن التنصير فى بنجلاديش ص ١ .

(٣) " آئينة تثليث (مرآة التثليث) ص ١٣٠ .

أسباب نجاح التنصير في المنطقة :

ومن تلمس الأسباب التى هيأت فرص النجاح لحركة التنصير ، وقلبت الميزان لصالحها منذ الاستقلال الى اليوم ، يجد أنها تعود الى النقاط الرئيسية التالية .

أ — أغلب موظفى المنطقة وحكامها تلقوا علومهم الدراسية فى الكليات المسيحية ، أو اكتسبوا المعرفة عن طريق الكليات الحكومية التى كانت تديرها الدولة المستعمرة قبل الاستقلال ، ووضعت خططها بما يخدم مصلحة المستعمرين (١) ، وبعد رحيل الانجليز توفرت الفرص أكثر من ذى قبل ، اذ أصبح التلاميذ ولاة يحكمون قومهم ، فلم يجسروا على المعارضة فى منهج المعلمين ، ولا وضعوا العراقيل للحد من مسيحيتهم — إن لم يمدوا يد العون لتذليل العقبات التى تعترض طريق التنصير — فهبّ المعلمون المسيحيون يطالبون بما تعذر عليهم حصوله قبل الاستقلال ، كالاذن لهم بالتبليغ وفتح المدارس فى الولايات المسلمة التى لم ترتضى وجودهم أبان عهد الاستعمار . (٢)

ب — توقفت برهة من الزمن مساعى التنصير بعد استقلال باكستان انتظارا لما تكشف عنه الأحداث فى الدولة المسلمة ولكن الغبطة عمت رجال الانجيل حين ضمن الدستور الباكستانى حرية التبليغ لجميع المذاهب ، وعدم الحد من انتشار معتقد على آخر أو تفضيل مذهب على مذهب ، وقد ابان الخطوط العريضة لهذه الحرية لياقت على خان أول رئيس وزراء باكستان فى أول خطابه عن دستور الدولة حين قال : "إنا نعتقد بأن الآراء يجب أن يفسح عنها دون قيد أو شرط ، عولنا على ألا نمنع أحدا من التصريح بما يريد أن يعبر عنه من مكنون صدره ، كما عولنا ألا نقف حجر عثرة بين أى فرد كان وبين استعماله حقه فى تأليف الجماعات والهيئات ، ما دامت فى حدود القانون لا تهدف الا لاغراض نبيلة مشروعة " (٣) فضمن هذا الدستور الحرية بمفهومها الشامل واتاح للمنصرين مالم يُتحه لهم بنو جلدتهم قبل الاستقلال .

ج — أخذ جهاد العلماء تجاه المسيحية ورجالها يخمد منذ الاستقلال ، لتوهم العلماء أن البناء

---

(١) انظر أبا الاعلى المودودى رسائل ومسائل جـ ١٠٥/٤ .

(٢) كولاية بَهَا وَلْبُور وخَيْرپُور الباكستانيتين ، انظر باكستان مين مسيحيت ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

(٣) محمد حسن الأعظمى حقائق عن باكستان ص ١٠٩ .

قد اكتمل ، وأن مسئوليتهم قد انتقلت الى الحكام فى المحافظة على الاسلام ، واقامة معالمه وتطبيق قوانينه فى كل صغيرة وكبيرة فى الحياة ، فحولوا قواهم الى اقامة المدارس الدينيـة وتشييد الدور لها لتنشيط الدراسات الاسلامية حتى تغطى بمتخرجيها ما تحتاج اليه الدولة فى القريب العاجل ،فانحصروا فى زوايا المدارس والمساجد وتركوا قيادة الشعب فخلا الميدان للمسيحية تعمل فيه ما تشاء .

ولكن على الرغم من السلطة والاغراء والتحذير ظل الشعب المسلم أثناء الحكـم الأجنبى وفيا لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يتأثر بالقدر الذى كانت ترجـوه الارساليات ، وظل يتبع العلماء ويسترشد بأقوالهم طوال حكم المستعمرين ، فاكتسب مناعة من سمومهم ولكن هذه المناعة ظلت تضعف يوما بعد يوم بعد اقامة دولته المستقلة ، غـير أن المقاومة ما زالت قائمة بطرق شتى رغم تغريب التعليم وفساد منهجه وخلو معلميه مـن الأخلاق الاسلامية ، ووجود فصل تام بين العلوم الشرعية والعلوم المدنية ، لتخريـج متعلمين سلبت من سويداء قلوبهم الحمية الدينية ونزعت من عقولهم الغيرة الخلقية وهذا ما ستراه فى فصل التعليم .

* *

*

الفصل الثاني

((أثر الفكر الغربي في مجال التربية والتعليم))

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

١ — موقف الدول الاسلامية في الهند من التعليم .

٢ — الدرس النظامي .

٣ — طرق القضاء على الدرس النظامي .

٤ — دار العلوم ديوبند ومنهجها التربوي والتعليمي .

٥ — دار العلوم ندوة العلماء .

٦ — بداية التعليم العصري .

٧ — توصية اللورد ميكالي التعليمية .

٨ — موقف السيد أحمد خان من التعليم .

٩ — أهداف التعليم عند الانجليز .

١٠ — محاولات اصلاحية في التربية والتعليم .

١١ — دور المعاهد التنصيرية في العملية التربوية والتعليمية .

١٢ — التعليم بعد الاستقلال .

١٣ — نظرة فحص في المنهجين (الديني والعصري)

١٤ — بعض ميزات التعليم الاسلامي .

الفصل الثاني

موقف الدول الاسلامية في الهند من التعليم :

تحلى المسلم بالعلم يعود الى أول آية نزلت من القرآن الكريم ، " اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . . . "(1) تحض على المعرفة والعلم ، وتشكلت حياة المصطفى عليه الصلاة والسلام لتجسيد أحكام القرآن كواقع مشاهد ،فلم يكن امره صلى الله عليه وسلم فى فداء أسرى بدر المعسرين بتعليم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة الا حلقة من حلقات بعث التعليم بين المسلمين .

وحمل الصحابة هذا المشعل معهم الى كل جهة اتجهوا اليها ،نا قلين للسنة قولاً وعملاً ، مفسرين لآيات الكتاب حسبما سمعوها ممن نزلت عليه ، وتحمل عنهم هذا العبء التابعون فمن جاء بعدهم رحمهم الله ،وكان المجاهدون الذين فتحوا الهند من حملة هذه المنحة الربانية ، وعلى أيديهم استضاءت الهند بنور الاسلام ، وتعلمت العديد من العلوم التى لم يكن لاهلها عهد بها من قبل .

ولم يحفظ لنا التاريخ الكثير من الأعلام الذين وقفوا حياتهم لخدمة العلم فى السند منذ فتح محمد ابن القاسم الى نزوح المسلمين عنها ، وانكماش دولة الاسلام فى الهند أثناء الخلافة العباسية ، بل اكتفى المؤرخون بذكر بعض من عمّر المساجد من الأمراء ورجال الثراء من المسلمين ، اذ المسجد كان محور كل شئ آنذاك فى الاسلام ،فهو منبع العلم ، ومسكن رجاله ، ومنطلق الدعوة وألوية الجهاد وبيت الفقراء والمساكين . . . ، ولم يكن المعلم المسلم يهدف من وراء التعليم سوى ارضاء ربه ، وتبرئة ساحته أمام الخالق يوم القيامة ، لا يأخذ أجرا ولا يلتمس شهرة ، يكسب قوته من غير طريق التدريس

وفى الدولة الغزنوية صاحب التعليم الفتح والجهاد ، فما من مدينة اكتسبت للاسلام حتى خلف فيها الفاتحون ورثة الأنبياء ، للقيام بشرح أحكام الدين واقامة الحياة الاسلامية ، ولازدحام المتعلمين فى المساجد ، وكثرة اقبال الناس على تعلم أحكام الاسلام اضطر العديد من المعلمين الى فصل التعليم عن المسجد ، فخرجت المدارس الى حيز الوجود وأصبح المعلمون يلقون دروسهم فى حجر خاصة تم بناؤها لهذا الغرض ، فاستقلت المدرسة عن المسجد بل فاقته فى نواحى التعليم ، وأهم مدارس الدولة الغزنوية على الاطلاق هى مدرسة غزنة المحمودية ، التى كانت بمثابة مجمع علمى لكبار العلماء والأدباء ، ضمت بين جدرانها أمثال العنصرى والمسجدى والفردوسى والبيرونى ، ولم تظفر آسيا

---

(1) سورة العلق آية ١ ـ ٣ .

كلها بمجمع بلغ درجة كمال هذا المجمع .[1]

وبناء المدرسة فى تلك الأزمنة يعنى بناء فصول دراسية وبناء وحدات سكنية للمعلمين وأخرى للمتعلمين ، وموارد دخل ثابتة،توفر للمدرسة جميع ما تحتاج اليه من كتب وحبر وأوراق بيضاء ، وطعام وشراب وملابس حسب فصول السنة،وجراية شهرية — راتب ومكافأة — حسب مكانة المعلم واجادته للعلوم ، ورغبة الطالب واجتهاده فى تلقى المعرفة ، فكلما انهى فنا ارتفعت مكافأته ، فتسابق الملوك والأمراء والوزراء والأثرياء الى رعاية العلم لكسب الثواب فى الأجلة والمنزلة الرفيعة فى العاجلة بين المجتمع المسلم خدمة للعقيدة الاسلامية واخراجا للبشرية من ظلمة الوثنية الى نور الاسلام .

وأهم ما يميز المعلم المسلم فى هذه الفترة هو الجمع بين العلوم المختلفة فتبحر الشيخ فى التفسير والحديث .... لا يمنعه من تعلم الطب والهندسة والهيئة والفلك .... وتلقى آخر ما وصلت اليه هذه العلوم ،ومن هنا اكتسب المعلم المكان المرموق فى المجتمع ، وتسنى له أن يرتقى الى أعلى المناصب فى الدولة، وشاركه فى هذه الفضيلة الصوفى بزاويته فى أداء المهام التعليمية ، بل فاق المعلم فى نواحى الدعوة الى الله والى دينه حسب فهمه ، ولعل أولى الزوايا المشهورة بأرض الهند لهذه الخدمة هى زاوية الشيخ الفقيه الزاهد على بن عثمان الهجويرى اللاهورى ، صاحب كشف المحجوب المتوفى عام ٤٦٥ من الهجرة .

ويعتبر عهد الغوريين والمماليك عهد تكثير المدارس وتنظيمها ، وربطها فى سلك معين لتخريج عينات معينة ، بعد أن حولوا الجرايات من الشهرية الى السنوية ، وأهم مدارس هذا العهد هى المدرسة المعزية التى أسسها قطب الدين أيبك ، وشيدت مبانيها السلطانة رضية بنت التمش ، ويبدو ممن وصفها وعدد المقتولين بها أساتذة وطلابا أثر غارة القرامطة عليها أنها أشبه ما تكون باحدى الجامعات العصرية ، ينتقل الطالب فيها من صنف الى آخر وينال اجازة عامة فى النهاية .[2]

وأصبحت دهلى ومدينة اوج السندية فى عهد الخلجيين مركزين علميين هامين ، لنشر العلوم الاسلامية واهتمت المدارس التابعة للمركزين بدراسة التفسير والفقه والاصول واللغة العربية والحديث والتصوف ، فترى الطالب يدرس الكشاف فى التفسير والهداية فى الفقه ، وأصول البزدوى فى الأصول ،

---

(١) انظر الدول الاسلامية جـ ٢ / ٦٢٤ ،

(٢) انظر مسلم ثقافت ص ١٨٨ والهند فى العهد الاسلامى ص ٤٢٩ .

والكافية والشافية فى اللغة ، ومشارق الأنوار فى الحديث ، وعوارف المعارف فى التصوف . [١]

وتنبئك ميزانية التعليم السنوية التى بلغت ٣٦٠٠٠٠٠ تنكة [٢] ذهبية ابان عهد فيروز تغلق عن مدى اهتمام الدولة المسلمة بالعلم فقد حجز السلطان لجمع هذه الميزانية الضخمة جميع مايدخل خزانة الدولة عن طريق ضريبة الرى بالقنوات التى حفرتها الدولة لتطوير زراعة الهند ،ولم يتوان رحمه الله فى جلب أشهر المعلمين من منطقة ما وراء النهر ، [٣] وبلغ عدد المدارس التى تولت الدولـــة انشاءها ،وتكفلت بصرف مرتبات العاملين بها ، من المعلمين والطلاب والخدم بين الثلاثـــين والخمسين ، أشهرها المدرسة الفيروزية ، ومدرسة فتح خان ووصل من حب هذا السلطان للمعرفـة أن أمر بترجمة ١٣٠٠ كتاب من السنسكرتية الى الفارسية — لغة الدولة — عندما حازها كغنيمـة من غنائم معبد "جوالا مكهى" بمدينة لنكر كوت .

وسايرت العلوم والمبتكرات علوم الشريعة جنبا الى جنب ،على ايدى علماء الاسلام ،ومن نوادر ابتكار العهد الفيروزى ساعة زمنية ،كانت تعلم اوقات الليل والنهار والصوم والافطار ،وزيادة اليوم ونقصانه حسب فصول السنة ، وكانت منصوبة بساحة فيروز آباد العاصمة [٤]

وتضاعف المنهج المدرسى بعد تولى عز التغلقيين فترى المنهج اضاف الى الهداية كلا مـن القدورى " ومجمع البحرين فى الفقه ، والى أصول البزدوى الحسامى [٥] فى الأصول ،والـى الكشاف مدارك التنزيل فى التفسير ، والى عوارف المعارف الرسالة المكية فى التصوف ، والـى مشارق الأنوار مصابيح السنة فى الحديث ، ودخل ساحة التعليم مواد جديدة لم يكن للمـدارس الهندية عهد بها من قبل ، غير أن الحياة اليومية المتبدلة وتسابق الزمن اقتضيا ادراجها فـى المنهج الموسع ، فدخلت الرياضيات والعقيدة والبلاغة كمواد أجبارية مستقلة ، وقرروا ضعــو المنهج لدراسة المادة الأولى شرح التذكرة "وتحرير الاقليدس" ولدراسة الثانية " العقائد النسفية" ولاجتياز الأخيرة مفتاح العلوم " . [٦]

غير أن هذا التغيير لم يشمل جميع مناطق الهند ، حيث ترى على المتقى ودراساته الحديثية محـور

---

(١) انظر نزهة الخواطر جـ ١٨/٢ و٢٥ و١١٣ .   (٢) اسم عملة استعملت فى عهد التغلقيين .

(٣) انظر مسلم ثقافت جـ ١٩٥ و٦٧٩ .

(٤) انظر الهند فى العهد الاسلامى ص ١٩٩ ونزهة الخواطر جـ ١١١/٢ .

(٥) المنسوب الى حسام الدين الاخسيكثى .   (٦) انظر نزهة الخواطر جـ ٩٩/٣ و١٨٣ .

المناهج فى المناطق الساحلية من الهند ،وحمل رأية هذه النهضة المباركة بعد هجرته الى مكة تلامذته ، كالمحدث محمد طاهر فتنى الكجراتى ، والمنتمين الى مدرسته والى مدرسة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوى ،ولكن سرعان ما انطفأ هذا المشعل من كجرات ، أثر مقتل المحدث محمد طاهر على أيدى الاسماعيلية وتخافت صوته نتيجة تعديل المناهج الدراسية على يد الشيخ عبد الله تبنى والشيخ عزيز الله بمنطقة دهلى أيام السلطان اسكندر اللودهى (١)

وأتت أولى الضربات القاصمة لظهر التعليم الاسلامى على يد السلطان أكبر المغولى ، حيث أصدر مرسوما ملكيا لتحقيق الوحدة القومية فى التعليم ، جاء فيه " يجب على كل طالب أن يدرس الأخلاق والحساب والزراعة ، والهندسة والنجوم وتدبير المنزل وسياسة المدن والطب والمنطق والتاريخ " (٢) فنزع من المنهج علوم الدين جميعا ،غير أن الفشل كان مصير هذا المرسوم اذ لم يمتثل له الا بضع مدارس فى دهلى ، دون الاف المدارس المنتشرة فى طول البلاد وعرضها ، ويعزو هـ ج ،ولز هذا الفشل الى أن عبقرية أكبر الفطرية التى جعلته " يعتقد اعتقادا بينا أن ليس فى الامكان ربط الهند فى شعب واحد الا على فكرات عامة ... ، ولكن أنى له المعرفة التى يمكن بها خلق مثل هذا التماسك والابقاء عليه جيا ، بانشاء المدارس العامة والكتب الرخيصة ، واقامة نظام جامعى يجمع بين خلتى التنظيم وحرية الفكر " (٣) ولكن الحق أن فشل المنهج الأكبرى يعود الى سيادة الاسلام ، الذى كان يحكم أغلب مناحى الحياة فى الدولة الاسلامية ، أضف الى ذلك خلو الهند من أفكار غازية تناهض شرع الله وتبعد المسلمين عن الاسلام .

وتميزت المدارس الدينية فى الدولة المغولية بتعليم ابن الهندوسى ما يرغب فيه كتعليم ابن المسلم سواء بسواء ،ومن هنا برزت شخصيات هندوسية فى العلم والأدب ، نتيجة عدم التمييز فى التعليم بين أبناء الديانتين ، واعترف بهذه الحقيقة أغلب الباحثين الهندوس ، يقول رتن لال : " لو حاولنا البحث عن من يماثل السلاطين المغول فى نشر العلم والثقافة فى الهند لما أمدنا التاريخ بشئ من ذلك ، اذ كان ابن الهندوسى يتلقى العلم كابن المسلم جنبا الى جنب حتى أثمر ذلك

---

(١) انظر المسلمون فى الهند ص ٩٥ .
(٢) انظر مجلة اسلامى تعليم عدد سبتمبر واكتوبر ٢٨ لعام ١٩٧٢ .
(٣) معالم تاريخ الانسانية جـ ٣ / ٩٦٠

السعى فى مدجسم الهندوس بدم ثقافى جديد " .[1]

وقد تمتعت مدارس عهد المغول بدخل سنوى مضمون ، كوقف البانى عليها عقارا يفى بنفقات المدرسة وجميع متطلباتها ، أو بناء الدكاكين والدور تكرى لحسابها[2] ... ، فاشتغل رجال العلم براحة بال ، فاتخموا المكتبة الاسلامية التى تعتمد على العقل أكثر من النقل ، بحواشيهم على حواشى السابقين ، ولفتح الله الشيرازى — الذى دخل الهند واحتفى به السلطان أكبر ولقبه بعضد الملك — دخل بيّن فى توجيه المنهج على هذا المنوال ، ولكثرة من تلقى عنه العلم من الرجال البارعين شاع ترويج ما خطط له هذا الشيخ ، ولا زال منهجه أحد الرافدين اللذين تستقى منهما الأمة المسلمة العرفان حتى اليوم ، وقد اكتسب رافد الشيرازى الشهرة أخيرا باسم " الدرس النظامى "[3]

الدرس النظامى :

نسق المنهاج الجديد للمدارس الدينية الشيخ نظام الدين بن قطب الدين السهالوى الذى تصل نسبته العلمية الى الشيرازى بواسطة تلميذ أبيه الحافظ امان الله عن قطب الدين ، عن عبد السلام اللاهورى عن فتح الله الشيرازى ، قتل قطب الدين والد صاحب الدرس النظامى قبل أن يبلغ الأبن الرابعة عشر من سنه ، أثر نزاع على قطعة أرض بقرية سها لى القريبة من مدينة لكهنو عام ١١٠٣هـ ، فانتقلت الأسرة الى مدينة لكهنو ، بعد أن منحهم السلطان أورنك زيب قصرا مهجورا لتاجر أفرنجى غادر الهند الى بلاده ، ومن هنا اطلق على من تعلم بحى ذلك القصر عالم " فرنكى محل " .

وبعد استقرار الأسرة خرج الشيخ نظام الدين لاكمال علومه الدينية على تلامذة والده ، ولم يمض على خروجه عشر سنوات حتى أنهى جميع المقررات المدرسية ، وبرع فى الأصول والمنطق والكلام ، واشتهرت شروحه لمسلم الثبوت ، ومنار الأصول وتحرير الأصول وهداية الحكمة وشرح العضدية والشمس البازغة ، واستمر مزاولا للتدريس قرابة نصف قرن ، وتلقى العلم على يديه علماء الهند الذين يشار اليهم بالبنان ، كالسيد كمال الدين العظيم آبادى والعلامة

---

(١) محمد حفيظ الله سلاطين هند كى علم برورى (احتفاء سلاطين الهند بالتعليم) ص ١٧ .

(٢) انظر الهند فى العهد الاسلامى ص ٤٣٢ . (٣) انظر رود كوثر ص ٦٠٦ .

كمال الدين الفتح بورى ، والشيخ وجيه الدين الدهلوى ... ولم يلق الشيخ نظام الدين ربه عام ١١٦١ هـ حتى شاهد ترأس تلامذته فى أغلب مدارس الهند .(١)

وضم الدرس النظامى الذى نسب الى الشيخ نظام الدين تجاوزا — بين دفتى منهجه كلا من النحو والمنطق والحكمة (الفلسفة) والرياضيات ، والبلاغة والفقه والاصول ، والكلام والتفسير والحديث، وكان يركز على الصرف فالمنطق فالرياضيات فالنحو فالكلام ، ولا يزيد الكتاب المقرر فى بقية المواد عن كتابين ونالت السنة أقل حظ من المنهج ، اذ اكتفى فيها بدراسة مشكاة المصابيح ، غير أن الله هيأ لرفع هذا الاجحاف الشاه ولى الله الذى عاصر الشيخ نظام الدين وتوفى بعده بخمسة عشر عاما ، فأقام لدراسة السنة مدرسة مستقلة فى دهلى ، يقصدها طلاب الحديث بعد الانتهاء من الدرس النظامى ، وخلفه أنجاله الميامين من بعده ، فى هذه الخدمة المباركة حتى عمت دراسة السنة الهند من أقصاها الى أقصاها ، فما من شارح للسنة أو ناقد لرواتها الا وهو مدين لهذا البيت ، تصل نسبة تتلمذه اليه من قريب أو بعيد .

ولغة الكتاب النظامى آنذاك بين العربية والفارسية ، ومن المرجح أن تكون لغة القاعة هى الأخيرة دون الاولى ، لأنها لغة الامة والدولة ، ولغة البيت والشارع والعمل والسوق ، وأغلب لغة الكتاب النظامى ، وظل الدرس النظامى يتقدم يوما بعد يوم متغلبا على جميع العقبات التى تعترض طريقة قرابة قرن من الزمن .

طرق القضاء على الدرس النظامى :

وما أن أسر الانجليز أكبر شاه الثانى بمرتب مقطوع عام ١٨٠٦م — ١٢٢١ هـ حتى أخذوا يكيدون لهذا المنهج فى الخفاء ، لعلمهم أن ميناه العقيدة وحصنه القرآن ، والمتخرجون عليه لن يستسلموا لدخيل لا يدين بالاسلام فخططوا لابعاده عن الساحة ، ثم القضاء عليه بأمور أهمها :—

أ — أعفت الدولة المسلمة جميع الأراضى الموقوفة على المدارس من دفع الخراج منذ انشائها حتى اتفاقية اله آباد ، عام ١١٨٥ هـ — ١٧٧١م التى استحقت شركة الهند الشرقية بموجبها جمع خراج منطقة بنغال وبها روواريسة على منوال جمع الدولة المغولية ، بيد أن الشركة لم يرق لها ذلك

---

(١) انظر نزهة الخواطر جـ ٦/ ٣٨٥ .

الاعفاء ، الذى يتجاوز ربع خراج المنطقة ، ولا سيما انفاق المدارس له فى تنمية العداء تجـــاة البريطانيين ، واستحكامه فى عقول الدارسين ، وهذا ما حمل اللورد وارن هستينكر عام ١٧٧٢ م على اتخاذ اجراءات تعيد الى الشركة سيادتها الخراجية على تلك الأراضى غير أن مساعيه لم تفلح ، فأعقبه اللورد كارنوالس عام ١٧٩٣م فى اتخاذ خطوات للحد من ظاهرة الوقف ، فصرح قائلا : " أى أرض توقف دون اذن الدولة (الشركة) تعتبر ملكا لها " واعيد التحذير ذاته عام ١٨١٥م ، غير أن الشركة لم تستطع أن تحرك ساكنا تجاه الوقف ، (١)

ثم اتخذت مساعى مجلس التشريع والتنظيم الادارى عام ١٨٢٣م لالغاء الأوقاف التعليمية فاستخدموا لتحقيق هذا الهدف جميع السبل المباحة وغير المباحة فى عرف البشر ، على حد قول من وسد اليـه التحقيق فى مظالم المسلمين ، يقول هنتر " فأقمنا المحاكم الخاصة ، وأرسلنا الجواسيس وهيأ نـا شهود الزور ٠٠٠٠ ، ونتج عن ذلك ارتفاع الخراج الى ثلاثمائة ألف جنيه استرلينى ٠٠٠٠ ، وفقـدا ن مئات العائلات مواردها المالية ، وتهدم نظام تعليم المسلمين ، الذى كان عصب حياته هذه الأراضى المعفاة ، وقد استمر هذا الوضع فى محاكمنا ثمانية عشر عاما ، حتى اقفرت تلك المدارس واحدة تلو الأخرى " (٢)

لم يقتصر الاستيلاء على الأراضى المعفاة فحسب بل تجاوز ذلك الى الهبات والعطايا المقدمة للمدارس فما أن وهب الوزير فضل على خان وزير بلاد اود هـ عام ١٨٢٩م منحة ٠٠٠ر١٧٠ روبية لمدرسة جده غازى الدين الواقعه خارج مدينة دهلى ـ حتى أسرع الانجليز للاستيلاء على هذه المنحة ، وتحويلها الى كلية انجليزية ، دون رضـا المدرسة وصاحب العطية ، (٣)

ب ـ عبرت الفارسية الى الهند بعبور حملة الاسلام ، وازدهرت بازدهار دولة المسلمين ، وتضاءلت عند اضمحلال دولتهم (٤) ، وسددت أول ضربة للقضاء عليها عام ١٨٣٧م بعد توصية اللورد ميكالـــى التعليمية (٥) فازيحت عن منصة الدولة فى الأراضى الواقعة تحت تصرف الشركة، واوعز بعدم استعمالها فى الولايات التى تشرف عليها الشركة ، وأعلن اللورد هاردنك عام ١٨٤٤م أن أرجحية التوظيـــف

---

(١) انظر همارے هندوستانى مسلمان ص ٢٦٧ . (٢) همارے هندوستانى مسلمان ص ٢٦٧ .
(٣) انظر الهند فى العهد الاسلامى ص ٤٣٣ وباغى هندوستان ص ١٥ .
(٤) انظر رجال السند والهند ص ٢٤٦ وتاريخ العالم ص ٦٢٨ .
(٥) ويرى صاحب موج كوثر أنها الغيت عام ١٨٣٤م انظر موج كوثر ص ٢٨٨ .

ستعطى للمتقنين للانجليزية . [1]

وحض ميكالى على ابعاد الفارسية فى توصيته ، وبرره أمام دولته قائلا : " مع بذلنا فى الانفاق على تنمية العربية والسنسكرتية ، أرى أننا لم نجن مما انفقنا عليه سوى العداوة لجميع العلوم الحديثة ، والتعصب تجاهنا وتجاه كل ما فيه مصالحنا ، كل ذلك ثمرة لما انتجته الكليات العربية ... وعلى أى صورة تمسكنا بالسياسة الماضية ستنتج لنا العداوة أشد فأشد " [2] واتهم اللغات الهندية جمعاء بعدم قدرتها على استيعاب ما فى أوربا من العلوم والمخترعات ، اذن فالانفاق فى تنمية هذه اللغات العقيمة فى نظره انفاق غير مجد ، لا يفيد الهند فى قليل أو كثير . [3]

وحلل الالغاء من الناحية الاقتصادية فزعم " أن الطلاب لن يدرسوا العربية ... دون مكافأة مقطوعة بينما نرى أنهم مستعدون لدفع الرسوم المقررة لدراسة الانجليزية ، فيجب أن نراعى هذا الشعور وعلى المنصة أمامى فى فهرس الدخل الذى أتانا من مدرسة كلكته يوضح أن الذين يتلقون العربية فيها سبع وسبعون شخصا انفقنا عليهم خمسمائة روبية فى شهر ديسمبر عام ١٨٣٣م بيدانا تسلمنا مائة وثلاث روبيات كرسوم عن شهر مايو ويونيو ويوليو ممن يدرسون الانجليزية " [4] وهدد الدولة بالاستقالة مالم تقبل قفل المدرسة العربية العالية بدهلى أو قطع المكافأة عن طلابها على أقل تقدير . [5]

ج — اتت ثالثة الاثافى للقضاء على الدرس النظامى وعلى المحافظين على لغته حين سدت الدولة جميع أبواب التوظيف فى وجههم ، رغم تعلمهم فى كليات تشرف عليها الدولة ، ويفتخر هنتر بهذه السياسة الخانقة حيث يقول " منذ تسعين عاما ونحن نسير نظام الكلية الاسلامية فى كلكته ... وافتتح وارن هستنكر الكلية الاسلامية فى العاصمة الاسلامية وأوقف لسداد مصارفها ثروة خاصة غير أنه من سوء حظ المسلمين أن ظل نظام الكلية فى الأيدى المسلمة ، لذا نرى أنه تُدَرَّس فيها حتى اليوم العربية والفارسية اللتان لا تكسبان متعلميها قوت اليوم أو التوظيف لدى الدولة " [6]

---

(١) انظر السيد طفيل أحمد مسلمانون كاروشن مستقبل (مستقبل المسلمين المضيئ) ص ١٧٢.
(٢) ميكالى ، ميكالى كانظرية تعليم (نظرية ميكالى التعليمية) ص ٦٣.
(٣) " " " " ص ٤٥ .
(٤) " " " " ص ٥٨ .
(٥) " " " " ص ٧٠ و ٧١ (٦) همارے هندوستانى مسلمان ص ٢٨٦.

د ـ الهند بلد زراعى أكثر سكانه فى القرى والأرياف • ومد هى أن حاجة هؤلاء التعليمية لاتلبى الا عند مساكنهم ، ومن هنا كثر عدد المدارس الاسلامية فى الريف دون المدينة ، ومن الصعب على مثقف اليوم أن يصدق تقارير الانجليز التعليمية لمنطقة من مناطق الهند أبان عهد المسلمين غير أن ما ذكروه هو الحقيقة قلما تدخله المبالغه فقد صرح المستروارد (Rev.W.Ward فى تقريره التعليمى عام ١٨٢١م أن منطقة ندنيا ممتلئة بالمدارس اذ لكل واحد وثلاثين تلميذا مدرسة مستقلة (١) ويقدر تقرير ميكس ميولر (Max • Muler) وجود ثمانين ألف مدرسة بالبنغال (٢) بينما تقرير المستر آدم للمنطقة يصل بالرقم الى مائة ألف مدرسة اسلامية (٣)

ولتجفيف هذه الينابيع الفى الانجليز فى مشروعهم التعليمى جميع مدارس الريف الا ما كان فى كثافة سكانية معينة فحرم أبناء الريف من العلم مما جعل منظمة " اعادة تثقيف الهند " تهيب بالدولة عام ١٨٥٣م باقامة البديل لتلك المدارس فكتبت تقول : " أقام الهنود أيام سلطانهم مدارس متنوعة لكل كثافة طلابية غير أنا قطعنا الصلة بين القرية والمدينة بهدم نظام البلديات الذى تسبب عنه حرمان أبناء تلك المناطق النائية من التعليم ولم نقم بديلا لتلك المدارس القديمة ". (٤)

هـ ـ امعانا فى التنكيل بالثقافة الاسلامية والنيل من حامليها سمحت الدولة لمن ألح عليها بالتوظيف فى اداراتها من أبناء الأسر الكريمة ، فاستخدمتهم كفراشين وحراس ترغيبا عن التعليم فى تلك المدارس النظامية (٥) وانقلب الحال ظهراً لبطن بعد بركان الثورة عام ١٨٥٧م فنفى أشهر معلمى هذه المدارس والعلماء الذين تلقوا علومهم على الدرس النظامى الى جزر أندمان ومنهم من لقى ربه على حبل المشنقة ، وحول المتغلبون كثيرا من هذه المدارس الى مرابط الخيل وسكن الجنود، وذكر شاهد العيان الشيخ عبدالحى الحسنى أن مدينة دهلى وحدها شهدت طمس ما يربو على واحد وعشرين مدرسة مشهورة من الدرس النظامى أيام الثورة ، منها ما أزيل انقاضها ومنها ما حول لغير أغراض التعلم . (٦)

ونتيجة لهذه الضربات المتتالية أخذ عدد المدارس النظامية

---

(١) انظر سلاطين هندكى علم بروري ص ٢٩. (٢) انظر مسلم ثقافت ص ٦٧٥ .
(٣) انظر سلاطين هندكى علم بروري ص ٢٨ . (٤) مسلمانون كاروشن مستقبل ص ١٦٢ .
(٥) انظر مسلمانون كاروشن مستقبل ص ١٨٣. (٦) انظر الهند فى العهد الاسلامى ص ٤٢٩ .

ينقص كل سنة عن التى قبلها وتبع ذلك نقص المقبلين على قاعاتها حتى انتهى الوضع الى نقطة تنذر بالابادة التامة واقتلاع التعليم من صفوف المسلمين (*) فهب المخلصون من أبناء الاسلام ينعمون النظر فى مسيراتهم وما ستلاقيها من المستقبل المظلم فى القريب العاجل ، فمنهم من اقترح الأخذ بيد الأمة الى ساحل النجاة بالاغتراف من الثقافة الغربية واستثمار ما تنوى الدولة بذره فى الهند [1] .

وتجرأ آخرون فضحوا بأموالهم وجهودهم لانقاذ العقيدة الاسلامية وحيازة المفيد الصالح من منهج الشيخ نظام الدين وتطويره فوضعوا حجر الأساس " لدار العلوم ديوبند "التى يتبعها فى المنهج الاف المدارس العربية اليوم فى كل من باكستان والهند وبنجلاديش .

دار العلوم ديوبند (*) ومنهجها التربوى والتعليمى :

بوزت فكرة اقامة مدرسة للعلوم الاسلامية نتيجة الهجمات المبيدة من الدولة المستعمرة تجاه الثقافة الاسلامية ، فلم يمض على فشل الثورة عشر سنوات حتى هب المخلصون من حملة الاسلام لدراسة فكرة " المدرسة العربية الفارسية الرياضية " حفظا للعلوم الدينية من الفناء وابقاء للتراث الاسلامى حيا ينهض ويلبى حاجة المسلمين العاجلة والآجلة فاثمرت الجهود المباركة يوم ١٢٨٣/١/١٥ هـ (١٨٦٧م) حين اجتمع أمثال الشيخ محمد قاسم النانوتوى والسيد محمد عابد ومولانا ذو الفقار على والشيخ فضل الرحمان لوضع حجر الأساس لهذه المدرسة . [2]

ولخص أهداف المدرسة تلميذها الأول الشيخ محمود الحسن شيخ الهند فقال : " اسست هذه الادارة ـ المدرسة ـ بعد فشل المجاهدين عام ١٨٥٧م لتقوم بتربية أفراد يتداركون الهزيمة الماضية " [3] وأثبت تقرير رولت أن حركة " الرسائل الحريرية " [4] التى كانت تمنى

(*) انظر ريورت مجموعى (الاحصائية السنوية للدولة) عن عام ١٨٦٠ ـ ١٨٦١م ص ٤٠ وذكرت الاحصائية أثناء معرض مقارنتها بين العامين التعليميين الحالى والمنصرم فقالت : "ان عدد الطلاب نقص بمقدار خمسة الاف طالب وأن عدد المدارس نقص بمقدار ثمان عشرة مدرسة كل ذلك فى منطقة البنجاب وقس على ذلك بقية المناطق .

(١) وعلى رأس هؤلاء السيد أحمد خان وحركة عليكره العلمية وسيأتى الحديث عن ذلك قريبا .

(*) اسم قرية تقع شمال دهلى على مسافة ١٤٤ كم .

(٢) انظر سيد محبوب رضوى تاريخ ديوبند ص ٢٢٠ .

(٣) مجلة محور ص ٨١ العدد الخاص عن التعليم عام ١٩٧٧م .

(٤) وسميت بذلك اذ أن مراسلاتها كانت تكتب على الحرير الأصفر امعانا فى الكتمان على الدولة المستعمرة .

طرد الانجليز من الهند بالهجوم المباغت على الحدود الهندية الأفغانية بعد تكوين اتحاد بين أفغانستان وتركيا واشعال ثورة عامة داخل الهند أتت كثمرة لجهود علماء الاسلام في دار العلوم ديوبند .(١)

واقتضى تخطيط الحركة عام ١٣٢٧ – ١٩٠٩م اقامة جمعية الأنصار ، ثم نظارة المعارف ، فتشكيل الجيش باسم حزب الله " يقوده أحد تلامذة شيخ الهند " ، وتمت الاتصالات بين الحركة وألمانيا على أرض كابل واستحكمت الحلقة عند انشغال بريطانيا فى الحرب العالمية الأولي وكادت المياه تعود الى مجاريها الطبيعية لولا وقوع احدى المراسلات المهمة السرية فى أيدى الانجليز عند اداء الشيخ محمود الحسن فريضة الحج فطلب المستعمرون من صديقهم الشريف حسين حاكم مكة القاء القبض على الشيخ وأنصاره ، ودفعهم الى الحامية البريطانية فامتثل الشريف للأمر وألقى القبض على الشيخ فى ١٣٣٥/٢/٢٣ هـ / ١٩١٦م وأسلمه مع زملائه الى الحامية فى جدة ومن ثم نقلوا الى القاهرة فجزيرة مالطة .(٢)

وتلك آخر محاولة قيادية مسلحة من علماء الاسلام حاولوا من خلالها طرد الدخلاء بالقوة ، فلما خاب أملهم اتجهوا صوب التعليم وتأسيس المدارس الدينية حفاظا على العقيدة الاسلامية من جهة وصيانة لأفلاذ كبدهم الذين أخذوا يتجهون الى تلقى العلوم الغربية بنهم من جهة أخرى فحاولوا تكييف المنهج حتى يتلائم مع الظروف الراهنة فجاء منهجهم التعليمى يلم من ما يحتاج اليه المسلم تحت حكومة غير مسلمة .

ومنعم النظر فى منهج ديوبند فى الأيام المبكرة لا يشك فى أن واضعية لم يهدفوا الى صيانة العلوم الدينية فحسب بل هدفوا الى توسيع الأفق وتلقى كل مفيد حتى تعليم الحرف المهنية فترى الطالب آنذاك يتعلم الخط وتجليد الكتب والخياطة وعمل النسيج وأسس علم الطب ... ليكسب قوته عن غير طريق التعليم ، بيد أن هذا النوع من التعليم ظل محدودا ومحصورا لأوضاع المسلمين القاسية ، وخيل الى من خلف الواضعين رغم تبدل الأوضاع أن هدف الدار ينحصر فى التعليم الدينى دون التعليم المعيشى ، فلم يعملوا لتطويره بما يجعله يساير ركب الحياة ويتفاعل مع متطلبات العصر . فأخذ أحد هوفى التعليم الديوبندى يضمحل شيئا

---

(١) انظر تاريخ ديوبند ص ٢٣٤ .

(٢) انظر سيد أصغر حسين حيات شيخ الهند ص ٨٠ وتاريخ ديوبند ص ٢٣٤ .

فشيئا حتى كاد أن يتلاشى ويختفى عن الأنظار .

وسارت ديوبند تشق طريقها ، فى منهج تدريسها على طريقة المدارس القديمة حيث يبدأ الطالب بتلقى العلم فى كتاب معين فاذا انتهى منه انتقل الى غيره حتى يختم الكتب المقررة فى المنهج وكثيرا ما انتهت مدة الدراسة على هذا المنوال فى تسع سنوات قمرية× غير أن مجلس الشورى بديوبند قرر عام ١٣٩٠ هـ ايقاف التعليم على هذا المنوال وادخل نظام الجدول المدرسى ودراسة أكثر من مادة فى اليوم الواحد ، كما قرر دراسة العديد من الكتب الحديثة لم تكن فى المنهج من قبل ، مضافا الى ذلك فتح أربعة تخصصات فى التفسير والدراسات الاسلامية والأدب العربى ، والعلوم العقلية من المنطق والفلسفة . (١)

ومنهج ديوبند الحديث يقسم التعليم الى أربع مراحل :ـ ابتدائية ومتوسطة وأعلى وتكميل " . وطالب المرحلة الابتدائية بسنواتها الأربع يتلقى دراسة القرآن الكريم بالنظر وشيئا من الفقه والعقيدة والسيرة والتاريخ والحساب والجغرافيا باللغة الأردية ، ويعقب هذه المرحلة مرحلة اللغة الفارسية ومدة الدراسة فيها أربع سنوات يتلقى الطالب خلالها اللغة الفارسية وآدابها ، وينتهى بدراسة مبادئ النحو والصرف والأدب العربى مضافا الى ذلك دراسة جميع مواد المنهج الابتدائى ، ماعدا العقيدة ، ومن ثم يعبر الى الهدف المنشود من دراسة ديوبند فيدرس فى المرحلة العليا بسنواتها الثمانية ثلاثة وعشرين فنا .

وتنقسم هذه المواد الى قسمين عالية ـ أساسية ـ وآلية ـ موصلة ومعينة لفهم تلك العلوم الاساسية ـ وتنحصر الأولى فى التفسير وأصوله والحديث وأصوله والفقه وأصوله والعقائد والفرائض والتجويد وتضم الثانية الصرف والنحو والأدب والمنطق والتاريخ والجغرافيا والحضارة والعلوم وبعض أبواب دستور الهند والفلسفة وعلم المعانى والبيان والخط واصول

---

(١) انظر مجلة الرشيد العدد الخاص عن دار العلوم ديوبند المجلد ٨ العدد ٤ ، ٥ لعام ١٤٠٠ هـ .

(٢) انظر مجلة الرشيد العدد الخاص عن دار العلوم ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ ومحمد تقى العثمانى نظرة عابرة حول التعليم الاسلامى فى باكستان ص ٢ .

الصحة العامة [1] وتخصص السنة الأخيرة من هذه المرحلة للمرور على أشهر كتب السنة ويطلقون على ذلك اسم " دورة الحديث " وتشمل كلا من صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى وأبى داود والنسائى وابن ماجة وشرح معانى الآثار وشمائل الترمذى والموطأين للامام مالك والامام محمد صاحب أبى حنيفة رحمه الله .

ويدرس الطالب فى التفسير وأصوله ترجمة القرآن وتفسير الجلالين والبيضاوى فيما يتصل بالنصف الأول من سورة البقرة والفوز الكبير وتلخيص الاتقان ، وفى الحديث وأصوله يدرس مشكاة الآثار والفية الحديث وشرح نخبة الفكر ، وفى العقيدة يدرس الطحاوية والنسفية وفى الفرائض السراجى ،وفى الفقه وأصوله يدرس نور الايضاح والقدورى وكنز الدقائق وشرح الوقاية والهداية وأصول الشاشى ونور الأنوار والحسامى .

ويدرس الطالب فى الصرف القاعدة العربية وميزان الصرف والمنشعب وينج كنج وعلم الصيغة والفصول الأكبرية ،وفى النحو نحو مير وشرح مائة عامل وهداية النحو وابن عقيل ، وفى المنطق تيسير المنطق والمرقاة والتهذيب وسلم العلوم ، وفى الأدب العربى روضة الأدب ومعلم العربية ونفحة الأدب والتمارين العربية ونفحة العرب ومقامات الحريرى وديوان المتنبى ،وفى التاريخ تاريخ الهند وتاريخ الخلفاء ، وفى البيان والمعانى البلاغة الواضحة ، كما يدرس الطالب فى المواد المتبقية مذكرات وضعت من قبل هيئة التدريس . [2]

ويبدو من التقارير التى أحصت المدارس العربية أنها فى ازدياد لا تخلو سنة من تأسيس عشرات المدارس فلم يكن على أرض باكستان قبل الاستقلال سوى ١٤٢ مدرسة وبلغ الرقم عام ١٩٦٠م ٣٩٢ مدرسة ،استحدثت منها ٢٢٦ وهاجر اليها بعد الاستقلال ٢٤ مدرسة [3] عربية ،ووصل الرقم عام ١٩٧١م الى ٨٩٣ مدرسة [4] وذلك حسب احصاء فرد من الأفراد ولكن الرقم فوق ذلك دون شك اذ لم أر اسماء ثلاث مدارس زرتها فى منطقة ديره غازيخان في ذلك الاحصاء .

ومن المرجح أن ما يقارب هذا الرقم من المدارس موجود على أرض بنجلاديش وما يقرب

---

(١) انظر تاريخ ديوبند ص ٤٣٦ .

(٢) انظر مجلة الرشيد العدد الخاص جـ ٢٦٠ و ٢٦١ .

(٣) انظر حافظ نذر أحمد جائزة مدارس عربية اسلامية (استعراض المدارس العربية الاسلامية) ص ٧٣٥ .

(٤) انظر حافظ نذر أحمد جائزة مدارس عربية ص ٦٨٩ .

من المجموعتين قائم على أرض الهند تؤدى وظيفتها التعليمية ، ومن المستطاع تقسيم تلك المدارس العربية الى مجموعتين شيعية وسنية حسب الفكر الدينى الذى يدرس بين قاعاتها المختلفة فالشيعية اما امامية واما اسماعيلية . (×) وتتشعب السنية الى أربعة أقسام ديوبندية وندوية وبريلوية وأهل حديث ، وتتفق كلا المجموعتين فى دراسة أغلب كتب النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفلسفة والطب والعروض والهيئة — علم الفلك — والهندسة وتختلف فيما عداها .

وتركز المدارس الديوبندية على الفقه الحنفى فى موادها المقررة ، ويخلو منهجها ذو السنوات السبع من دراسة أى كتاب من كتب الصحاح الستة ، وما يدرس من كتب السنة فى دورة الحديث فى معظم تلك المدارس يشبه قراءة القرآن من غير العرب الذين لا يعرفون لغته وقد بلغ الرقم لمثل هذه المدارس ٢٣٣ (١) مدرسة تسلك طريق ديوبند مع تغيير يسير فى المواد المدروسة أشهرها مظاهر العلوم بسهارن بور والجامعة العربية الاسلامية بدابهيل ودار العلوم الأشرفية والجامعة النظامية بحيدر آباد دكن فى الهند والجامعة الأشرفية بلاهور والمدرسة العربية ودار العلوم كورنكى الكراتشيتين فى باكستان .

وتفترق المدارس البريلوية عن بقية المدارس السنية فى دراسة كتب العقيدة والتفسير ، اذ لا تبيح مدارسها الا ما كان محببا لما دعا اليه السيد أحمد رضا خان (×) وأغلب المسلمين في شبه القارة من اتباع هذه الطائفة بيد أن نشاط مدارسهم محدود فلا يعد وعددها نسبة الثلث الى المدارس الديوبندية (٢) كما أن فقرهم فى التصنيف والتأليف شئ مكشوف اذ كل ما يدرسه أبناء تلك المدارس من الشروح والحواشى على الكتب المقررة هى مما ألفته ايدد يوبندية ومن هنا ظلت مجلة " باسبان " البريلوية تحض اتباعها من العلماء بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٥٦م على انشاء دار مستقلة للتصنيف ، تعمل فى وضع الحواشى والشروح على الكتب المقررة للخلاص من تفسيرات الديوبندية واعادة الثقة الى الطالب البريلوى قبل أن يغزوه سوء الظن وضآلة العلم لمن ينتسب اليهم فى الفكر والعقيدة . (٣)

(×) واجلت الحديث عن تعليم الطائفتين الى الباب الأخير لجمع أطراف الكلام فى مكان واحد .
(١) انظر جائزه مدارس عربية ص ٨٠٥ .
(×) وهو غير السيد أحمد خان صاحب جامعة عليكره ، وسيأتى الحديث عنه فى الباب الأخير .
(٢) انظر جائزة مدارس عربية ص ٧٩٩ .
(٣) انظر ابا الأوصاف روحى ديوبندسے بريلى تك (من ديوبند الى بريلى) ص ١٠٨ .

وتتميز مدارس أهل الحديث بوفرة دراسة السنة جبرا للاجحاف الذى تتلقاه فى المدارس الديوبندية اذ الحظ الأوفر فيها للفقه دون الكتاب والسنة ، غير أن الذى لا يرضاه عاقل أن توضع دراسة السنة فى المرحلة الابتدائية وتزداد الكآبة حين ترى اشتداد مدرس الحديث على مسائل الخلاف بين الحنفية وأهل الحديث كرفع اليدين فى الصلاة والجهر بالتأمين والصلاة حاسر الرأس والطلاق بالثلاث ... وبلغ عدد المدارس الحديثية هذه فى احصائية الحافظ نذر أحمد الأخيرة خمسا وخمسين مدرسة بباكستان [1] وما يقرب من هذا العدد فى بنجلاديش ويربو عليه قليلا فى الهند أشهرها الجامعة السلفية بفيصل آباد فى باكستان ، والجامعة السلفية ببنارس ، والمدرسة الأحمدية بلهرايا سراى دربهنگة فى الهند ، [2]

دار العلوم ندوة العلماء ومنهجها التعليمى :

ونتيجة للنزاعات المحتدمة بين المدارس العربية من ديوبندية وبريلوية وأهل حديث وتقسيمها المسلمين الى نحل وطوائف مع عدم كفاءتها فى اشباع رغبة الطلاب العلمية وخلو منهجها من العلوم العصرية من ناحية ، ووجود كليات وجامعات عصرية لاتقيم للتعليم الدينى وزنا ولاتلتفت الى رغبة المسلمين أى التفات ، نزع الدين من منهجها انتزاعا عن قصد أو من غير قصد ... كل ذلك حفز علماء الاسلام الغيورين على التفكير فى وضع حد لهذا النور وتضيق شقة الخلاف بين الكلية والمعهد فبرزت مساعى هؤلاء البررة عام ١٣١١ هـ فى صورة ندوة العلماء التى ضمت جميع قادة النحل المسلمة وفتحوا باب المشاركة لجميع من ينتسب الى الاسلام لإلتئام الشمل ورأب الصدع ، ووضعوا نصب أعينهم اصلاح مناهج التعليم فى المعاهد الديوبندية حتى تواكب الحياة فتجمع بين علوم الكتاب والسنة والعلوم الحديثة وبرزت الفكرة بعد عمل سنتين دائبتين فى صورة تأسيس دار العلوم عام ١٨٩٥م ، كمعهد يتوسط بين الجامعات العصرية والمدارس الدينية العتيقة .[3]

---

(١) انظر جائزة مدارس عربية ص ٨٠٦ .

(٢) انظر المسلمون فى الهند ص ١١٩ .

(٣) انظر مراكز المسلمين التعليمية ص ٣٧ .

وتنقسم المراحل الدراسية بدار العلوم ندوة العلماء الى ثلاثة أقسام — بعد المرحلة الابتدائية — أولاها الثانوية تهدف الى تدريس جميع العلوم والفنون المقررة فى المدارس الثانوية الهندية مع العناية بالعلوم الاسلامية والعربية ، وتليها مرحلة الليسانس وتختص بالدراسات الاسلامية والعلوم العربية مع شئ يسير من العلوم المدنية ، ومدة الدراسة لكل مرحلة من هاتين المرحلتين أربعة أعوام وآخر هذه المراحل هى مرحلة التخصص ومدة الدراسة فيها سنتان يتخصص الطالب خلالهما فى الأدب العربى أو العلوم الشرعية .

وأشهر ما يتبع الندوة فى المنهج المتطور بالهند مدرسة الاصلاح بسرائمير التى أسسها المغفور له المفسر حميد الدين الفراهى عام ١٩٠٩م ، والجامعة الرحمانية بمونجير ، وجامعة دار السلام بعمر آباد ، والجامعة الملية الاسلامية بدهلى قبل أن تتحول الى جامعة مدنية ، وفى باكستان جامعة التعليمات بفيصل آباد والجامعة العباسية ببهاولبور قبل أن تتحول الى جامعة عصرية وفى بنجلاديش المدرسة العالية بدهاكة وما يتبعها من المدارس قبل التعديل الأخير عام ١٩٨٠م .

هذا وقد أملت الأمة فى الندوة أن تلبى حاجة المسلمين فتجمع بين الدين والدنيا لأن — منهجها ظل يخوض معترك التجارب من حين لآخر فتخرج على منهاجها مؤلفون أعادوا كتابة السيرة ونقحوها من الشوائب وما أثير حولها من الشبهات ، وتقدم هؤلاء خطوة الى الأمام فاظهروا موضوعات تاريخية لبث حاجة الأمة الآنية آنذاك . كما أن منهجها ركز على الأدب العربى فغطى حاجة شبه القارة وما ترنو اليه من الترجمة من الأردية واليها ، ولكن ظل الهدف المنشود مفقودا فأين المتخصصون فى العلوم المدنية ، وأين الطالب الذى يمزج بين الثقافتين الدينية والدنيوية الذى رمى الى تخريجه واضعو المناهج الندوية ؟

وآخر المدارس المتطورة منهاجا الملبية لما يحتاج اليه المسلمون من العلوم المدنية والدينية هى مدارس الجماعة الاسلامية فى الدول الثلاث غير أن تأميم الحكومة الباكستانية للمدارس الأهلية فى اكتوبر ١٩٧٢م جاء ضربة قاضية لبارقة الأمل تلك ، وبقاؤها فى بنجلاديش والهند لا يسمن ولا يغنى من جوع لأن الدولتين ترقبان نشاطها عن كثب وتضيقان عليها بكل السبل الممكنة .

وحاولت الدولة فى بنجلاديش قبل الانفصال وبعده كسب المدارس الدينية عموما الى صفوفها وتطوير مناهجها بين الحين الآخر فترى قبل سبتمبر من عام ١٩٨٠م أن الدولة كانت تعادل شهادة العالم من المدارس العربية بالثانوية الدنيا ومرحلة الفاضل بالثانوية

العليا والكامل بشهادة الكلية (B.A.) ولم يأت كل هذا الاعتراف الابعد أن تدخلت الدولة في مناهج تلك المدارس فادخلت فيها الرياضيات والحساب والتاريخ والجغرافيا واللغة الانجليزية والتمارين الرياضية ونتج عن ذلك تكون منظمة المدارس العربية (Madrasah Board) وآخر قرار أصدرته الدولة تشجيعا لهذه المنظمة جاء في أواخر عام ١٩٨٠م حين رفعت الدولة معادلة مرحلة العالم بالثانوية العليا (F.A.) والفاضل بشهادة الكلية والكامل بالماجستير.(١)

ولونظرت الى المنهج المعدل الذى تسير عليه منظمة المدارس اليوم لخلت أنه منهج احدى المدارس الحكومية وأن اطلاق اسم المدارس العربية عليها مخالف لما يدرس في قاعاتها ، اذجل المقررات الحكومية دخلت الى ساحة هذه المدارس بشكل أو بآخر فزاحمت المواد الأساسية للمدارس واثقلت كاهل الطالب وضحت به على حساب مستقبله المنشود ، ومن هنا فضلت أغلبية المدارس العربية عدم الانضمام الى هذه المنظمة رغم تعديلها مناهجها وادراج المواد المفيدة في مقرراتها دون أن تطغى على الهدف من تعليم المدرسة ، ولكن أثناء حرب استقلال بنجلاديش وبعده استشهد الالوف من العلماء — ظلما عدوانا — الذين كانوا عصب حياة هذه المدارس — فاقفرت قاعاتها ونزح عنها طلابها فخلا الميدان للدولة تعمل في تعليم المسلمين .

وزاد الطين بلة حين اشتدت الكوارث الطبيعية على بنجلاديش وما انفكت تغير عليها من وقت لآخر من جدب وفيضانات ورياح مدمرة تهلك الحرث والنسل ، وانصب ضرر هذه الكوارث على المدارس العربية بصورة مباشرة اذ أن المدارس في الدول الثلاث تجمع ميزانيتها السنوية من تبرعات المسلمين وليس لها دخل ثابت منذ سلب الانجليز أوقاف المسلمين التعليمية وما زالت الأيدى المسلمة تفيض بالخير والعطاء بما يفي بنفقات هذه المدارس نظرا لما قدمته وما تقدمه من خدمات تجاه الاسلام . وبلغت مشكلة التعليم الدينى في الهند حد الاستعصاء حين أبى دستورها الاعتراف باللغة الأردية وقررت الولايات الشمالية اللغة الهندية بحروفها السنسكرتية

---

(١) انظر خطة ومنهج الدراسة للمدارس والكليات الاسلامية لعام ١٩٨٠م ص ١ .

كأداة للتعليم وكان الفاؤها يعنى قطع المسلمين عن الثقافة الاسلامية وماضيهم المجيد ، فهب المخلصون من أبناء التوحيد عام ١٩٥٩م فألفوا "مجلس التعليم الدينى" تحت اشراف الهيئات الاسلامية المتنوعة "وهيئة التعليم الدينى" تحت اشراف جمعية علماء الهند ولكل منهما مدارس ابتدائية تربو على ثمانية آلاف مدرسة تغذى أبناء المسلمين بما يحتاجون اليه من الركائز الاسلامية الأساسية .(١)

والجانب المثمر للمدارس العربية الديوبندية وأهل الحديث يتلألأ فى خدمة السنة واستثمار ما جلبه الشاة ولى الله من علم الحجاز حتى شهد لها العالم المسلم بلسان الشكر والتقدير وعبر عن ذلك السيد رشيد رضا حين قال : " لولا عناية اخواننا علماء الهند بعلوم الحديث فى هذا العصر لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق فقد ضعفت فى مصر والشام والعراق والحجاز من القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف فى أوائل هذا القرن الرابع عشر .(٢)

واشترك فى أداء هذه الخدمة المشرفة كل من علماء المدارس الديوبندية وأهل الحديث وان كان الأولون كثيرا ما لووا عنق السنة بالتأويل لتلائم المذهب الحنفى فى الجزئيات الفقهية "و ما فتح اللهم شرح صحيح مسلم وعون المعبود شرح أبى داود وتحفة الأحوذى شرح الترمذى وفيض البارى شرح صحيح البخارى " الا ثمرة دانية من ثمار ذلك البستان المشترك أضف الى ذلك أن الكتاب المجيد كان موضع عناية عند هذه المدارس فترجمه العلماء الى لغة الشعب ووضعوا له حواشى مفسرة وتفاسير مسهبة .(٣)

ذلك وضع التعليم الدينى المصاب الذى مازالت الأمة ترجو منه حمل راية المعرفة مرة أخرى

---

(١) انظر المسلمون فى الهند ص ١٢٩ ومراكز المسلمين التعليمية ص ١٠٠

(٢) مقدمة مفتاح كنوز السنة ص ق .

(٣) انظر للتفصيل فى خدمة أهل الحديث للسنة ابايحى امام خان النوشهروى تراجم علماء حديث هند ص ٢٢ وعلم حديث مين باك هند كاحصة ص ٢٠٢ وفى خدمة الديوبندية للسنة مجلة الفتح جـ ٢٠٥/١٣ .

لتفانى مدرسيه فى تعليم ما يعلمون ، شعارهم فى ذلك البساطة ولين الجانب والاكتفاء بمرتبسات يسيرة تفى بحاجاتهم الضرورية .... ثم إن المتخرج على هذا النظام يكتسب التربية مع التعليم فتنمو فيه المواهب الخيره وتختفى غيرها .

أضف الى ذلك أن هذا الرافد من التعليم مجانى فى جميع مراحله وتقوم المدرسة بتوفـير السكن والعلاج والغذاء والملابس طوال مدة الدراسة واعارة الكتاب المقرر فى المنهج حينا ، وهبه أحيانا ، واعداد الطلاب الذين يرغبون فى أداء الامتحانات لمرحلة معينة من التعليم المدنـى ، ذلك بعض ما تقدمه هذه المعاهد العلمية من الخدمات نحو المجتمع المسلم ، ولننظر الى الشـق الآخر من التعليم وما يقدمه من المدنية والحضارة وما يتمتع به نظامه من صحة ومرض .

بداية التعليم المصرى :

قدم الانجليز الى الهند تجارا يبتغون الربح والنماء لثرواتهم المتنوعة واقتضى الحال مـن بعضهم أن يمكثوا بالهند العديد من السنوات ومنهم من اتخذها موطنا لرغد العيش (١) وكانـوا كثيرا ما يصطحبون عائلاتهم وأطفالهم خلال المكث والاستيطان ، ومن هنا نشأت الحاجة الـى المدارس لتعليم الأولاد خشية فوات سن التعليم ، وأقدم مدرسة مستقلة انجليزية يعود تاريخهـا الى عام ١٧١٥م فى مدراس وهى أول مدرسة اتخذت اللغة الانجليزية اداة للتعليم دون البرتغالية التى كانت تسود التعليم آنذاك ثم تتابعت المدارس فى بومباى وكلكته حتى عمت كل المناطق التى تحكمها شركة الهند الشرقية .(٢)

ولما تحولت الشركة الى قوة سياسية تسير دفة الأمور فى بعض أجزاء الهند احتاجت الـى أفراد يكونون واسطة بين الحكام والمحكومين ففكرت لأول مرة فى تعليم موظفيها الانجليز اللغـات المحلية وتعليم بعض الهنود ما يؤهلهم للقيام ببعض مهام الشركة فخرجت الى حيز الوجـــود مدرسة كلكة وكلية سنسكرت وكلية فورت وليم الكلكتية فى العقدين الأخيرين من القرن الثامن عشر (٣) ولكن ظل التعليم محدودا أو لغرض معين .

وفى العقد الثانى من القرن التاسع عشر رفع البرلمان الانجليز كل القيود المفروضة على الارساليات

(١) انظر هندوستان مين مسلمانون ... ص ١٦٣

(٢) انظر السيد نور اللموج — ب— ناتك تاريخ تعليم هند (تاريخ التعليم فى الهند) ص ٥٩

(٣) انظر ممتاز منكلورى تاريخ ادبيات مسلمانون باكستان وهند (تاريخ أدب المسلمين فى باكستان والهند) جـ٨/٦٥ ومحمد حسين خان زبيرى ، تاريخ تعليم وتربيت اسلامية " تاريخ التعليم والتربية الاسلامية " ص ى وتاريخ تعليم هند ص ٦١

التنصيرية فسمح لرجالها بالذهاب الى الهند والمكث فيها دون قيد أو شرط ، بل فتح الباب لجميع الارساليات فى العالم تعمل لصالح التنصير كما تشاء [1] وصادف دعاة التنصير النجاح فى الطبقات السفلى من الشعب الغارقة فى سبات الجهل فلم يكن لهم بد من تعليمهم وتهيئتهم للمشاركة فى وظائف الدولة وقراءة الانجيل ، ويوجز نور الله أسباب ايجاد هذه المدارس فيقول : " موجز القول إن الارساليات أدركت أن المدرسة وسيلة من وسائل تبليغ المسيحية ونتيجة من نتائجها وإن التعليم والتنصير يجب أن يسيرا متكاتفين جنبا الى جنب ، وفى ضوء هذا الأحساس أسست مدارس التنصير . [2]

وغطت الارساليات المنطقة بالمدارس حين بدأ يجف النبع الهندي القديم وقبل أن تتحمل الشركة مسئولية التعليم [3] ويبدو الوضع منطقيا اذا عرفنا أن التعليم فى بريطانيا ظل فى الأيدى الكنسية حتى عام ١٨٢٣م [4] كما أن احجام المسلمين عن هذه المدارس كان أمرا طبيعيا اذ كان الوازع الدينى قويا ولم تزل أزمة التوجيه الشعبى فى أيدى العلماء فكشفوا للشعب مكمن الخطير العقدى فى تلك المدارس ، وحثوهم على العمل لاعادة الهند الى أهلها الشرعيين .

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : هل كان الخير فى تطوير النظام القديم أو وضع نظام جديد للتعليم لا يمت الى السابق بصلة ؟ ولعل تجربة بريطانيا ذاتها أفضل مجيب على هذا التساؤل اذ بنت نظامها التعليمى الجديد على النظام القديم بعد تطويره . [5]

وبعد تحمل الدولة فى انجلترا أعباء التعليم شكلت لجنة خاصة استهدفت التحقيق الشامل عن التعليم فى الهند ، وقدمت اللجنة تحقيقها بتوصية تعميم التعليم واحياء قديمه الى جوار الجديد ، فظهرت

---

(١) انظر ميبجردى باسو تاريخ التعليم ص ٢٧٤ .

(٢) تاريخ تعليم هند ص ٦٤ .

(٣) انظر مسعود عالم مجلة الفتح ج ١١ / ٤٩٦ .

(٤) وتشير تقارير هذه الفترة أن عدد الطلاب فى مدارس الدولة لم يعد ثلاثين ألفا بينما طلاب المدارس الارسالية قد تجاوز ثلاثمائة ألف طالب . انظر البروفيسور خورشيد أحمد ، مجلة محور ص ٧٦ العدد الخاص عن التعليم للعام ١٩٧٧م .

(٥) انظر تاريخ تعليم هند ص ١٢٨ .

(٦) انظر تاريخ تعليم هند ص ٥٢ .

على أثر ذلك كلية دهلى للمسلمين عام ١٨٢٩ م بيد أن الوضع ظل على محدوديته اذ لم يكن من صالح الشركة تفريغ الجيوب لصالح التعليم ، وساعدها فى ذلك الوضع الأمنى المتردى الذى هوت اليه الهند فشغل الشعب به عن المطالبة بالمعرفة والتثقيف .

وتخبرنا فتوى الشاه عبد العزيز رحمه الله عن قلق المسلمين تجاه المدارس الحكومية واعراضهم عنها لقوة دينهم من شبهة الولاء بالدوامة لغير المسلمين حين استفتوه عن تعلم الانجليزية فأجاب بما فيه فلاح المسلمين فقال : "يجوز تعلم الانجليزية والكتابة بها على أن ذلك أمر مباح لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود والنصارى ، وان كان يقصد من وراء التعليم التقرب الى أهل اللغة أو أن يختلط بهم فالأمر لا يخلو من الحرمة أو الكراهة.(١)

وفصل رحمه الله أمر التوظيف لدى النصارى فقال " الخدمة لدى النصارى بل عند جميع الكفار على أقسام فإن كان المقصود من الخدمة اقامة الأمن وانصاف المظلوم واقامة الجسور ... ونحو ذلك فلا شك فى جواز هذه الخدمة بل فى استحبابها لأن يوسف عليه الصلاة والسلام طلب من ملك مصر الكافر ذلك ، وإن كانت الخدمة تؤدى الى اعانة الظالم وارتكاب أمور مخالفة للشرع كالجندية والتحرير وتعظيم الكفار وتذليل نفسه فلا شك فى حرمتها وان كانت تؤدى الى قتل المسلمين أو القضاء على امارة مسلمة أو البحث عن مكمن الطعن فى الاسلام فلاجزم أن مثل هذه الوظيفة كبيرة من الكبائر تكاد تكون كفرا . "(٢)

توصية اللورد ميكالى التعليمية :

وفى ضوء هذا الاستفتاء سارت سياسة المسلمين فى التعليم والخدمة فاحجموا عن تعلم الانجليزية وتولى وظائف الدولة للواقع الذى كان يسود الدائرتين آنذاك ،(٣) وعملت توصية اللورد ميكالى التعليمية عام ١٨٣٥م على مزيد من احجام المسلمين عن ارتياد تلك المدارس ، حين

---

(١) فتاوى عزيزى ص ٥٧١ .

(٢) " " ص ٥٧٢ ، وراجع أيضا فتوى مؤسس جماعة التبليغ المشابهة بفتوى الشاه بهذا الصدد فى ملفوظات حضرت مولانا محمد الياس " اقوال محمد الياس " جمع محمد منظور نعمانى ص ١٧

(٣) انظر للتفصيل شاهد حسين رزاقى سرسيد اور اصلاح معاشرة (سيد أحمد وجهوده الاجتماعية) ص ٦٢ .

برر ميكالى عدم انفاق المبلغ ٠٠٠ر١٠٠ روبية ه المخصص لتنمية الأدب العربى والسنسكرتى بقوله " انى على استعداد لاحمى جانب الدولة من جميع الجهات وأن أخدمها فيما يرغبها لدى الشعب غير أنى أرى بعين البصيرة أن ما وعدت به الدولة من التنمية للأدب هى تنمية للغات فاسدة ولا ترتبط بالحقيقة والواقع بأى رباط " (١)

وتعتبر توصية اللورد ميكالى الركيزة الأساسية لنظام التعليم الذى تنتهجه الدول الثلاث حاليا باختلاف يسير ، فلقد حددت التوصية هدف التعليم ولغته ، وموقفها من اللغات والآداب الأخرى ، فترى ميكالى يبرر الغاء علوم الدين من منهج التعليم بقوله : " وما دمنا قد حللنا العقدة المستعصية المتعلقة باللغة التى يجب أن تدرس بها العلوم ... وما دمنا احرارا فى اختيار المواد التى تدرس بالعربية فهل سنقوم بتلقين العلوم التى تعارض علومنا والتى حكمنا بسخفها وأنها حديث خرافه وأساطير الأولين " . (٢)

ويحدد ميكالى الأغراض المتوخاة من التعليم فيقول : " أنا لن نستطيع أن نهيئ الوسائل اللازمة لتعليم جميع الهنود ولكن يجب منذ اليوم أن نسعى فى تخريج طبقة مثقفة تستطيع القيام بدور الترجمة عنا وتكون همزة وصل بيننا وبين الشعب المحكوم ويجب أن يخرجهم التعليم هنودا شكلا ولونا وغربيين فكرا وثقافة واخلاقا ، ثم نترك لهم الحهل على الغارب لتنمية لغاتهم وتثقيف شعوبهم وتعليمهم العلوم الغربية " . (٣)

وفى ضوء هذه التصريحات تشكل النظام الجديد فقد أصبحت الانجليزية لغة التعليم منذ ذلك اليوم ترمى الى نشر الثقافة والعلوم الاوربية ، وفوز ميكالى فى تقرير لغة التعليم كان فوزا فى الواقع لمدارس التنصير اذ كانت الانجليزية اداة التعليم فى تلك المدارس (٤) ثم لم يمض زمن طويل حتّى اتحدت أغلب المقرات الحكومية والتنصيرية وظلت كفة الانجليزية راجحة حتى العقد الثالث

---

(١) ميكالى كانظرية تعليم ص ٤٣ .

(٢) " " " ص ٥٢ .

(٣) " " " ص ٦٩ .

(٤) وسبق كرانت ميكالى فى اقتراح الانجليزية كأداة للتعليم حين قرر عام ١٧٩٢م أن الحل الوحيد لاخراج الهنود عما هم فيه هويث المسيحية بينهم وربطهم فى وحدة اللغة الانجليزية عن طريق التعليم انظر تاريخ تعليم هند ص ٧٩ — ٨٠ .

من القرن العشرين حين أخذ الوضع يتحول الى صالح اللغات الهندية فى المرحلة الابتدائية والمتوسطة .(١)

ويعتبر تعهد الدولة بمد يد العون الى هذا المرفق من التعليم وتحويل الأموال المعلن انفاقها على احياء الآداب المحلية وسد جميع أبواب التوظيف إلّا هذا الباب مع محاباة الدولة للهندوس على المسلمين ومنحهم الأولوية فى جميع شئون الدولة وعدم مراعاة الشعور الاسلامى من قبل منهج التعليم سببا أوليا لتخلف المسلمين فى التعليم الحديث (٢)

موقف السيد أحمد خان من التعليم :

وأتت حرب التحرير عام ١٨٥٧م لتكمل الحلقة فحملت الدولة مسئوليتها المسلمين وكادت أن تستأصل شأفتهم وتبيدهم من ظهر الأرض ، وتردى الوضع الى حد أنه لم يبق من يجرؤ على استنكار الاعدامات الجماعية فضلا عن أن يتكلم عن حقوق المسلمين ، غير أن قدر الله كان على غير ما أرادوا اذ برز فى هذا الجو الرهيب السيد أحمد خان وأظهر للمسئولين أن تبعة الحرب تقع على عاتق الدولة أكثر من الشعب حين حرمته لقمة العيش الشريف بل حملها جل مسئوليات الحرب فى كتابه " اسباب بغاوت هند " ـ أسباب الثورة فى الهند وقوبل الكتاب باستحسان بين الأوساط الانجليزية المسئولة نظرا لما تضمن من اقتراحات تحسم النزاع بين الحكام والمحكومين وتضع اللمسات الاساسية التى تجعل الدولة مقبولة لدى الشعب وتروض الهنود على الخضوع والطاعة .

وعمل كهذا فى جو ملتهب كان كفيلا باكتساب احترام المسلمين فتمكن حب السيد من قلب أغلب المسلمين فى تلك الفترة حتى اعترفوا له بالزعامة وازدادوا به تعلقا حين أخذ يتكلم عن شئون المسلمين التعليمية على حدة، مقترحا ادماج بعض علوم الشرع مع العلوم العصرية الحديثة فى المراحل الدراسية حتى غر المهتمون بشئون المسلمين باقتراحاته ،ومن المستطاع تقسيم أعمال السيد العلمية

---

(١) انظر تاريخ تعليم هند ص ٣٢٥.

(٢) انظر ارنولد تونبى مختصر دراسة التاريخ جـ ٢٩٧/٣ . والهند خلال العصور ص ١١٣ .

نحو ملته الى فترات ثلاث . تبدأ الأولى بكتاب " جام جم " — تاريخ سلاطين المغول ، واستغرقت سبعة عشر عاما تراه خلالها مسلما مدافعا عن آراء العلماء يرد على ما ظهر من النظريات غير الموثوقة فضلا عن التمسك بأبسط أحكام الدين فما " قَولِ مَتِين دَر ابْطَالِ حَرْكَتِ زمِين — القول الفصل فى أبطال حركة الأرض — الاجزء من تلك المجموعة التى حوت بضعة عشر مؤلفا تدور جميعها حول تأييد الآراء العلمية السالفة ورفض المستورد الحديث .

وتبدأ الثانية بفشل حزب التحرير وتمتد الى ما قبيل سفر السيد الى انجلترا عام ١٨٦٩م ،وتتميز مؤلفات هذه الفترة بمحاولة التأليف بين الحكام وبين المسلمين بل بين الاسلام والمسيحية وأهم مؤلفاتها : " تبين الكلام فى تفسير التوراة والانجيل على ملة الاسلام . وأحكام طعام أهل الكتاب وتحقيق لفظ نصارى " فتراه خلال مؤلفات هذه الفترة محاميا عن الحكام مدافعا عن كل ما يقولون ، يحاول ايجاد جسر تستطيع الأفكار الغربية عبوره ليصطبغ الاسلام بصبغتها . وأخذت الثالثة الجزء الأكبر من حياة السيد العلمية وقد امتدت الى الوفاة عام ١٨٩٨م ، وتميزت هذه الفترة بأمور أهمها :

١ — الكره الشديد للعلوم الشرقية والنقد اللاذع لمتعلميها فقد حصر السيد التعليم الشرقى فى تلقين السلام والجلوس بأدب ووقار وأن من تجاوز ذلك من المتعلمين واكتسب القراءة والكتابة عد من النخبة الممتازة المثقفة ، وإن تمكن من دراسة بضعة كتب عتيقة وضع اسمه فى قائمة علماء العالم ، وإن صادف أن درس بعض كتب الفقه والحديث وخنقته بعض التعصبات المذهبية ولاح على جبهته أثر الصلاة عدت مرتبته فوق مرتبة التابعين — رحمهم الله — (١)

فحين أعلنت الدولة فى أوائل التسعينات عزمها على تحويل كلية لاهور الى جامعة عصرية تشمل خطتها التعليمية تدريس بعض العلوم الشرقية نرى السيد يشمر عن ساق الجد لمحاربة الفكرة بواسطة مجلته " تهذيب الأخلاق " ويحمض على الالغاء قائلا " أى الثمرات جنينا من كلية لاهور حتى اليوم ؟ ولن تجنى منها ثمرة بعد التحويل واحياء العلوم العفنة ، ولا شك أن الكلية ظلت سدا تحجزنا عن التقدم والرقى وستكون حجر عثرة فى طريق تقدم الأمة والوطن بعد أن تنضم الى قائمة الجامعات بل ستكون بشير الموت وهلاك الأمة جمعاء . (٢)

ويصل حب السيد لمسلة الغرب حتى ليفضل المسيحى على المسلم فى كل شئ حتى اخراج الحروف من مخارجها فما أن مر بمصر فى رحلته الى لندن حتى

---

(١) انظر مقالات سرسيد جـ ٨/ ٢١ . (٢) مقالات جـ ٨/ ٣٧ وانظر جـ ٨/ ٤١ .

كتب مقارنا بين صوت المسلم والمسيحى المصريين فقال : " ولأول وهلة حين شاهدت المصريين يتحدثون فيما بينهم حسبت أنهم يتخاصمون ، وخيل الىّ أن سقم ذلك التلفظ يعود الى كثرة الحروف الحلقية فى اللغة العربية بيد أنى سرعان ما شاهدت المصرى القبطى يتحدث فاذا رقة ولطف واناقة ودقة أداء فى كل ما يقول فتقع حروفه على السمع كوقوع النسيم على العليل ، وأما نساؤهم فلم يك نطقهن بالحروف العربية الا كـلآلى تنضم بعضها الى بعض لتكون عقدا " .(١)

٢ — وكنتيجة منطقية لتمكن حب الغرب من قلب السيد أحمد خان طلب من أمة الاسلام أن تشارك فى ذلك فمرة يبرر مكمن صدره بقوله : " إن الرقى والمشاركة فى الحكم أخوان شقيقان فاذا فقدت أمة الحكم والسلطة لم يبق طريق لرقيها الا أن تتعلم علوم الفاتحين ولغتهم حتى تستطيع المشاركة فى تسيير دفة الأمور ... ويلزمها أن تأخذ بعاداتهم وتقاليدهم وتعمل كعملهم وتفكر كتفكيرهم فتستطيع بذلك ايجاد حد من التناسب بينها وبين الحاكمين " (٢)

ومرة يبرر موقف الدولة أمام امته حين حرمت المسلمين من أتفه وظائفها لعدم اجادتهم الانجليزية فما أن شاع خبر حرمان أحد المسلمين من وظيفة مساح للأرض حتى كتب السيد يقول : " انا نحبذ اقتراح الدولة عدم اعطاء المناصب لمن لا يجيد الانجليزية وكلما شددت الدولة فى ذلك كان أصلح للوطن والأمة ، وانا نؤمن أن تلك أنفع وسيلة لرقى الأمة والتقدم بها .(٣)

ومن هنا وضع السيد لعلاج الأمة والنهوض بها مشروع الكلية المحمدية الانجليزية الشرقية أو مدرسة العلوم التى تعرف اليوم بجامعة عليكره الاسلامية بعد أن حصر طريق رقى الأمة فى اتباع الغرب واكتساب علومهم ونبذ ما تركوه ، فضم مشروع الكلية معاهد ثلاثة : المعهد الانجليزى ، والمعهد الأردى ، والمعهد الفارسى ، ويبدو من المقارنة بين المواد التى أشار المشروع الى تدريسها فى المعهدين أنهما بمثابة سلم للالتحاق بالمعهد الانجليزى ، وكل ما فى الأمر أن لغة المعهدين هى غير الانجليزية وأن المواد تترجم من لغة الحكام الى لغة الشعب ولغة الدين فى المعهدين .(٤)

أما المعهد الانجليزى فقد فصل مشروع السيد المواد التى يتلقاها الطالب فى قاعاته فجمعها فى قوله " لاحاجة لنا فى البحث عما سنقوم بتدريسه فى هذا المعهد لأن جامعة كمبرج واكسفورد كفيلتان بما نريده لذا يجب علينا اتباعهما والسير على خططهما فى تعيين المقررات وأن ذلك سيفى بحاجة معهدنا الميمون

(١) مقالات جـ ٨ / ١٦٧ . (٢) مقالات جـ ٨ / ٣٧ .
(٣) مقالات جـ ٨ / ٤٦ . (٤) انظر للتفصيل مقالات جـ ٨ / ٨٣ — ٩٠ . (٥) مقالات جـ ٨ / ٨٩ .

ويضيف فيحث الآباء على ارسال أبنائهم الى الكليات الحكومية ومدارس الدولة موهما اياهم أن تلك الدور لا تدرس سوى اللغة الانجليزية وأنها معاهد لاكتساب لغة الحكم دون نقل الأفكار وغزو الناشئة بما لا يرتضيه الاسلام . (١)

ويعتذر السيد عن الدولة لعدم تدريسها علوم الدين فى كلياتها ، ومعاهدها المتنوعة فيقول : "ومن العدل أن نقر من شغاف قلوبنا أن جانب الدولة برئ من جميع الاتهامات فى باب التعليم لأن رعاياها يدينون باديان مختلفة ثم هى تدين بدين يختلف عن دين رعيتها كل الاختلاف لذا لا يسعها ادراج تعليم الدين فى معاهدها البتة . وان المنهج الذى اختارته فى التعليم لا يضاهيه منهج ولا يصل الى مستواه طريقة من طرق التعليم فى خارطة العالم " (٢)

وفى ضوء هذا التفكير أختط السيد أحمد خان منهج تعليم المسلمين بعد عودته من أوربا عام ١٨٧٠م على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها وعلى علاتها ، وتفسير أسس الاسلام تفسيرا يطابق ما وصلت اليه علوم أوربا فى أواخر القرن التاسع عشر غير آبه بأصول العربية والتواتر والاجماع وما ثبت بالسند الصحيح من قول المصطفى عليه الصلاة والسلام بل أخذ يستهين بما لا تثبته التجربة والحس ولم تقره علوم الطبيعة بنظرتها المادية السطحية من الحقائق المغيبة وأمور ما بعد الموت .(٣)

ولم يكن من السهل اقناع المسلمين بالاسهام فى مشروع مدرسة العلوم وغزو الناشئة باسم الدين مع هذه الترهات ، والخضوع الكلى للغرب والتغريب ، فوقف العلماء وحماة الشرع فى وجهه دفاعا عن الدين وعقيدة الألوهية الموروثة من سنن المرسلين ، فاتهموا السيد بالزندقة والخروج من الدين ، ومنهم من جلب فتوى تكفيره من ارض الحرمين ، غير أن الانجليز وجدوا فى المشروع خير معين للقضاء على الشخصية الاسلامية ودين التوحيد

(١) انظر مقالات جـ ٩٢/٨ .

(٢) انظر مقالات جـ ١٠٤/٨ .

(٣) انظر للتفصيل فيما ذهب اليه السيد أحمد خان من النظريات الغربية عن الاسلام / السيد أحمد خان / تفسير الجن والجان على ما فى القرآن ص ٥ ومقالات جـ ١٢٨/١ ، ١٨١ ، ١٦٩ وجـ ١٥٨/٢ ، ١٣٣/١٣ والاستاذ محمد البهى الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٤٢ ونزهة الخواطر جـ ٣٨/٨

فأسرعوا فى الاسهام فيه بالبذل والعطاء ، وتوظيف المتخرجين من قاعاتها ، ومنحهم المناصب القيادية لسوق الأمة المسلمة الى هوة التغريب .

ومن الصعب تصديق السيد وامثاله فى تأخر المسلمين ابان حياته فى ميدان التعليم ، لأن تقارير الدولة تعترف بأن التعليم ظل فى أيدى المسلمين حتى عام ١٩٠٨م ، ويتحسر تقرير البنجاب لعام ١٨٥٧م على ذلك فيقول : " إن ميدان التعليم فى الأيدى المسلمة ، حيث نرى جل المدرسين من المسلمين ، والغريب حقا أن الطلاب الهندوس يدرسون الفارسية على المسلمين بشغف ٠٠٠٠ وينبغى وضع حد لهذا الخطر "(١)

ويصرح آخر التقارير عن عام ١٩٠٨م أن نسبة المسلمين فى الهند ٤ر١٠٪ غير أن ٨٣٪ من طلاب الكليات و ٤٥٪ من طلاب المدارس الثانوية و ٤٢٪ من طلاب المدارس الا بتدائية من المسلمين .(٢)

ويبدو أن الامر بيّت ليلا ، وأن ضجة التأخر لم تكن صادقة بل غطيت بالدعاية الواسعة حتى ظن المسلمون أنها حقيقة فأخذوا يتقبلونها كواقع محزن ، وبدأوا ينخرطون فى سلك التعليم الحديث الذى يمكن أيجاز اهدافه فى النقاط التالية .

أهداف التعليم عند الانجليز

١ ــ أول هدف رمى اليه مخططو التعليم فى الهند هو : أن يكون التعليم عاملا أساسيا لاخماد الجذوة التى يخشى اشتعالها بين الحين والآخر لطرد الدخلاء والمغتصبين ، فوجه التعليم لازالة الجفاء وتحويل الأفكار من الكره والبغض الى الولاء والاذعان (٣) وقد اعترف بهذه الحقيقة هنتر فاقترح على الدولة قائلا : " فى نظرى لو أن الدولة أقامت خمسين مدرسة واستخدمت مدرسين مسلمين وتحملت نفقاتهم فى شرقى البنغال لتحولت أفكار الناس من الكره والنفرة الى المحبة والولاء خلال جيل من البشر ولزالت جميع تلك الضغائن الموروثه لنظامنا الحاكم "(٤)

---

(١) مسلمانون كاروشن مستقبل ص١٩٤ .

(٢) مهدى على خان كريتر ممالك محروسة " تقويم المستعمرة البريطانية " ص ١٣٧

(٣) انظر كأمثلة واقعية لذلك ، نخبة من المفكرين ، محاضرات محمدن ايجوكيشنل كانفرس (مؤتمر التعليم المحمدى) ص ١٩١ المنعقد فى ١٨٩١/١٢/٣٠م والسيد مصطفى على بريلوى انكريزون كى لسانى باليسى (سياسة الانجليز اللغوية) ص ٦٥ .

(٤) همارے هندو ستانى مسلمان ص ٣٠٣ .

(ويقول فى موضع آخر) " وانى لعلى ثقة بمجيئ ذلك اليوم الذى ستثمر فيه طريقة تعليمنا الحديثة التى آتت الآثار العكسية الى الآن غير أنها ستكون أول لبنة فى ولاء المسلمين ونزع التعصب الدينى من قلوبهم ". (١)

ب ـ لتمكين السلطة وصرف الأنظار عن الحكم إثار الانجليز بواسطة الموضوعات التعليمية عداء مستحكما بين المسلمين والهندوس متهمين حكام المسلمين الذين فتحوا الهند بالتعصب والجنون المذهبى ، واجبار الناس على اعتناق الاسلام مما نتج عنه الكره الشديد للحكام السابقين ، ومن ثم العراك بين الشعبين وعملت بذلك سياسة فرّق تسد ، عملها فحكموا البلاد بعد زرع الفرقة بين أهلها (٢) يقول سرجان مينارك أحد أعضاء برلمان البنجاب " لا يخفى على من أنعم النظر فى الهند أن العداء مستحكم الآن بين الهندوس والمسلمين ولولا وجود هذا العداء لما قامت لنا دولة ، ومما لا غبار عليه ان الخصام لم يصل الى ما وصل اليه الا فى عهد دولتنا الرشيدة رغم أن سلاطين الاسلام ساقوا الشعب بسوط القهر من فرض الجزية وذبح البقر وعقاب المناوئين .... وإن الاحساس بالتفرقة والشعور بالكره لم يبلغ حدهما الأقصى الا بنشر التعليم " (٣)

ج ـ احتاج المستعمرون لتيسير دفة الحكم فى الهند الى طبقة تقوم بدور الوساطة بينهم ومن الشعب وكان من الطبيعى أن تتعلم الأقلية لغة الأكثرية ، فبذلت شركة الهند جهودا ما تزال آثارها تشاهد على رفوف المكتبات حتى اليوم من معاجم وقصص مترجمة .... لذلك دفعت العديد من عمالها الانجليز الى اكتساب اللغة الهندية ، بيد أن جهودها ذهبت ادراج الرياح لكثرة التكاليف المالية ، التى لم يكن من صالح الشركة تحملها ـ وترفع الانجليز ورغبتهم عن تعلم لغة شعب محكوم ، وهذا ما جعل الشركة تعيد النظر فى منهج التعليم لاعداد الطبقة المترجمة ، فوضعت خطة تكفلت باخراج هذه الطبقة ، وما زال ايجاد أمثال هؤلاء مطمح التعليم .

---

(١) همار هندوستانى مسلمان ص ٣٠٢.

(٢) انظر مسلم ثقافت ص ١٠٣ .

(٣) نقلا عن علماء حق اوران كے مجاهدانه كارنامے ص ١٠ ــ ١١ .

يقول السيد أحمد خان ضمن الأسباب الداعية لفتح مدرسة العلوم : "لن يجد المسلمون المناصب العليا لدى الدولة ، ولن يكونوا ذوى مكانة مرموقة من الطبقة النبيلة حتى يتقنوا الانجليزية ٠٠٠، وليس أمام المسلمين طريق لاكتساب المناصب الا ذلك" (١) وما زال التعليم قائما على ما كان ، لا يهدف الا لشغل منصب من المناصب ، ومن ثم اتجهت الجامعات اتجاها أدبيا محضا ، وسيطرت عليها نزعة التوسع فى الآداب فخرجت عددا لا يستهان به من الاداريين ، ولم تخرج بطبيعة الحال رجالا مبتكرين فى علوم الهندسة والميكانيكا والكمياء والصناعات المفيدة التى كان الشعب فى شبه القارة فى أمس الحاجة اليها . (٢)

ف — استحكمت سلطة الانجليز على الهند فى أوائل القرن التاسع عشر حين كانت أوربا فى أوج مدنيتها ، وفى ريعان الصناعات . والمكتشفات الحديثة ، أثر فوز العلم وانهزام الكنيسة أبعد الخالق والمدبر الحكيم من جميع الابحاث العلمية كرد فعل للكبت الكنسى وسلطة الرهبان على الناس فساد الالحاد جميع ميادين التعليم وخلا الجو للمكتشفين كى يثأروا لأنفسهم من المعابد التى سلبت حرياتهم باسم الدين والنيابة عن الرب ، فاعلنوا للناس بملء فيهم عدم وجود يد تدير شئون العالم بل عدم وجود موجد للكون أصلا ومن هذا المنطلق تأسست العلوم الحديثة على التجربة والحس والادراك الملموس ونكران كل مالا تثبته الاختبارات المعملية من الأمور الغيبية وشئون بعد الطبيعة ، ونقلت المعاهد الغربية قوانين المادة وشمل المكتشفات الى العالم بهذه الروح فغيرت مجرى أحداثة بمعاملها المخبرية . (٣)

وعلى هذا الأساس بدأت العلوم الطبيعية تدرس فى العالم كله بروح الغرب الملحدة ، ومن هذا المنطلق الالحادى شقت "الجامعة الاسلامية بعليكره" طريقها لتدريس العلوم ، ودفعت المسلمين دفعا لتلقيها كحل مؤقت لمشكلة التعليم ، ولم يكن منهجها يختلف عن منهج جامعات — الدولة فى شيء الا فى تدريس بعض العلوم الدينية ، رغم عدم توافقها مع الجو العام للدراسة

(١) مقالات سر سيد جـ ٨ / ٨٣

(٢) انظر ملفوظات ص ١٧ ومناظر أحسن كيلانى مسلمانون ، كانظام تعليم وتربية .

(٣) انظر الاستاذ محمد سليم ، مغربى فلسفة تعليم كاتنقيدى مطالعة نظرة فحص فى فلسفة التعليم الغربية ص ٢٦ ومسلمانون كاروشن ٠٠٠ ص ١٦٥ وحاضر العالم الاسلامى جـ ٤ / ١٨١

فى الجامعة التى أخذت الاتجاه المادى الالحادى من الغرب فالفلسفة الحديثة تقوم على القــــول بوجود الخلق من غير موجد والعلوم تخضع للحس دون الغيب والتاريخ والسياسة والاقتصاد والقانون ... كلها تختلف من الأصول الى الفروع عن أصول الاسلام ثم الجو الجامعى لُوِّنَ بلون التغريــــب فى اللباس والاكل والشرب والعادات الاجتماعية وميادين اللعب ومعاملة الطلاب بعضهم لبعض.. فهل يعقل تخرج من يحمل الروح الاسلامية مع هذا الانغماس أو يظهر على الملأ مسلما يطبق أحكام الاسلام فى شئون الحياة؟ .

يصور الشيخ المودودى الوضع المؤلم لجامعة عليكره فيقول : " وفى نظرى أن تعليم الجامعــــة بشقيها الدينى وغير الدينى يخرج شخصا لا يؤمن بتعاليم الاسلام غير أن الجامعة تحمله بعــض كتب الشرع خشية أن يقع عليها تهمة التكفير فإن صادف أن القى الحامل ذلك الثقل كان مورد اللــوم والأخذ ،لا الجامعة التى شحنت عقلة بمعاداة الدين وتمجيد التغريب طوال مدة الدراسة " (١)

ويجمل الشيخ محمد اكرام وضع عليكره وما تسودها من النزعات غير الاسلامية فيقول : " لَوْ نَاحَ نائح فى طرف من أطراف العالم يدعو الى هدم الاسلام أو القضاء على المسلمين ... لوجد أول الملبين فى قاعات عليكره ... وانك لتلمس فى تلك الساحات ضعف الايمان وعدم القيام بالمهام الشرعية فلو غربلت العقول الممتازة من مدرسين وطلاب واستمعت الى أقوالهم لما خفى عليك كنه ما تريد تلــك العقول .... ويجمعون كل ذلك فى قولهم : إن عليكره جامعة وليست معبدا " (٢)

محاولات اصلاحية فى التربية والتعليم :

وما ان شاهد المدركون الأثر الضار لحركة عليكره حتى أخذوا يبحثون عن طرق توصلهم الى الساحل المأمون دون أن يصيب متخرجيهم ما أصاب متخرجى عليكره فمنهم من نفذ فكرة اقامة مهاجع خاصــــة للطلاب المسلمين يتلقون التعليم فى الجامعات الحكومية وينفردون عن طلابها بالسكن حتى يسهل تربيتهم على أسس الاسلام.(٣) ومنهم من وضع الحل فى المطالبة بمقاعد خاصة للطلاب المسلمين فى

---

(١) تعليمات ص ٢٧ .

(٢) موج كوثر ص ١٥٢.

(٣) كاقامة الشيخ سميع الله الجامعة المسكونة فى اله آباد بعد أن ترك عليكره نتيجة موافقــــه الأعضاء على ترشيخ محمود ابن السيد أحمد خان وحله مكان أبيه بعد الوفاة رغم انحرافـــه الخلقى / انظر للتفصيل موج كوثر ص ٩٦ .

الكليات الحكومية حتى يمكنهم التنافس مع طلاب الديانات الأخرى ومنهم من وضع الحل فى انشاء جامعة اسلامية حديثة خالية من جميع عيوب عليكره لا تقبل مساعدة مالية من الدولة وتكسر طوق التعليم المنحصر فى الوظيفة الى تعليم الصناعات والحرف التى تكسب العيش الشريف لمتخرجيها فخرجت الى حيز الوجود الجامعة الملية الاسلامية عام ١٩٢٠م غير أن ضيق الموارد المالية أخذ بتلابيبها منذ الانشاء ، ثم تكاثرت الكليات الخاصة فى جميع أطراف البلاد .

وليس من السهل حصر تلك الكليات أو المدارس التى أقامها المسلمون لتعليم أبنائهم العلوم الحديثة مع العلوم الشرعية ، ويغنينا ذكر بعضها ليقاس وضع الباقى عليها ، ففى شمال الهند أوجد المسلمون على نفقاتهم الخاصة جامعة عليكره ، والجامعة الملية الاسلامية بدهلى وفى الجنوب الجامعة العثمانية فى حيدر آباد والكلية الجديدة وكلية البنات فى مدراس ، والكلية الاسلامية فى وايئم وكلية جمال محمد فى تِرِشْنَابلِى والكلية العثمانية فى كرنول وكلية فاروق فى ملابار (١) عدا الثانويات والمدارس المتوسطة والابتدائية المبعثرة فى جميع أطراف الهند ، وظلت قيادة هذه المدارس فى الأيدى المسلمة حتى الاستقلال ، ثم أخذت حكومة الهند تستولى على هذه الجامعات والكليات والمدارس الاسلامية واحدة تلو الأخرى حتى ابتلعتها جميعا ، ولم تبق مدرسة تختص بتدريس العلوم الحديثة للمسلمين فضلا عن الكليات والجامعات . فالجامعة الملية الاسلامية التى لم تنشأ الا لتتفادى أخطاء عليكره أصبح ضمن كلياتها كلية الفنون الجميلة التى تضم قسم الرسم والتصوير والغناء وصناعة التماثيل ، وكلية البنات فى مدراس التى تم انشاؤها بتبرع المسلمين بنسبة ٩٥٪ من تكاليفها الاجمالية لم تكن تعد ونسبة الفتيات المسلمات بها عام ١٩٦٧م ١٠٪ كما أن نسبة المدرسين والمدرسات من المسلمين لا تتجاوز هذه النسبة (٢) ، وقس على هذا بقية المعاهد المسلمة .

دور المعاهد التنصيرية فى العملية التربوية والتعليمية :

والتعليم العصرى فى الدولتين المسلمتين يتوزع بين طرفين : بين المدارس الحكومية وبين ادارات التنصير المبعثرة فى أطراف الدولتين ، ولو نظرت الى تقرير الكنيسة عن باكستان لعام ١٩٥٨ م

---

(١) انظر تفصيل هذه الكليات فى المسلمون فى الهند ص ١٣٣ .

(٢) انظر مراكز المسلمين التعليمية ص ٢٩ و ٨٩ .

لرأيت أن للمسيحيين سبع كليات واحدى وخمسين مدرسة ثانوية وأربعين مدرسة متوسطة وخمسين مدرسة ابتدائية واثنتى عشرة كلية صناعية [1] ، ولم تمض سنتان على هذا التقرير الكنسى حتى بلغ عدد المدارس الكاثوليكية الابتدائية ١٢٣ يجتمع بين أسوارها ٢٤١٠٦ بين طالب وطالبة و ٥١ مدرسة متوسطة تضم أسوارها ٥٧٥١ مكتسب للعلوم والمعرفة و ٤٦ مدرسة ثانوية يدرس بين قاعاتها ١٠٨٠٥ طالبا وطالبة ، وست كليات علمية تضم قاعاتها ٨٥٣ متعلما بين الذكور والأناث وتسع كليات صناعية يتردد اليها ٢٦١ ٢شخصا . (٢)

وان قارنت بين هذه الأعداد وبين ما نشره الاستاذ نادر عام ١٩٧٤م ترى أن عدد المدارس الابتدائية الكاثوليكية قد انخفض الى ٨٥ والمتوسطة الى ٢٢ والكليات الى ٤ بينما ارتفع عدد المدارس الثانوية الى ٧٣ والكليات الصناعية الى ١٣ (٣) وتبدو من قراءة الأعداد بتدبر أن حركات التنصير عدلت خططها التعليمية وأخذت تغض الطرف عن المرحلة الابتدائية وتركز على المرحلة المتوسطة والثانوية ومرد ذلك فيما يظهر قيام الرافد الحكومى للمرحلة الابتدائية بمسئوليات ما تريده المدارس الارسالية من التغريب ، لذا ترى أن عدد طلاب المدارس المسيحية المتوسطة قد ارتفع الى ٨٦٨١ رغم التقليل من عدد المدارس — والثانويات الى ٣٧٠٢٤ بين طالب وطالبة ٨٠٪ منهم من أبناء ديانة التوحيد .

ويبدو الوضع أكثر تأزما فى بنغلاديش وذلك لعاملين أساسيين :

١ — انطلقت عملية التغريب ، وتجسيد التفرنج من منطقة البنغال قبل غيرها من مناطق شبه القارة وفيها وضعت اللبنة الأولى لنقل الأفكار والثقافة الغربية بافتتاح مدرسة سِيْرام بُور الارسالية وفيها فتحت أول كلية انجليزية عام ١٧٩٣م ، وظلت البنغال بقسميها الهندى والبنغلاديشى تتصدر غيرها فيما يبتنيه المستعمرون ، وبعد الاستقلال ارتبط مسير البنغال الشرقية بمسير باكستان فغزتها حركات التنصير باسم العلم ، وازداد الجو ظلمة أثر استقلال بنغلاديش اذ — وجدت الارساليات أنسب وقت لتكثيف المدارس لكثرة الايتام وعدم تمكن الدولة الحديثة من تلبية طلبات الشعب فى ميدان التعليم ، ومن غير المعروف على وجه الدقة عدد المعاهد والكليات التى

---

(١) انظر رينفرد كليساوى تواريخ (تاريخ الكنائس) ص ١٣٢ .
(٢) انظر باكستان مين مسيحيت ص ٥٠٥ — ٥٠٦ .
(٣) انظر باكستان مين مسيحيت ص ٥٠٧ .

تديرها الأيدى المسيحية على أرض هذه الدولة المسلمة ولكن من المسلم به أن العدد لا يقبل عما هو موجود على أرض باكستان .

٢ ـ تعتبر بنغلاديش من الدول ذات الكثافة السكانية الخانقة ،ومن الدول الفقيرة فقرا مدقعا ، ومن هنا فرضت الحاجة نفسها على الآباء بالتخلى عن الأبناء والتبرع بهم لمن يحفظ لهم أفلاذ كبدهم على قيد الحياة فاقتنصت الارساليات هذه الأغصان الغضة النقية فربتهم فى مدارسها ووجهتهم الى الالحاد والمروق عن شرع الله باسم العلوم وان أردت وضع النقاط على الحروف فلى أن هذه المعاهد الارسالية لازالت تخدم الأغراض السالفة التى أرادها مخططو التعليم فى الهند اذ الانجليزية بآدابها وأفكارها مازالت هى اللغة التى يحرم التحدث بغيرها بين اسوار تلك المعاهد ، وتسلط على عقول الاحداث منذ الصغر فيشبون فى طوقها على التغريب متمسكين بكل الأسس والتقاليد الغربية .

ومن هذا المنطلق المستسلم يبدأ الآباء رحلة أبنائهم العلمية الى ساحل التغريب والولاء لغير الاسلام ، ويشعر المجتمع بالحاجة الى هذه المعاهد التى تعودنا على سيطرة الغرب والتخلى عن الأخلاق الاسلامية حين يشاهد تفضيل الدولة لمتخرجى تلك المعاهد على غيرهم فى التوظيف ومنح المناصب القيادية ،كل ذلك الحيف يقع على الأرض المكتسبة باسم الاسلام وعلى الناشئة الاحداث من أبناء هذه الأمة باسم التقدم والرقى وكسب العلوم .

تلك حال المعاهد التبشيرية أدق الرافدين فى تدريس العلوم الحديثة ـ وما تمنحه لابنائها من المعلومات والتربية القيادية ، ويجمل الشيخ المودودى وضع هذا التعليم الارسالى وما تخرجه من النماذج فيقول : " من نتائج دولتنا التخطيطية ان العائلات المترفة ترى من العبث تعليم الأبناء اللغة الأردية وثقافة امتهم أو اكتساب المعرفة الشرعية ،كل ذلك لا يعنيهم فى قليل أو كثير بل انهم يحاولون تعليمهم تلك اللغة والتقاليد التى تحيلهم بعد التعلم الى بريطانيين أو أمريكيين وتحقيقا لهذا الهدف يرسلون أبناءهم وبناتهم الى المعاهد المسيحية التى لا يمت سيرها وتقاليدها بصلة الى الثقافة الاسلامية . فلا يجهل هؤلاء الصغار الاسلام فحسب بل يعاندونه ويقاومونه ،ومن ثم اذا لم يتنصر هؤلاء فإنهم لن يكونوا مسلمين بل إنهم أقرب صلة بالمسيحين منهم

بالمسلمين "(١) وذلك لتقاعس المسلمين فى باب التعليم .

والسؤال الذى يفرض نفسه هو: ما دامت الآداب والعلوم الغربيتان تلقنان باللغة الانجليزية فَلِمَ لا تخرج هذه المعاهد نماذج كالتى تخرجها المعاهد الغربية من المبتكرين والمكتشفين أو على أقل تقدير تخريج أفراد يتمتعون بصدق القول وعدم الارتشاء والاخلاص للأمة التى ينتمون اليها والأرض التى يفترشونها ... ؟ بل نراهم على عكس هذه الصفات يخونون ولا يوفون ويقدمون حاجتهم على حاجة الامة ... الخ

واجابة هذا التساؤل الموضوعى تعيدنا الى العقول المخططة للتعليم فى الهند ، فلم يكن من مصلحتها أن يخرج منهج التعليم أفرادا من أشكال ما يخرجه المنهج البريطانى ، بل يجب أن يخرج نماذج توالى الغرب وتفضل تقاليدهم وتفديهم بمهجها ، وفى ذلك بقاء سلامتهم فى تلك البلاد ، وظل المنهج يسير على هذا المنوال حتى الاستقلال وكان المفروض بعد ذلك على الأمة المستقلتان تعيد النظر فى نظامها التعليمى كله اذ لم يوضع ذلك النظام ليربى أفرادا على الاخلاق الفاضلة يسعون فى الحفاظ على مثل الامة وتقلقهم وتتجافى جنوبهم عن المضاجع بحثا عن سبل رقيها ، وانما يتأتى ذلك من نظام امة مستقلة يسعى تعليمها الى انشاء أفراد يحفظون تراث الماضى ، ويغذونه بما يقوى أسسه ، ويحلى بنيانه ، ويلبى حاجة الناس الآنية ، بيد ان الرياح جرت بما لا تشتهى السفن اذ ظل نظام المستعمرين بروحه وهيكله الأساسى يسرى فى جسد الأمة المالكة أمر نفسها . والتى لم تسع الى التعديلات الجذرية حتى اليوم .

التعليم بعد الاستقلال :

والرافد الآخر الذى يغذى الامة بالتعليم الحديث ويصب فى مجراه ٨٠٪ من المدارس والكليات المنتشرة على أرض الدولتين المسلمتين ترى لغة تعليمه هى اللغة المحلية — الأردية أو البنغالية لغة الشارع والمنزل ، وكان من المتوقع أن يغطى جميع متطلبات الأمة ويفوق نظام الارساليات اذ لا يضيع عمر الطالب فى اكتساب اللغة دون العلوم والمعارف ، ولكن الأمل خاب حين أخذ

(١) رسائل ومسائل جـ ١٠٥/٤

يستعير كل شئ من خصمه [(١)] ويرى واضعوه أن منارات الاشعاع والنور هى المعاهد المسيحية فجعلوها قدوة يتأسون بها فى وضع النظم وتهيئة الجو الدارسى ، وتأليف المناهج التعليمية فلا يختلف نظام هذا الرافد عن الرافد الارسالى الا فى لغة التعليم ووضع الاسماء الاسلامية بدلا من الأسماء الانجليزية ، وادراج قصص وحكايات تشير الى اسلامية المنهج .

وبما أن باكستان أسبق من أختها بنجلاديش فى محاولات جعل التعليم لا يتنافى مع الاسلام فقد خطت خطوات فى هذا الميدان ، ولكنها ما تزال بعيدة عن الهدف ، فمثلا لو نظرت الى منهج اللغة الانجليزية للصف التاسع بالسند لعام ١٩٨٢م — الذى أعلن عن تطهيره وأخضاعه للاسلام لوجدت ان روح المنهج لم تختلف عما كانت عليه من قبل ، فما زال المنهج يبحث عن المثل العليا فى الأمة الناطقة باللغة الانجليزية ، ولم يجد واضعه شخصية مسلمة اهتمت بشئون المعوقين الا هيلن كيلر الامريكية . [(٢)] ولم يجد من الآثار القديمة الاحضارة ما نجو دار والتى تمثل عبادة الأصنام وهبوط العقل البشرى الى الهاوية المظلمة دون أن يشير الى شئ من تعاليم الاسلام تجاه هذه الحضارات الشركية [(٣)] كما أنه لم يجد من دعاة الاسلام ومن خدم الدعوة الاسلامية فى الهند منذ القرن الأول الهجرى حتى اليوم الا الصوفى الشهير الشاه عبد اللطيف بتائى الذى خدم الاسلام — على حد الكتاب المقرر — بالتنغيم والالحان وابتكر لأهل السند آلة غناء تمبورو (Tombodro) عمت السند من أقصاها الى أقصاها . [(٤)]

وقس على هذا ما اقدمت عليه الحكومة الحالية من نقل مادة الاسلاميات من قائمة المواد الاختيارية الى قائمة المواد الاجبارية ،يجب على الطالب دراستها فى جميع مراحل التعليم ، بيد أن المادة العلمية التى غذيت بها الاسلاميات ضحلة فى بعض المراحل ، وغير دقيقة فى مراحل أخرى ، فإن تصفحنا مقرر الصف التاسع لطلاب السنة بالبنجاب نرى أنها تضم مادة القرآن من سورة

---

(١) انظر محمد طفيل بمجلة اسلامى تعليم ص٢٤ عدد سبتمبر واكتوبر ١٩٧٢م .

(٢) Secondary Stage English Book One. P. 28.

انظر للتفصيل كتاب اللغة الانجليزية الأول للمرحلة الثانوية ص ٢٨ .

(٣) انظر للتفصيل المصدر السابق ص ١٩ .

(٤) انظر للتفصيل ص ١٠ . من المصدر السابق .

القدر الى الناس بترجمة موجزة ثم شرح للمفردات الغامضة ، ثم بيان ما تشير اليه الآية ، كل ذلك في مساحة لا تعدو ثلاثين سطرا وإن جئت الى مقرر الحديث وجدته جملا مقطوعة مثل " انما الأعمال بالنيات " ، " والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " ويحتوى المقرر على ترجمة لهذه الجمل العربية ، ثم شرح موجز يوضح معانى تلك الجمل ، والملاحظ أن هذه الجمل لم تنسب الى النبى صلى الله عليه وسلم تصريحا ولا ايماء ، كما نجد أن الباب الثانى من الاسلاميات عنون له " أحاديث مباركة " .

ويتلو مقرر الحديث مقرر السيرة ويحسن الناظر غير المتدبر أن المنهج أسهب فى جغرافية الجزيرة العربية وذكر ما كان يسودها من النزعات والانشقاقات القبلية ومن ثم ذكر أجداد المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فالولادة فالبعثة ... ويشعر القارئ العادى أن ذلك السرد التاريخى ممل يستثقل الطالب حمله ، وقد استغرق من المقرر عشرين صفحة وأخيرا يأتى باب الاخلاقيات ويشتمل على ذكر الأدب والحياء ومكانة المرأة واحترام القانون وأهمية حقوق العباد كل ذلك فى صفحات أربع كصفحات مقرر الحديث .

وإن انتقلنا الى مقرر الصف العاشر نجد أن المنهج قفز قفزة غير مرتقبة فشمل بابه الأول بيان مفهوم الاسلام والايمان والعمل ، وتلا ذلك ذكر أركان الاسلام والايمان ، ثم ذكر مصادر الأحكام الشرعية ، وأعقب ذلك معنى السنة وتاريخ تدوينها وذكر اشهر كتبها ، ثم دخل المنهج الى المسائل الفقهية من ذكر الطهارة والتعطر والسواك ، غير أن تلك المسائل لا تخلو من هفوات كاطلاق المؤلف "رمى جمرة يوم العيد لكل حاج" (١) فعبارة المنهج هذه تحتاج الى وصف الجمرة بالعقبة أو الكبرى اذ لا يرمى الحاج غيرها فى ذلك اليوم ،

ويتضح من خطة الدولة الباكستانية المعلنة فى التعليم أنها تنوى تخصيص مراحل التدريس الابتدائية للنساء ـ اسوة بالغرب ـ بحجة أنهن أكثر كفاءة لتثقيف هذه المرحلة من عمر التلميذ (٢) وتضيف الخطة فتصرح أن المرحلة الثانوية ستكون مرتكزا العلوم والتكنولوجيا الحديثة (٣)

وتبشر أخيرا أن الدولة تنوى اعادة مكانة المسجد كما كانت فى عهود الاسلام المزدهرة فيكون مدرسة ومركزا فكريا (٤) ويبدو أن الفكرة أخذت طريق التنفيذ الجزئى منذ أواخر عام ١٩٨٢ م

---

(١) انظر مقرر اسلاميات للصف التاسع والعاشر ص ٨١ لعام ١٩٨٢م .
(٢) " " مطالعة باكستان " " " ص ٢٥٥ .
(٣) " " " " " " "
(٤) " " " " " " ص ٢٥٨ .

حيث فتحت الدولة الباكستانية العديد من المدارس الابتدائية فى المساجد لكن تعيين المدرسين لم يكن بالمستوى المطلوب لمكانة المسجد فى الاسلام .

نظرة فحص في المنهجين (الدينى والعصرى)

ولو ألقينا نظرة فحص وتدقيق على النظامين التعليميين الدينى والعصرى بفروعهما المختلفة لظهرت لنا الأمور التالية :—

١ — الدرس النظامى يستطيع أن يلبى بعض حاجاتنا الدينية من الخطباء والأئمة والمؤذنين ... غير أن الانزواء والتصوف طغيا عليه حتى أصبح عديم الجدوى وصح فيه قول القائل "وسلم الديوبنديون من ابتلاءات العصر لعدم اتصالهم بمشتهيات الحياة العاجلة ، بل عمروا لأنفسهم قرية مستقلة يعيشون فيها حياة الأرياف والقرون التى لم تر نور العصرية والتقدم العلميين " .

٢ — يشخص السيد سليمان الندوى — أحد من ترأس ندوة العلماء — مفهوم التعليم والصفات التى يتمتع بها الدرس النظامى فيقول :" للتعليم مفهومان : ان تكون هنالك صالات مرفهة لالقاء المحاضرات تحيل الدارس الى ذكرى القصور ، وأن تكون عمارات تناطح السحاب مع وفرة المراجع وجمع المال مثل قارون وتبديد الثروة على رواتب المعلمين وانفاق الملايين على شراء الأثاث والأمور المنظورة ، وصرف مثلها فى اقامة المختبرات وشراء الادوات اللازمة لمثل ذلك المكان ، والحاصل أن التعليم بمثل هذا المفهوم وسيلة لكسب المال ، وجمع الثروة ، ونقطة بدء هذا المفهوم ومنتهاه ينحصر فى الأمور الظاهرية المادية ، أما المفهوم الآخر للتعليم الذى عرفه الناس قديما وحديثا فهو لا يقيم لمثل هذه الأمور الظاهرية من المال والجاه والامارة والعظمة والأثاث ... وزنا ويعتبر المال والثروة حقائق غير مسلمة يمكن أن يكتمل التعليم بدونها ، وان اعترف بشئ منها فلن يتجاوز اعترافه أنها أمور ترفيهية أو أقذار موهمة " .(١)

بهذا المفهوم ينظر أصحاب المدارس العربية الى الدنيا والعلوم التى تدرس لتحسين ظروف المعيشة فى هذه الحياة العاجلة ، ومن هنا خلت مناهجهم مما يتصل بعلوم الأرض وتطورها

---

(١) موج كوثر ص ٣٥٦ .

المذهل الذى يرون آثاره ويجنون ثماره بأثمان باهظة ، ولعل هذا التجرد ومنع المدارس من تدريس هذا النوع من العلوم مرجعه الى ما يشاهدون من الفساد فى متعلمى تلك العلوم فى جميع ميادين الحياة من الأخلاق والسياسة والاقتصاد ... مثلهم كمثل مبصر يغمض عينيه فى وضح النهار خشية أن تتأثر رؤيته من أشعة الشمس ، لكن ذلك الخوف الموهوم غير كاف لتبرير واقعهم الانزوائى وترك القيادة للمفسدين .

٣ — المادة العلمية التى يدرسها طلاب الدرس النظامى مكثفة ، وعلى حد قول حافظ نذر أحمد : " لا يحصل الطالب شهادة هذه المدارس الا بعد اجتياز عشرين فنا علميا وان ضممنا بعضها الى بعض فلا تقل عن ثلاث عشرة مادة مفعمة ويمكن للطالب أن يجيد العربية والأردية والفارسية مع لغته الأساسية بينما توقف شهادة الكلية العصرية على اجادة ست مواد وفى وسع الطالب الحصول على الشهادة بدراسة اللغات دون أن يمس مادة أخرى . (١)

وتلك حقيقة بالنسبة لكلا المنهجين بيد ان الكثافة التى شحن بها الدرس النظامى لا تتصل بما تحتاج اليه اليوم ، اذ المنهج النظامى لم يوضع لهذا العصر بل وضع للمسلمين حين كان يحكمهم الفقه الاسلامى فى جميع شئون الحياة فاستهدف المنهج اخراج فقهاء ورثوا الاسلام أبا عن جد لم تغزهم ثقافة أجنبية ، ولم يحكمهم الا المسلمون ، فجاء منهج التعليم الذى قررته دولتنا الاسلامية آنذاك ، وافيا بحاجة الامة والدولة معا .

٤ — وان دخلت الى قاعات الدرس النظامى وجدت مدرس الحديث مثلا يمضى اليومين ، والثلاثة فى ترجيح مسألة اختلفت فيها وجهات النظر فيسعى بكل ما أوتى من قوة الحجة الى ترجيح الرأى الذى يعتقد صحته ، ويمر مر الكرام على الأحاديث التى توضح حقيقة الدين أو ترشد الى قواعد الاسلام فى الاقتصاد أو تبين نظام الاسلام السياسى أو تحض على خلق تخلى المسلمون عن التمسك به ، أو تضع الأسس المتينة لنظام الاسلام القضائى أو الاجتماعى ، أو تحدد علاقة الدولة المسلمة بغيرها من الدول ... كل ذلك لا يعنى المدرس ولا الطالب

---

(١) جائزة مدارس عربية ص ٧٨٦

فى قليل أو كثير ولا تستوقفهما تلك الأحاديث التى ينبنى عليها أسس الحياة الاسلامية ، وقس على هذا دراسة بقية المواد من التفسير والفقه ...

٥ — جل ما يدرسه الطالب فى الدرس النظامى أو المدارس العربية من الكتب المقررة وضعت لجيل يتكلم الفارسية ، ويتعامل بها فى جميع شئون الحياة ، غير أن الوضع أخذ يتحول لصالح الأردية وغيرها من لغات المناطق منذ وقف التعامل الرسمى بالفارسية ، وكان المفروض أن تتحول لغة المقرر النظامى تمشيا مع متطلبات الامة وما يفهمه النشء الجديد غير أن المنهج لم يزل على ما كان فلم يشعر بحاجة الامة ، وعدم وجود الفارسية خارج القاعة .

وتأخذ الحيرة لب المدرك للمأساة حين يشاهد دراسة المواد العربية من الصرف والنحو وما شابه ذلك فى هذه المدارس تدور بين ثلاثة أطراف متباينة فلغة القاعة هى اللغة المحلية بينما لغة الكتاب المقرر هى الفارسية والهدف المراد من المادة المدروسة الوصول الى قواعد الصرف العربى وأصول لغة القرآن .

٦ — الطرف الآخر الذى تقع عليه تبعة هذه المدارس هم الاساتذه الذين تلقوا علومهم على الدرس النظامى ومن العسير اقناع هؤلاء بالفائدة المرجوة من العلوم الحديثة لظنهم أن التطوير مؤامرة تستهدف ما استهدفته المؤمرات المستعمرة السابقة ، ثم إن أكثر هؤلاء لا يعرفون من العلوم الحديثة ما يؤهلهم لتدريسها ، والناس أعداء لما يجهلون — وتطلعت الانظار حين أسهمت دار الأفتاء بالمملكة العربية السعودية ورابطة العالم الاسلامى والجامعة الاسلامية ، وجامعة الأزهر بارسال مبعوثين الى بعض هذه المدارس الشهيرة ، ولكن عدم استقرار هؤلاء ونقلهم من مدرسة الى أخرى ، والتشدد فى طلب مواد معينة للتدريس عن حسن نية وعدم التجاوب من المدارس فى ذلك أجل موضوع التطوير الى أمد غير معين .

---

(١) انظر هندوستان ميں مسلمانون كا ... جـ ١٨٣/١ .
(٢) انظر جائزة مدارس عربية ص ٦٠٦ .

٧ - ليس للمدارس العربية راية تنضم تحت لوائها جميعا ، ولا منهج موحد يشترك فى تدريسه جميع هذه المدارس ، غير أن المهتمين بها شعروا بهذه الحاجة الاسلامية فوضعوا المبادىء الأولية لجمعها على منصة واحدة فى باكستان عام ١٩٥٨م فخرج الى حيز الوجود "وفاق المدارس العربية " ولكن الرياح جرت بما لا تشتهى السفن فلم ينضم الى هذا الوفاق الا ١٧١ مدرسة من بين ٩٩٨ مدرسة وذلك فى توحيد دورة الحديث دون غيرها من مواد المنهج (١)

وانتج هذا التشتت فقدان المكانة الاجتماعية لمتخرجى الدرس النظامى ففقدت شهاداتهم مكانتها العلمية مقابل الشهادات الرسمية ولكن الأمل معقود على الوفاق حتى يحقق أغراضه .

٨ - أتبعت الدول الثلاث المستقلة السياسة الانجليزية تجاه هذه المدارس فحالت بين متخرجيها وبين وظائف الدولة الأصلاحية ومنح المكان اللائق لأمثال هؤلاء مما جعل الأمة تمتنع من ارسال أبنائها الى المدارس العربية فخلت صفوفها من الطلاب الأذكياء ، ولم يطرق بابها الا اب اعجزه مؤنتعيالة ، وغنى أصيب ابنه بتخلف عقلى أو بعاهة خلقية تمنعه من السير مع مدارس الدولة . ومن هنا يمكنك ادراك الثمرة التى تجنيها الأمة المسلمة من المدرجات النظامية ، فلا يستطيع حامل الدرجة العلمية النظامية تمثيل الاسلام تمثيلا صحيحا ، وليس فى وسعه ان يطبق أصول الاسلام الخالدة على مشكلات الحياة المعاصرة أو يحل معضلة من معضلاتها الاجتماعية .

٩ - وان انتقلت الى القاعات العصرية ترى أن المادة العلمية المدروسة بنيت لتصل بالمتعلم الى نكران الدين ونبذ كل ما ورثه من الآباء والاجداد ويسلط هنتر الضوء الكشاف على ذلك فيقول : " الواقع الملموس أن طريقة تعليمنا ، ايقظت الهندوس النائمين منذ دهور وأثارت فيهم شعور القومية الحاد ؟ غير أنها مخالفة لتقاليد المسلمين وغير آبهة بضروريات الحياة الاسلامية . بل إنها تهين دينهم وتحتقر معتقداته " (٢)

---

(١) انظر نعيم آسى مولانا مفتى محمود حيات وخدمات (مفتى محمود حياته وخدماته) ص ٦٥ ، وجائزة مدارس عربية لعام ١٩٧٢م ص ٦٠٤

(٢) همارے هندوستانى مسلمان ص ٢٥٦ .

ويشير المستر بى لى سكرتير الحكومة الهندية الى السبب الرئيسى لاعتزال المسلمين التعليم الحديث آنذاك فيقول : " لا عجب اذا اعتزل المسلمون مدارسنا وطريقة تعليمنا مهما تكن حسنة لأنها لا تراعى مزاياهم الملية ولا تقف عند عدم تلبية ضروريات حياتهم الدينية فحسب بل تعارضها معارضة الخصم للخصم وتخالف تقاليد المسلمين العريقة " (١) ويقول المستر جمز أحد المسئولين عن محاكمة المجاهدين من اتباع السيد أحمد " أرى شدة تأثير الاصول الوهابية على المزارعين نتيجة حتمية لعدم اعتناء مدارسنا بتعاليم الاسلام " (٢)

وجاءت الثمار حسب القوانين الكونية الالهية بعد تعلم المسلمين العلوم الحديثة على علاقتها — وانك لا تجنى من الشوك العنب — فخرجت العديد من الادارات تحمل الاسماء المغرية كادارة "مطالعة القرآن" لتكذيب القرآن فقدمت بحوثها فى ضوء ما نشئت عليه أيام التعليم فزعمت ادارة بشاور مثلا أن قوله عز وجل : " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ... " غير صحيح بالسنة للبشر من نواح مختلفة فلا يصح وصف البيضة بالميت فضلا عن الانسان الكائن الحى بل وصول الحياة الى الارض لم يكن للقدرة الالهية دخل فيه وانما هو انتقال وتطور طبيعى من نقطة الى أخرى ومن موضع الى آخر " (٣)

١٠ — اخرج التعليم الحديث طبقة مثقفة أطلق عليهم الغربيون اسم "بَابُو" امتازت بالاهانة والاختقار لبنى جلدتهم ، ويروّض هؤلاء منذ نعومة أظفارهم على هذا التعامل فى المعاهد العلمية وميادين المعرفة وانك لتسمع كلمات السب والشتم ، وما نهى عنه الشرع من البذاءة يتعامل بـه دون وجل أو استحياء ، بل يتقبل السامع تلك الكلمات وكأنها لا تعنى سوى المداعبة والتخاطب ، وكلما ارتقى الطالب فى المراحل الدراسية خلا تعامله من الادب والاخلاق وتبلغ الوقاحة حدها الاقصى فى مدرجات الكليات والجامعات العصرية ، وكم من رزين ترك الدراسة لعدم تحمله تلك الأوصاف الجارحة .(٤)

وتلك نتيجة منطقية اذ كان الانجليز يعاملون الهنود المثقفين بثقافتهم بمثل هذا الأزدراء ،

---

(١) همار هند ستانى مسلمان ص ٢٢٠ .
(٢) " " " ٢١٩ .
(٣) مجلة صدق جديد عدد ٣١ جولائى ١٩٥٩ .
(٤) انظر تمدن هند ص ٥١٢ .

فتسلسل ذلك فيمن تلقى عنهم ونهج على منوالهم ، فهذا غوستاف لوبون الفرنسى الذى يعترف له العالم الاسلامى بابحاثه والذى يحمل أرقى درجة علمية أوربية ، يسجل على نفسه تعامله مع مثقف هندى ركب عربة القطار المخصصة للبيض فيقول : " ركب معى فى عربة القطار هندى مثقف ... فاسند رجليه الى ظهر المقعد ثم أشعل السيفار وهو أقصى ما يتمناه الهندى فما أن وصلنا الى أقرب محطة حتى صعد انجليزى الى حجرتى فتكمش الهندوسى وأمسكه الانجليزى من أذنه وطرده من مركبتنا قائلا له أخرج " (١)

١١ ـ يقضى طالب العلوم غير الشرعية قرابة أربعة عشر عاما يدرس قوانين الكون على أساس أنها وجدت من غير موجد وتسير من غير مسير وعلى هذا الأساس الالحادى يجرى تجاربه الجديدة ويمضى فى أبحاثه واستنتاجاته على هذا الدرب . لا يلتفت الى الهوة الثقافية التى أخذت تتسع لتحجزه عن المجتمع الذى ينتمى اليه ، ويصور ارنولد توينبى هذا التعارض البين الذى يحدثه التعليم فى المتدين فيقول : " وما كانت الهوة الثقافية بين المجتمع الهندى والغرب الحديث مجرد تباين بينهما ، بل كانت تناقضا صارخا ، وتفسير ذلك أن الغرب الحديث قد لفق صيغة علمانية لتراثه استبعد منها الدين فى حين ما أنفك الدين يسيطر على المجتمع الهندى حتى أعاقه الى درجة تعرضه لتهمة التزمت الدينى " (٢)

ويتنفس كارسان دتاسى الصعداء ويفرج عن نفسه الهموم المتراكمة ازاء ما يشاهد من خنق المسيحية فى بلاده فيرجو لها الازدهار بسبب التعليم فى الهند فيقول : " ان ما يقال فى أوربا من علم اللاهوت هو أكثر شبها بالعلم اللادينى ، لكن الذى يبعث على السرور أن أهل الهند لا يعلمون عن أوربا وعلومها اللادينية شيئا وأن هذا المد الثقافى سيزيل عنا الكرب المفروض على المسيحية فى فرنسا وفى الغرب الذى أخذ ينتقص تعاليمها الدينية يوما بعد آخر " . (٣)

١٢ ـ أنشأ الانجليز العراقيل لقتل الذكاء والقوى المبتكرة من الاساتذة والموظفين فوضعوا العوائق فى باب البحث والتأليف أو التحقيق والتصنيف ، منها أنه يجب على من وجد من نفسه

---

(١) حضارات الهند ص ٦٩٦.
(٢) مختصر دراسة التاريخ جـ ٣/ ٣٠٠ .
(٣) مقالات كارسان جـ ١/ ١٥٤ .

القدرة على هذا النوع من العمل أن يأخذ اذنا مسبقا من الجهة التى يرتبط بها وظيفيا ومن وزارة تلك الجهة ، يتعهد فيه بأن التأليف لن يعيق عمله الوظيفى فى جزء من جزئياته ، وما زال هذا الشبح جاثما على صدور المؤلفين حتى اليوم يمنعهم من الاقدام على ما يرغبون الكتابة فيه (١)

١٣ — ومن الأمور المشاهدة المدركة أن نظام التعليم الحديث يمنح متعلميه معلومات مفيدة قد تفى بحاجتهم فى العاجلة ، وتسد ضروريات حياتهم الفردية والاجتماعية ولو الى حين ، بيد أنه لا يعطى لطلابه الذاتية ولا الاستقلال النفسى ، وانما يطبعهم بطابع التقليد والتبعية فيقف بهم فى صفوف المقتدين لا القادة المدبرين ولا الرواد المكتشفين وبذلك يضمن هذا النظام لواضعيه الصدارة والتقدم من ناحية والتبعية وضحالة منابع التفكير لمتعلميه ومن يسير على درسهم من ناحية أخرى .

١٤ — ومن السمات البارزة للمرافد العصرى أن أغلب كلياته تخلو من المكتبات والمصادر التى يحتاج اليها الطالب والمدرس على السواء — فيكتفى المشتغلون بالكتاب المقرر ويستغنون عن كل ما سواه ، وتلك مأساة فى هذا المنهج من التعليم ورثها من التخطيط السابق بحجة تخفيف العبء المالى عنه على حد قول الانجليز — وأدى ذلك الى الجهل وعدم معرفة ما يستجد وما يطرأ من التغير على العلوم بعد تصنيف الكتاب المقرر ، كما أدى ذلك الى تعود الناس الكسل وطلب الراحة فى ميدان السباق .

١٥ — وداهية الدواهى أن المعلمين تعرواعن أكثر ما يقومون بتدريسه فناقض قولهم عملهم مناقضة صارخة فمدرس المواد الدينية " اسلاميات " يشرح وجوب الصلاة ولا يصلى ويمين أحكام الزكاة ولا يزكى (٢) ويحث على الحضور المبكر ولا يلتزم به ... وكأنه بمسلكه هذا المتخاذل يشجع المتعلمين على التمرد وعدم أداء الواجبات مع معرفتهم بوجوبها وبمعنى آخر يمرنهم على النفاق العملى وييسر لهم سبل الفرار من المسئولية ، فهل يعقل بعدئذ تخريج من يتمثل باداء الواجبات ويتحمل عبء المسلمين على هذه الأيدى ؟ .

---

(١) انظر البروفيسور محمد عثمان اسلام باكستان مين " الاسلام فى باكستان " ص ١١٥ .

(٢) والأمر من ذلك أن بعض الكليات يتولى تدريس المواد الدينية فيها من يدين بغير الاسلام .

لذلك اعترف بفضل التربية والتعليم المحليين على التربية الغربية أمثال البحاثة غوستاف لوبون حين قارن بين خريج الكلية وخريج المدرسة النظامية بعد أن رأى نماذج من المتخرجين على النظاميين .(١)

بعض مميزات التعليم الاسلامى :

تلك أبرز اسقام المنهجين التعليميين اللذين ينخران الأمة المسلمة فى شبة القارة بل فى جميع العالم الاسلامى ويضنيانها يوما بعد آخر ويحيلان أمة القيادة من ضعف الى ضعف ، والتساؤل الاسلامى الذى يفرض نفسه هو ما المخرج من هذه الورطة وما المنهج الذى يعيد الى الأمة مكانتها القيادى وما المطهر الذى يزيل ما لصق بتعليم المسلمين من أوحال ؟

والحقيقة المرة أن نظام التعليم الاسلامى بمفهومه الشامل لا وجود له على خارطة العالم كلها ، والأنظمة الموجودة تقصر عما يريده الاسلام من التعليم ،وهذا لا يعنى بطبيعة الحال أن مراد الاسلام خيالى ليس فى الامكان تحقيقه وتجسيده بل أصول الاسلام فى التعليم واضحة يلمسها كل من أراد القيام بهذه المهمة غير أن العملية صعبة وطويلة وقد لا تتحقق فى زمن وجيز محدود ، ولكن الأمل معقود على الجهود الخيرة والقلوب التى يسؤوها تأخر المسلمين واليك أهم النقاط التى سجلها رواد هذا الميدان .

أ — الأساس الأول الذى يجب أن يميز هذا النظام من غيره ويفصله عن نظم الارض جمعاء هو هدفه التعليمى فما من نظام من الأنظمة الا وهو يخدم غرضا محددًا ،ويهدف الى تخريج أفراد يتصفون بأوصاف معينة . فالنظام الشيوعى مثلا يخدم الماركسية ويصب من يتلقى على منهاجه فى قالب يجعله يتوارث الأفكار مع التعليم ليؤدى عمل جسر العبور حين يخرج الى المجتمع ويقوم بخدمته وهكذا بقية الأنظمة ، وأما ما يزعم من أن التعليم يجب أن يكون مجردا من كل هدف يقدم الى الباحث المعلومات فحسب . ويترك له الخيار فى التعيين والأخذ بما يتناسب معه فتلك خرافة يمكن تصورها فى عالم الخيال لا الوجود ، وفى عالم الآلة لا الانسان الذى يملك الارادة والعقل .

اذن هدف التعليم الاسلامى هو الحفاظ على ما جاء من عند الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من الرصيد الموروث عقيدة وتشريعا اذ لم يترك الاسلام الانسان هملا يرتع حيث يشاء ويرتوى أنى

---

(١) انظر حضارات الهند ص ٦٩٦ و ص ٦٩٢

يريد ، بل وضع له هدفا لحياته وأسسا يتحقق بها ذلك الهدف ، فالانسان مخلوق محتاج الى الهداية الربانية فى جميع شئونه فى نظر الاسلام ، انتدب ليكون خليفة الله فى الأرض يستعمرها لصالحه فى ضوء الوحى والأوامر الالهية .

وبهذا التحديد لمفهوم التعليم وغايته يتضح هدف الانسان من تلقى العلوم ، والغرض الذى يسعى من أجله فى اكتسابها ، فالدارس بعد هذا التحديد لا يعدو كونه امينا لما ورثه من علم الوحى ، يبذل الجهد فى حفظ الماضى ، وتغذيته بالجديد فى كل حين وآن ، ضمانا لاستمراريته وتحديثه فى ضوء الاسس الشرعية السابقة (١) وكأنى بمثل هذا المتعلم قد أصبح همزة وصل بين الماضى واللاحق ، يخدم الكيمياء والفيزياء والاحياء .. بتصحيح مسارها مثل خدمته الكتاب والسنة والفقه واللغة . لذلك نرى المهتمين بالتعليم الاسلامى يوصون " بأن التعليم لا يعنى دراسة بضعة كتب فى الرياضيات والكيمياء .... وأن هذا القدر من التعليم غير كاف للمتعلمين ، بل يجب أن نحول أفكارهم ، واتجاهاتهم الى الصراط المستقيم " (٢)

وحدد نخبة من العلماء والمفكرين هدف التعليم فقالوا : " إن الوقت قد حان لتغيير اتجاه التعليم والاعلان للابناء أن هدف التعليم لا ينحصر فى الراتب والمعاش ، وانما التعليم وسيلة لتكميل الذات ، وحصول المعارف وإذكاء الذهن وانماء الكفاءات البشرية ، وأن يتهيأ كل فرد لتقديم هذه الخدمة لجميع أفراد العالم " (٣)

ب — يتفق من عالج مشاكل التعليم ان الازدواجية وتقسيم المعارف الى دينية ودنيوية أمرلا تقره الشريعة السمحاء ، وأن العلوم كلها من تفسير وحديث ... والهندسة والاقتصاد والتاريخ ... علوم دينية ، لأن الاسلام دين شامل لجميع أمور الحياة ، يستوى فيه أمور العبادات والمعاملات فمن الخطأ اليوم استمرار التقسيم بين أعضاء الجسد الواحد .

ولكنهم يرون الحل الأمثل لذلك : " ان تقيم كل مدرسة دينية مدرسة مستقلة لكل من مراحلها

---

(١) انظر البروفيسور خورشيد أحمد نظام تعليم كى اسلامى تشكيل جديد (الصورة الحديثة لنظام التعليم الاسلامى) ص ٣٥ .

(٢) افتتاحية مجلة أورنتيل كالج ميكزين (مجلة الكلية الشرقية) جـ ١ / ٣٣ .

(٣) نخبة من علماء الشريعة والمفكرين المحدثين " تعليمى تجاويز بر تبصرة " التعليق على المقترحات التعليمية ص ٤ .

الابتدائية والمتوسطة ، تقوم بتدريس مناهج الدولة ، ويترك لها الخيار فى أن تضيف على المنهج ما تراه مناسبا لسياستها التعليمية ، شريطة ألا تقبل فى المراحل الدينية العليا " الدرس النظامى " الا من تخرج فى هذه المدارس " (١) وكأنى بهم قد ضحوا بما بقى فى مدارسهم من علوم الشرع ، ولم يدروا أن هذا التحديث لن ينتج الا ما انتجته مدارس الدولة .

ج — أول مشكلة عملية ستواجهنا لاقامة هذا النظام ، هى مشكلة الكتاب الاسلامى ، ولن أكون مبالغا اذا صرحت بعدم وجود مثل هذا الكتاب لفك عقال الطفل المسلم فى صفه الأول ، ولكن ذلك لايمنعنا من البحث عن ابتكار مثل هذا الكتاب ، طريقنا فى ذلك طريق من يتهيأ لبناء عمارة سكنية فى موضع تضم جنباته المواد الأولية لمثل هذا البناء ، فيبدأ بضرب اللبن وانشاء مصنع فخارى لتحميرها ... ولنشمر عن ساق الجد لجمع الشتات ولم الأفراد المبعثرين الذين سلموا من التغريب مع دراستهم فى كلياته ، وظللوا على ايمانهم مع الحاد منهجه .

وتلى مرحلة الجمع مرحلة الارشاد وتوجيه هذه العناصر الخيرة توجيها اسلاميا ، وبذل بعض الجهود التربوية الحكيمة كفيلة بأن تغير اتجاه المعلومات التى غذى بها هؤلاء أثناء الدراسة ، ولن يستغرق تهيئتهم وقتا طويلا ، لأصالة معدنهم وسلامة فطرهم ، ومتى بلغوا مستوى يمكن فيه الركون اليهم فى فهم الاسس الشرعية حولوا الى ابتكار المنهج وصياغته من نقطة البداية وستكون العلوم بصيغتها الجديدة مرشدة الى حقائق الكون ، ومعلنة عبوديتها لله .

وللوصول الى الصدارة فى هذا المضمار سيقوم الواثقون بربهم باختراق حاجز اللغة ، فيترجمون ما وصلت اليه هذه العلوم بعد صبها فى قالب اسلامى ، وبمعنى آخر ستبقى النتائج ثابتة على حالها كما أثبتتها العلوم ، اذ الحقائق وقوانين المادة لا تختلف من امة الى اخرى ، غير أن التغيير سيلحق طريقة عرضها على المتعلمين وعلى النظريات التى استنبطها الغربيون من تلك النتائج ، وهذان الأمران يقبلان التغيير فيتحتم على كل امة تنوى النهوض بأفرادها تلبية هذه الاحتياجات ، فما ظنك بامة كلفت بقيادة البشرية بما يصلحها ويوصلها الى الفلاح .

ولتطبيق ما قلته أقدم مثالا واقعيا لما أثبته العلم بتجاربه العديدة ، حتى توصل الى أن

---

(١) تعليمى تجاويز تبصرة ص ١٣ وقد وقع على هذه المقترحات عشرون مدرسة من كبريات المدارس العربية تحت قيادة المدرسة العربية نيو تاؤن كراتشى .

جميع الأشياء التى تتأثر بالبرودة تنكمش اذا تعرضت للبرد ، ما عدا الماء فمتى قارب درجة الجمود انتشر وخف وزنه ، ومن هنا يطفو الثلج عن سطح الماء فى الأحواض والآبار والأنهر والبحار ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل فيعرضها غير المسلم فيسند الى الماء هذه الخاصية وانها طبيعة فيه ، ويتصدى لبيانها مسلم فينظر اليها بمنظار آخر ، فيبرز أن خلق الله لهذه الخاصية فى الماء هى التى مكنت الأحياء المائية ان تظل حية بقدرة الله ومشيئته ، حين يتجمد الماء فى الشتاء ، فلو لم يكن الأمر على هذا النحو لنزل الماء الى القاع حين تجمده ولاستحال على تلك الكائنات بقاؤها حية تحت تلك الصخور الجليدية .

فالطريقتان تباينتا فى عرض المعلومات ، ورتبتا آثارا مختلفة فى عقل المتعلم ، ففى العرض الأول لم يذكر اسم الخالق ، ولا الصانع المدبر ، وانما الطبيعة هى المتصرفة فى هذا الكون بقوانينها المحكمة التى لا تقبل التغيير ، بل يشير من طرف أخر بعدم وجود رب يسيّر الكون حسب قدرته وارادته ، بينما العرض الآخر يحلل تلك الحقيقة ويربطها بخالق يحيط علمه بجميع مخلوقاته ، ما نراها وما لا نراها ، وما طفا على سطح الماء وما استقر تحته ، وبذلك يثير تساؤلات فى الأفئدة غير المعترفة بالخالق ، ويجعلها تعيد النظر فى مسلكها المنحرف ، كما يزيد المؤمنين ايمانا حين يرون آثار قدرة الخالق فى كل شئ .

ومما لا مشاحة فيه أن مثل هذه الصياغة ستستغرق وقتا قد يصل الى الجيلين أو الثلاثة ، لأن أمم الالحاد قد سبقتنا فى هذا المضمار التجريبى قرابة ثلاثة قرون ، وليس من السهل اللحوق بتلك الأمم الا بعد هضم ما سبقونا فيه ، وكأن التاريخ يعيد نفسه اذ لم يظهر تفوق المسلمين فى العلوم العقلية اليونانية ابان عهد هارون الرشيد ومن جاء بعده من الخلفاء الا بعد أن ترجموها الى لغتهم ، ونخلوها علما علما ، فأتقنوا مقدماتها ومن ثم توصلوا الى اثبات أحقية الاسلام بموجب تلك العلوم — التى كان يستخدمها أعداء الاسلام — ولن يختلف المسلك الذى يجب السير عليه الآن عما سرنا عليه آنذاك ، فمتى تمكنا من ارتشاف العلوم الحديثة ، وتمت لنا السيطرة على تقديمها فى ثوب اسلامى سهل علينا اقامة المختبرات الجديدة واجراء التجارب غير المسبوقة وأخذ النتائج بما يخدم منهج الاسلام ، فتعود البشرية لترتبط بخالقها من جديد .

د — سيبقى الكتاب الاسلامى متحدا مشتركا حتى الصف التاسع أو العاشر ،بين من يريد التخصص فى علوم التفسير والحديث ... أو الهندسة والطب ....، وبذلك تسير العلوم كلها متكاتفة لا ينقض بعضها أصول بعض ، ولا تختلف فى الهدف والغاية ، فترى علوم الطب موافقة لعلوم المفسر وأبحاث الأول تؤيد تفسير الأخير، وشرح الأخير أساس لابحاث الأول ، وهكذا تسند العلوم بعضها بعضا ،لا ينفرد متعلم عن الآخر الا فى التخصص الدقيق ، ليحل الوئام جميع ميادين العلم والمعرفة. (١)

هـ — ومن الأمور المسلمة فى هذا النظام التعليمى أن لغة تعليمه هى اللغة العربية، وتترجم المواد اليها بدقة وأمانة، وتأخذ الانجليزية حيزا معينا كلغة تدعو الحاجة اليها للاطلاع على ما يكتب فيها من العلوم ، لكنه لا يعقل أن تنفرد بلغة التعليم ، وتستولى على القاعات باسم العلوم ، فلو انحصر التقدم واكتساب العلوم الحديثة فى تعلم الانجليزية لما تقدم الاتحاد السوفيتى أو اليابان أو الصين ....، ولما زاحمتها اللغات الغربية الاخرى ، كالفرنسية والالمانية ....، والحقيقة أنا لو تصفحنا تاريخ العالم لما وجدنا أمة على وجه الارض سلكت بأبنائها درب التقدم وبنت مستقبلها على لغة مستعارة ، ليس لها رصيد شعبى ولا تتمتع بجذور تاريخية فى تلك الأمة .

و — ومن المؤسف أن العلوم الحديثة تدرس فى العالم الاسلامى كعلوم نظرية ، ما عدا الطب — الذى هو على بطبيعة الحال — وبعض المتخرجين فى احدى تلك التخصصات لا يعرف سوى النظريات التى حفظها فى الصفوف الدراسية ، ومن هنا كان المساعد الفنى للمهندس مثلا أكثر خبره من حامل الدرجة العلمية ،وقلما انتبهت جامعاتنا لهذا الثلم الذى يعثر كل الطاقات العقلية ، وقد عوض الغرب هذا النقص بالتطبيق فخصصوا حصصا عملية فى المنهج حينا ، ويمارس الطالب العمل فى ميادينه خارج دوام الجامعة أحيانا أخرى ، فيجب على النظام المنشود أن يأخذ بعين الاعتبار كلا من النظريات وتطبيقها على الواقع المطلوب ، فلا يفاجأ خريجه بالتطبيق العملى حين يتحمل مسئولية خدمة المجتمع ، ولا يشعر باستحياء وخجل حين تقتضى الحاجة انجاز عمل بيده .

---

(١) ويرى الدكتور برنارد دو بيار التخصص منذ المرحلة الابتدائية المبكرة من التعليم .

ز - أثبتت التجارب أن الناس يؤدون واجباتهم على الوجه المطلوب حين تضمن لهم متطلبات الحياة ، ويسعون جادين باداء أكثر مما يطلب منهم متى وجدوا حوافز مشجعة ، فليتخذ نظامنا التعليمى كل سبل التشجيع المادية والمعنوية لاستنهاض الهمم ، وصنع جيل من الرواد ، من ذلك مثلا تأمين العيش بجميع متطلباته للعلماء الذين يقفون حياتهم للبحث والتنقيب ، وتقديم منح مالية أو عينية اليهم بين الحين والآخر ليتفرغوا للعلم لا تشغلهم أمور المعيشة بشئ ، وكان سلفنا رحمهم الله من الخلفاء والملوك يتسابقون الى مثل ذلك باعطاء عالم خراج منطقة معينة ، أو تخصيص مبلغ سنوى من بيت مال المسلمين ، ويختلف التشجيع من شخص لآخر ومن جهة الى أخرى ومن انجاز الى انجاز ، ومراعاة ذلك كفيل بصنع جيل من الرواد يخلف جيلا فى حين أنهم لو انشغلوا بمسائل المعاش فلن يركزوا على مسائل العلم التركيز المطلوب ، وصدق أحد العلماء حين قال : " لو فكرت فى بصلة ما استطعت حل مسألة " . وبذلك تعود ازمة التقدم والتطور العلميين الى أمة التوحيد .

ح - أهم ما يميز نظامنا التعليمى عن غيره من الانظمة هو دقة نظره عند تعيين مدرس ما ، وأخذه بعين الاعتبار صلة المدرس بدينه ، فينظر الى خلقه ومؤهله العلمى بمنظار الالتزام بالاسلام ، ولا تخفى أهمية هذه الحقيقة على من يملك أدنى نظر فى ميدان التربية ، اذ الطالب يأخذ من الاستاذ أكثر من الكتاب ، وفاسد الاخلاق وسئ المعتقد لن يستطيع تربية الجيل على النهج الذى يريده هذا النظام ، والواقع أن نظامنا هذا هو تعليم وتربية معا ، ولا يقل اهتمامه باحدهما عن اهتمامه بالآخر ، فاذا كانت ضحالة المادة العلمية تؤدى الى ضعف الانتاج فان تعرى المدرس من تطبيق مبادئ الاسلام ينزع الثقة عنها ، ويحيلها الى مبادئ نظرية غير صالحة للتطبيق العملى فى العصر الحديث .

ط - ولتشجيع هذا النظام يجب الحد من مدارس التنصير ، فلا يباح مثلا للطالب المسلم التسجيل فيها ، بل تختص بالطلبة غير المسلمين ، كما لا يصح التساهل معها فيما تمارسه من مخالفات للدين ومثله واخلاقياته ، تجنبا للعدوى وتنشئة للمجتمع على أسس متينة خالية من التعارض ، فتخدم كل جهة هدف النظام وتسعى الى تحقيق غاياته . (١)

(١) انظر للتفصيل فى كيفية الحد مولانا محمد تقى العثمانى عصر حاضر مين اسلام كيسى نافذ هو " كيفية تنفيذ الاسلام فى الآونة المعاصرة " ص ٢٩١ وما بعدها .

ى — سبق الشيخ المودودى غيره من المفكرين فى تهيئة الأسس التى يجب أن يركز عليها التعليم الاسلامى فى مراحلة المختلفة ، فقدم جدولا بين فيه المواد التى يجب التركيز عليها فى كل مراحل التعليم [1] الابتدائية، والثانوية ، والجامعية ، والدراسات التخصصية .

فالجدول عمل مبدئى يمكن قبوله كنقطة بدء وانطلاق ، تهذبه التجارب اضافة وحذفا .

وآخر ما بقى من مباحث التعليم هو تعليم الفتاة المسلمة، وهل تنهج نهج الفتى وتترجل معه فى ساحات التعلم ؟ أو أن لها وضعا معينا وهدفا منشودا من حياتها التعليمية ، وهل الوضع الذى هى فيه يلائم فطرتها ؟ او ان التغريب سلبها راحة الحياة ومنعها من الالتزامات الشرعية التى راعت طبيعتها فميزتها عن الرجل فى العديد من مناحى الحياة ، وكلفتها بما يتفق مع جبلتها كانثى ، سواء كانت محاضرة أو معلمة أو عاملة فى المكتب أو زوجة تدير شئون البيت ...

كل ذلك موضوع الحديث فى الفصل الثانى .

* *

*

---

(١) انظر الجدول فى تعليمات جـ ١٤٦ـ ١٦٢ و جـ ١٩٢ـ ٢٠٩

الفصل الثالث

((أثر الفكر الغربي في مجال القضايا الاجتماعية))

ويشتمل

على النقاط الرئيسية

التالية

١ ـ تعليم المرأة .

٢ ـ الحجاب .

٣ ـ عمل المرأة .

٤ ـ زواج المرأة (جهيز ، زواج المسلمة بغير المسلم ، زواج من هو دون البلوغ ، النكاح بالقرآن ، تعدد الزوجات ، الطلاق ، تحديد النسل .

٥ ـ القوامة .

٦ ـ ديه المرأة .

٧ ـ ارث المرأة .

٨ ـ سفر المرأة بدون محرم .

٩ ـ شرب المسكرات .

١٠ ـ الاقتصاد ووسائل الاعلام .

الفصل الثالث

الأسرة وحدة اجتماعية مصغرة ، وصلاح البشرية مرتبط بصلاحها ، والنظام الذى يستطيع تقويمها يمكنه تقويم الانسانية جمعاء ، فاذا صلحت الأسرة صلح المجتمع ، واذا فسدت فسد المجتمع ، وما من نظام الا وقد حاول تعيين حدود ووضع قيود على هذه الوحدة حتى يستطيع تربية الأمة على نهج معين .

والعبء الأكبر من اصلاح الأسرة يقع على المرأة فهى المدرسة الأولى ، والمربى الأول ، فهى الأم والزوجة والبنت والأخت ... ، يبدأ تعهدها بالنشء منذ لحظة تكوين الجنين ، ويستمر الى زمن المراهقة وما بعد المراهقة .

ومن رحمة الله بالبشرية أن أرسل اليها خاتم النبيين ، وأنزل عليه أحكم النظم وأعدل الشرائع وما يقوم حياة الأسرة والمجتمع ، وكلف الرجال بأمور ورضى للنساء بأمور وساوى بينهما فى أمور أخرى .

فالرجل المسلم ملزم بالانفاق على الأسرة سواء كان زوجا أو أبا أو ابنا أو أخا ... ، يسعى فى الأرض لاعاشتهم ، والمرأة المسلمة سواء كانت زوجة أو أما أو بنتا أو أختا ... رضى لها خالقها المكث فى البيت ، والقرار داخل دولتها المحصنة ، لا تخرج من مستقرها الا لحاجة (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ...) (١)

ومن حق المرأة المسلمة التعليم وتلقى المعرفة مما يتلائم مع فطرتها ، ويقوى ما جبلها عليه خالقها عز وجل ، وتُنشأ لتكون زوجة صالحة وأما يناط بها تربية الأولاد ، والسهر على ما يطبعه بطابع الاسلام ، وإن احتاجت الى الخروج من الدار للحاجة التزمت آداب الاسلام من الحشمة والوقار والاستحياء والتحجب : " يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) (٢)

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٦٩ .

" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن ... " (١)

ولاستقرار البيت عند بناء أسرة اسلامية جديدة شرع الاسلام للمقبلين على النكاح النظر بعضهما الى بعض ، من الخاطب الى مخطوبته ومن المخطوبة الى من خطبها ، ولا يتم النكاح الا برضا الطرفين ، وقواعد الاسلام وأنظمته فى باب النكاح تكفل للمسلمين الاستقرار فى الحياة الأسرية ، فما أعطاء المهر ومنع زواج المسلمة بغير المسلم والمسلم بالوثنية الا عمد لذلك الاستقرار .

والزوجة المسلمة هى التى إن نظر اليها زوجها سرته وإن غاب عنها حفظته ، لا تدخل فى بيته الا من أباح الله دخوله ، ولا تنفق من ماله الا ما أذن الله فى الانفاق فيه ، تراقب الله فى كل تصرفاتها ، تمتثل أوامره وتقف عند نواهيه .

ومناط صلاح الأسرة ينبنى على تفويض قيادة البيت الى الرجل ، لأنه أعرف بمصلحة الأسرة داخل البيت وخارجه . (الرجال قوامون على النساء) (٢) ويقابل الرجل هذه المسئولية بالمشورة وتداول الآراء بين أفراد الأسرة ، لا يستبد برأى دون أن يشرك أفراد أسرته فيه .

ويبلغ اعتناء الاسلام بهدوء البيت واستقراره أسمى مراتبه حين يفرض طاعة الوالدين ، والخضوع لهما فيما عدا الاشراك بالله (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ...) (٣)

وبما أن صلاح الأسرة صلاح المجتمع وفساده يؤدى الى فساده ، سعى أعداء الاسلام الى هدم الأسرة الاسلامية ، وركزوا هدمهم على هدم المرأة المسلمة ، واليك أهم القضايا الاجتماعية التى نفذ منها الفكر الغربى الى المجتمع المسلم على العموم .

---

(١) سورة النور آية ٣٠ ـ ٣١ . (٢) النساء آية ٣٤ (٣) لقمان آية : ١٥ .

تعليم المرأة :

من طبيعة المغلوب اتباع تقاليد الغالب ، لظنه أنها سر القوة والغلبة ، وهذا ما حدث فى العالم الاسلامى حين استعمر وتغلب عليه الغرب ، فانقلبت معايير الحياة الاجتماعية ، ودفع بالمرأة المسلمة فى هذا الخضم دفعا من غير وعى أو ادراك ، فبرز الى حيز الوجود ما يسمى "بقضية المرأة الشرقية " كالمرأة الغربية " فعقدت المؤتمرات وتكونت المنظمات ، وتبرع آخرون بالدفاع عنها فى الصحافة والمنتديات ، فأثاروا الضجة تلو الضجة لحقوقها الانسانية ، ظانين أن الاسلام أجحف بها كاجحاف الكنيسة .

من البديهيات المسلمة أن المرأة فى الاسلام انسان ، تحمل روحا انسانية من النوع الذى يحمله الرجل : " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا " (١) اتفاق كلى فى الخلق والانشاء وفى الحقوق الانسانية فلها حرمة العرض والمال والدم ، فلا تمس كرامتها ولا يتجسس عليها ، ولها الأرث والزواج والعمل ... ، وعليها اداء الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ، وتعاقب كالرجل اذا ارتكبت ما يوجب العقوبة " وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص " (٢)

واثبات الكيان البشرى فى المعمورة متاح للجنسين ، فالمرأة مثل الرجل فى الأهلية للملك ، والتصرف فى المملوك بجميع الأنواع من بيع وشراء وزراعة واجارة ورهن ووقف " للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن " (٣) كما تساوت مع الرجل فى الجزاء الأخروى فالجنة ان أحسنت ، واطاعت أوامر خالقها عز وجل ، والنار اذا لم تمتثل بما طلب منها : " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا " (٤)

---

(١) سورة النساء آية : ١ .
(٢) سورة المائدة آية : ٤٥ .
(٣) النساء آية رقم : ٣٢ .
(٤) النساء آية : ١٢٤ .

ولم يكتف الاسلام بهذا القدر من الاتحاد والتساوى وان خالف بينهما فى بعض التكاليف بل طلب منهما التعلم معا . حين كانت البشرية غارقة فى الجهل والظلام ، فقرر أن العلم ضرورة لجميع أفراد البشر ، وفريضة توصل الى الايمان بخالق الأرض والسماء : " أقرأ باسم ربك الذى خلق " [1] وجاءت السنة النبوية تجسد أمر القرآن ، وتحض على طلب العلم دون تمييز بين الذكر والانثى " طلب العلم فريضة على كل مسلم " [2] فقوله صلى الله عليه وسلم " كل مسلم " يدل على العموم يشمل كل من أسلم سواء كان ذكرا أو انثى ، وبدأ معلم الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم بتنفيذ ذلك فى بيته ، فقد تعلمت حفصة بنت عمر رضى الله عنهما القراءة والكتابة قبل زواجها ، وطلب عليه الصلاة والسلام بعد الزواج بها من الشفاء العدوية [3] - وكانت كاتبة فى الجاهلية - أن تكمل لها تعليمها [4] ، وكانت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم تعلم الرجال والنساء ما تعلم من أحوال النبى الخاصة والعامة .

ولا يقتصر التعليم على الحرة فى نظر الاسلام ، وانما هو نبع مشاع يشمل الأمة كشمول الحرة ، لذا ورد التشجيع النبوى على تعليم هذه الفئة الضعيفة من النساء " ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها وأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها كان له اجران " [5] فعنى المسلمون بتعليم المرأة فى ضوء الاسلام وتبعا لذلك اختلف تعليم المرأة عن الرجل فى عصور الاسلام الماضية ، فقد أراد شرع الله من تعليم المرأة تكوين الاسرة الاسلامية السليمة ، فكانت تهيأ بواسطة التعليم لتكون زوجة تقية ، ان نظر اليها زوجها سرته ، وان غاب عنها حفظته ، ولتكون اما متفرغة لتربية أبنائها ، وتدبير شئون بيتها ، تخفف عن الزوج عبء ادارة المنزل ليتفرغ الأخير بدوره لصراع الحياة فى الخارج ، وتدبير شئونه المعيشية .

---

(١) سورة العلق آية : ١.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة فى سننه جـ١/٨١ . رقم الحديث ٢٢٤ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم .

(٣) هى شفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية العدوية من المهاجرات الأول ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل عندها فى بيتها وكانت ترقى من النمل فى الجاهلية وأقرها الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك . انظر ترجمتها وافية ابن حجر العسقلانى / الاصابة فى تمييز الصحابة جـ٤/٣٤١ .

(٤) انظر سنن ابى داود جـ٤/١١ كتاب الطب باب ما جاء فى الرقى .

(٥) الحديث رواه البخارى فى صحيحه صحيح البخارى جـ٦/١٢٠ كتاب النكاح باب اتخاذ السرارى .

وهكذا نقل المجاهدون لزوم تعليم الفتاة الى الهند ، فرفعوا شأنها ، حين فقدت المرأة الهندية انسانيتها ، وتحولت الى متاع من امتعة البيت ، قد يخسرها زوجها فى القمار ... ويحرم عليها الزواج بعد موته وقد تضطر لحرق نفسها تفاديا من الاهانات والسخريات فى الحياة بعده [١] وكان الهنود الثيراهيون ينادون بتزويج بناتهم ثلاثة أيام ، فان لم يقبلها أحد قتلوها خلاصا من فرد غير مرغوب فيه ، وعلى العكس من ذلك فقد يكون للمرأة الهندية الواحدة عدة أزواج لجمالها أومالها أو منصبها ، [٢]

أضف الى ذلك ان مهيجات الشهوة والمواد الجنسية لم تدخل فى صميم ديانة من ديانات العالم مثل دخولها فى الديانة الهندوسية ، فقد عبد اتباعها آلة التناسل لالههم "مهاديو" ووضعوا لها تمثالا يعبده أهل البلاد رجالا ونساء ، وعكس آخرون الوضع فعبدوا نساء عاريات تقربا الى الآلهة ، وكان كهنة المعابد يرزءون الراهبات فى اعز ما عندهن حتى اضحت المعابد مواخير ينال فيها الفاجر بغيته ويترصد فيها الفاسق لطلبته . [٣]

وفى هذا الخضم من الافراط والتفريط حمل المسلمون مشغل الايمان لانقاذ المرأة الهندية مما آل اليه أمرها من الهبوط والانحطاط ، وأعادوها الى مكانتها الفطرية ، فليست الها يعبد ، ولا متاعا يباع ويشترى ، ولا أداة للفجور والخلاعة فى أيدى الكهان ، ولا صلاح الأوضاع فتحت أغلب أمهات الملوك وزوجات امراء المسلمين الهنود العديد من المدارس ، ومنهن من تولت تربية يتامى النساء وتعليمهن فى القصور .

وأول فساد خلقى مكشوف شهدته الهند ابان حكم المسلمين جاء على الأيدى البرتغالية حين أغاروا على "جوا" واحتلوها ، فوقعت فى أيديهم بعض نساء المهزومين ، فأجبروهن على اشباع رغبات الجنود الجنسية ، وتلك أول دعارة شهدتها أرض الهند ، وصاحب ذلك الخمر والقمار ، وقلما تنفك هذه الثلاثة بعضها عن بعض ويفتخر بهذا الوضع المخزى القسيس

---

(١) انظر تفصيل ماتدنت اليه المرأة الهندية ، نشأة باكستان ص ١٩ ، والهند فى العهد الاسلامى ص ٥٤ وماذا خسر العالم ص ٦٠ .

(٢) انظر الكامل جـ ٩/٢٧٢ ، وتاريخ ابن خلدون جـ ٤/٨٧٣ .

(٣) انظر ماذا خسر العالم ص ٥٧ .

بركة الله فيقول : " عندما كانت أوربا تبنى من جديد كانت جوا قد اكتسبت مكانا مرموقا فى العالم لما تحتضن شوارعها من العبيد والاماء والمجوهرات ، وما يتمتع به سوقها من الحرية الجنسية التامة والخمر والقمار ، وكل هذه الأمور زينة جميع المستعمرات البرتغالية " (١)

ويبدو لمتتبع حركة تعليم الفتاة فى الهند أن المسلمين لم يعتنوا بتعليمها القراءة والكتابة مثل اعتنائهم بالفتى . فلا نجد فصولا منفصلة تخصهن فضلا عن مدرسة مستقلة ، فان كان الدرس النظامى يستحق الشكر لنشره خطوطا متشابكة لتعليم الفتيان غطت أرض الهند كلها فلا ينجو من لوم وتقصير فى عدم تثقيفه الجنس الآخر ، وكل ما نحصل عليه فى هذا الباب أن الفتاة المسلمة لقنت قراءة القرآن لكسب الثواب دون أن توجه الى فهمه ، أو ادراك مراميه .

ومن هنا وجدت الثغرة وأخذ الغربيون يعمقونها حتى اتسع الخرق على الراقع ، ولا سيما بعد دخول الفرنسيين الى الهند ، وجلبهم فتيات متعلمات استطعن القيام بتربية أبناء الأمراء وبناتهم على الأسس الغربية ، واضحت الهند مفتحة الأبواب بعد استيلاء الانجليز على السلطة ، فاستغلوا نقطة الضعف بالتثقيف ، وتفننوا فأطلقوا الشعارات البراقة من تعليم الفتاة وتربيتها لصالح المجتمع وازالة ما تراكم عليها من الجهل لارتباطها بالبيت منذ دهور . وبذلك استطاعوا اقناع بعض الآباء بارسال بناتهم الى المدارس للتثقيف والتعلم .

وبما أن تعليم القراءة والكتابة كانا من نصيب البعثات التنصيرية ، والمدرسات الغربيات سلمت تلك الأغصان الغضة لتنشأ على ما يريده رجال التنصير ، ويعد د كارسان دتاسى الثمرة الدانية لكلية الطب الكلكتية الخاصة بالنساء فيقول : " وأهم تلك المدارس على الاطلاق هى المدرسة الطبية الكلكتية التى تم انشاؤها عام ١٨٣٤م وأفخر انتاجها أن من دخلها تخلى عن التعصب المذهبى والعرقيات القومية " . (٢)

وبعد حرب التحرير اهتمت الدولة بالنساء أكثر من ذى قبل ، اذ أدركت أن كسب المرأة الى جانبها هو الركيزة الأساسية لتطويل عهد الاستعمار ، والخلاص من الحروب الجهادية المهددة بطرده بين الحين والآخر ، فاذا فسد البيت فسد النشئ لا محالة ، ولن يسمع الفتى أو الفتاة فى ضوء التعليم الحديث قصص الجهاد وما أعد الله للمجاهدين من الثواب — التى كثيرا ما سمعها من أمه أوجدّته عند النوم ليلا .

لـــذا ركـــز كـــارســـان دتاســـى أحـــد

(١) مغلية سلطنت ص ٦٦ (٢) مقالات كارسان ج١/٣٥٩

المهتمين بالاستعمار فى خطبته الحولية عام ١٨٧١م على التعليم النسوى ، وحصر النتائج النهوية فى قوله " ان الجديد سيملك السعة فى الفكر ، وينجو من ضيق المطن ويلغى جميع التقاليد القبيحة البالية " (١)

واقتضى التخطيط تحت ضغط الأسس الاسلامية الموروثة فصل الفتى عن الفتاة فى ميادين التعليم ، وبقى الوضع على هذا المنوال حتى مستهل القرن العشرين حيث نشاهد تقرير الدولة لعام ١٩٠١م يشكو من وضع تعلم الفتاة بقوله : " ومن العقبات الرئيسية فى التعليم أن المسلمين لا يرغبون فى تعليم البنت سوى القرآن ، وأن الهندوس يزوجون بناتهم فى صغر سنهن ، وأكبر العقبات على الاطلاق عدم وجود المدرسات ، وخلو الهند من معهد يقوم بتخريج ما تحتاجه مدارس التعليم النسوية " . (٢)

لذا رضخ المهتمون بتعليم الفتاة من رجال الدولة والتنصير لقوة التقاليد ، فأنشأوا مدارس منفصلة لكل من الذكور والاناث على حدة ، وبلغ عدد مدارس البنات التى تشرف عليها الدولة عام ١٨٦٩م ٢٤٠ مدرسة ، تقوم بتثقيف ٩٠٣٥ تلميذة من مختلف الديانات ، وما يربو على ضعف هذا العدد من المدارس مما اختصت بفتحة البعثات الغربية لتعليم الفتاة الهندية (٣)

وأول اختلاط فى التعليم وجد على أرض الهند يعود تاريخه الى عام ١٨٨٢م ، ويشير تقرير الدولة الى ذلك فيقول : " ان الفتاة والفتى الانجليزيين يواصلان مسيرة التعليم جنبا الى جنب وجوار بعضهم بعضا ، وأن نفقات هذه المدارس بلغت ٢٣٧٠٥ روبية للعام الدراسى ٨١ — ١٩٨٢م دفع الطلاب منها ٤٦٢٣ روبية كاجور تعليمية " (٤) وذلك أول دمج معلن بين البنين والبنات نفذه الانجليز ، وتتابعُ الزمن كَفَلَ لهم ما أرادوه ، فلم يغادروا الهند عام ١٩٤٧م حتى تقبل الشعب هذا الاختلاط عن طيب خاطر ، وأصبح من المألوف ان ترى الفتاة بجوار الفتى فى المراحل الجامعية من التعليم .

---

(١) مقالات كارسان جـ ١٣٥/١ .

(٢) مولوى مرزا مهدى تزنير ممالك محروسة ص ١٣٥ .

(٣) انظر مجلة منشور محمدى ص ٢٦٠ عدد ١٥ شعبان من عام ١٣٠٣ هـ .

(٤) ريورت مجموعى لعام ١٨٨٢م ص ٣٠٥ .

وآخر من تبرع بتقديم الادلة الشرعية للتعليم المختلط هو عمر أحمد بن ظفر أحمد العثمانى فقد صرح أن المرأة كانت تصلى فى المسجد أيام عهد النبوة ، وكانت تختلط بالرجال فى الحج ، كما كانت تعقد المؤتمرات المختلطة،ونفهم من هنا أن تعليم الفتاة بجوار الفتى يصح شرعا ، شريطة أن تلتزم الطالبة بالستر والا تظهر زينتها وأن ترتدى الجلباب الذى يغطى جسدها ... وأن يكون للطالبات مقاعد تخصهن وللطلاب مقاعد تخصهم .(١)

وتصرح خطة التعليم الخمسية الهندية ١٩٤٧ ـ ١٩٥١م " ان الدولة تبذل الجهد تلوالجهد بواسطة الدعاية التعليمية للقضاء على التعصب المنتشر فى الأوساط الريفية ضد التعليم المختلط "(٢)

هذا ما يتصل بالمكان الذى تتلقى فيه الفتاة علومها ولننظر الآن الى المعارف التى تكتسبها لتثقيف نفسها فى هذه الصروح العلمية الشامخة .

سعى دعاة المساواة بين الرجل والمرأة الى نبذ كل تمييزبينهما فى جميع أمور الحياة ،فلم يكن من السهل أن يميزوا الانثى عن الذكر فى المواد الدراسية . فعلموها ما يتعلمه شقيقها فى الانسانية ، وحاولوا تأهيلها لمثل ما يتأهل به الشق الآخر ، فحاولوا اخداع الفطرة وقلب معايير الانسانية ولو الى حين ،لقد تساوت الفتاة بالفتى فى تعلم الهندسة ، والكيميا والفيزياء والتجارة ، ويأتى التساؤل هنا هل كل هذه العلوم التى زودت بها المرأة اغنتها عن وظيفتها الطبيعية ، اغنتها عن طلب البيت ، والأولاد والأسرة ، والبحث عن رجل يسكن معها فى البيت ؟ ..

ويتميز النظام الذى يسير دفة تعليم الفتاة فى العالم اليوم بعدم مراعاته فطرتها البشرية فحادبها عن طبيعتها الانثوية ، فلم يعد يؤهلها للبيت ، وتكوين الاسرة وتربية الاولاد تربية تمكنهم من تحمل عبء الحياة ، وكل نظام لا يضع فى حسابه طبائع الأشياء مصيره الفشل ولو

---

(١) فقه القرآن جـ ٣/٢١٦ .

(٢) تاريخ تعليم هند ص ٥٠٠ .

بعد حين . وضياع المرأة المتعلمة اليوم أمر مشهود ، ورغبة الرجل عنها فى صنع الحياة الفضلى أمر لاينكره أحد .

وشهد تعليم المرأة بعد استقلال باكستان تطورا ملحوظا حيث أخرجها أنصارها من بيتهـا وأقحموها فى كل الميادين التى تحاشتها أيام الاستعمار ، فطلبوا منها المشاركة لأول مرة فى الفنون الجميلة تعلما وتعليما ، وأنشأوا لهذا الغرض مركز الأداب الباكستانية تحت رئاسة وزير الخزانة وباشراف الراقصة آذورى زوجة نزهت محمود ، ولخصت المشرفة أعمال المركز فى قولهـا " سيعيد المركز بمساعيه التعليمية الرقص المغولى الهابط الى مكانه اللائق ، ويسعى الى منح باكستان المكان المرموق فى معرض لندن للفنون الجميلة الذى سيقام عام ١٩٥١م ... وأن رقص خَتَك (١) الذى بلغ الغاية فى الجودة وحسن الاداء هو رقص المسلمين ، يجـب استرداده من الهنود بالبذل والتضحية " . (٢)

وأسهم أغا خان رئيس الاسماعيلية ـ فى مسيرة المرأة المسلمة وتسليحها بسلاح الفنون الجميلة بكل جهد ممكن ، وتعتبر خطبته أمام رجال الأعمال الباكستانين عام ١٩٥٠م الركيزة الأساسية فى هذا المضمار فقد تبرع بالتنقيب عن تاريخ الغناء والنساء المساهمات فيه فـى العصور السابقة ،حيث قال : " وفى هذا الصدد يمكننا تقديم نموذجين سكينة بنت الحسـين ابن على وابنة طلحة ـ عائشة ـ رضى الله عنها اللتين شاركتا فى الحياة العربية الاسلاميـة الاجتماعية والعلمية بالتحرر التام ،وفى وسع نساء اليوم قياس أنفسهن عليهما ، وانا نعلم مـا رقى اليه الغناء والطرب فى كل من مكة والمدينة فى أوائل عهد بنى أمية ، ويجب ان نجنب أنفسنا شعور الاحتقار والنفور الذى يحمله الينا ضلال المسلمين تجاه الفنون الجميلـة " . (٣)

وتعلمت المرأة تحت اشراف الشرطة المسلمة اغلب الالعاب العامة من الجرى والقفز الطويـل وسحب الحبل والتمثيل ... وشهدت مدنية دهاكه عاصمة بنجلاديش أول عرض من هـذا

(١) اسم منطقة فى باكستان .

(٢) Tha Civil & Military Gazette dated: 30/11/1949.

جريدة الجازيت المدنية والعسكرية بتاريخ ١٩٤٩/١١/٣٠م .

(٣) جريدة الفجر بتاريخ ١٩٥٠/٢/٩م ص ١ The dailyDAWN dated:9/2/1950 P. 4.

النوع شاركت فيه كثير من طالبات الكليات والشرطة النسائية وزوجات المسئولين فى الدولة ، وأبدى العسكريون والمدنيون اعجابهم بما شاهدوه من الأعمال النسائية المتقنة ؟ .(١)

وآخر ثمار هذا التعليم المنحرف خروج المئات من المتظاهرات فى شوارع لاهور يطالبن بمساواة المرأة بالرجل فى الشهادة ، وبعدم تنفيذ اللائحة المعدة من لجنة المختصين الذين أعادوا صياغة تشريع الشهادة فى ضوء الكتاب والسنة ، وطالبوا الدولة بتنفيذها حالا لأنها مرتكزا العودة الى الشريعة فى التحكيم وفصل الخصومات . وقد تأجل تنفيذ تلك اللائحة الى الظروف الملائمة .(٢)

هكذا سارت مسيرة تعليم الفتاة المسلمة ، قذف بها فى لجة التغريب تحت اسم المساواة لتكون سهلة التناول فى المدرسة وفى الطريق وفى المجتمع ، وتصدى لحسم القضية ونخلها نخلا علميا المسلم المربى الشهير شيخى واستاذى محمد قطب حفظه الله فقال "تبعا لهذا الاختلاف الحاسم فى المهمة والأهداف اختلفت طبيعة الرجل والمرأة ، ليواجه كل منهما مطالبه الأساسية ، وقد زودته الحياة بكل التيسيرات الممكنة ، ومنحته التكييف الملائم لوظيفته ، لذلك لا أدرى كيف تستسا[illegible] هذه الثرثرة الفارغة عن المساواة الآلية بين الجنسين ان المساواة فى الانسانية أمر طبيعى ومطلب معقول ، فالمرأة والرجل هما شقا الانسانية ، وشقا النفس الواحدة . أما المساواة فى وظائف الحياة وطرائقها فكيف يمكن تنفيذها ، ولو أرادتها كل نساء الأرض وعقدت من أجلها المؤتمرات وأصدرت القرارات . هل فى وسع هذه المؤتمرات وقراراتها الخطيرة ان تبدل طبائع الأشياء ، فتجعل الرجل يشارك المرأة فى الحمل والولادة والارضاع".(٣)

اذن فمتطلبات الأنثى غير متطلبات الذكر فى ميدان التعليم ، واحتياجاتها غير احتياجاته ، والنظام التعليمى الذى ينمى القوى الجبلية فى الانثى سينقذها مما ألم بها اليوم ، ويعيد اليها كرامتها المسلوبة .

ويأتى الاستفسار هنا عن موقف المصلح من كل ما تتعلمه الفتاة اليوم ، هل هو مفيد فيبقى أو هو ضار فيرمى ؟ ويجدر بالمجيب أن يعود الى فطرة المرأة فيستفتيها عما يهذبها وينميها

---

(١) انظر جريدة وقت اليومية عدد ١٦/٣/١٩٤٩م ص ٢ .

(٢) انظر لتفصيل ما طالبت به المتظاهرات جريدة جسارت اليومية عدد ١٤/٦/١٩٨٢م .

(٣) شبهات حول الاسلام ص ١٢١.

فيحث على ابقائه ، وعما يشينها فيطلب نسخة ، وما عدا ذلك من المواد فهو نأملة ان وجدت الفتاة فسحة من الوقت تعلمتها ،وان استغرق ،وقتها فى تحصيل العلوم الجبلية اكتف بها .

الحجاب:

وأول عقبة اصطدم بها دعاة المساواة هى الحجاب ، الذى ورثته الهند كابرا عن كابر ، فلم يكن من السهل اقناع الآباء والآمهات باخراج بناتهم دون ستر ، فأخذوا يفكرون فى زحزحة هذا الحاجز ، فسخروا اقلاما للهجوم عليه والاطاحة به ، فترى ما نوراما الهندوكية تنص على أن قيود الحجاب لم تألفها المرأة الهندية الا بعد اصطدام الهندوس بالمسلمين وأن الخوف على سلامة النساء من الغزاة والمغيرين أدى الى التقليل من حرية النساء ، وتطلبت الوقاية أن يقل سماح الأب أو الزوج لابنته أو زوجته بالخروج من المنزل عن ذى قبل ، لأنه لم يكن من المعروف متى ستواجه المدينة خطر المغيرين عليها " . (١)

ويعيد الى الاذهان كارسان دتاسى أن الهندوس يردون احتجاب الهندوسيات الى ماجلبه المسلمون من العادات والتقاليد ، وان الحجاب بموجب تشريعات منوسمرتى الهندوسية لا يجب ، وللمرأة أن تذهب الى التعليم دون ستر أو حجاب .

ولخص موضوع الحجاب أحد كتاب المسلمين الذى زار خمسا وعشرين بلدا اسلاميا للتعرف على حقيقته فقال : " ان ما يلزمه المسلمون اليوم نساءهم من الاحتجاب لا يمت الى الاسلام بصلة وأن المسلمين الهنود أتوا من قبل الهندوس والراجبوت الذين أسلموا مع عائلاتهم التى كانت تحتجب قبل الاسلام فظل الحجاب عندهم حتى اليوم " (٢)

ويسند الفكرة أخر فيصرح : " أن ما نرى من الحجاب فى الهند وباكستان لا مثيل له فى جميع الدول الاسلامية ،بل انه تقليد موروث نتج عن الاحتكاكات المحلية ، وتوسعت دائرته

---

(١) الهند شعبها وأراضيها ص ١١٧ .

(٢) مقالات كارسان دتاسى جـ ١٣٩/١ .

(٣) بيير زاده شمس الدين رسمى بردے كے نقصانات أور اسلامى بردے كے نشانات " مضار الحجاب التقليدى وسيماء الحجاب الاسلامى ص ٣

حين دالت دولة الاسلام ، وكان أشده وأعمه فى الطبقات الوسطى قبل الاستقلال . وأخذ الوضع يتحول بعده الى نبذ التقاليد السيئة فتضاءل ورجع القهقرى "(١)

هكذا تضاربت آراء الفريقين فى أسبقية مصدر الحجاب درع الحشمة والحياء — بعد اقتناعهم أنه سمة عار فى جبين الاثنين ، فحاول كل فريق تخليص امته منه ، والقاء تبعاته على الأمة الأخرى . فالهندوس يردون الأخذ به الى المسلمين ، ومدعو الاسلام يرجعونه الى ميراث الهند قبل الفتح .

واتجه الآخرون من أنصار المرأة الى أدلة الشرع فاقتنصوا الرخص والمباحات ، وأعلنوا لأمتهم "أن منعم النظر فى قوله عز وجل : "يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين " (٢) يتضح له أن التمسك بالجلباب — العباءة — الى الدوام والأبد لم يكن مقصود القرآن . وانما الغرض منه تنحية الأوباش ومن يسلك طريق السوء ، ومتى وجدت تلك الظروف ، وتلك الفئة لزم الجلباب "(٣)

ويجيب الاستاذ محمد عثمان عن تساؤل مغاده هل على المرأة تغطية وجهها إن أرادت الخروج من البيت فيقول : " الذى يحدد هذه المشكلة ويوضح معالمها هو أن الكلام الالهى لا يلزم النساء بالغطاء فى الظروف المعتادة ، كما أن السنة الصحيحة لم تلزمهن بذلك ... وفى الظروف التى نمر بها الآن فى باكستان أو التى ندعو اليها يجب الا نشدد فى الحجاب ، ولا نضع التجربة الحديثة على الطرق التى تؤدى الى العسر والضيق ، بل يجب أن نبلغ الى الأمة ما يهدف اليه القرآن دون زيادة أو نقصان ، فمتى وجد الأوباش وشرار الخلق فى صفوف المسلمين وجب الجلباب كدرع وقائى للنساء ... وليس من الحكمة لعلاج وجع الرأس استعمال الاسبرين والمهدئات باستمرار ، بل الحل الأمثل يكمن فى البحث عن العلل المسببه لذلك المرض فنحاول

---

(١) شاهد حسين الرزاقى باكستانى مسلمانون كے رسوم ورواج " عادات المسلمين الباكستانيين وتقاليدهم " ص ٢٧٨ ، وانظر مظهر الدين الصديقى / اسلام أور عورت (الاسلام والمرأة) ص ٢٠٣ ومحمد ميديوك المسلم الانجليزى تهذيب اسلامى (الحضارة الاسلامية) ص ٢٠٣ .

(٢) الاحزاب : ٥٩ .

(٣) الاستاذ محمد عثمان اسلام باكستان مين ص ٥٣ .

استئصالها .(١)

وفسر صاحب " فقه القرآن " قوله عز وجل " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ..."(٢) بأن الأمر بغض البصر من الرجال لا يهدف سوى الا تقع أبصارهم على الوجوه المحرمة ، فلو كان المقصود الستر والتغطية الكلية لكان الأمر بغض الأبصار عبثا ، لأن غض البصر ورفعه وقتئذ سواء "(٣)

وتلاعب آخرون بعقول الأمة فحصروا جميع عيوب المرأة المسلمة من جهل ومرض ، وعدم مسايرة للحياة الاجتماعية ... فى الحجاب ، وسود واحد من اجرأ دعاة السفور بضعا وعشرين صفحة فى ذلك وكال الحجاب كيل السوء "(٤) وتقدم الأديب عبد الحليم شرر عن هؤلاء خطوة فوصف الحجاب بأنه " هو الحجاب الأكبر ومن المشكوك فيه محافظته على عفة المرأة وطهارتها ، وأن وجوده على الوجه سهل للمرأة كل ما استحت من ارتكابه فى الظاهر والعلن ، وإن هو الا عقاب تلتزم به زوانى النساء "(٥)

وتهدد مجلة " احسان " اللاهورية باتخاذ الاجراءات الكمالية التركية اذا لم تستجب الأمة الباكستانية لآراء دعاة الاصلاح فتقول : " لن يستحكم بنيان الاستقلال ولن تتحد آراء الأمة الا عن أحد طريقين : أن يقود الأمة دكتاتور كمصطفى كمال فيعلن للملأ أنه لن تبقى امرأة متحجبة بعد اليوم ، وأنها ستكلف بالبحث عن معاشها بنفسها ، ولن تظل حملا على الرجل بعد الآن ، أو أن يكون فى الشعب شعور برقى الأمة فيتفادون التعصبات الشخصية ويضحون بمصالحهم للصالح العام ... وما زال الطريق الأخير مفتوحا يترقب استجابة الأمة ، فان لم تستجب فسيخرج من بين صفوفها الحاكم المستبد ، ويقودها الى الطريق المنشود أو تذهب قوتها فتعود الى الاستعمار من جديد "(٦)

ويقارن لياقت على خان أول رئيس وزراء باكستان بين المحجبة وغيرها

---

(١) اسلام باكستان مين ص ٦١.

(٢) النور آية : ٣٠.

(٣) عمر أحمد عثمانى جـ ٣ / ٣١٨.

(٤) انظر رسمى برد ص ٣٦ — ٦٥ والقسيس الدكتور ج — هـ آريسن حقوق وفرائض نسوا وحقوق النسوة وفرائضهن " ص ١٢ وغلام أحمد تبويب القرآن جـ ١/ ٣٨٤ وحقائق باكستان ص ١١٧ واسلام اورعورت ص ١٤٩.

(٥) بردة (الحجاب) ص ٣ .

(٦) ص ٣ عدد نوفمبر ١٩٥٠م .

ـــــــــــ النساء فيما ستقدمان من الخدمات نحو باكستان فيقول : " على النساء اللائـــي تحررن من قيد الحجاب تقع مسئولية وضع الأسس المحكمة لدولة باكستان القوية المهابــــة ، وليكن مستعدات لتقديم كل تضحية عند اللزوم ، وليقدِن من من خلال تعليمهن وحريتهن أروع الأمثلة ، ويثبتن للعالم فضلهن على المرأة القابعة بين جدران البيت "(١) وحثت زوجتـه فى احدى خطبها العامة النساء على وداع البيت فقالت : " لقد ودعنا تلك الأيام الـتى كانت النساء ، تسجن بين حيطان المنزل ولتستيقظن الآن من سبات الغفلة فتخرجن كالرجال من البيت وتعملن معهم جنبا الى جنب ، لا سيما فيما يحتاج اليه الصالح العام "(٢) ووضعت هذه السيدة أملها فى التعليم المختلط ليقضى على الحجاب عاجلا أو آجلا ، وأن الجيــــل الحديث نتاج الجامعات المختلطة لن يرضخ للحجاب ولن يقبل تلك القيود .(٣)

وزعم أغا خان أن حجاب المرأة وانفصالها عن الرجل وانزواءها عنه هو من التقاليد الشرقيـــة الدخيلة على الاسلام ... ومن هنا لا تعرف المرأة الاسماعيلية الحجاب والانزواء ، بل انهـــا تشارك الرجال فى المجالس والمعابد ، وتعين بعلها وأباها وأخاها فى جميع شعب الحيـاة الاقتصاديــة .(٤)

وأن تتبعت خطوط حركة السفور وجدتها ترتبط بحركة عليكره منذ نشأتها ، فهذا هو السيـد أحمد خان يستشار فى حجاب المسلمات هل هو حجاب القرآن أولا : ؟ فيجيب قائلا : " نرى صحافة اليوم تكتب بحوثا عن الحجاب سلبا وايجابا ، وحسبنا أن نحمل طابع الرجعية فى هذا الموضوع ، فنخالف رأى أصحابنا ونظل نعتقد أن الحجاب المعمول به فى الأوساط الاسلامية أمر حسن ، وأن البحث عنه من كونه مطلوب القرآن أولا ؟ أمر سخيف لا يجدى نفعا لأن الرجال لو امتثلوا أحكام القرآن فى الأفعال والعادات كان لهم الحق فى اثارة مثل هذه القضيــــة ، وما داموا منصرفين عن أنفسهم فالبحث منهم عن حجاب القرآن أمر غير معقول .

" واما ما يظن : أن رفع الحجاب يقرب المسافة ويهيئ فرص الصداقة والارتباط بالانجليز فـهو

---

(١) Tha Civil & Military Gazette dated: 25/1/1949.

(٢) " " " " : 29/1/1949.

(٣) " " " " : 27/4/1949.

(٤) سيد بركات أحمد روداد برده " محضر الحجاب " ص ٣٥٦ .

خطأ مكشوف لأن ذكورنا لم يوطئوا أنفسهم لمثل تلك الصلات ، هيئوا أنفسكم ثم ابحثوا بعد ذلك عن الأمور الخاصة بالنساء" (١) ويبدو أن قضية السفور لم تكتسب الانصار والمدافعين الا بعد أن احتضنتها عليكره بترجمة كتاب قاسم أمين "تحرير المرأة" بايحاء من محسن الملك الذى تولى رياسة عليكرة بعد وفاة السيد أحمد خان (١٨٩٨ ـ ١٩٠٧م) فنشر الكتاب على صفحات مجلة "عليكرة" الرسمية ثم ظهر للعامة فى صورة كتاب مستقل ثم تتابعت الصحافة تحض على نزع الحجاب دون هوادة .(٢)

وجاءت الحلقة المكملة فى فتوى مشيخة الأزهر عام ١٣٥٥ هـ ، حين استفتى الشيخ محمد مصطفى المراغى فى جواز كشف المنبوذات عن وجوههن اذا دخلن فى الاسلام ، فأفتى بأنه " قد اجمع العلماء على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وأن ليس على المرأة من بأس أن تزاول أعمالها خارج البيت ، وأن تمارس لكسب قوتها على شرط ألا تظهر ما يثير العاطفة من جسمها كشعرها وجيدها وزينتها ... ، فالاسلام لم يفرض على المرأة أن تعيش كما تعيش الأنعام ، أو أن تسجن كما يسجن المجرمون ، ولكنه على العكس أمر أن تحضر الصلوات فى المساجد فى صفوف خلف الرجال ، وأن تشهد اجتماعات المسلمين العامة . فى الأمور الهامة ، ولم تمنع قط من ابداء رأيها فيها ، ومن أن تتعلم كما يتعلم الرجال ، وأن تتصرف فى أموالها بكل وجوه التصرف بدون توقف نفاذها على زوجها أو ولدها ..."(٣)

نعم : لا مراء فى كون الوجه والكفين ليسا عورة فى الصلاة عند الفقهاء ولكن اطلاق الاجماع فى غير الصلاة محل نظر ونقاش لوقوع الخلاف بين العلماء فى جواز كشف المرأة وجهها وكفيها لغير محارمها فى غير الصلاة لأدلة صحت عند بعضهم دون الآخرين ، وسواء ترجح رأى المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى الذى لا يعترف بكون الوجه والكفين من العورة (٤) أو تغلب رأى المفكر الاسلامى أبى الأعلى المودودى رحمه الله الذى لا يستثنى شيئا من جسد المرأة عند الخروج من البيت (٥) فان الجميع متفقون على أن ما عدا الوجه والكفين عورة لايصح كشفه كما أنهم متفقون على أن الأفضل هو التغطية يقول الشيخ محمد

---

(١) مقالات جـ ٥/١٨٦

(٢) انظر موج كوثر ص ٢٥٣ ومجلة خاتون "المرأة" العليكرية ص ١٥٥ عدد أبريل ١٩١٠م ومجلة جامعة جـ ٢٠/٥١٩ عدد جون ١٩٣١م

(٣) مجلة الأزهر المجلد الأول العدد الخامس ص ٣٤٨ وانظر مجلة الفتح جـ ١١/٤٧٤

(٤) وذلك فى كتابه حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة (٥) وذلك فى كتابه الحجاب .

ناصر الدين " فيستفاد مما ذكرنا أن ستر المرأة لوجهها ببرقع أو نحوه مما هو معروف اليوم عند النساء المحصنات أمر مشروع محمود وإن كان لا يجب ذلك عليها بل من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج " (١)

ويقول الشيخ في موضع آخر " لكن ينبغي تقييد هذا بما اذا لم يكن على الوجه والكفين شيء من الزينة لعموم قوله تعالى : " ولا يبدين زينتهن " (٢) والا وجب ستر ذلك لاسيما في هذا العصر الذي تفتن فيه النساء بتزيين وجوههن وأيديهن بأنواع من الزينة والأصبغة ، مما لا يشك مسلم بل عاقل ذو غيره في تحريمه " (٣)

غيرأن دعاة السفور يجعلون الحد المباح نقطة البدء وبداية المسير ، فلا يقف الأمر لدى هؤلاء عند ابداء الوجه واليدين بل يتجاوزهما الى عرض الشعر المسرح وكشف الذراعين الى المنكبين والساقين الى الركبتين وجزء من الصدر والظهر ، وستر ما وراء ذلك من محاسن الجسد ومفاتنه بملابس شفافة تنم عن كل ما يرضي شهوة الرجال ، وتبلغ الجرأة حدها الأقصى حين يطالب الاتحاد النسائي الباكستاني (ابوا) (All Pakistan Women Association) بالغاء الحجاب وسن تشريع يمنع التحجب البتة . (٤)

ويصف الشيخ عبدالماجد الدريابادي وضع المرأة وتطورها الكشفي فيقول : " رفع الحجاب وبرز كل منظر مثير فكان البدء بكشف الوجه ثم تبعه رفع البصر فالكشف عن السواعد ثم السيقان فالعودة الى سترها بقماش رقيق يشبه لون السيقان ، ثم أتى بعدهما تعرية ما خلف الرقبة ثم تقدمت الحضارة فعرت جزءا من أعلى الصدر .... وإن سمة التمدن اليوم أن يكشف عن جزء من أسفل البطن وابراز السرة أمام الأعين الجائعة " (٥)

وهكذا تخلت المرأة عن قيمها ، وأصبحت مبتذلة بعد أن ودعت مستقرها الذي تستمد منه سيادتها الحقيقية ، غزاها دعاة السوء في عزها وكرامتها باسم تحقيق المساواة في الحقوق والتحرر من القيود

---

(١) حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ص ٥٣ .

(٢) سورة النور آية : ٣١ .

(٣) حجاب المرأة ص ٤٢ .

(٤) انظر روداد بردة ص ٣٥٤ .

(٥) مجلة صدق جديد اللكهنوية جـ ١/٨ عدد ١٤/٢/١٩٥٨م .

الموروثة ، فقذفوا بها فى المنزلق الذى أعجزهم رؤيتها فيه من قبل ، وها هى ذى قد تحررت من تبعات العفة والحياء واكتسبت رذائل الغلظة والتهتك وساوت الرجل فى غشيان المنتديات والملاهى والفنادق والمسارح وداعبت الأجانب وما زحتهم ، وترددت الى الملاعب والسينما كالفتيان سواء بسواء ترجلت وشقيت على حساب المنزل والأولاد دون أن تربح من تخليها عن الحجاب ما منيت به من الرفاهية والتقدم .

ويلمس المقارن الفرق الواضح فى مسيرة الحجاب بين ما كان عليه الحال بعد الاستقلال مباشرة وما هو عليه اليوم ، اذ أخذ الوضع يتحول لصالح الحجاب بعد صحوة المسلمات ومشاهدتهن الفساد والرزايا نتيجة السفور والتهتك فلن تعدم اليوم رؤية المحجبات فى كليات الطب ، التى وضعت أسسها على نزع الحجاب ، وها هى نقابة المحامين تلح على النساء أن يخرجن فى مظاهرة للاحتجاج على قانون الشهادة الاسلامى ، الذى جعل شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجل واحد فلا تخرج الا مائتان وبضع وخمسون امرأة فى مدينة لاهور التى يربو سكانها على ثمانمائة ألف نسمة ، وما ذلك الا دليل على الصحوة الاسلامية بين النساء فالمؤشر صاعد ، وعودة النساء الى الشرع أمر ملموس ، والخير فى حركات البعث الاسلامية وعلماء المسلمين .

عمل المرأة :

الأصل فى المسلمات أن يمكثن فى البيت ، ولا يخرجن منه الا للحاجة لقوله تعالى : " وقرن فى بيوتكن "(١) وقرئ " قِرن " بفتح القاف وكسرها من القرار والوقار ، ومعنى الآية على قراءة الفتح التزمن بيوتكن واستقررن فيها ، وعلى الكسر عشن فى بيوتكن بالسكينة والوقار ، وعند الحاجة الى الخروج تلتزم آداب الاسلام من الحجاب ... الخ وقد روى أن عمر رضى الله عنه رأى سودة أم المؤمنين رضى الله عنها خارج البيت لحاجتها بالليل فعرفها فرجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم وذكرت ذلك له فقال " قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن "(٢)

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٢) صحيح البخارى جـ ١٥٩/٦ . كتاب النكاح باب خروج النساء لحوائجهن .

ومن هنا كان اداء المسلمة لأعظم فريضة بعد الشهادتين فى البيت أفضل منه فى المسجد ، وقد ورد عن أم حميد الساعدية أنها قالت يارسول الله انى أحب الصلاة معك فأجابها بقوله " قد علمت انك تحبين الصلاة معى وصلاتك فى بيتك خير لك من صلاتك فى حجرتك ، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك ،وصلاتك فى دارك خير لك من صلاتك فى مسجد قومك ، وصلاتك فى مسجد قومك خير لك من صلاتك فى مسجدى "(١) كل ذلك تشكيل عملى للآية ، فلا يرضى الشارع بخروج المرأة من موضع السكن والاستقرار الا اذا دعتها الضرورة .

وتبين مما سبق أن الاسلام لا يستريح لخروج المرأة تعمل فى غير الأعمال الضرورية ،مع تقريره لها حق العمل ، وكانت النساء فى صدر الاسلام يعملن حيث تقتضى الظروف منهن العمل ، وذلك عند فقد العائل . ومن يقوم بالانفاق على الأسرة ... مثلا ، وقد فرض الاسلام نفقة البنت على الأب بكرا أو ثيبا ،وعند فقده ، ينتقل هذا الحق الى الأولياء الأقرب فالأقرب ،ويبقى معلقا بذمتهم حتى تتزوج فينتقل عنهم الى الزوج " وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف "(٢) ولكن حين عملت المرأة المسلمة من غير حاجة ملجئة تعرضت لعواقب وخيمة ، لا تحمد عقباها وعرضت المجتمع الى نكسات لن ينجو منها حتى تعود الأنثى الى فطرتها الطبيعية .

وما عملت ان المرأة وأصبح لها دخل مستقر حتى أخذت تدعى الندّية لمن ينتمى اليه جبرا للنقص الذى أوحى لها به شعورها بوضعها الاجتماعى المنحط ، ففقد البيت الألفة والأنس وانقطع رباط العواطف والمشاعر المشتركة ، وظهرت الثمرة فى نكول الرجل الجاهلى عن الانفاق أو اكراهها على العمل لتشارك بدخلها فى رفاهية الأسرة .

وقد يكون عمل المرأة فى ظروف فردية هو الصواب ، ولكن حين تعمل كل امرأة فى غير الأعمال النسائية تعطل رجلا عن العمل ،ومن ثم يتعطل أو يتأخر بناء أسرة جديدة فأى مصلح اقتصادى أو اخلاقى أو اجتماعى يؤيد هذا الاضطراب ؟ ويحدد أرشد أحمد موقف البنجابيين من تشغيل النساء فيقول : " ان أغلبية الرجال يرفضون تشغيل المرأة ولا يدافعون عن عملها البتة وأما العمل المختلط فهو مبغوض لا ينظر اليه الا بعين الكره

---

(١) الحديث أخرجه الامام أحمد فى مسنده جـ ٦/٣٧١ .

(٢) البقرة آية : ٢٣٣ .

والاشمئزاز وقد أثبت علم النفس أن الزوج التى تكسب يمكنها أن تدعى النّدّية لأنها شريكة فى الدخل لذا تسعى للتفوق على زوجها ، مما يذهب راحة البيت وأنسه ويقضى على المودة فى الحياة الزوجية ". (١)

وللابقاء على هدوء البيت يجب أن يسير كل حسب فطرته من الرجال والنساء وأن يمنح الجميع فرصا للعمل كل فيما يخصه ، فتعليم البنات والتمريض وتطبيب النساء وما شاكل ذلك من الأعمال ينبغى أن تقوم بها النساء وليس من المعقول زج المسلمة كاختها الغربية فى أعمال لم تخلق من أجلها رغم البطالة الضاربة الاطناب فى شبه القارة كلها ، هل استنفدنا كل الأيدى العاملة فوجدنا أن العمل ما زال فى حاجة الى مزيد ؟ هل امتنع المسلم زوجا أو أبا ... الخ عن اعالة الانثى وتركها من غير نفقة فاضطرت الى الكد لكى تعيش ؟

ولم يكن من السهل أن تتفادى المسلمة الهندية فى هذه الهيجة ما هوت اليه المرأة الأوربية فاقتحمت كل ميادين العمل سواء كان شريفا أو وضيعا اباحه الاسلام أو لم يبحه تحقيقا للمساواة فى كل شيئ ، وكان من بين ذلك المساواة فى التحلل والاباحية ، فان كان عمال شركة الهند الشرقية الفاسدون اعتدوا على حرمات البيوت ، وجاروا على الفلاحين فى أهليهم بالاتصالات الجنسية المحرمة (٢) فقد اختصت أسواق بأكملها بعد تحويل الهند الى الحكم المباشر لبيع الأجساد وعرض الفتيات أنفسهن تحقيقا لمبدأ " تشغيل المرأة " .

وقد روى الشيخ أبو الحسن الندوى حادثه ذات دلالة واضحة فى الانحطاط الخلقى الذى تردت اليه المرأة المسلمة الهندية آنذاك . فقال : " فقد ساق امرأة تتكسب بالبغاء سائق التوفيق الى مجلس من مجالس الوعظ وندمت على حياتها السابقة وتابت من عملها وبايعت السيد أحمد الشهيد — على الايمان والطاعة ، وحياة الطهر والعفاف " . (٣)

والذى يميز البغاء الانجليزى عن غيره هو أن الانجليز أحاطوه بسياج التشريع وجعلوا له شرطة تدافع عن المجرمين والمجرمات أمام سمع المجتمع وبصره ، حتى تحول الى حرفة تكسب العيش وتجارة تدر الأرباح ، بينما كانت الحكومات المسلمة تحاربه اينما وجد فهذا الملك أورنك زيب

---

(١) بنجاب كى عورت " المرأة البنجابية " ص ٦٢٨.
(٢) انظر مختصر دراسة التاريخ جـ ٣٠٤/٣.
(٣) اذا هبت ريح الايمان ص ٣٨ .

رحمه الله يصدر الأمر الملكى الى البغايا والمشتغلات " بالفن الجميل " أن يتزوجن أو يخرجن من حدود مملكته [١] وإن وجد ملوك وامراء فاسدون فى مختلف أحقاب التاريخ فإنك تلحظ عدم تجاسرهم على اظهار الجريمة واتيان الفحشاء علانية فضلا عن تعيين أفراد أو مناطق أو احياء تختص بهذا المنكر كما حصل فى عهد الاستعمار .

ويبلغ السيل الزبى حين تتحول الوحدات السكنية الطلابية للكليات الى مواخير يشبع منها الفاجر رغبته ويجد فيها الفاسق بغيته ، لذلك يسخف هنتر من وضع الكلية المحمدية الكلكتية فيقول " منذ بعض الوقت جلب عدة طلاب بغايا الى الكلية وكان من بين أولئك ستة وعشرون طالبا ممن منح غرفا مستقلة ، وكأنّ ما منحتهم الدولة للسكن الشريف حولوه الى اوكار للفحش والدعارة ، زد على ذلك ما يرتكبه هؤلاء من اتيان بعضهم بعضا مما لا وجود له فى أوربا بالكلية " [٢] غير أنه لم يمض على قوله هنتر بضع وستون عاما حتى أقر مجلس التشريع الألمانى بأكثرية الأصوات تحليل اللواط ، فلم يعد هذا الفعل جريمة الآن هناك ما دام يرتكب عن رضا الجانبين ، فان كان المفعول به دون سن البلوغ فرضاء بيد وليه [٣]

ويشير تقرير الدولة لعام ١٨٦٠ — ١٨٦١م عن البنجاب الى أن جرائم الزنا تضاءلت عن العام المنصرم اذ بلغ العدد " ٦٩٠ " جريمة مسجلة بينما وصل الرقم الى ٨٧٣ جريمة فى العام الماضى ، ويعزو التقرير هذا النقص الى تنفيذ الدولة قانون الجلد رغم خلو القانون الهندى العام من العقوبة البدنية لمثل هذه الجريمة [٤]

وتعتبر مقاطعة سَرْحَد — بشاور وما والاها — أول مقاطعة هندية تجرأت على تقديم طلب عام ١٣٥٣ هـ الى الدولة بالغاء البغاء الرسمى وتطهير المنطقة من هذا الداء الفتاك ، فوافقت الحكومة الانجليزية بعد تلكؤ ، وأجلت جميع البغايا اللواتى كن يتكسبن عن طريق بيع الأجساد ونشر الأوبئة المعدية ، ثم تبعتها بعض المقاطعات فى هذا الشأن ، غير أن الدولة لم تأخذ طلبهم بعين الاعتبار لأنه يقلل دخل الدولة ، ويجفف ينبوع الضرائب المفروضة على المحترفات [٥]

وبقى الوضع على ما كان بعد استقلال الدولة المسلمة باكستان بضعا وعشرين عاما ، ولم تتمكن الأمة المسلمة من الغاء البغاء الرسمى الا قبل سنوات معدودات .

---

(١) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ١٢٥ . (٢) همارے هندوستانى مسلمان ص ٢٩٥ .
(٣) انظر الحجاب ص ٧٣ . (٥) انظر مجلة الفتح ج ٩/٧٨٤ بتاريخ
(٤) انظر ريبورت مجموعى ص ١٠ . ١٠ ذى القعدة ١٣٥٣ هـ .

ولم يكن حال النساء العاملات فى غير البغاء الرسمى أحسن منهن ، لأن محاربة الفطرة أو تحويلها الى مسار غير مسارها الطبيعى أمر فى غاية الصعوبة إن لم يكن مستحيلا ، فحين خرجت الانثى تطلب العمل لتشارك بايرادها فى زيادة الدخل ،وجدتها الادارات والمكاتب والمصانع وموظفوهم فريسة تسقط من نفسها — راضية أو كارهة — فرحبوا بها كل ترحيب فوظفوها لتشغل وظيفة فى الظاهر وتلبى حاجاتهم فى الباطن ،وكم من مخاز كشف النقاب عنها على صفحات الصحف، والمستور أكثر وأعظم لا يعلم قدره الا الله ،وكم من محصنات تخلين عن وظيفتهن أو فصلن منها لعدم رضوخهن لمطالب الشهوة المحرمة .

واختراع موانع الحمل وشيوعها ورخصها قضى على البقية الباقية من العواقب الوخيمة للقاء الجنسى المحظور ، فحين أمنت الفتاة العاملة من الحمل استسلمت للفحشاء أكثر من ذى قبل واستطاع الانذال كسر حدة ابائها لوجود هذا العامل الحصين فرضخت لسعار الجنس وأمن روعها من اللوم والمحاكمة الصارمة التى كانت تتوقعها من المجتمع عند ظهور نتيجة السفاح ، لأن المجتمع المسلم مع تحلله لم يزل يعتبر الزنا جريمة خلقية وما زال يرفضه باباء وشمم .

وتلك احدى دواعى تفضيل البكر على ذات البعل فى التشغيل والتوظيف ، أضف اليها أن الحمل والوضع والأرضاع تجبر المرأة على لزوم البيت حينا وتقلل من نشاطها أحيانا أخرى ، مما حدا بادارات التشغيل الى التقليل من العاملات المتزوجات ، وتفضيل البكر عليهن لخلوها من جميع هذه المثبطات ، فبرز رد الفعل منهن فى التقليل من الحمل وتبعاته حرصا على الاستقرار فى العمل ومنافسة للبكر فى الاحتفاظ بالحظ الأوفر من الأعمال ، فخرجت النتيجة من استقراء الاحصائيات أن نقص المواليد للامهات العاملات لم يكن أغلبه عن اختيار وانما عن عقم استعصى علاجه ، وبفحص نماذج منوعة من حالات العقم اتضح أنه فى الغالب لا يرجع الى عيب عضوى ظاهر مما دعا العلماء الى افتراض تبدل طارئ على كيان الانثى العاملة نتيجة انصرافها المادى والذهنى والعصبى عن مشاغل الأمومة . (١)

وكان من الطبيعى أن تتحول مشاعر الأم العاملة من الحنان والرقة الى التصلب والخشونة نتيجة ارتباطها بالادارات وتعرضها للمصادمات والمنازعات، وكان أكثر الأفراد تأثرا من جراء هذا التحول هم الأطفال ،فالسويعات التى تقضيها الأم مع أطفالها قلما تكفى لتقديم المودة والرعاية اللتيين يحتاج الطفل

---

(١) انظر محمد قطب جاهلية القرن العشرين ص ١٦٤ .

اليهما أثناء مدة الحضانة ، ولا سيما فى السنتين الأوليين على الأقل . فالطفل فى هذه المدة يريد اما متفرغة ،لا يشركه فيها أحد ،ولا يشغلها عن تلبية مطالبه حتى ولو كان أخاه الشقيق ومن ثم انحرف الأولاد ، فخرجوا الى المجتمع بعد أن تغلب على عواطفهم حب الصراع ، وامتلأت نفوسهم بالعقد والاضطرابات النفسية نتيجة فقد رعاية الأم .

زواج المرأة :

وهكذا أخذت المسلمة تتردى خطوة اثر خطوة ، ولم يعد فى وسعها أن تقف برهة لمراجعة الماضى ،وما جنته من السير وراء الغربيات ، ولعل أخطر انتكاسات هذا التسابق ظهرت فى قضايا الزواج ويتلخص أهمها فيما يلى :ـ

أولا : جاءت تشريعات الاسلام فى الزواج تلبى حاجة الانسان الجثمانية ، وتخفف عنه مشكلات الحياة الفردية ، والزواج منظور فيه بطبيعة الحال الى تلبية الحاجات الغريزية بجانب المطالب الأخرى الاجتماعية والنفسية والروحية .... وكرم الاسلام المرأة عند عقد النكاح بالمهر وألزم الزوج تقديم هدية للزوجة التى اختارها شريكة لحياته ، " وأتوا النساء صدقاتهن نحلة " (١) "فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة " (٢) غير أن التغريب عكس الوضع اذ أخذ الأزواج يطالبون المرأة أو أولياءها عند العقد وقبله بالعطايا والهبات ، ويشترطون للقران شروطا ما أنزل الله بها من سلطان كادت أن تكون عقابا .

فمن طالب سيارة وجهاز تلفاز وغسالة والتنازل عن جزء من عقار اذا كانت الفتاة أو أولياؤها يملكون ذلك . ومن طالب ابتعاثة الى الدول الغربية لتلقى الدراسات أو تكميلها من نقطة التوقف حين عجزت موارده المالية عن تغطية تلك التكاليف .

ومن طالب ارسالة الى الخارج للعمل وتحمل جميع نفقاته ، أو البحث له عن عمل داخل دائرة حكومية أو قطاع خاص يجلب ايرادا يغطى نفقات الحياة المترفة كشرط من شروط العقد بغض النظر عن أهليته لهذه المطالب ، وبدت الحال تشبه دفع المهر من الانثى للذكر ، ويطلقون على ذلك اسم "جهيز" ويجمل شاهد حسين الزراقى ما يطوى عليه هذا المهوى الاقتصادى وما يجر على المرأة

---

(١) سورة النساء آية : ٤

(٢) سورة النساء آية : ٢٤ .

وأسرتها من العواقب السلبية فيقول : " أصبحت عادة اعطاء الجهيز واجبا من واجبات الزواج فلا يكتمل العقد الا به ،مع أن هذا الفتاك يحمل فى طياته العديد من الاختناقات الاقتصادية والعائلية أضف اليه أنه من مخلفات مجتمع لا يمت الى القرآن أو السنة أو الفقه بصلة ... وترى الناس يبيعون التركات الموروثة ، ويقترضون ويرهنون ... لتجهيز بناتهم حتى أضحت ولادة — البنت — فى كثير من المناطق الباكستانية آفة من الآفات يندم عليها الأولياء ندامة من لا حيلة له فى الخلاص والفكاك ، وشر البلية أن يعد مثل هذا السبع النهم شرف العائلة وكرامة الأسرة العريقة " .(١)

واستشرى هذا النهب بعد استقلال باكستان حتى عم أغلب طبقات الشعب مما حمل المصلحين الاجتماعيين أن يضموا صوتهم الى صوت الرابطة النسائية " ابوا " فى المطالبة بوضع حد لمطالب الزوج (٢) ، وظل هؤلاء يتابعون القضية حتى لبت الدولة مطالبهم عام ١٩٧٦م فصدر تشريع " تجهيزات الزواج " وفى ضوئه ينقسم الناس الى طائفتين ، طائفة ذات قرابة للعاقدين ، وطائفة لا يرتبطون بهما برباط النسب ، وأجاز التشريع للأولين أن يقدموا هدايا لا تزيد قيمة كل هدية عن خمسة آلاف روبية باكستانية (٣) وسمح للآخرين بالتهادى شريطة ألا تعدو قيمة الهدية مائة روبية ، ولا تتجاوز هدايا الشخص الواحد ألف روبية ، واشترط على موظفى الدولة العاملين فى المرتبة السابعة عشرة فصاعدا ألا يقبلوا هدية فى الزواج الا ممن ينتمى اليهم بالنسب سدا لاستغلال المنصب .(٤) وحدد التشريع مدة التهادى بستة أشهر قبل الزفاف ومثلها بعده .(٥)

وعاقب التشريع المخالف بسجنه ستة أشهر أو غرامة مالية لا تعدو عشرة آلاف روبية ويجوز الجمع بين العقوبتين ، ولا تعاقب الانثى الا بالغرامة المالية ، ويحق للدولة أن تستولى على جميع ما أهدى للمتعاقدين المخالفين وتنفق ما استولت عليه فى تزويج الفتيات الفقيرات .(٦)

وبذلك ظن التشريع أنه قضى على ظاهرة التجهيز وطهر عقول الأزواج من المطالبات غير المشروعة وشفى المجتمع من

---

(١) باكستانى مسلمانون كے رسوم ورواج ص ٢٧٣ و ٢٧٤ .

(٢) انظر روداد بردة ص ٣٥٣ . (٣) جهيز ايكت (قانون تجهيزات الزواج) ص ٤ .

(٤) جهيز ايكت ص ٥ . (٥) جهيز ايكت ص ٥ . (٦) جهيز ايكت ص ٨ .

هذه العلة بهذا التشريع الملزم ، بيد أن المطالب لم تختف ، ومازال الوضع كما كان ، بل تحول ابتزاز المال الى جهات لا ترتبط بالمتعاقدين بصلة وجزئت العطية الى اجزاء لا تفيد الزوج أو الزوجة .

وكان الأجدر بواضع التشريع أن يجس النبض ويضرب على الوتر الحساس فيذكر المسلمين بشرع الله ، ويعيد الى المرأة كرامتها المسلوبة عن طريق الدين لا قوة القانون وسلب لقمة العيش من أفراد رزحوا تحت ثقل التجهيز ، وليس من المستحيل اقناع الشباب المقر بالشهادتين عن طريق الدعاية المنظمة ورفع الستار عن حقيقة هذا المال المكتسب من الزواج وبيان حكم الشرع فيه .

ثانيا : حدد التشريع الاسلامى للمرأة المسلمة من تختاره لبيت الزوجية من الرجال فحرم عليها الانضمام الى زوج غير مسلم ، نظرا لعدم استطاعتها امتثال أوامر الشرع فى الأعم الأغلب تحت عصمة من لا يؤمن بخاتم المرسلين ، غير أن مصلحة المستعمرين ارتبطت بنقض هذا التشريع الحصين ، فأباحوا قران المسلمة بغير المسلم ، وساندوا مثل هذه الأنكحة فى العلن والخفاء باسم الحرية فى اختيار شريك الحياة ، حتى صار زواج المسلمة بغير المسلم أمرا مألوفا ، ولا سيما فى المسلمين المثقفين ثقافة غربية .

وأبرز مثال لمثل هذا النكاح هو نكاح ابنة محمد على جناح مؤسس دولة باكستان بشاب غير مسلم ويحكى محمد حسن الأعظمى أمر هذا النكاح فيقول :

" انجب جناح من زوجته رتن بتيت بنتا اسماها " فينا " ضمتها جدتها لامها لتقوم بتربيتها وقد شغلته السياسة عنها ، ونشأت فينا فى بيت جدها الفارسى — البارسى[1] وترعرعت واتخذت لها أصدقاء من الفرس وتزوجت من شاب فارسى زرادشتى[2]

هكذا حدث التطبيق الواقعى أخيرا فى بيت القيادة ، وكانت هذه الظاهرة أعم وأكثر شمولا بين المسلمات الهنديات عقب الحربين العالميتين ، اذ كان الهنود كبش الفداء آنذاك فهلك مئات الألوف منهم غرقا وقتلا ، وتأخرت أخبار موتهم فترات طويلة ، فلم

---

(١) نسبة الى طائفة بارس المجوسية عباد النار .
(٢) ص ٦٣ .

يعد أمام المسلمات طريق لفك العقد الا الارتداد وقبول المتنصر زوجا ، فرحب بهذا الوضع القضاء الانجليزى ، ففسخ العقود باسم شرع الاسلام فى رفضه بقاء الصلة الزوجية بين المرتدة وزوجها المسلم ، وصور الوضع رئيس جمعية العلماء الشيخ أنور شاه الكشميرى فى خطابه الرئاسى ببشاور عام ١٩٢٧م فقال : " ان الزوج المسلم كثيرا ما يظلم زوجته المسلمة فيعلقها حينا ويكون فاقد الخبر أحيانا أخرى ، ولا تستطيع المحاكم الفصل فى القضية لعدم وجود القضاء الشرعى ... لذا تضطر الزوجة المسلمة الى الارتداد لتنجو من الوضع[1] .

فان حدث ذلك اضطرارا وكرها فقد مال اليه النسوة المثقفات أخيرا حبا واختيارا لأسباب ليس أقلها أهمية الجانب الاقتصادى والمكانة المرموقة لزوج المستقبل ، وهذه الظاهرة منتشرة الآن فى الفتيات اللائى يسافرن الى الخارج لتلقى التعليم ، فان عادت الى البلاد بزوجها غير المسلم وجابهها المجتمع بشئ من التذكير والتأنيب أو أولياؤها بشئ من الاشمئزاز أعلنت براءتها من الاسلام ، وتجد باب القضاء وحصن الدفاع مفتوحا على مصراعيه فلا يعاقبها على ردتها فضلا عن زواجها بغير المسلم .

ثالثا : أباحت المذاهب الفقهية الأربعة زواج من هم دون سن البلوغ ، واستندوا فى ذلك الى استنباطات من نصوص القرآن ، والى وقائع حدثت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[2] والصحابة والتابعين ، والذى شدهم الى هذا التعامل هو تحقق المصلحة المرجوة من عقد النكاح من صيانة الأبناء والبنات ، وحفظ الفروج والأنساب .

وذهب ابن شبرمة قديما[3] والمتأثرون بالفكر الغربى حديثا الى منع مثل هذه الأنكحة ويعلل غلام أحمد برويز ذلك بقوله " النكاح عقد من العقود ويشترط فى المتعاقدين العقل والبلوغ ولا يصح ابرامه عند فقدان أحد الشرطين ، ولم يعين القرآن بالتصريح عمر المتعاقدين ، ثم البلوغ يختلف باختلاف البيئات والمناطق لذا

---

(١) خطبة صدارت " الخطاب الرئاسى " ص ٥٦ .

(٢) انظر صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ ١٩٠/٩ باب النكاح الرجل ، ولده ، الصغار . وصحيح مسلم جـ ١٤١/١ .

(٣) انظر الاستاذ مصطفى السباعى المرأة بين الفقه والقانون ص ١٦ .

يوكل تحديد ذلك الى الدولة الاسلامية بروح القرآن " (١)

ولما كان البلوغ يختلف من شخص لآخر ومن بقعة الى أخرى حاول الملك أكبر المغولى لأول مرة فى الدولة المسلمة الهندية التضييق على هذا النوع من الزواج ، فأصدر تشريعا عين فيه سن المتناكحين ، فمنع الفتى من النكاح حتى يبلغ السادسة عشرة ، والفتاة حتى تبلغ الثالثة عشرة (٢) غير أن تشريعه طوى بلحده ، وعادت الأمور الى مجاريها الطبيعية حتى عام ١٩٢٩م حين شرع الانجليز قانونا حددوا فيه سن نكاح الهنود مرة أخرى ، فحرّموا على الفتى الهندى الزواج حتى يبلغ الثامنة عشرة ، والفتاة الهندية حتى تبلغ الرابعة عشرة بيد أن الأمة المسلمة بقيادة جمعية العلماء هبت مستنكرة هذا التشريع الغاشم واعتبرته تدخلا مكشوفا فى شئون المسلمين الدينية وقوانينهم الشخصية (٣)

وجاء التعدى المبين على شرع الله أخيرا فى باكستان على يد الحاكم العسكرى أيوب خان عندما أقر مجلس تشريعة عام ١٩٦١م مسّودة مسلم عائلى قوانين " قوانين الأحوال الشخصية الاسلامية ، وشملت نصوصها مخالفات شرعية عديدة ، فى الطلاق وتعدد الزوجات والميراث .... وخصت المادة الثانية عشرة سن الزوج عند النكاح بالثامنة عشرة ، والزوجة بالسادسة عشرة (٤) وعاقبت المخالف بسجن شهر فما دون ، أو غرامة مالية قد تصل الى ألف روبية ، ويمكن الجمع بين العقوبتين اذا اقتضى الأمر (٥) بل نصت المادة السادسة من الشرح على " ان من زوج القاصر والدا أو اما أو متصلا بالقاصر نسبا أو قضاء أو مديدا فى انجاز هذا الزواج أوسمح باجرائه ، أو لم يتمكن من ايقافه لتساهله استحق العقوبة ... " (٦)

وهكذا اهدر المشرعون مصلحة الشرع برفع سن النكاح للفتى والفتاة ، وساندوا من طرف خفى الفحشاء وقضاء الوطر من طرق غير مشروعة ، ولا شك أن هذا التحديد قلما يتفق مع

---

(١) تهويب القرآن جـ ٣/١٣٦٢ .

(٢) انظر حاضر العالم الاسلامى جـ ٤/٣٠٥ . (٣) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٢٣٢ .

(٤) مسلم عائلى قوانين جـ ١٠ و ٣٠ .

(٥) " " " جـ ١١ و ٣١ . (٦) مسلم عائلى قوانين ص ٣١ .

مرحلة البلوغ الجنسى لكلا الزوجين ، ويبدو أن تشريع أكبر كان أكثر وفاقا للهنود لأن أغلب المناطق الهندية شديدة الحرارة ، ويتم فيها النضج الغريزى مبكرا ، ولا يتأخر الى تلك السن الا فى المناطق الجبلية المرتفعة التى لم تلتفت الى هذا التشريع حتى اليوم.

والمصلحة الشرعية والاخلاقية تستوجبان السماح بالزواج منذ مرحلة البلوغ ، وأولياء الفتى والفتاة أدرى بالمصلحة وبالزمان ، اذ المصالح والأعراف هى التى تحكّم فى مثل هذه الأمور ، وتدخل التشريع فى هذا الباب غير منطقى ، وغير قادر على منع التلاعب ، لأن جل أفراد الشعب فى تلك البلاد لا يستطيعون تحديد سنهم تحديدا دقيقا ، اذ ليس لديهم شهادات ميلاد تحدد الأعمار.

رابعا : أ — كان الأجدر بالتشريع أن يتجه الى نصرة المرأة فى قضايا النكاح التى لا تمت بصلة الى الشرع ، بل تنكر انسانيتها فضلا عن حقوقها وواجباتها الدينية : من ذلك زواج البنت بالقرآن عند سادات السند ويصور شاهد حسين الرزاقى هذا النوع من النكاح فيقول : " عندما وضعت الشروط غير الفطرية فى المصاهرة والزواج برزت الى حيز الوجود نتائج ذات أثر سيئ منها الزواج بالقرآن لدى سادات السند اذ أنهم يمنعون البنت السيدة بغير السيد الكفء فان لم يتيسر للسيدة السند يةذلك الكفء تهيأ للزواج وتزين للنكاح ثم تعطى مصحفا فى يدها ويقال لها لقد زوجناك بهذا القرآن ، فصونى نفسك عما يشينها من الرذائل ، وأسوأ من ذلك ظلما أنه ان وجد السيد الكفء بعد هذا الزفاف فإنه لا يسمح لها بالزواج بحجة أنها تحت عصمة القرآن " .(1)

ب — اعتاد أثرياء السند أن يجمعوا فى حرمهم أكثر من أربع زوجات ، ويَعُدّون ذلك مفخرة لمن يجتمع عنده أكبر عدد ممكن ، ولتكثير الحرم تراهم يشترون بطون النساء من الطبقات الوسطى أو الدنيا وصورته كالتالى : يبرم الثرى السندى العقد مع الحامل لتبيع لما فى بطنها ان كان انثى والا انتظر لتنفيذ العقد الى الحمل الآخر ، وان الثرى مخير بين أن يتزوج تلك الفتاة أو يزوجها أحد أقربائه حسب مشيئته لثبوت حقه على المولودة منذ العقد (2)

---

(1) باكستانى مسلمانون كے رسوم ورواج ص٢٥٩ .
(2) انظر " " " " ص٢٦٣ .

ج — فى ضوء التقاليد الموروثة فى منطقة بلوجستان ترى أن المتوفى عنها زوجها يلزمها أن تنكح أخا الميت أو أحد أقربائه ، وإن تزوجت فى غير عائلة الميت تحرم مما بقى لها من المهر المؤجل ، ويطلق على هذا التقليد الموروث اسم "بجائى" وأحيانا يطالب أهل المتوفى الغريب بدفع ما أعطى الميت للزوجة من المهر المعجل وتسمى هذه العادة "دِلْور" أى دفع قيمة الزوجة للنكاح ، وكأن المرأة عند هؤلاء تركة من تركات الميت تورث كسائر التركة [١]

هذه القضايا الثلاثة ، ألها جذور تاريخية قبل الاستعمار ؟ أو أنها ثمرة من ثماره ؟ وأن الناس استغلوا فقدان السلطة وفقر الناس فتحكموا فى الجنس الضعيف وأهدروا كرامته وسلبوا انسانيته . الا أن مثل هذه القضايا لم تبرز كظاهرة من مظاهر المجتمع الا بعد أن أقر التشريع الانجليزى أن يحاكم الناس وفق العادات المطبقة . والتقاليد الموروثة وبهذا الاعتراف من السلطة المشرعة اكتسبت مثل هذه القضايا الصفة القانونية الملزمة ، فجاز العمل بها باسم القانون .[٢]

خامسا : تضاربت التقارير حول تعدد الزوجات فى الهند فمن مكثر يبلغ النسبة الى ٢٩ ٪ فى البنغال ومن مقل يصرح بأن لألف زوج فى الهند ألف زوجة لا غير [٣] والحق بين التقديرين ومن المعروف أن نظام التعدد ظل سارى المفعول فى الهند طوال مدة حكم المسلمين وحكم المستعمرين ، ولم يجرؤ احد على ابعاده عن المجتمع طوال تلك الأحقاب ، وأول ثغرة اقتنصها الغربيون للتقليل من عدد المسلمين تمثلت فى التشجيع على منع التعدد بحجة الرفاهية الاقتصادية للأسرة ، ورفع مكانة المرأة فى المجتمع وما شابه ذلك من الأقوال المعسولة .

ولأول مرة وضعت حكومة أيوب خان عام ١٩٦١م العقبات فى طريق التعدد ، وهدفت حسب أقوال مدافعيها الرسميين الى "ضمان تمتع النساء المسلمات بحقوقهن حسب أحكام القرآن

---

(١) انظر باكستانى مسلمانون كے ص ٢٦٩ .

(٢) انظر السيد امير شاه كنستوشن آف لاء «تاريخ القانون» ص ١٧٧٢ ودنشا فرويد أصول شرع اسلام ص ٤ .

(٣) انظر الغارة على العالم الاسلامى ص ٧١ ، ومجلة الفتح جـ ٦٧٦/١٥

(٤) انظر محمد عبد الرحمن عورت نسانيت كے آئينے "الانثى فى ضوء المرأة البشرية ص ١٨١

وأنها تسعى الى منع استغلال النساء عن طريق التعدد ، والاساءة اليهن به ، وأن — الاصلاحات تحاول اعطاء تفسير جذرى علمى قانونى لأحكام القرآن حول هذا الموضوع [١]
وينص البند السادس من " مسلم عائلى قوانين " على أنه لا يجوز لأى شخص أن يتزوج زوجة ثانية دون اذن محرر مسبق من اللجنة الثلاثية ، [٢] ولا يسجل أى نكاح ثان في محكمة ما الا بوجود هذا الاذن .

" ويجب تقديم الطلب مشفوعا بالرسوم المالية الى رئيس اللجنة مع بيان ذكر الأسباب التى دفعته الى ذلك ، وهل اذنت له الزوجة أو الزوجات اللائى تحت عصمته عن رضى وطيب خاطر ، وعلى اللجنة أن تذكر ما اقتنعت بموجبه فى السماح لمبالزواج الثانى ، ولمن لهم صلة بالموضوع أن يتقدموا بطلب الرقابة على الزوج الى الجهات المختصة . " [٣]

وفى حالة الاقدام من غير اذن يعاقب الزوج بتعجيل المهر المؤجل للزوجة أو الزوجات اللائى فى عصمته وعند امتناعه يستوفى ذلك منه قضائيا كحقوق مالية متبقية فى ذمته ، وعند ثبوت الجرم يسجن لمدة سنة أو يعاقب بغرامة مالية قدرها خمسة آلاف روبية ، ويمكن الجمع بين العقوبتين " [٤] و " للزوجة أو الزوجات اللائى كن فى عصمته قبل النكاح الأخير طلب فسخ النكاح بحجة مخالفته تشريعات الأحوال الشخصية لعام ١٩٦١م . " [٥]

ولم يمض ست سنوات على هذا التشريع فى باكستان حتى تبعتها الهند فيما يخص المسلمين فى تعدد الزوجات ، فأصدرت وزارة الداخلية الهندية بيانا صرحت فيه "أنه لا يصح لموظفى الدولة حسب قانون التوظيف فى بنده الحادى والعشرين أن يجمعوا بين زوجتين فى الحياة الزوجية ، ومن اضطر الى ذلك يجب عليه أخذ الأذن الخاص . ولا يستثنى من هذا التشريع " الموظفون المسلمون " [٦] وهكذا احكمت الحلقة على المسلمين فيما يتصل

---

(١) حقائق عن باكستان ص ٢٦٢ .
(٢) أى ثلاثة أعضاء ممن يعملون فى هذا الميدان بموجب تفويض الدولة .
(٣) مسلم عائلى قوانين ص ٤ .
(٤) مسلم عائلى قوانين ص ٥ .
(٥) مسلم " " ص ٢٧ .
(٦) مجلة صدق جديد الاسبوعية الهندية ص ٦ مجلد ١٧ العدد الثانى بتاريخ ١٩/٥/١٩٦٧م .

بتعدد الزوجات فى شبه القارة الهندية كلها .

وبفحص القضية وملابسات التشريع فى باكستان يتضح أن الذين عملوا فى الخفاء وشجعوا على منع التعدد ووضعوا العراقيل فى طريقه هم المنكرون للسنة الغربيون فكرا وثقافة يقول رئيسهم غلام أحمد برويز فى هذا الصدد : " المقصود من النكاح ايجاد الألفة والمؤانسة بين الطرفين ، وتهيئة ظروف تنمو فيها مدارك الذرية والأطفال ، وهذا لا يتأتى الا من نظام الوحدة فى الزواج ، لأن التعدد يزيل ذلك المقصود بل يحول البيت الى ساحة حامية ، اذن لا يتأتى تزوج الثانية الا عند وفاة الأولى ، والشرط الأساس لاباحة التعدد ما تضمنه قوله عز وجل : " وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ... الآية والشئ الواضح الملموس فيه أن التعدد مشروط بعدم الجور .

" ثم إن جو هذه الآية يشير الى أن عصابة المسلمين الأولى خاضت عدة حروب خلال بضع سنوات بعد الهجرة مما نتج عنه بالطبع نقص الرجال وزيادة يتامى النساء ، فجاء الحل الأمثل لتلك الظروف الطارئة ومع هذه الطوارئ — نقص الرجال وزيادة النساء — يشترط فى التعدد اقامة العدل بين الزوجات ، ومتى خاف المرء على اختلال توازن البيت لا يجوز له الزواج بأكثر من واحدة " (١)

وآخر ما سجله المنكرون للسنة فى تأييد هذه القضية ما سجله عمر أحمد العثمانى "ان التعدد تشريع طارئ وصورة مؤقتة ، وأن الزوج إن لم يوفق فى الاختيار الأول فإن القرآن لا يسمح له بنكاح آخر مع بقاء الأول بل السبيل أن يطلق الزوجة الأولى ليتزوج بالثانية " (٢) ويؤيد رأيه فى موضع آخر فيقول : " التعدد حل طارئ لظروف طارئة لا يباح بدونها ، وانه مقيد بقيد الطوارئ لا انفكاك عنه " (٣)

---

(١) طاهرة كے نام خطوط " مجموعة رسائل باسم طاهرة " جـ ٨٨ — ٩٣

(٢) فقه القرآن جـ ١/ ٤٩١ .

(٣) فقه القرآن جـ ٢/ ٥١٥ .

ومن الصعب الاقرار بأن التعدد تشريع للطوارئ لأمور : -

أ - ان الآية الكريمة : "وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ..." الآية ذكرت أن من أراد الزواج باليتيمة التى في حجره وخاف ألا يعطيها مهر مثلها فله أن يعدل الى ما سواها من النساء فأباحت الآية له أن يتزوج اثنتين وثلاثا الى أربع ، فإن خشى الحيف وعدم العدل فعليه أن يقتصر على الواحدة ، ولا شك أن الاباحة عامة للمسلمين أجمعين وغير مقيدة بالظروف والأحوال فلا يخصص شخص دون شخص ولا ظرف دون ظرف وانما حاجة الرجل المسلم هى المحور الذى يدور عليه تشريع التعدد .

ب - لو اعتبر تشريع التعدد للطوارئ فما الذى يفرق بينه وبين بقية التشريعات الاسلامية وما الذى يميز تشريع القصاص والسرقة وشرب الخمر مثلا من تشريع التعدد ، فإن كان التعدد طارئا يحدث بين الحين والآخر ويأتيه أفراد دون أفراد فمثله القصاص والجلد والقطع ... اذ أنها لا تقام الا بين الفينة والفينة بل إنها اندر من التعدد ، وعلى ذلك يمكن وصف التشريع كله بالطوارئ فلا فرق بين تشريع التعدد وتشريع القصاص وغيره ، فان كانا طارئين فهما معا وان كانا مستمرين وعامين دائمين فهما معا .

ج - سخاء سنة الله الكونية بوجود الأناث أكثر من سخائها بوجود الذكور ، أضف اليه ما يتعرض له الذكور من الحروب وحوادث العمل والطريق ... كل ذلك ينتج حالة دائمة فى البشرية وهى أن عدد الذكور أقل من عدد الاناث فى العالم أجمع ، ومن هنا فطر الخالق الانسان بنوعيه - ذكره وأنثاه - على وضع يخدم كل منهما الأخرى فى تحقيق مهام الحياة ، فجعل الذكر على استعداد فطرى لأن يلقح أكثر من انثى بينما هى لا تحتاج فى فطرتها الى اللقاء بأكثر من ذكر واحد . لذا جاء تشريع الاسلام العام موافقا لهذا التركيب الفطرى فحكمه فى التعدد كحكمه فى زواج الواحدة سواء بسواء

سادسا : تدخل تشريع ايوب خان فى أبغض الحلال الى الله فصرح : "أن من أعلن

---

(١) النساء آية : ٣ .

طلاق زوجته يقدم اشعارا الى رئيس المحكمة الأهلية المعنية بذلك لهذا الغرض ، ويرسل صورته الى زوجته المطلقة ... ولا ينفذ هذا الطلاق الا بعد مضى تسعين يوما من تسلم الرئيس لهذا الاشعار ... مالم يكن الطلاق طلقة ثالثة وعلى الرئيس أن يشكل لجنة ثلاثية خلال ثلاثين يوما من وصول الاشعار للاصلاح بين الطرفين وتقوم اللجنة ببذل المساعى ، والأخذ بكل السبل والوسائل الممكنة للجمع بين المتنافرين ". (١)

لا يختلف من له أدنى المام بالشريعة الاسلامية فى مخالفة هذا القانون لتشريع الاسلام وظلمه للمرأة بتطويل العدة عليها ، ومن الصعوبة أن تنجح مراجعة المحكمة فى محاولة التوفيق ، ثم إن الشرع لا يمنع أن تكون المراجعة والمفاهمة فى مدة العدة ، فإن صادفت التوفيق ردت اليه زوجته فى الحال فى الطلاق غير البائن ، وعاد البيت الى الانسجام والوئام ، وإن كان غير ذلك فالمصلحة تقضى باستعجال تخليصها وفصم عرى الزوجية من رجل يكرهها ولا يرغب فيها ، وما أعدل تشريع الاسلام فى تحقيق مصالح العباد رجالا ونساء ، ففى شريعة الله تبدأ العدة منذ لحظة النطق بالطلاق ويظل باب الاصلاح وتجفيف منابع النزاع مفتوحا طوال مدة العدة " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا " (٢)

وفى الهند خرجت مظاهرة نسائية وفيهن نساء المسلمين المتنورات عام ١٩٦٩م وطالبن الدولة وقضاءها منحهن الطلاق ، وأن يعطى لهن سلاح الفصل وترك الحياة الزوجية كالرجل سواء بسواء ، وأن اختصاص الرجل بالطلاق اهانة للمرأة ومذلة لانسانيتها واحتقار لمكانتها الاجتماعية .

هكذا طلبت المتغربات من التشريع الوضعى حق الطلاق ، وأن يملكهن اياه مالم يملكهن

---

(١) مسلم عائلى قوانين ص ٥-٦
(٢) النساء آية : ٣٥ .
(٣) انظر مجلة صدق جديد ج ١٩/١ عدد ١٩٦٩/٥/٩م . وللشاعر محمد اقبال موقف من الطلاق شبيه بالمتظاهرات . راجع تفصيله فى تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ج ١٧٧ ، ١٩٤ .

شرع الله العليم بمصلحة العباد ، وما يقيم الحياة الزوجية ، وما يخل بتوازنها ، وكم كان المشرع حكيما حين لم يسوها بالرجل فى باب فصل العلاقات الزوجية ، لأن المرأة بطبعها مجبولة على العواطف المتقلبة والانفعال السريع ، فالجانب العاطفى لا الفكرى هو الغالب على طبيعتها ، بينما الرجل خلق لعراك الحياة واستخلاص القوت وبناء الأسرة وحمايتها ... وهذه الوظائف كلها لا تحتاج الى العاطفة التى تتقلب فى لحظات من النقيض الى النقيض ، بل الى الرؤية والفكر ، فكان من الأنسب أن يعطى حق الطلاق لمن يقدر عواقب الأمور ، ويحسب للمقدمات والنتائج كل حساب قبل الاقدام ، ولا يعطى هذا السلاح الا مقيدا لمن خلق للعواطف والمشاعر الرقيقة التى تفيض بأول لمسة .

فالشرع لم يحجر على المرأة طريق الخلاص وقطع عرى الزوجية إن رأت أن الحياة لا تطاق مع بقائها ولها فى ذلك سبل ثلاثة :

١ — أن تشترط عند العقد أن يكون عصمتها فى يدها فيكون لها فسخ العقد عند الاحتياج اليه وقلما التفت النساء الى هذا الشرط ، ولكنه حق مشروع ، لها أن تستخدمه عند الحاجة .

٢ — أو ترفع دعوى الخلع بسبب كراهتها عشرة زوجها وشرطة أن ترد ما أخذته عن طريق الزواج وهو شرط عادل لأن احتمال الخسارة عند الانفصال من نصيب الطرف المتسبب والمنطق يقضى بتحميلها اياها كالزوج حين يقدم على الطلاق .

٣ — أو تطلب الطلاق على أساس سوء المعاملة والاضرار إن استطاعت اقامة الحجة على ذلك ، ولها فى هذه الحالة الاحتفاظ بما تملكته عند الزواج ، ولها النفقة مدة العدة ، تلك طرق الفكاك الملائمة لفطرة المرأة وأسلحتها المقيدة .

وآخر سهام تشريع أيوب خان تجاه الطلاق جاء فى صورة " أن الزوجة المسلمة اذا ارتدت عن الاسلام أو اختارت عقيدة غير عقيدته لا ينفسخ نكاحها ... ولا يشمل هذا التشريع المرأة غير المسلمة أصلا ، ثم أسلمت ثم أرتدت عن الاسلام "[1]

---

(١) مسلم عائلى قوانين ص ٢٩ .

لايخفى على المتتبع لحركة التطور التشريعي في شبه القارة الهند ية أن هذا التشريع ليس هو الأول من نوعه ، بل نص القانون الانجليزى على حفظ حقوق المرأة النصرانية بقوله "إن الهندوسية اذا تركت دينها لا ينفسخ نكاحها "[1] و "ان المسلم اذا عقد على الانجليزية الكتابية لا يملك حق طلاقها لأن نكاحه بها يعتبر نكاحا مسيحيا مؤبدا وان العمل بالشريعة الاسلامية منسوخ فى هذا الباب " .[2]

ومن سبر غور القضية لا يفوته أن يدرك كنه التشريع ومرماه ، فمن أولى نتائجه ازاحة العراقيل عن طريق حركة التنصير بين النساء ، اللاتى كثيرا ما أشهر العلماء أمامهن سلاح فسخ العقد حين بدا منهن ضعف العزيمة تجاه غزو التنصير ، ولما حماهن القانون بهذا التشريع أصبحن فى مأمن من فسخ العقد ، فالتشريع برمته لبى ما كانت تهفو اليه الحركة منذ زمن بعيد تحت شعار حماية المرأة وحريتها العقيدية ضاربا عرض الحائط ماتوارثه المسلمون كابرا عن كابر فى حكم الارتداد عن الاسلام وأنه موجب لفسخ النكاح.[3]

لذا نجد مفتى باكستان الشيخ محمد شفيع يبدى استغرابه من هذه التشريعات بعد أن رفع الستار عن مصادمتها لشريعة الله بقوله : " لا أدرى ما هى الأسباب التى دفعت الدولة فى استعجال تنفيذ هذه القوانين ... التى تعتبر أسوأ تركة خلفتها الحكومة السابقة "[4] وأبدى الكاتب الاسلامى عبدالماجد الدريابادى رأيه فى الموضوع فقال " ولنا أن نقول إن الدولة منحت الجزء الأول من التجديد والتحديث للأمة وتدخلت بصورة مباشرة فى تشريعات لم تستطع حكومة الانجليز التدخل فيها رغم طول عهدها وقوة حديدها ، كما أن حكومة الهند العلمانية لم تصل الى ما وصلت اليه باكستان فى الأحوال الشخصية " .[5]

---

(١) أصول شرع اسلام ص ١٤ .
(٢) " " " ص ٤٢٩ .
(٣) انظر عبدالرحمن الجزيرى الفقه على المذاهب الأربعة جـ ٤/٢٢٣ .
(٤) عائلى قوانين پر تبصره " التعليق على قوانين الأحوال الشخصية " ص ٢٤.
(٥) مجلة صدق جديد ص ٣ عدد ١٧/٣/١٩٦١م .

سابعا : وآخر ما يتصل بثمار الزواج وتدخل فيه الفكر الغربى للنيل من ثرائه هو الانجاب ، ولأول مرة تدخلت الدولة الباكستانية ابان عهد أيوب خان فى تنظيم المواليد والحد من كثرة الذريـــة ، ويوضح الأستاذ أبو شهاب رفيع الله ما يعنيه تنظيم النسل فيقول : لا صلة لتنظيم النسل بقطـــع الانجاب أو المنع منه على الدوام ، بل المشروع بأجمعه يهدف الى ايجاد التناسب بين الوسائـــل المالية والانجاب ، وألا يحدث أى خلل فى هذه البنية البشرية فلا تبتلى الأمة بالعسر وضيـــق الموارد المالية .[١]

ويؤيد الاستاذ فضل الرحمن مدير ادارة التحقيقات الاسلامية براولبندى موقف الدولـــة ويلوم العلماء وحماة الشرع لمعارضتهم مشروع الدولة فى التحديد فيقول : " من الأمور الـــتى اقلقت العالم الثالث وأزعجت مخططيه كثرة الولادة ، لذا كلما وجد رئيس باكستان الجنرال أيوب خان فرصة التحدث ذكر امته بها ونص فى مؤتمر لاهور عام ١٩٦٤م الذى عقد لتنظيم الانجـــاب على أن أهم مخطط تسعى الى تحقيقه هو التخفيف من الذرية وعدم التكثير من التناسل لرفاهية الشعب ورفع مستواه الاقتصادى ، غير أنه من المؤسف أن أغلبية العلماء خالفونا فى المشروع ، ولا سيما الجماعة الاسلامية التى حاولت اثارة الغبار واشاعة الضوضاء حوله اذ اتخذت تنظـــيم النسل هدفها الأساسى ومرماها المقصود ، ولن تستطيع أمة مجابهة الأخطار اذا كان علماؤ هـــا لا يفرقون بين الخير والشر " .[٢]

فلا غرابة اذا أصبح تحديد النسل جزءا من الرعاية والمعالجة الطبية المجانية ، وبلغـــت مراكزه فى عامه الأول سبعمائة مركز يضاف اليها المستشفيات والمستوصفات ومراكز رعاية الأمومة التى لم تكن تخلو منها قرية من قرى باكستان آنذاك ، ويثنى أحد المنضمين الى المشروع على خدمات الدولة فى هذا المضمار فيقول : " وبدأ العهد الجديد أيضا العمل فى سبيل الحد مـــن التناسل بغية مراقبة النمو السريع لعدد السكان فى البلاد واتخذت ترتيبـــات لتأمـــين المشـــورة والتوجيـــة اللازمين عن طريق المستشفيـــات والمستوصفـــات

---

(١) شريعـــت اسلامى اور خاندانى منصوبة بندى " تنظيم النسل فى ضوء الشريعـــة الاسلاميـــة " ص ١٢ .

(٢) شريعت اسلامى اور خاندانى " ص ٣ .

ومراكز الأمومة والرخاء الحالية ، وتقدم خدمة تحديد النسل على أساس طوعى كجزء من الرعاية والمعالجة الطبية " .[١]

ولم تكتف الدولة بمراكزها الخاصة ، بل مدت يد العون الى المنظمات العاملة فى خدمة البشرية على أساس غربى ، فلم ينته عقد السبعين من هذا القرن حتى أصبح لأغلب المنظمات الخيرية مراكز تخصصها بهذا الشأن ، وحظيت "ابوا" بنصيب وافر اذ كانت تدير ثمانية منها فى كبريات المدن الباكستانية ذات الكثافة السكانية [٢]

ولم يتخل عن المشروع بتخلى أيوب خان عن الحكم بل ما زال سارى المفعول ينخر الأمة نخر السوس فى الخشب ، ويسرى فيها سريان المرض المعدى وان خفت حدته فى أيامنا الأخيرة .

ومن نظر الى تحديد النسل من زاوية الشرع يتضح له أن دعاة التحديد والممتثلين لهم فقد واثقتهم برازقهم عز وجل ، وأن اعتمادهم انحصر فى وسائلهم المنظورة ، وغفلوا عن صفة التوكل وطلب العون من الله عز وجل ، وانحرفوا عن مقتضى الفطرة السليمة ، وذلك الا يحقق الانسان مطلبا من مطالب الحياة الفردية والاجتماعية الا وفق سنن الله الكونية ، فلا يعطل قوة من قواه ولا ينحرف فى استخدامها عن هدى الله .

ومن نظر الى التحديد من الوجهة الاجتماعية لا يشك فى مضاره فالبرودة فى الحياة الزوجية وفقدان المودة والألفة باكورة أثرها على الحياة المشتركة ، لأن الذرية ، وتربيتهم هما اللذان يمسكان العلاقات الزوجية ، بل يكرهان الأبوين أحيانا على التقيد بذلك القيد وتحمل تبعاته مدى الحياة ، ومن يدرى اذا كان المحدد لنسله يسد الطريق أمام حكيم من الحكماء أو داع من الدعاة أو وفى من الأوفياء ... لأن الحيوانات المنوية تحمل العديد من المزايا الوراثية ففيها الأغبياء والحمقى ، والعقلاء والمخترعون .

ويحلل الشيخ المودودى قضية تحديد النسل وما تجره من آثار سلبية الى الأمة فيقول :
" الانسان وهو جاهل حتى بنتائج عمله كما علمت ، اذا حدثته نفسه بالتدخل فى هذا

---

(١) انظر السيدة نور الصباح بيكم تحريك باكستان اور خواتين " دور النساء فى انشاء دولة باكستان " ص ٣٣٠

النظام الذى ما خلقه الله سبحانه وتعالى الا بمحض مشيئته فلا يكون مثله الا كمثل رجل يدير عصاه فى الظلام ولا يدرى هل يقتل بها حية مؤذية أو أحدا من بنى نوعه أو يكسر بها شيئا ثمينا فكل شئ ممكن .

" وكذلك إن الانسان عندما يحاول الحد من نسله لا يدرى ما إن كان بفعلته يسد الطريق الى عالم الوجود على قائد شجاع أو حكيم مدبر ، وعسى أن يعاقبه الله على هذه الجريمة بأن لا يخلق فى نسله الا الأغبياء والحمقى والخونة ، وبالأخص إن امة اذا انتشر فيها هذا التدخل فى مشيئة الخالق عز وجل فانها لا جرم تعرض نفسها لخطر قحط الرجال " (١)

وللمجيز أن يقول إن تحديد النسل وارد فى الاسلام وذلك حين عمل بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بالعزل — الانزال خارج الرحم — وبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينههم عنه ، وجواب ذلك أنها حوادث فردية ، وظروف اختص بها كل صحابى بمفرده ، وليست حركة عامة لمنع الحمل ، وتحديد الذرية ، وانما عمل بالعزل نفر من المسلمين لحاجاتهم وضروراتهم الشخصية وقد يحتاج اليها الانسان أو الى ما يشبهه حاجة ملجئة كأن تتعرض المرأة لخطر الموت أو تخاف على رضيعها ضررا مخيفا اذا وقع الحمل ... ، فمن الحيطة فى مثل هذه الأحوال الاذن للمحتاج على قدر حاجته ، ولكن مما يتنافى مع الشرع ويصادم سنن الله الكونية أن يتخذ العزل أو غيره من موانع الحمل خطة عامة ، وتعاملا مشاعا تتبناه دولة من الدول .

وأقرب الحلول منالا لزيادة السكان فى باكستان هو الأخذ بالوسائل العلمية الحديثة لزيادة الانتاج الزراعى والصناعى ، أما منع الحمل أو تحديد النسل فهما بمثابة الاعتراف بالهزيمة أمام تلك المشكلة ، فالمنع والتحديد يعنيان اليأس من مواهب الانسان ، — واستعداداته العلمية والعملية ، وقطع الأمل من زيادة انتاجه ومعطياته ، والنظر بعين الشك الى وسائل الانتاج رغم قدرتها على تلبية حاجيات البشر ، وذلك هو الانتحار ، فليس من التعقل اذا كان ثوب المرء قصيرا لا يستر كل أعضائه أن يقلم أطرافه ، بل يبذل الجهد فى تحقيق زيادة حجم الثوب حتى يتناسب مع متطلبات جسده .

---

(١) حركة تحديد النسل ص ٩٦.

والحل الاسلامى الأمثل هو توحيد العالم الاسلامى فى وحدة سياسية ، تسهم كل ولاية بما عندها ، فالولايات ذات الكثافة السكانية تمد يد العون بالطاقات البشرية ، والولايات الغنية تسهم فى المشروعات الانمائية فى الجزء المفقر الصالح للاستثمار ، والولايات الزراعية تقدم الغذاء وتأخذ ما هى فى حاجة اليه ... وهكذا نحفظ ثروات المسلمين ، ونوجد المصرف الصحيح لزيادة السكان ، فتعمر تلك البلايين من الكليومترات بالحرث والنسل ، وتخف كثافة السكان عن الأماكن التى تكتظ بالبشر فى ارجاء الوطن الاسلامى الكبير ، واقل ما يمكن تحقيقه تجاه هذه الوحدة هو ربط بلدان العالم الاسلامى فى وحدة فيدرالية ، تشتقل كل ولاية فى شئونها الداخلية وتنضم جميعا فى القضايا العامة المشتركة .

ومتى تحقق لنا شئ من ذلك سيشهد العالم الاسلامى نهضة شاملة من المحيط الى المحيط ومن ثم تبدأ سيطرة الرجل الأبيض فى التقلص والانحصار ، وينتهى نهب الثروات باسم المواد الخام ، ويظهر فى ذريتنا المخترعون والمبتكرون ، فيزول الفقر ، ويزداد حاجة العالم الاسلامى الى النسل ، وتختفى الأصوات والتشريعات المصادمة للفطرة ، وذلك ما يخافه كل أوربى لكى لا تتدنى معيشته المترفه ، ويضطر للعودة الى بلاده التى لا تفى بمتطلبات حياته الضرورية ، فيظل يسعى بكل ما أوتى من مكر ودهاء فى الابقاء على الوضع الحالى الممزق ، وايجاد عوامل تمده بعنصر الديمومة ، كتقديم أرقام توهم البلهاء أن الأرض ستضيق بالسكان ، ولن يجد انسان المستقبل موضع قدم على ظهرها ، مالم تتبع طريقة تحديد النسل .

والحقيقة المرة أن دعاية التحديد الغربية نجدها فى العالم الاسلامى بين المسلمين وعلى العكس من ذلك نجد تشجيع الانجاب واعطاء منحة عند كل ولادة بين المسيحيين ، وفى الدول المسيحية ، وحسم المسألة أن التحديد بغض النظر عمن يتعاطا ويدعو اليه لا يتفق مع متطلبات الحياة لشعب مستقل فضلا عن أمة يدعو دينها الى ادخال البشرية كلها فى دين التوحيد

القوامة :

ومما له صلة بالقضايا الاجتماعية مسألة القوامة ، فقد عرف البشر منذ فجر التاريخ أن الحياة الاجتماعية لا بد فيها من رئيس مسئول والا فسدت التجمعات السكانية وأصبحت الحياة تمزقا وفوضى ، ومن ثم تعود الخسارة على الجميع ، فاقتضت الحاجة أن يكون هناك مسئول تسند اليه الادارة العامة للشركة المحدودة القائمة بين الرجل والمرأة أو الموسعة بين الجماعات والشعوب وأن يتولى ذلك القيم الاشراف على ما تثمر تلك الشركات من نسل وذرية أو الانتاج والتوزيع أو الكسب والانفاق لحفظ المصالح وايقاف المعتدى عند حدوده .

والفروض المتصورة أمام طالب الحل لهذه المعضلة ثلاثة : اما أن يكون الرجل هو الرئيسى أو تكون المرأة هى الرئيسية أو يشتركا معا فى الرئاسة ، والفرض الأخير مستبعد لأن التجارب أثبتت أن وجود رئيسين للعمل الواحد أقرب الى الافساد منه الى الاصلاح : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون " .(١)

والفرضان الأولان يحيلان الى التساؤل : أى النوعين أجدر بوظيفة المسئولية ، وما فيها من تبعات الفكر أو العاطفة ؟ إن كان الجواب بالفكر انحلت العقدة ، فالذكر بطبيعته المفكرة لا المنفعلة أصلح من الانثى فى تولي القوامة : " الرجال قوامون على النساء "(٢) والادارة الناجحة هى التى تقابل المسئولية بالمشورة والتفاهم فلا يستبد الفرد بمصالح الأمة ، ولا الرجل بمصالح البيت والمنزل .

وحين أعفى الاسلام المرأة من هذه المسئولية راعي حالتها النفسية ورسالتها الاجتماعية فاذا استشرفت الى السيادة فى أول عهدها بالزواج ، لعدم وجود من يشغل وقت فراغها من الأولاد ، فإنها سرعان ما تحس بضيق الوقت وأعياء الجسم والأعصاب بعد الانجاب ، وكلما ثقل حمل التربية ضاق رصيدها من ذلك الاستشراف ، فالحكيم من يرفع عنها عبء المسئوليات التى لا تتفق مع طبيعتها ، تلك ميزة الاسلام اذ لم يكلفها من

---

(١) المؤمنون آية : ٩١ .
(٢) النساء آية : ٣٤ .

الأعمال الا ما تطيق أداءه : " لا يكلف الله نفسا الاوسعها "(١)

دية المرأة :

ودية المرأة وثيقة الصلة بقضاياها الجدلية ، اذ نظر اليها أعداء الدين فوجدوا فيها مغمزا لإثارة المرأة ، لعدم تساوى ديتها شرعا بالرجل فى القتل الخطأ ، فاعتبروا ذلك اهانة لانسانيتها وآخر ما اطلعت عليه فى هذه القضية الجدلية ما ورد فى كتاب " فقه القرآن " إن اجماع الصحابة على تنصيف دية المرأة لا نسلم به ، لأنه لم يثبت ان الصحابة كلهم اجتمعوا فى مكان ما واتفقوا على التنصيف ، اذن نعود الى حكم القرآن العام ، فمن قتل مؤمنا خطأ اعتق رقبة ودفع دية كاملة الى أهل المقتول وهو عام يشمل الذكور والاناث فلا يصح تقييده بالرواية أو الاجماع السكوتى لمخالفتهما حكم القرآن."(٢)

وهذه الشبهة لا يردها الا من جهل حكمة التشريع الاسلامى ، فحين تقتل المرأة عمدا يقتص من القاتل اذا لم يقبل ورثتها حلا سواه ، والقصاص متساو من انسان لانسان من رجل لامرأة لتساويهما فى الانسانية ، ولكن دية القتل الخطأ أوثق صلة بجبر الضرر الذى يصيب الأسرة من الانسانية العامة المشتركة بين النوعين ، والتعويض المالى يجب أن يراعى فيه الخسارة المالية قلة وكثرة عند العقلاء ، فهل خسارة الأسرة بعائلها الرجل كخسارتها بالمرأة ؟ ..

فالأطفال الذين أصبحوا مثار عطف ليتمهم ، والابوان العاجزان اللذان فقدا فلذه كبدهم ، والزوجة التى ترملت بعد مقتل بعلها خطأ ... كل هؤلاء ، فقدوا معيلهم الذى كان يسعى فى سبيل اعاشتهم ويبذل الجهد لكسب قوتهم ، فهل يتساوى فقد هذا المعيل بفقد الام أو الزوجة أو البنت ...؟ بل قتل الانثى قلما يؤثر الا فى الناحية المعنوية ولا يقوم المال مقامها ، فالدية اذن ليست تقديرا لقيمة الانسانية فى المقتول ، وانما هى تعويض لقيمة الخسارة المالية التى نزلت بالأسرة عند فقدان ذلك الفرد ، وذلك هو سر التفرقة بين دية الرجل ودية المرأة فى القتل الخطأ .

---

(١) البقرة آية : ٢٨٦ .　　(٢) عمر أحمد عثمانى جـ ٣٣٢/٣ .

ارث المرأة :

ويماثل الدية الارث ، وما تحصل عليه المرأة من الأموال بعد وفاة أحد مورثيها ، ويزعم أعداء الفطرة أن الاسلام بتقعيده قاعدة "للذكر مثل حظ الأنثيين "(١) فى التركة ظلم المرأة ، وانتقص انسانيتها حيث عدل نصيب امرأتين بنصيب رجل واحد .

تلك نغمة ترددها الجمعيات النسائية ، وكل من يريد من المسلمة أن تقفوا أثر الغربية فى الشر ، ونظرة مجردة من الميل والهوى تأخذ بيدك الى حقيقة حكم الاسلام ، واتساقه مع ما كلف الرجل والمرأة من الواجبات ، فالرجل مكلف بالانفاق زوجا أو أبا أو ابنا أو أخا أو ... أو ... ، لأن كل العصبة الذكور مكلفون فى ظل النظام الاسلامى بالانفاق على المرأة ، على قاعدة " الأقرب فالاقرب " بينما هى لم تكلف بشئ من ذلك ، مالم تكن هى العائل الوحيد لاسرتها وتلك حالة نادرة الحدوث فى امة أساسها التعاون ، أضف الى ذلك ما فرض لها الاسلام من المهر ونفقة العدة بعد فصم عرى الزوجية .

فالمسألة مسألة حساب ، أساسها أسس اجتماعية ، والتزامات اقتصادية لا تتصل بانسانية المرأة ومعدنها بشئ . فحين ترث ثلث الثروة لتنفقها على نفسها وزينتها ، ويأخذ الرجل ثلثى الثروة ليصرفها عليها وعلى أولاده ، وعلى كل انثى يعتبر هو أقرب عاصب لها ، فايهما يصيب أكثر من الآخر بمنطق الأرقام والحساب

والغريب حقا أن يأتى الهجوم على أعدل تشريع عرفته البشرية حتى اليوم ، من أمة كان وضع المرأة فى مجتمعها قبل قرن فقط لا يعدو وضع المتاع : تنتسب الى من يتزوجها ، ولا تقع عليها المسئولية اثباتا أو نفيا ... ، ويشير السيد أحمد خان الى تلك المكانة المزرية للمرأة الانجليزية فيقول : "تفقد المرأة الانجليزية بموجب قانون انجلترا شخصيتها ، وتصبح مكملة لاسم زوجها ، ولا تستقل بالمسئولية فى كل توقيعاتها التى وقعتها من غير رضى الزوج ، وكل ما كانت تملكه قبل الزواج يصبح ملكا

---

(١) النساء آية : ١١ .

للزوج بعده ...

" وإن وضعها شبيه بوضع فاقد العقل ، فلا يصح منها أن تكون مدعية ، أو مدعى عليها ، ولا تملك الانفاق على نفسها الا فيما يخص الطعام واللباس والسكن ، وما عدا هذه الأمور الثلاثة فلا يصح لها الانفاق على شيء الا باذن الزوج " (١)

ولكن انظر الى الاسلام الذى راعى حقوقها سواء كانت موروثة أو مكتسبة ، ففى الموروثة فرض لها حق الارث وهى فى بطن أمها نطفة ، وفى المكتسبة شرع المساواة بين الجهد والجزاء ، سواء كان جهد رجل أو جهد امرأة .

ثم لا يطرد تنصيف الارث فى جميع الحالات ، بل من الحالات ما تتساوى فيه الانثى بالذكر ، كمن مات عن أب وام وأولاد ، فنصيب الام من هذه التركة كنصيب الأب ، ومثل الأم الأخوة لأم ، فإن المنفردة منهن تأخذ السدس كما يأخذ أخوها اذا انفرد ، والأمر كله فى توريث الانثى مع الذكر يدور حول التوازن بين الحقوق والواجبات على قاعدة " الغنم بالغرم " وما دامت المرأة لم تكلف بشيء من الانفاق كان من العدالة أن يكون نصيبها أقل من نصيب الرجل .

سفر المرأة بدون محرم :

والطلب الأخير الذى رغبت فيه المسلمة الهندية ، وألحت على واضعى التشريع تنفيذه هو أن ينسخوا كل قيد يحكم تصرفها فى السفر ، فيجب طى شرط وجود المحرم . بل يطلق لها العنان فى الترحال والرواح دون محرم يرافقها ويحافظ على كرامتها (٢) والمثقفات من النساء لا يبالين بقيد الشرع ، ولا سيما اللواتى يعملن من أجل زيادة الدخل ، وقد يكون لتكاليف السفر الباهظة — ما لو سافر معها محرمها — وكثرة

---

(١) مقالات سرسيد أحمدخان جـ ١٩٤/٥

(٢) انظر تفاصيل الطلب المقدم من النساء الهنديات الى لجنة التقنين فى مجلة صدق جديد عدد ١٩٦٩/٥/١٩م .

المسافرين ، وترابط أجزاء العالم بعضها ببعض دخل فى تعدى المسلمة على شرط وجود محرم معها فى السفر : " لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم واحد ليس لها ذو محرم " (١)

شرب المسكرات :

ولعل المشاركة الاجتماعية المنحرفة الأخيرة من الانثى للذكر أتت فى تتبعها رذائله وانحرافاته فى شرب المسكرات ، وتعاطى ما يزيل أو يخدر التفكير ، وعم البلاء حين فتح النبع النتن على شعب الهند وسلط هذا الداء الفتاك عليه تسليطا ، فقد ابتدأ الانجليز بصنعه وشربه علنا لأنفسهم أول الأمر ، ثم لم يمض وقت طويل حتى شاركهم الشعب فى تعاطى المسكرات ، وأخذ يتعود على أن يشرب فى وضح النهار ما كان يتحاشى أخذه للعلاج ... ويصف الداعية أبو الحسن الندوى وضع مدينة كلكة وما كانت تغص به أسواقها من المواد السالبة للعقل عند نزول السيد أحمد الشهيد بها لأداء فريضة الحج فيقول " وأثرت هذه المواعظ اليومية والمجالس الدينية فى حياة البلد ... فتابوا من تعاطى الخمر والمسكرات ... وكسد سوق بيع الخمر ... ومشى أصحاب الحانات وتجارة الخمر الى الحكام الانجليز وقالوا لم نتأخر عن دفع ضريبة الخمر، ولكن حاناتنا أقفرت منذ نزول السيد فى كلكة ... وأثر ذلك فى تجارتنا ... وأمر الحكام بالبحث فى القضية وعن مدى صدق هؤلاء الخمارين فيما قالوا فتحقق أنه صحيح وأنهم لايستطيعون ان يدفعوا الضرائب الحكومية ما دام هذا الحال ... وقرر الانجليز أن يعفوهم عن الضرائب الى أن يغادر السيد وأصحابه المدينة " . (٢)

وما دام هدف الاستعمار جمع المادة والاثراء فلن يتورع عن فرض ما يراه يخدم ذلك الهدف ولا يهمه بعد ذلك رضا الناس أو سخطهم ، فحين منعت الصين دخول الأفيون

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب المناسك باب المرأة تحج بغير ولى جـ ٩٦٨/٢ وحددت المسيرة فى رواية أخرى بثلاثة أيام انظر سنن ابن ماجه جـ ٩٦٨/٢، وسنن الدارمى جـ ٢٨٩/٢ . ورواية البخارى حددت المسيرة بيومين / انظر فتح البارى جـ ٧٠/٣ .

(٢) اذا هبت ريح الايمان ص ٤٦.

الى أراضيها عام ١٨٣٩م هبت انجلترا لمحاربتها ـ وعرفت هذه الحرب باسم حرب الأفيون ـ دفاعا عن حرية التجارة وتصريف المنتجات الانجليزية المصنعة وغير المصنعة من الحشيش والأفيون وأسفرت هذه الحرب عن معاهدة نانكين عام ١٨٤٢م التى أرغمت الصين على التنازل عن جزيرة هونغ كونغ وتسهيل طرق التهريب أكثر من ذى قبل [(١)] ويبدو أن صناعة المخدرات فى الهند لم تتقهقر قيدانملة طوال عهد الاستعمار، ولعل أسوأ سنة حالكة أصابت الهند بالجفاف والنوازل السماوية حلت عام ١٨٦١م ويذكر التقرير السنوى للدولة " أن دخل المسكرات والأفيون قد خف عن العام المنصرم وسبب ذلك أن الناس اصيبوا بالجفاف والجوائح السماوية فضاقت ذات اليد عندهم غير أننا عمرنا عشرة أفران جديدة لصناعة الأشربة الكحولية " [(٢)]

ولو ألقيت نظرة على الأرقام التى نشرت عن المسكرات عن مقاطعة البنجاب وحدها لأخذتك الدهشة اذ خصص ١٠٧٣٠ فدانا من الأرض لزراعة الحشيش والأفيون ومنحت الدولة لهذه المقاطعة ٣٩٢ رخصة رسمية لبيع المسكرات وقبضت على ٣١٥ فردا يتعاملون فيها دون أذن رسمى وأدين من هؤلاء ٣٠٣ بالغرامة والسجن [(٣)] فان كان هذا وضع مقاطعة دخلت فى السيطرة الاستعمارية عام ١٨٤٩م وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٨٠٪ فكيف يكون وضع مقاطعات دخلها الاستعمار قبل استشهاد دتيبو سلطان أو بعده ببضع سنين ولا تعدو نسبة المسلمين فيها ٢٠ ٪ من مجموع السكان .

ويوضح جدول الدخل الهندى الى الخزانة البريطانية من مستعمرتهم الهند (العصفور الذهبى) أن ايراد الأفيون والمواد السالبة للعقل يأتى فى المرتبة الثالثة، ويسبقه ايراد الخراج والملح ، وقدر المبلغ المكتسب من المخدرات بمائة وثلاثين مليونا فى السنة . [(٤)]

وجرت أول محاولة لمنع الناس عن شرب المسكرات فى ضاحية سالم

---

(١) انظر لتفاصيل الحرب والمعاهدة مصطفى خالد وعمر فروخ التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ١٩٩ .

(٢) ريورت مجموعى بنجاب لعام ١٨٦١ ـ ١٨٦٢م ص ٤١ .

(٣) ريورت مجموعى عن عام ١٨٦٥ـ١٨٦٦ ص ٨٩ .

(٤) انظر حضارات الهند ص ٦٨٦ .

بمدينة مدراس أواخر عهد الاستعمار وجمعت صحيفة الفتح ثمار هذا الاجراء فى قولهـا " إن النتائج التى أسفرعنه منع المشروبات الروحية [١] فى ضاحية سالم حسنة جـدا وإن الجرائم تناقص عددها وإن الاقبال على العمل والاشتغال فى المصانع وكثرة الانتاج شئ ملموس ، وإن التجربة أنتجت نجاحا عظيما من الوجهتين الأدبية والاجتماعية،وإن أصحاب مزارع نارجيل قد خسروا خسارة جسيمة ،لعدم نقر الناس أشجارها لاستسالـة الشراب المخصوص المدعو تودى " [٢]

الاقتصاد ووسائل الاعلام :

وإن نظرت الى الاقتصاد ووسائل الاعلام — من الراديو والتلفاز والصحافةوالسينما — فى شبه القارة بل فى العالم الاسلامى أجمع وجدتهما يتبعان الغرب خطوة بخطـوة أباحوا الربا باسم المنفعة والمصلحة ، وبذلك استحقوا محاربة الله ورسوله :—
" يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلـوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون " [٣]

عرضوا مفاتن الجسم البشرى أمام الناس ، وأباحوا النظر الى ما حرم الله،واضطروا العفيف الى سماع أصوات محرمةمن الغناء والموسيقى ، وهيأوا أماكن الاختلاط واللقـاء بين الفتيان والفتيات ونشروا قصص الحب والغرام ... باسم الأدب والفن، واكتملت الحلقـة المفسدة للاخلاق بأشرطة الفيديو ، فتجمع حولها أفراد الأسـرة ، واشتركوا فـى مشاهدة ما كانوا يتحاشون الحديث عنه ، وما زالت اليد الاسلامية المصلحة بعيدة عـن الميدان .

تلك أهم القضايا التى تأثرت بالفكر الغربى ، فانحرفت عن الصواب ، والحق أنه ما مـن قضية لها صلة بالاجتماع والمجتمع الا تجدها متأثرة بالغرب ظاهرا أو خفيا ، ولا يفوتـنى قبل ختام هذا الفصل التنويه بأن من القضايا ماأجلت الحديث عنها كشهادة المرأة الـى فصل تال عن " أثر الفكر الغربى فى مجال النظم التشريعية " لأنها ألصق بالموضـوع هناك من هنا .

---

(١) التسمية الصحيحة هى المشروبات الكحولية.(٢) جـ ٧٨٩/١٢ عدد ٢٧شوال ١٣٥٦هـ.
(٣) البقرة آية ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

الفصل الرابع

((أثر الفكر الغربي في مجال النظم التشريعية))

ويشتمل على :

١ - قضاء المسلمين في الهند قبل الحكم الانجليزي

٢ - اتفاقية بكسر وخيانة شركة الهند الشرقية في تنفيذ بنودها المتصلة بالقضاء .

٣ - بداية التحريف في القضاء وآثاره الوخيمة .

٤ - فتوى السيد رشيد رضا حول القوانين الوضعية .

٥ - مناقشة الفتوى في ضوء الكتاب والسنة وأقوال علماء الاسلام .

٦ - جهود العلماء في وضع دستور اسلامي لدولة باكستان المسلمة .

٧ - قانون العقوبات الباكستاني ومحتوياته .

٨ - بادرة خير في اصلاح القانون .

٩ - الجوانب التشريعية الحديثة في القانون وموقف الشريعة منها .

١٠ - نماذج مقارنة من الجرائم والعقوبات بين القانون والشريعة .

أ - جريمة القتل .

ب - جريمة الزنا وبعض هفوات " قانون الحدود " في عقوبتها .

ج - الجرائم المتصلة بالأموال :- السرقة ، الاستحصال بالجبر ، السرقة بالجبر ، النهب ، التعدى الجنائي غير المشروع في الممتلكات ، وبعض هفوات " قانون الحدود " في عقوبتها .

د - جريمة شرب المسكرات .

١١ - قانون الاثبات وبعض محتوياته .

١٢ - عدد الشهود بين القانون والشريعة لاثبات قضية من القضايا .

١٣ - شهادة المرأة بين القانون والشريعة .

١٤ - شاهد المَلِك " " "

١٥ - الاصلاحات المطلوبة في القضاء .

أ - الغاء حرفة المحاماة ب - الغاء الرسوم القضائية ج - تكوين مجمع علمي قضائي .

د - اصلاح التعليم التشريعي في كليات الحقوق والمدارس الدينية .

ال

الفصـــل الـــرابع

قضاء المسلمين فى الهند قبل الحكم الانجليزى :

سار المسلمون فى تاريخهم الماضى كله من منطلق أن تطبيق الشريعة هو مقتضى كونهم مسلمين ، أى أن مقتضى شهادتهم أنه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ومن ثم عاشـوا فى ظلال عدل الشريعة الربانية ، واشتهر عنهم هذا العدل فى الأحكام ،حتى ان الحكومات غير المسلمة فى الهند سمحت للمسلمين أن يقيموا على أراضيها محاكم ، يتقاضى فيهـا المسلمون بشريعة الله .

ولعل أول حكومة سمحت باقامة مثل تلك المحكمة هى حكومة مليبار "كالى كت" فـى أواخر القرن الثالث من الهجرة ، وقد تولى رئيسها بنفسه تنصيب قاض يفصل فى المنازعـات بين المسلمين ،ولقبه بـ " هنرمند " [1] أى صاحب الحذق والفراسة ، ثم إن التعيين فى الحكومات الاسلامية لم يكن خاصا بالحضر والمدن ، بل تجاوز ذلك الى حياة الترحال والسفر ،وذلك بتخصيص قضاة يصحبون أبطال الفتح ، وجيوش الاسلام المجاهدة . ولـم تنحصر أعمالهم فى الفصل بين الأفراد ، بل تجاوزت الى الفصل بين الدول ، وابـرام معاهدات الصلـح ، وحقن الدماء بين الجيوش المتحاربة ، [2] وكثيرا ما كلفهم الحكـام المسلمون بأعمال غير قضائية ، لملئ فراغهم الذى خلفه خلو الساحة الاسلامية من الـنزاع وترفع الناس عن الخصام .

وظل النظام القضائى الشرعى فى حكومات الهند المتعاقبة سارى المفعول ، يحـقق العدالة، ويفصل بين المتخاصمين فى ضوء شريعة الله ، ورآه الهنود فى أتم صوره، وأبهى حلله ، فى عهد الملك أورنك زيب رحمه الله اذ كانت العدالة تطرق أبواب العباد قبل أن يطرقوا بابها ، فقد تم تعيين القضاة والمفتين فى كل صقع وريف ، وبلغ من حرصه رحمه الله على تحقيق العدل بين رعاياه أن أصدر أوامره لقضاته بالجلوس فى المحاكم خمسة أيام بـدلا

---

(١) انظر مسعود عالم مجلة الفتح جـ ٦٨/١٠ .
(٢) " تاريخ ابن خلدون جـ ٨٥٣/٤ .

من يومين فى الأسبوع على العرف السابق ، وذلك للاسراع فى الفصل بين المتنازعين ، ودراسة قضاياهم بأقصى سرعة ممكنة .[١]

وليس غريبا أن يقع انحراف عن الشريعة فى بعض الجزئيات ، لا سيما فى تعيين عقوبة العاصين والخارجين على سلطة الدولة ،ولكن من الافتراء غمط الحق أن يوصف قضاء المسلمين برمتــه بأن ملوكهم تدخلوا بحكم منصبهم السلطانى فى تشديد العقوبة أو تخفيفها ، ولم يقفوا عنــد حدود الشرع وما أمر الله به من العقوبات المحددة .[٢]

ولن يعدم الحق أنصارا يقرون أن المسلمين ما أقاموا دولة خلال القرون الاثنتىعشرة الماضيـــة قبل الاستعمار ـ الا كانت تستظل بظل الشريعة رغم ما حدث من مخالفات جزئية فى سياسة الحكم أو سياسة المال ، وبذلك ظل نطاق التشريع الاسلامى يتسع باجتهادات الفقهاء فى كل قطر من أقطار العالم الاسلامى حسب حاجة البلاد والعباد ، وما توقف نشاط الفقه لحظة حتى احتل الغرب بلادهم فى أوائل القرن التاسع عشر ،وان التشريع الجنائى والمدنى الاسلاميين ظلا نافذين ، طوال مدة حكم المسلمين فى الهند ، وبضعة عقود من اوائل حكم الانجليز .[٣]

اتفاقية بَكسر وخيانة الشركة فى تنفيذ بنودها المتصلة بالقضاء :

وحين وقع الامبراطور شاه عالم اتفاقية بكسر " Baxar " نتيجة الهزائم الحربية المتتاليـة أواخر عام ١٧٦٤م ،تكفل له الانجليز بدفع مرتب يوازى ٢٦٠٠٠٠٠ روبية من دخــل البنغال ، وتنازل الامبراطور لهم مقابل ذلك باصدار فرمان يخول شركة الهند الشرقية ادارة كل من كَرَه " Karrah " واله آباد والبنغال وبيهار واوريسه . وجمع الخراج منها والأشراف على القضاء المدنى فيها ،[٤] ونجد هنتر شاهد العيان يميط اللثام عن حقيقة وضع الشركة

---

(١) انظر تاريخ المسلمين جـ ٢ / ٢٤٦ .

(٢) انظر الاستاذ محمد عبد الحفيظ الصديقى ، برصغير باك وهندمين اسلامى نظام عدل كسترى (نظام القضاء الاسلامى فى الهند) ص ٢١٧ ، وتاريخ العالـــم جـ ٥/٦١٧ ـ ٦١٩ .

(٣) انظر أبا الأعلى المودوى نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور ص ١٧٨ .

(٤) انظر نشأة باكستان ص ٣٢ .

القضائى وسلطتها الفعلية على الهنود الاباة فيقول : " عندما استولت الشركة فى أول أمرها تركوا الأمور تسير وفق شرع الاسلام فعينوا القضاة والمفتين ، ولم تكن تنفيذ أمرا الا باسم ملك المسلمين . حتى بعد فشل الثورة الاسلامية والقضاء عليها — ١٨٥٧م — ولم تستطع الشركة تنفيذ شيئ ا لا بدعوى أنها نائبة عن الملك ، أضف الى ذلك — والحق يقال — أننا عندما أسرنا الملك بتخصيص مرتب له كل شهر لم نستطع أن ننفذ أمرا — لشدة الضغط الشعبى — الا باسمه "(١)

ونصت الاتفاقية على حد اعتراف الانجليز على أن تسير الأمور والأنظمة وفق التشريع المعمول بـه قبل ابرام الاتفاقية ، وأن الشرع الاسلامى سيبقى سارى المفعول فى المناطق التى خولت الشركة ادارتها(٢) غير أن حبر المعاهدة لم يكد يجف حتى أخذ كلاتو رئيس الشركة يتصرف فى الأمور بما يحقق المردود المالى الوفير ، ففى عام ١٧٦٩م فصل كلاتو محاكم الجنايات عن محاكم الأموال وصار من اختصاص الأخيرة جباية أموال الشركة ، وجمع مستحقاتها ، ومحاكمة من يمتنع عن اداء حقوقها كما منح رئيسها لقب " نَوَاب " مخولا ادارته الجديدة حق نقض الأحكام الصادرة من محكمة الجنايات إن رأت فى ذلك مصلحة ، كما حول تعيين القضاة والمفتين من الملك الى النواب(٣) ، ثم أصبح المتحاكمون فى أراضى الشركة يدفعون ضريبة معينة لكل قضية يطلبون فيها الفصل من القضاء ، وبذلك أصبحت المحاكم بابا من أبواب جلب الأرباح للشركة .(٤)

بداية التحريف فى القضاء وآثاره الوخيمة :

ويعود بداية التحريف فى القضاء الاسلامى علنا على الأيدى الانجليزية الى عام ١٧٧٢م ، حين اسند منصب رئيس القضاة الى ملك انجلترا ، وبدأ التشريع الوضعى يأخذ طريقه الى ساحة القضاء ، وتدخل الملك بمنصبه فأوّل نصوص اتفاقية بكسر بأن الأحكام الى الشريعة سيبقى خاصا بالمسلمين ، وذلك اذا كان المتخاصمان مسلمين ، ويكون " دَهَرَم شَاسْتَرا " — كتاب

---

(١) همار هندوستانى مسلمان ص ٢٠٢ .

(٢) انظر همار هندوستانى ص ٢٣٧ .

(٣) انظر سيد أمير شاه كنستوتشن آف لا " تاريخ القانون " ص ٢١ .

(٤) انظر طفيل أحمد منكلورى مسلمانون كاروشن مستقبل ص ٩٧ .

الهندوس المقدس — قانون الفصل اذا كان المتخاصمان هندوسيين ، وان اختلف الطرفان في الديانة سيكون القضاء وفق ما يعتنقه المدعى عليه من الديانة [(١)]

وظل المشرع الانجليزي يهدف الى جمع المال في كل تشريع يقدمه الى شعب الهند ، ففي عام ١٧٩٠م ألغى الحاكم العام حق الورثة في العفو عن القاتل ، ومنع الورثة من أخذ الدية لقتيلهم ، وحول تلك الحقوق الى الشركة بعد أن أوقف العمل بالتشريع الاسلامي في الجنايات بحجة أنه قاس في العقوبة [(٢)] ، وبذلك أصبحت الشركة هي صاحبة الدعوى حقيقة في جميع هذه الجرائم ، تحبذ تغريم المجرمين بالمال أكثر من أنزال العقوبة الرادعة تحقيقا للمصالح الاستعمارية ٠

وأول ثغرة مكشوفة أحس المسلمون الهنود بخطرها ازاء القضاء تمثلت بالغاء اللغة الفارسية -لغة القضاء والحكم طوال عهد الحكومات المسلمة بالهند — من منصة القضاء عام ١٨٣٤م ٠ واتخذت الاجراءات العديدة لخنقها — كما مر معنا في فصل التعليم — حتى أضحى تعلمها عبثا على حساب لقمة العيش ، والعمل في الادارات الجديدة ، وحاول المسلمون الخلاص من الوضع المتأزم بالحركة التحررية الفاشلة ، وخرجت النتيجة بعد بضع سنين على تعبير هنتر في الصورة التالية " ألغينا الاعفاءات التي منحتها الدولة المسلمة لرعاياها ، وفرضنا الضرائب وأنفقناها على بناء الكنائس ، وصرف المرتبات لدعاة التنصير وأبدلنا أمراء المناطق الانجليز بالمسلمين ونحينا بأمر تشريعي جميع القضاة المسلمين ، وألزمنا القضاء بلغة الحكام ، وأوقفنا العمل بالقوانين الاسلامية وفرضنا على الناس وضع طوابع على كل قضية تقدم للقضاء في جميع أرجاء الهند ٠٠٠ ،وحكم قضاتنا بالزام المدينين دفع الفوائد المستحقه (الربا) على الدين الذى لم يسدد في حينه " [(٣)]

والمتتبع لحركة التطور التشريعي الوضعي لا يخفى عليه أن الانجليز ظلوا يهيئون مواد البناء وينقضون التشريع الاسلامي عروة عروة مدة قرن تقريبا ، اذ وضع حجر الأساس للقوانين الوضعية بتحديد مجال تطبيق الشريعة الاسلامية ، وبعد قرن انهال المشرعون الانجليز يغمرون الشعب

---

(١) انظر كنشتوتشن آف لا ص ١٧٧٢ وأصول شرع اسلام ص ٤ ٠

(٢) " " " ص ٤٥ ٠

(٣) همارے هندوستاني ص ١٩٠ ، وانظر للتفصيل حول ما أقدمت عليه الدولة في هذه الفترة مقالات كارسان جـ ٧١/١ ٠

بتشريعاتهم الوضعية منذ بداية العقد السابع من القرن التاسع عشر ، على حد مثلهم السائر بطئ ولكنه أكيد المفعول ، وفى خلال بضع وثلاثين سنة من القرن الماضى ، وضعت جل — التشريعات البشرية ، وسرعان ما ظهرت الهفوات فى تلك القوانين ، وأخذ الغرس الوضعى يعطى الثمار الطبيعية حسب سنن الله الكونية التى لا تحيد عن مسارها. فكشفت تقارير الشرطة " أن القضايا الكاذبة المقدمة الى المحاكم للفصل أكثر من القضايا الصادقة ، وأن أهل البنغال اخترعوا طرقا يكسون بها قضاياهم الكاذبة ثوب الصحة والصدق حتى وصلت الى درجة الحقيقة الثابتة ، وكادت أن تضاهى نتائج العلوم التجريبية " (١)

ويقول جارلس ميتكاف أحد شهود العيان الذى مكث فى الهند بضعا وثلاثين سنة من القرن التاسع عشر ، وشاهد عن قرب تلاعب الخصوم على العدالة " إن محاكمنا القضائية ملجأة للفساد وإن القاضى تنسج حوله المؤامرات على كرسى الحكم ، وإن كل شخص يحاول أن يخدعه ، وان المحامين لا يقيمون للصدق وزنا " (٢)

وما نرى فى التشريعات الوضعية الانجليزية من موافقة للشريعة الاسلامية فهى مما أمد به المسلمون المشرعين الغربيين بلغتهم الانجليزية ، كالسيد أمير على وكتابه جامع الأحكام فى المعاملات فى الفقه الحنفى والشيعى ، ومحمد بن عبد الله وكتابه " وقار الاسلام فى تبيين الأحكام " والسيد محمود بن أحمد الدهلوى ومؤلفاته فى الطلاق والشفعة والشهادة ، ومحمد حسين نور وكتابه " شرع محمدى " وبولسن المسلم الانجليزى وكتابه " القانون المحمدى الانجليزى " ومجيب الله بن احسان الله الانصارى وكتاباه "الوقف على الأولاد " " والافادة فى باب الشهادة " والسيد كرامت حسين وكتابه " الهبة " وتلك بعض المصادر التى اسعفت القانون الوضعى فى بعض تشريعاته فيما يخص الحياة الاسلامية (٣) ، وكثيرا ما كان يعلن فى الصحف عن جوائز مغرية لتأليف كتاب باللغة الانجليزية فى باب من أبواب التشريع ، ولا تمضى فترة حتى تقتبس أفكار

---

(١) همار هندوستانى مسلمان ص ١٥٥ .

(٢) نقلا عن بيندل مون هندوستان مين اجنبى راج (حكم الأجانب فى الهند) ص ٧١ .

(٣) انظر عبد الحى الحسنى الثقافة الاسلامية فى الهند ص ١٢٢ .

المؤلفات أو تنقل حرفيا وتصب فى قوالب تشريعية ، وذلك فى الأمور التى حرص الانجليز على ايقائها فى حياة المسلمين خوفا من الصدام والصراع معهم .

فتوى السيد رشيد رضا حول القوانين الوضعية :

وما أن أخذ القانون الوضعى يحل مكان الشريعة حتى تساءل المسلمون عن حكم التحاكم اليه وتنفيذ المسلم له بصفته قاضيا من قضاته ، وتطلعت الأنظار الى بلد الأزهر لمكانته العلمية فاستفتى مفتى بنجاب نور الدين الشيخ محمد عبده ، فأحال الشيخ الاستفتاء الى السيد رشيد رضا لوحدة مشربهما ازاء مثل تلك القضايا فأجاب السيد بقوله : " ان هذا السؤال يتضمن مسائل من أكبر مشكلات هذا العصر كحكم المؤلفين للقوانين وواضعيها لحكوماتهم وحكم الحاكمين بها والفرق بين دار الحرب ودار الاسلام فيها .

" واننا نرى كثيرين من المسلمين المتدينين يعتقدون أن قضاة المحاكم الأهلية الذين يحكمون بالقانون كفار اخذا بظاهر قوله تعالى : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون "(١) ويستلزم الحكم بتكفير القاضى الحاكم بالقانون تكفير الأمراء والسلاطين الواضعين للقانون فإنهم وإن لم يكونوا ألفوها بمعارفهم فإنها وضعت باذنهم ، وهم الذين يولون الحكام ليحكموا بها ويقول الحاكم من هؤلاء احكم باسم الأميرفلان لأننى نائب عنه باذنه ويطلقون على الأمير لفظ " الشارع "

" أما ظاهر الآية فلم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين ، بل لم يقل به أحد قط فان ظاهرها يتناول من لم يحكم بما أنزل الله مطلقا سواء حكم بغير ما أنزل الله تعالى أم لا ، وهذا لا يكفره أحد من المسلمين حتى الخوارج الذين يكفرون الفساق بالمعاصى ومنها الحكم بغير ما أنزل الله " واختلف أهل السنة فى الآية فذهب بعضهم الى أنها خاصة باليهود ... وذهب بعضهم الى أن الآية الأولى التى فيها الحكم بالكفر للمسلمين ، والثانية التى فيها الحكم بالظلم لليهود والثالثة التى فيها الحكم بالفسق للنصارى وهو ظاهر السياق ، وذهب آخرون الى العموم فيها كلها ويؤيده قول حذيفة لمن قال أنها كلها فى بنى اسرائيل ... وأول هذا الفريق الآية بتأويلين فذهب بعضهم الى أن الكفر هنا ورد بمعناه اللغوى للتغليظ لا معناه الشرعى الذى هو الخروج من الملة ... " .

---

(١) المائدة آية : ٤٤ .

وذهب بعضهم أن الكفر مشروط بشرط معروف من القواعد العامة وهو :
أن من لم يحكم بما أنزل الله منكرا له أو راغبا عنه لاعتقاده بأنه ظلم مع علمه بأنه حكم الله أو نحوه ذلك مما لا يجامع الايمان والاذعان ، ولعمرى أن الشبهة فى الامراء الواضعين للقوانين أشد والجواب عنهم أعسر ، وهذا التأويل فى حقهم لا يظهر ، وان العقل ليعسر عليه أن يتصور أن مؤمنا مذعنا لدين الله يعتقد أن كتابه يفرض عليه حكما ثم هو يغيره باختياره ويستبدل به حكما آخر بارادته ، اعراضا عنه وتفضيلا لغيره عليه ، ويعتد مع ذلك بايمانه واسلامه ...

" وان الأحكام المنزلة من الله تعالى منها ما يتعلق بالدين نفسه ، كأحكام العبادات وما فى معناها ، كالنكاح والطلاق ، وهى لا تحل مخالفتها بحال ، ومنها ما يتعلق بأمر الدنيا كالعقوبات والحدود والمعاملات المدنية ، والمنزل من الله تعالى فى هذه قليل وأكثرها موكول الى الاجتهاد وأهم المنزل وآكده ، الحدود فى العقوبات ، وسائر العقوبات تعزير مفوض الى اجتهاد الحاكم ، والربا فى الأحكام المدنية ، وقد ورد فى السنة النهى عن اقامة الحدود فى أرض العدو وأجاز بعض الأئمة الربا فيها بل مذهب أبى حنيفة أن جميع القيود (العقود) الفاسدة جائزة فى دار الحرب ...

" فعلم ما تقدم أن الأحكام القضائية التى أنزلها الله تعالى قليلة جدا وقد علمت ما قيل فى اقامتها فى دار الحرب لا سيما عند الحنفية ، فاذا كانت الحدود لا تقام هناك فقد عادت أحكام العقوبات كلها الى التعزير الذى يفوض الى اجتهاد الحاكم ، والأحكام المدنية أولى بذلك لأنها اجتهادية أيضا ، والنصوص القطعية فيها عن الشارع قليلة جدا . واذا رجعت الأحكام هناك الى الرأى والاجتهاد فى تحرى العدل والمصلحة ، وأجزنا للمسلم أن يكون حاكما عند الحربى فى بلاده لأجل مصلحة المسلمين ، فالذى يظهر أنه لا بأس من الحكم بقانونه لأجل منفعة المسلمين ومصلحتهم .

وجملة القول أن دار الحرب ليست محلا لاقامة أحكام الاسلام ، ولذلك تجب الهجرة منها الا لعذر أو مصلحة للمسلمين يؤمن معها من الفتنة فى الدين وعلى من أقام أن يخدم المسلمين بقدر طاقته ويقوى أحكام الاسلام بقدر استطاعته ولا وسيلة لتقوية نفوذ الاسلام وحفظ مصلحة المسلمين مثل تقلد أعمال الحكومة لا سيما اذا كانت الحكومة متساهلة قريبة من العدل بين جميع الأمم والملل كالحكومة الانجليزية . والمعروف أن قوانين هذه الدولة أقرب الى الشريعة الاسلامية من غيرها لأنها تفوض أكثر الأمور الى اجتهاد القضاة فمن كان أهلا للقضاء فى الاسلام وتولى القضاء فى الهند بصحة قصد وحسن نية يتيسر له أن يخدم المسلمين

خدمة جليلة . وظاهر أن ترك أمثاله من أهل العلم والغيرة للقضاء وغيره من أعمال الحكومة تأثما من العمل بقوانينها يضيع على المسلمين معظم مصالحهم فى دينهم ودنياهم وما نكب المسلمون فى الهند ونحوها وتأخروا عن الوثنيين الا بسبب الحرمان من أعمال الحكومة [(١)]

مناقشة الفتوى فى ضوء مصادر الاسلام وأقوال علمائه :

لا يخفى ما فى الفتوى من تمويه وخلط ، والمسألة فى صورتها التفصيلية كالتالى :ـ

١ ـ التشريع من خصائص الألوهية ، ووضع قوانين تحل محل تشريعات الاسلام يخرج المرء من الاسلام ، وينطبق عليه قوله تعالى : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " [(٢)] فلا يتحقق اسلام المرء حتى يعطى حق التشريع لله عز وجل ، وقد تحدث القرآن عن هذا الجانب من الألوهية بتفصيل ، لا لبس فيه ، وأمر البشر أن يفوضوا أمر التشريع الى خالق الكون عز وجل ، وعد من يعطى حق التشريع بغير ما أنزل الله الى بنى آدم مشركا مع الله فى عبادته وألوهيته " سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ " [(٣)] " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله " [(٤)] " وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ " [(٥)] " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون " [(٦)]

فالآيات تنص على أن التشريع من خصائص الألوهية . واختصاصه بذات الله كاختصاص الخلق وايجاد الكائنات به عز وجل ، لأن التشريع حق لمن يخلق ويملك " ألا له الخلق والأمر " [(٧)] ، والحاكمية والملك لله الواحد الأحد ، والانسان خليفته فى أرضه " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفه " [(٨)] .

(١) مجلة المنار جـ ٧/٥٧٧ ـ ٥٨٠ عدد محرم ١٣٢٢ مارس ١٩٠٤م ، وأعيدت الفتوى فى المنار جـ ١٧/٢٦٢ ـ ٢٦٥ عدد ديسمبر ١٩١٣م .

(٢) المائدة آية : ٤٤ .

(٣) الأنعام : ١٤٨ .

(٤) الشورى ٢١ . (٥) النحل : ٣٥ . (٦) الأنعام : ١٢١ .

(٧) الأعراف آية : ٥٤ . (٨) البقرة آية : ٣٠ .

ومفهوم الحاكمية فى الدين السماوى يعنى الاعتراف بأن الأرض وما عليها والسماء وما فيها ملك لله ، وتدبير شئون تلك الكائنات مختص به عز وجل ، وهو عالم بما يصلحها ومطلع على ما يضرها ، ومن حق العليم بكنه الأشياء الأمر والحكم والتشريع ، فلا مجال للانسان فى دائرة الاسلام الا أن يكون خليفة الله فى تنفيذ شريعته ، والخلافة الراشدة لا تتحقق الا ان يكون الخليفة أحد رجلين : رسولا من عند الله أو رجلا يتبع الرسول فيما جاء به من عند الله وينفذه على عباد الله وقضية التشريع بهذا المفهوم من القضايا الواردة فى الكتب السماوية جمعاء على اختلاف في الشرائع ولكنها أوضح ما تكون فى الرسالة السماوية الخاتمة .

وشرك التشريع لا يقل خطورة عن شرك العباد ، فقد ورد أن عدى بن حاتم رضى الله عنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتلو قوله عز وجل : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " (١)

فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انا لسنا نعبدهم فقال : " أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت : بلى ، قال فتلك عبادتهم " (٢)

فالمشرع بغير ما أنزل الله فى ضوء تفسير النبى صلى الله عليه وسلم اله جعل نفسه ربا من دون الله لاعطائه ذاته حقا من حقوق الالوهية ، وبهذا الوضع يأخذ فى الناس مكان الاله المعبود ويستخدم أخص خصائصه . وينتج عن اختصاص التشريع بالله عز وجل فى حياة الناس أن مجالس القضاء والحكم لا تخضع فى أحكامها للهيئات التنفيذية البشرية ، ولا يربطها بالسلطات الأرضية الا التنظيم الادارى ، من تولية وعزل ورقابة .

هذا وقد ظل المسلمون فى تاريخهم كله يتحاكمون الى شرع الله ، ولا يحيدون عنه اعتقادا منهم بأن هذا هو مقتضى كونهم مسلمين ، ولم يفرض عليهم تشريع مخالف لشرع الله الا مرتين :-
أولاهما : فى عهد التتار حين غلبوا على بلاد المسلمين ، ولكن المغلوبين لم يخضعوا لتشريعهم وما أرادوا به حكم المسلمين ، وسرعان ما انقشعت الغمة وغلب الاسلام التتار ومزجهم بالمسلمين وادخلهم فى لوائه ، فزال أثر التشريع المتغلب بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم .

والمرة الأخرى فى عهد الاستعمار الغربى منذ استيلائه على بلاد المسلمين ، وما تزال هذه ممتدة

---

(١) التوبة آية : ٣١
(٢) الحديث أخرجه ابن جرير فى تفسيره جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٠ / ١١٤

الى اليوم ، وتختلف عن الأولى بانخراط المسلمين فى التشريعات غير الاسلامية لأول مرة فى تاريخهم واندماجهم فى الغزاة والمتغلبين ، ومد يد العون الى التشريعات الواردة تعلما وتعليما وتنفيذا وابتكارا ...

وممن بحث قضية تطبيق شرع غير اسلامى من المسلمين على المسلمين المفسر الحافظ ابن كثير الذى عاصر عهد التتار ، فبين حكم الشرع فى هؤلاء عند قوله عز وجل " أفحكم الجاهلية يبغون ... الآية [(١)] بقوله " ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم ، المشتمل على كل خير ، الناهى عن كل شر ، وَعَدَلَ الى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات ، التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذى وضع لهم الياسق (الياسا أو السياسا) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى ، من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت فى بنيه شرعا متبعا ، يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ، فلا يحكّم سواه فى قليل ولا كثير " [(٢)] .

أرأيت الوصف الدقيق للقانون الوضعى من الحافظ المفسر ، كأنه يصف حال المسلمين وقانونهم اليوم فى القرن الخامس عشر الهجرى ، وأما من سبقه من المفسرين والعلماء فقلما قلبَ أطراف القضية بهذه الوجهة الدقيقة ونظر الى الآية بمنظار نبذ الشريعة كلها ، لأن ابحاث البشر وكتاباتهم تحاط دوما بدائرة ما يقلق مجتمعهم ويشغل بالهم ، ولا وجود لنبذ الشريعة كلها قبل ابن كثير ، لذا اتجهت أبحاث جمهور العلماء الذين سبقوه الى عدول الحاكم عن شرع الله فى جزئية أو جزئيات من الشريعة ، ومتى يكفر من فعل مثل ذلك ، ومتى يكون فاسقا ، وظهرت نتيجة أبحاثهم رحمهم الله فى كون المتصف بهذه الصفات الثلاثة واحدا ، وباعتبارات مختلفة لا تنفك عنه فى حال من الأحوال أو أنهم موصوفون متعددون كل حسب حاله بعد اتفاقهم على أن الحاكم بغير ما أنزل الله لا يكفر الا اذا اعتقد حل تلك الجزئية أو اعتقد ان حكم البشر فيها أفضل من حكم الله ... [(٣)]

---

(١) المائدة آية : ٥٠ . (٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٢/ ٦٧ .

(٢) انظر آراء المفسرين فى هذه القضية أبا بكر الجصاص أحكام القرآن جـ ٤/ ٩٣ ، ومحمد ابن أحمد القرطبى / الجامع لأحكام القرآن جـ ٦/ ١٩٠ وتفسير القرآن العظيم جـ ٢/ ٦١ ومحمد بن على الشوكانى فتح القدير جـ ٢/ ٤٥ وأحمد بن محمد الخفاجى حاشية الشهاب / جـ ٣/ ٢٤٦ ، ومحمود الالوسى روح المعانى جـ ٦/ ١٤٦ .

وذلك هو مورد وجهات النظر العلمية .

وعند العودة الى مفردات الآية تجد لفظة "من" الشرطية العامة الشاملة وجملة الجواب "فأولئك هم الكافرون" تفيد ان العموم وتنطقان بحكم عام خرج من حدود الملابسة والزمان والمكان . يعم الفرد والجماعة والحكم الواحد وجميع الأحكام ، فى الحال وفى المستقبل ـ فلا يتخلف حكم التكفير عمن اتصف بعدم تنفيذ شرع الله أو بعضه يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر . فإنه ما من أمة الا وهى تأمر بالحكم بالعدل .

وقد يكون العدل فى دينها ما رآه أكابرهم بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعاداتهم التى لم ينزلها الله كسواليف البادية وكانوا الأمراء المطاعين ، ويرون أن هذا هو الذى ينبغى الحكم به دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر فإن كثيرا من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون الا بالعادات الجارية التى يأمر بها المطاعون ، فهؤلاء اذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم الا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار " .(1)

ويقول العلامة ابن القيم بعد أن فند آراء العلماء فى الآية : " والصحيح ان الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين ، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم ، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله فى هذه الواقعة ، وعدل عنه عصيانا ، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر ، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطىء له حكم المخطئين " .(2)

ويعلل سيد قطب ذلك فيقول : " والعلة هى أن الذى لا يحكم بما أنزل الله انما يرفض الوهية الله ، فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية ، ومن يحكم بغير ما أنزل الله يرفض الوهية الله فى جانب ، ويدعى لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها فى جانب أخر ... ، وماذا يكون الكفر ان لم يكن هو هذا وذاك ؟ وما قيمة دعوى الايمان أو الاسلام باللسان والعمل وهو أقوى تعبيرا من الكلام ينطق بالكفر أفصح من اللسان ؟

" ان المماحكة فى هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل ، لا تعنى الا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة ، والتأويل والتأول ـ

---

(1) مجموعة التوحيد الرسالة الثانية عشرة ص ٤١٢.

(2) مدارج السالكين بين منازل آياك نعبد واياك نستعين جـ ١ / ٣٣٦.

فى مثل هذا الحكم لا يعنى الا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه ... وليس لهذه المماحكة قيمة ولا أثر فى صرف حكم الله عمن ينطبق عليهم بالنص الصريح الواضح الأكيد " (١)

وعلى هذا فالصفتان الأخيرتان : " الظلم والفسق " لا تعنيان قوما جددا ، ولا حالة متميزه عن الحالة الأولى ، وانما هما صفتان زائدتان على صفة الكفر يتصف بهما كل من لم يحكم بما أنزل الله من الأفراد والأمم فى كل زمان ومكان . يقول فخر الدين الرازى فى تفسيره : " قال :- القفال فى قوله تعالى : الكافرون ، الظالمون ، الفاسقون . وليس فى أفراد كل واحد من هذه الثلاثة بلفظ ما يوجب القدح فى المعنى بل هو كما يقال من اطاع الله فهو المؤمن ومن أطاع الله فهو البر ، ومن أطاع الله فهو المتقى ، لأن كل ذلك صفات مختلفة حاصلة لموصوف واحد " (٢)

ويقول سيد قطب فى الأوصاف الثلاثة : " والنص هنا كذلك على عمومه واطلاقه ... وصفة الفسق تضاف الى صفتى الكفر والظلم ، وليست تعنى قوما جددا ، ولا حالة جديدة منفصلة عن الحالة الأولى . انما هى صفة زائدة على الصفتين قبلها ، لاصقة بمن لم يحكم بما أنزل الله من أى جيل ، ومن أى قبيل .

" الكفر برفض الوهية الله ممثلا هذا فى رفض شريعته ، والظلم بحمل الناس على غير شريعة الله ، واشاعة الفساد فى حياتهم ، والفسق بالخروج عن منهج الله ، واتباع غير طريقه ... ، فهى صفات يتضمنها الفعل الأول ، وتنطبق جميعها على الفاعل ، ويبوء بها جميعا دون تفريق " (٣)

وترتب على فتوى السيد رشيد رضا فى الهند أن أقدم المحجمون عن القانون الى اكتسابه تعلّما وتعليما ، فلم يعد القاضى المسلم يتردد فى قبول مناصب القضاء ، وتطبيق القوانين الوضعية على الهنود أجمعين .

وكم كان الانجليز واعين تجاه قضية التشريع والتنفيذ حين أبقوا على القضاء

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٢ / ٨٩٨ .

(٢) التفسير الكبير جـ ١٢/١٠ .

(٣) فى ظلال القرآن جـ ٢/٩٠١ .

والقضاة المسلمين فترة غير قصيرة من حكمهم ، فسلموا من مجابهات أمكن تجنبها بسهولة ويسر ، وينصح هنترداهية الانجليز قومه بالسير على هذه السياسة أطول فترة ممكنة فيقول : " لما ملكنا البلاد أبقينا نظام القضاء على حاله ، بالاعتماد على هؤلاء القضاة ... والواقع أن وجود القضاة ضرورى للأحوال الشخصية الاسلامية ، والقوانين المذهبية ، وبقاء هؤلاء فى مناصبهم يعنى أن الهند دار اسلام وان تنحيتهم تعنى تحويل الهند الى دار حرب " (١) وكل ما عملته الدولة بعد اعتراض امراء المناطق الانجليز عام ١٨٦٣م على تعيين القضاة من قبل الفئات الاسلامية أن حولت التعيين من تلك الفئات الى الدولة . (٢)

جهود العلماء فى وضع دستور اسلامي لدولة باكستان المسلمة :

وقبل الدخول فى تفصيل القوانين الانجليزية التى أخذت تستولى على منصة القضاء منذ عام ١٨٦٠م يجدر التنبيه بأنها ما زالت سارية المفعول مع تعديلات طفيفة تافهة فى كل من باكستان والهند وبنغلاديش وبورما وسيلان ، كما أنها أسس قانونية بشرية وضعها أناس لا يعترفون بالاله المشرع ، ونصبوا من أنفسهم آلهة مشرعين أظهر الزمن والتجارب فشل تشريعهم فى أغلب مناحى الحياة ، وظلت مثل هذه القوانين تتمتع بالحصانة طوال عهد الانجليز فلم يجرؤ أحد على نقدها أو تقديم بديل أفضل منها .

وكان المتوقع بعد استقلال باكستان المسلمة أن يرحل قانون الانجليز برحيلهم ، بيد أن الأمل خاب عندما تعلل ولاة الأمور بحداثة الدولة وعدم وجود قضاة متشبعين بالروح الاسلامية القضائية من جهة ، وتوقف التطور التشريعى الاسلامى منذ تسلم الانجليز السلطة من جهة أخرى ، فلم يعد فى مقدور علماء الاسلام تحمل أعباء القضاء فى الظروف المتجددة ، أضف اليه أن أغلب العلماء عارضوا قيام باكستان وفصلها من الهند الموحدة (٣) فى حركة الاستقلال مما كثف الشبهات حولهم ، ولم تزل جماعات منهم تدافع عن نفسها تجاه التهم الموجهة

---

(١) همار هندوستانى ... ص ٢٧٧ .

(٢) " " ص ٢٧٩ .

(٣) لخوفهم من تضييق مجال الدعوة الاسلامية وانحصارها فى جزء صغير من الأرض .

اليهم حول الاستقلال حتى اليوم ، وكان المثقفون الواعون لمشاكل الحياة الحديثة من خريجي الكليات العصرية ، الذين تربوا على تنفيذ القانون الوضعى منذ نعومة أظفارهم ، ولم يكتسبوا المعارف الا عن طريق لغة المستعمرين ، وكان من غير المستبعد نتيجة هذه العوامل أن يظل القضاء على ما كان فى عهد الانجليز .

ويبدو أن جهود العلماء المؤيدة من قبل الشعب ازاء وضع الدستور للدولة المسلمة وأمور التشريع فيها كادت أن تثمر بعد انعقاد مؤتمر المبادئ الأساسية لدولة باكستان المسلمة ، ففى ٢١ ـ ٢٤ يناير من عام ١٩٥١م اتفق واحد وثلاثون عالما من مختلف النزعات على اثنين وعشرين نقطة دستورية ، وأولى هذه النقاط وثانيتها وثيقة الصلة بالتشريع حيث نصت الأولى " ان الحاكم الحقيقى من حيث التشريع والتكوين هو الله رب العالمين وحده "

وتضمنت الثانية " ان يكون قانون البلاد مبنيا على قواعد الكتاب والسنة ، ولا يوضع قانون ولا يصدر أمر ادارى يخالف الكتاب والسنة "التنبيه" ان كان البلاد نافذا فيها من القوانين ما يخالف الكتاب والسنة فلابد فى الدستور من النص على أنها تنسخ أو تغير وفقا للشريعة الاسلامية تدرجا فى مدة محدودة "(١)

هذا وقد لبى الدستور رغبة الأمة منذ تكوينه المبدئى عام ١٩٥٢م ، فصرح ان حاكم البلاد يأمر بتشكيل لجنة خماسية من العلماء الواعين تراعى أمور التقنين المبتكرة من أن تنحرف عن الكتاب والسنة(٢) ، وأيده دستور عام ١٩٥٦م ، فنص على تكوين هيئة اسلامية تعمل تحت اسم "الهيئة الاستشارية الاسلامية " للغرض نفسه(٣) وأضاف اليها دستور ١٩٦٢م هيئة أخرى للهدف ذاته ، فبرزت الى حيز الوجود " ادارة التحقيقات الاسلامية "(٤) وتمكن دستور ١٩٧٣ من الاعلان " ان الله هو الحاكم المطلق لجميع الكائنات ، وأن تنفيذ دائرة النيابة مقيد بالحدود الالهية فهو أمانة مقدسة "(٥) و " ان دين الدولة الرسمى هو الاسلام "(٦) ويسمح بتغيير

---

(١) نظرية الاسلام وهديه ص ٣٧١ .

(٢) انظر على محمد شاهين آئين اسلامى جمهورية باكستان ١٩٧٣م " دستور جمهورية باكستان الاسلامية ص ١٢ . (٣) آئين اسلامى ص ١٨ . (٤) آئين اسلامى ص ١٨ .
(٥) آئين اسلامى ص ٢٧ . (٦) آئين اسلامى ص ٢٩ .

القوانين الوضعية واستبدال الشرع بهـا عن طريق الهيئة الاستشارية وان من تمكن من الاطلاع والاخبار بأن القانون الفلانى مخالف للاسلام فللهيئة أن تصب ذلك القانون فى قالب الاسلام خلال سبع سنوات " (١)

وفى ضوء الاذن الدستورى ، وحق النصيحة المفروض شرعا " ان الدين النصيحة ، ان الدين النصيحة ، ان الدين النصيحة ، قالوا لمن يارسول الله ، قال لله وكتابه ورسوله ، وأئمة المؤمنين وعامتهم ، وأئمة المسلمين وعامتهم " (٢) وتتميما للهدف الذى ضحى من أجله الشهداء بمهجهم وأموالهم ... فى سبيل اقامة دولة اسلامية تكون نموذجا يقتدى به فى عالم الجور والعدوان ، سمحت لنفسى بمناقشة أبرز جوانب القانون الوضعى ، وليس من المستطاع غربلة كل جزئية قانونية من فرد يحصره الزمن فى جامعة من الجامعات ، ولا يفوتنى التنويه بأن عملى سيكون جهد مقل فى طريق لم يمهد ، — فيما أعلم — أحد قبلى لوعورة مسالكه وكثرة تشعباته وأرجو أن يكون باكورة لمزيد من البحوث ، فان أصبت فبتوفيق الله ، وان كان غير ذلك فمنى ومن الشيطان .

قانون العقوبات الباكستانى ومحتوياته : (Pakistan Penal Code.)

من المعروف تاريخيا أن مسودة قانون العقوبات الهندى " Indian Penal Code " تكونت من قبل بعض أعضاء المجلس التشريعى الحاكم تحت رئاسة اللورد ميكالى Macaulay وأبرز من شارك فى التقنين بعد ميكالى هما ميكلود اندرسن وميلت ورفعت المسودة عام ١٨٣٧ م الى الحاكم العام ، وبعد تعديلات عديدة على عدة مراحل قدمت عام ١٨٥٦م الى المجلس التشريعى للموافقة عليها ، وفى ٦ أكتوبر ١٨٦٠م قبلها المجلس ومنحها الصفة القانونية ، وبعد استقلال باكستان بسنتين تقريبا اكتسب قانون العقوبات الانجليزى الهندى الصفة

---

(١) انظر آئين اسلامى ص ٣٢ .

(٢) الحديث رواه أبو داود فى جـ ٤/٢٨٦ كتاب الأدب باب فى النصيحة رقم الحديث ٤٩٤٤ .

الشرعية من حكومة باكستان وما زال يحرك منصة القضاء حتى اليوم [١] رغم بعض التعديلات السابقة واللاحقة التي أعلن عنها أخيرا باسم "قانون الحدود"

ويضم قانون العقوبات التعزيري بين دفتيه ثلاثا وعشرين بابا ، جامعا بين ٥١١ بندا ، ففي الباب الأول تنصيص على اسمه ، وعلى الدولة التي تفصل بموجبه ، وبيان لمن يرتكب الجرم داخل البلاد أو خارجه ... ، وفي الباب الثاني شرح وتفسير للألفاظ المستعملة ضمن دفتي قانون العقوبات " Pakistan Penal Code " كعود الضمائر وتعريف القضاء والدولة .... ، وفي الباب الثالث نرى أنواع العقوبات من الاعدام والحبس مدى الحياة والحبس المحدد بنوعيه المجهد وغير المجهد .... ، واختص الباب الرابع بمن يستثنى من تلك العقوبات .... ، وأتى الخامس فيمن يعيين في ارتكاب الجريمة .... ، وتبعه السادس فيمن يحاول المساس بأمن الدولة .... ، وكان السابع خاصا بمن يحرض جيش الدولة أو بعض أفراده على التمرد والعصيان .... ، وفي الباب الثامن ذكرت الجرائم التي تخل بالآداب العامة ، وجاء التاسع في الجرائم التي يرتكبها عمال الدولة وانتهى ببيان الجرائم الانتخابية وعقوباتها ، وأتى الباب الأخير المتمم للعقد الأول فيمن يهين السلطات الشرعية لأحد عمال الدولة .

واختص الباب الحادي عشر بشهادة الزور وعقوبتها ، وجاء الباب الثاني عشر في بيان الجرائم الخاصة بتزوير النقود وأختام الدولة ، وأتى الباب الثالث عشر يوضح جرائم الكيل والوزن والمقياس ، وجاء الذي يليه فيمن يمس الصحة العامة ، وكان انعقاد الباب الخامس عشر لبيان الجرائم التي تهين المعتقدات والمذاهب ، وجاء الباب السادس عشر في الجرائم التي تختص بجسم الانسان من القتل والشنق والسجن دون مبرر والاختطاف والوطء من غير رضا ... ، وجاء الباب السابع عشر لبيان الجرائم المالية من السرقة والسطو المسلح والخيانة والغش ، ووضع الباب الثامن عشر لبيان الجرائم التي تتصل بالوثائق والحرف وامارات الأرض من التزييف فيها وصنع ما يشبه الأصل .... ، وجاء الباب التاسع عشر الذي كان يحتوي على ثلاثة بنود ونسخ منه بندان ، ويتصل المتبقي منه بنقض العقود المبرمة لخدمة من لا يستطيع القيام بحاجياته ، واكتمل العقد الثاني ببيان الجرائم الزوجية .

وأتت فاتحة العقد الثالث في بيان من يمس السمعة الحسنة لشخص من الأشخاص ، ومن يباح

له الكلام فى مستلك الناحية ، ونص الباب الذى قبل الأخير على عقوبة التخويف والأهانة ، وادخال الحزن على شخص لقصد الجريمة وكان ختام قانون العقوبات الباكستانى P.P.C بالباب الثالث والعشرين الشبيه بالتاسع عشر ، ويحدد بنده الوحيد عقوبة من يقدم على الجريمة ولا يتمكن من اتمامها فتنتصف العقوبة الأقصى فى حقه سجنا أو غرامة ويمكن الجمع بينهما متناصفتين (١) وخاتمة المطاف فى قانون العقوبات تبشر بالخير ، اذ اتجهت الحكومة العسكرية الحالية الى اصلاح هذا الجانب الذى طال انتظار اصلاحه .

بادرة خير فى اصلاح القانون :

ففى ١٢ ربيع الأول يوم ولادة هادى البشرية محمد صلى الله عليه وسلم من عام ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠/٢/١٩٧٩م أعلنت الدولة تنفيذ التشريع الاسلامى فى كل من حد الزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر ، ولم يثمر ذلك الغرس فيما يبدو حتى اليوم ، وما زال نطاق الجرائم يتسع يوما بعد يوم لتهاون الشرطة والقضاة عن جدية التنفيذ وعدم اعطائهم التشريع الاسلامى الثقل الذى صاحب الاعلان من جهة ، وسريان ثلاثة قوانين تحكم الشعب فى آن واحد — القانون العسكرى والقانون الانجليزى والتشريع الاسلامى فى بعض الحدود — من جهة أخرى وبذلك فتح باب المساومة أمام الشرطة لتختار تسجيل الجريمة فى قانون من القوانين .

الجوانب التشريعية الحديثة فى القانون وموقف الشريعة منها :

والمطلع على الفقه الاسلامى لا ينكر أن فى قانون العقوبات ما هو جديد على الفقه الاسلامى ومرد ذلك أن تلك الجرائم التى نص القانون على عقوبتها لا يخلو ظهورها من احدى الحالات الثلاث :

أ — لم تكن موجودة على الساحة الاسلامية لبساطتها وطهارة افرادها ثم ظهرت كجرائم الانتخابات وتزوير العملة والوثائق وخطف البشر ومس السمعة الحسنة بمفهومه الواسع ، واهانة أحد عمال الدولة فى أثناء تأديته وظيفته .

ب — وجرائم كانت موجودة ، لكنها غير بارزة فى الأمة ، ووضعها آنذاك لا يعدو القولة المشهوره " النادر لا حكم له " وما أن اختلط الغرب الذى فَقَدَ كل مقومات الاخلاق والمثل

---

(١) انظر مجموعة تعزيرات ص ٣١١ .

الروحية بالشرق حتى ظهرت تلك الجرائم على الأفق ، وكونت ظاهرة مخيفه كتطفيف الكيل والميزان وشهادة الزور واهانة المعتقدات والأديان .

ج — وجرائم وضع المشرع لها عقوبات معينة كجرائم الحدود وما نص الشارع على عقوبته ، وكانت موضع عناية القضاة والفقهاء ، وبذل هؤلاء رحمهم الله كل ما فى وسعهم من جهد لايضاحها ، وبيان ما يشبهها ، وهذا الجانب من القضاء الاسلامى ترى قلما يحتاج الى جهد جديد ، وفى وسع المنفذين للشرع أن ينظموا ما حكم به سلفهم وأفتى به المفتون .

فالحالة الأولى موضع دراسة وميدان فسيح لعلماء المسلمين ، ولهم أن يستفيدوا من القانون ان وافق الأسس العامة لشريعة الله ، ودراسة هذه الجرائم والمعاملات التى لم تدرس أو لم تعط العناية الكافية فرض عين على المتمكنين من الشريعة الاسلامية والمتخصصين فى فروعها المختلفة ، وبذلك يتمهد الطريق للفصل فى قضايا الساعة ، وتعود الحلقة المفقودة منذ قرنين الى مكانها وتسلم سلسلة الفقه من الانقطاع .

وأما الحالة الوسطى فلن تضنى المحتكين حلها ، اذ لا يصعب البحث عن رأى مذكور فى بطون الكتب ، ولا سيما اذا اتضحت مظانها ، ومن السهل بعد الجمع دراسة تلك الآراء ، واستخلاص الأسس والضوابط منها فى ضوء مصلحة الأمة والأسس التشريعية الالهية .

نماذج مقارنة من الجرائم والعقوبات بين القانون والشريعة :

ومن هنا تتضح خطوط البحث فى القانون ومقارنته ببعض تشريعات السماء — للحكم على ما يقال أن العقل البشرى شب عن الطوق فلا يحتاج الى تشريع الخالق العليم ، وأن فى وسعه أن يشرع ما يحقق مصلحة البشر أجمعين — وذلك بعرض نماذج من تشريعات القانون للتعرف على مدى تحقيقها لحفظ الحقوق واقامة وشائج الترابط بين أفراد المجتمع الواحد ، وحماية المسالمين من المعتدين .

١ — جريمة القتل :

كبرى الجرائم على الاطلاق هى قتل النفس بغير حق ، ولا تبيح شريعة ازهاق روح بريئة وتحتاط كل الشرائع والقوانين لمنع وقوع هذه الجريمة وسد طرق الوصول اليها ، ومعاقبة من يرتكبها بما

يردعه ،ومن هذا القبيل أتت تشريعات الاعدام فى قانون العقوبات فى ثمان جرائم ، فقرر هذه العقوبة فى القتل العمد [١] ، ومحاربة الدولة [٢] ، ومد يد المساعدة فى انشاء حركة المحاربة [٣] وشهادة الزور فى جريمة لقى البرىء بسببها عقوبة الاعدام [٤] ، ومعاونة المنتحر على اتمام جريمة الانتحار اذا كان طفلا أو مجنونا [٥] والسطو المسلح وقطع الطريق مع القتل [٦] والاقدام على القتل من شخص يقضى عقوبة السجن المؤبدة فيتضرر المجنى عليه بسبب ذلك الاقدام [٧] ، والثامنة "كل شخص حكم عليه بالسجن المؤبد فارتكب جريمة القتل العمد يعاقب بالاعدام" [٨] غير أن القانون ترك الخيار للقضاء يتصرف حسب ارادته فى الجنايات السبعة الأولى ، فخوله أن يصدر حكم الاعدام فيها ، كما اعطاه صلاحية الأعراض عنه واستبدال عقوبة أخرى بالاعدام حسب رأيه فى الجريمة والمجرم ، أما الصورة الثامنة فقد حتم القانون فيها حكم الاعدام ، وتلك أشد عقوبة انفردت بها هذه الصورة فى القانون كله .

وللمرء أن يتساءل فى ترك الخيار للقضاء أهو من مصلحة الجانى أو من مصلحة المجتمع ، والأحكام القضائية تثبت أنه لمصلحة الأول دون الأخير ففى ٩٥ ٪ من جرائم القتل يعاقب المجرم بالسجن ، وتماثلها فى العقوبة الجرائم الستة الباقية ، وتلك صورة صادقة لما جبل عليه الغرب وقانونه . اذ يرون أن المجتمع هو المسئول عن جرائم أفراده ، بما يفرض عليهم من القيود والكوابح ، وتبعا لذلك ينظرون الى المجرم نظرة المجنى عليه الذى يستحق أن يعوض عن جريمته لا أن يوقع عليه العقاب .

وفى ترك الخيار للقضاء تعد مكشوف على حقوق الورثة فى بعض تلك الصور الثمانية ، وسلب لحقوقهم الفطرية المشروعة ، كالمطالبة باعدام القاتل المتعمد للقتل ، اذ الثأر أمر مركوز فى القلوب ، ولن تقر عين الورثة حتى يروا دم القاتل مراقا كما أراق هو دم مورثهم المقتول . وان

---

(١) مجموعة تعزيرات المادة ٢٠٢ ص ١٥٣ . (٢) مجموعة تعزيرات المادة ١٢١ ص ٦٠ .
(٣) " " " ١٣٢ ص ٦٥ . (٤) " " " ١٩٤ ص ١٠٠ .
(٥) " " " ٣٠٥ ص ١٧٠ . (٦) " " " ٣٩٦ ص ٢٣٩ .
(٧) " " " ٣٠٧ ص ١٧٠ . (٨) " " " ٣٠٣ ص ١٦٦ .

عفوا عنه عن مقدرة فتلك اسمى صور الانسانية ، وان سُلِبَ منهم معاقبة القاتل فذلك لن يعين فى استقرار الأوضاع ومنع جريمة القتل ، كما هو الحال اليوم ،قتل يعقبه قتل ويتبعه قتل ، كمَـدّ البحر وجزره ، فمتى قوى جانب المعتدى عليه اعتدى ويقف القانون مسلوب الارادة لا يملك ازاء ايقاف الجريمة واراحة الأمة من الاعتداءات المسلسلة غير المتناهية حولا ولا قوة لمحاربته الفطـــرة البشرية فى نوع العقوبة .

وازداد لهيب الفطرة اشتعالا حين أعطى القانون حق الورثة من لاناقة له فى المقتول ولاجمل ، فخوله حق العفو عن المجرم ، أو استبدال عقوبة بعقوبة الاعدام ، اذ تفيد المادة ٤٠١ من قانـــون المرافعات الجنائى TheCode ofCriminalProcedure ان حكومة المقاطعة تملك حق التصرف فى الغاء العقوبة ،أو الغاء جزء منها ، أو العفو عن المجرم فى كل عقوبة حكم عليه بها ... "[١] ، وتنص المادة ٤٠٢ " أن حكومة المقاطعة تملك حق استبدال عقوبة باخرى على الترتيب الآتى ... الاعدام ، السجن المؤبد ، السجن المجهد ، السجن غير المجهد ، الغرامة " .[٢]

وتعطى المادة ٤٠٢ ألف سلطات المادتين السابقتين لرئيس الدولة فى عقوبة الاعدام[٣] ، وتشرك المادة ٥٤ من"قانون العقوبات " السلطة المركزية فى الحقوق السابقة[٤] ، وبذلـــك يصبح حق الورثة ملكا لجهات ثلاث ، هى سلطة المقاطعة التى صدر فيها حكم الاعدام ،والسلطة المركزية ورئيس الدولة ، وهكذا سلب الحق من أصحابه الشرعيين وأعطى لمن لا يستحقون ، ويمثل هذه التصرفات ذل جانب القانون، ولان للمجرمين ، وفتح لهم باب الأمل والعفو عن العقوبـــة المستحقة بعد ثبوت الجريمة ، فكم من حكومة أو حزب سياسى أفرج عن المجرمين ، أو خفف مـــن عقوبتهم نتيجة الاحتفالات ، أو الفوز فى الانتخابات .

ولكن انظر الى الاسلام ، ومحاربته لجريمة الاعتداء على النفس ، واعطائه المشاعر الفطرية حـــق الرعاية والتقدير ، فشرع تحريم القتل ،وان وقع دفع القاتل الى ورثة المقتول ، وهم مخيرون فـــى

---

(١) مجموعة ضابطة فوجدارى " قانون المرافعات الجنائى " ص ٢٢٢ .
(٢) " " " ص ٢٢٣ .
(٣) " " " ص ٢٢٤ ، وانظر آئين اسلامى جمهورية باكستان ١٩٧٣م ، جـ ١٦ ، ٢٠ .
(٤) مجموعة تعزيرات ص ٢٦ .

قتله قصاصا بمقتولهم ، أو أخذ الدية منه ، أو العفو عنه ابتغاء مرضاة الله " ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق "[١] " ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب لعلكم تتقون "[٢] " ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا "[٣] " ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، اما يودى ، واما يقاد "[٤] وهكذا البون الشاسع بين تشريع المخلوق وتشريع الخالق ، فالأول لم يحقق ما تصبو اليه البشرية وتبتغيه منذ آماد ، من منع القتل وايقاف سيل الدماء ، ورفع الشحناء والضغينة من صفوف المتقاتلين ، بينما الأخير كفل كل ذلك فى الماضى ، ومستعد لتحقيقه فى كل مجتمع يطبق تشريعاته القائمة على اعطاء مشاعر الجانى والمجنى عليه حق الرعاية والتقدير دون افراط أو تفريط ، وذلك كفيل بايقاف هذه الجريمة .

وإن نظرت الى التشريع الاسلامى من منظار الواقع وجدته يمسك بميزان العدالة من منتصفه ، يعطى للفرد حقوقه ، ويحتفظ للجماعة بحماية أمنها وسلامتها ، فان كان من حق الفرد الا يؤذى فى ذاته وعرضه وماله ... فمن حق الجماعة الا يؤذيها الفرد بما يهدد حياتها وأمنها وأعراضها وأموالها ... وقد كفل تشريع السماء اقامة التوازن بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة من وجوه .

١ — يوجه الاسلام البشرية الى جمع الشمل ، وازالة الفرقة من صفوفها ، وذلك باهتمامه بتربية الفرد منذ طفولته على مشاعر الحب والألفة والتعاون ، حتى لا يبقى للضغينة محل فى القلوب ، فيتربى مجتمعه على الفضيلة ، يكفل الغنى الفقير ، ويخدم الأجير صاحب العمل بالاخلاص ، ولا يبخل صاحب العمل باعطاء العامل حقوق عمله المشروعة ، وقد يشركه فى الربح والانتاج — ويشفق الكبير على الصغير ، ويحترم الصغير الكبير ممن يستظل بظل الاسلام ، وتكون النصيحة بين أفراده محور الاصلاح والتوجيه فى كل شئ .... ولا شك أن دينا كهذا يتعهد الانسان منذ نعومة أظفاره حتى الموت كفيل بازالة الجريمة أو تقليلها ، ومن هنا كان المجتمع الاسلامى الممتثل لأحكام

---

(١) الأنعام آية : ١٥١ .
(٢) البقرة آية : ٧٩ .
(٣) الاسراء آية : ٣٣ .
(٤) الحديث رواه البخارى فى صحيحه جـ ٨ / ٣٨ . كتاب الديات باب من قتل له قتيل ...

الله أقل المجتمعات الأرضية لجوءا الى العقوبة ،لأنه حريص على بناء النفس الانسانية على وضعها السليم وصبها فى قالب يتنزه عن التحدث بالجريمة فضلا عن ارتكابها .

٢ — يعالج الاسلام فى تشريعاته كل الوسائل المؤدية الى الجريمة ، فيقتلع جذورها ، ويسد المنافذ المثيرة لارتكابها ،فحين حرم القتل مثلا احتاط بازالة كل السبل المؤدية اليه ، سواء كانت اقتصادية أو متصلة بالأعراض ،فما تحريم الربا وتحريم الاحتكار وتحريم الزنا ، بل التحدث بالزنا ... الا وسائل تمنع من ارتكاب جريمة القتل ، وما تشريع الارث ،وتقسيم الثروة بعد الوفاة الا اجراءات تحد من ارتكاب هذه الجريمة . وهكذا دواليك فى جميع تشريعات الاسلام .

٣ — حين تقع الجريمة من الفرد يصبح من حق المعتدى عليه أن يدافع عن نفسه ، ويعاقب المعتدى بما يردعه ، ولكن العدل لا يتحقق حتى تراعى دوافع الجريمة ومبرراتها ،فهل يعقل عقاب السارق اذا حرمه المجتمع من شبع بطنه ، لذا لا ينظر الاسلام للجريمة بعين الجماعة المعتدى عليها فحسب ، بل ينظر اليها أيضا بعين الفرد المعتدى الذى تقع منه الجريمة ، فيقرر للجماعة حقها فى حماية نفسها ، ويفرض لها عقاب المعتدى ، ويعترف للفرد بدوافع الجريمة ومبررات ارتكابها ،فيعطيها حقها الكامل من الرعاية والتقدير ، ويجاهد فى ازالة كل الدوافع المعقولة قبل أن يفرض العقوبة ، فإن حدثت الجريمة مع قيام المبررات سقط الحد " ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعا " (١)

ومن هنا لن يرتفع القتل وغيره من الجرائم ما دام القانون يميز بعض الأفراد على الآخرين ، وتختلف نظرته من فرد الى آخر ، ومن فئة الى أخرى ، فهذا رئيس الدولة محصن يحرم على القضاء معاقبته طوال فترة الرئاسة ، ومثله الوزراء وبعض رجال الدولة ، يعملون ما يريدون أثناء

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة فى سننه كتاب الحدود باب الستر على المؤمن ودفع الحد بالشبهات جـ ٢/ ٨٥٠ . رقم الحديث ٢٥٤٥ ، وانظر لمزيد من التفصيل فى هذا الموضوع محمد ناصر الدين الألبانى ، ارواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل جـ ١٠/ ٣٦٩ .

تمتعهم بالحصانة على كرسى السلطة [1] ،لا تستطيع يد التأديب الوصول اليهم أو منعهم مما يرتكبون ،بل لا تستطيع اعطاء المظلوم حق تسجيل شكواه ، وقد أصاب على محمد شاهين في تحليله لبعض هذه الحصانات ،وعدها من المخلفات البريطانية فى قوله : " بالاضافة الى الراتب والسكن والتسهيلات الأخرى لرئيس الدولة فإنه غير مسئول عن أى استدعاء قضائى عن أداء واجباته ولا يصح اتخاذ أى اجراء مدنى وجنائى طوال مدة المنصب ،ولا يعد من المجرمين البتة ، كما لا يصح اصدار أمر القبض عليه ، وهذه التسهيلات وراثية يعطيها كل دستور لرئيس الدولة ،وبهذه التسهيلات يصبح شبيها بملك بريطانيا " [1]

وليس للاسلام عهد بمثل هذه الاعفاءات والحصانات ، وانما قضاؤه صورة حية لما ورد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : " بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم شيئا اذ أكب عليه رجل فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرجون كان معه فصاح الرجل ،فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تعال فاستقد ،قال : بل عفوت يارسول الله " [2]

وما أثر عن أبى فراس قال : خطبنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : انى لم أبعث عمالى ليضربوا أبشاركم ،ولا ليأخذوا أموالكم ،فمن فعل به ذلك فليرفعه الىّ أقصه منه ،قال عمرو بن العاص لو أن رجلا أدب بعض رعيته اتقصه منه ؟ قال : أى والذى نفسى بيده أقصه ،وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقص من نفسه " [3]

ومن هنا نقل المفسر القرطبى رحمه الله اجماع العلماء على الاقتصاص من السلطان اذا تعدى على فرد من أفراد رعيته فقال : "واجمع العلماء على أن على السلطان أن يقتص من نفسه إن تعدى على أحد من رعيته ،اذ هو واحد منهم ،وانما له مزية النظر لهم كالوصى والوكيل ،وذلك لا يمنع القصاص ، وليس بينهم وبين العامة فرق فى أحكام الله عز وجل لقوله جل ذكره : " كتب عليكم القصاص فى القتلى [4] "

وثبت عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال لرجل شكا اليه أن عاملا قطع يده : " لئن كنت صادقا لأقيدنك منه " [5]

---

(١) راجع للتفصيل للتعرف على من يتمتع من الأفراد بهذه الحصانة آئين اسلامى ص ١٦، ٢٠، ٢٤، ٤٧، ٦١، ٧٤، ١٠٠ .

(٢) الحديث رواه النسائى فى سننه جـ ٤/٣٢ كتاب القسامة باب القود فى الطعنة ، ومثله فى سنن أبى داود جـ ٤/١٨٢ رقم الحديث ٤٥٣٦ .

(٣) الحديث رواه أبو داود فى سننه جـ ٤/١٨٣ كتاب الديات باب القود من الضربة ... رقم الحديث ٤٥٣٧

(٤) البقرة آية : ١٧٨ . (٥) الجامع لأحكام القرآن جـ ٢/٢٥٦ .

جريمـة الزنـا :

١ ـ يحصر قانون العقوبات فى بنده ٤٩٧ صورة جريمة الزنا فى كل شخص يجامع زوجة شخص آخـر دون رضا الزوج أو تسامحه مع علم الواطئ ، أو تملكه سبيلا يعلم بها أنها زوجة فلان ، ولا يصـل ذلك الجماع الى الزنا بالجبر وفى هذه الصورة يعتبر الجانى مرتكبا لجريمة الزنا ،ويعاقـب باحدى العقوبتين : السجن الذى يبلغ حده الأقصى خمس سنوات ، أوغرامة مالية ، ويمكـن الجمع بينهما ، ولا تعاقب المرأة بشئ " (١)

واذا نظرت الى عقوبة الزنا الاسلامية والانجليزية فى دائرة منع القتل وجدتهما على طرفى نقيـض فالقانون لا يفرق بين عقوبة من سبق له الزواج ممن لم يسبق له ، تساوى فى عقوبة سجنه أو غرامتـه المراهق فائض الحيوية الذى لا يجد مصرفا لقضاء شهوته ، ومن ملك المصرف الشرعى لقضائها ، بينما أعطى الاسلام الجريمة والمجرم حق الرعاية والتقدير ،فلم يسق المجرمين بسوط واحد ، بل فرق بين عقوبة البكر الذى لم يسبق له الزواج وبين من سبق له الزواج فخفف العقوبة عن الأول ـ بجلده مائة ، ونفى عام لتغلب الشهوة على التعقل والرزانة فى تلك الفترة ، وغلظ على المحصن الذى سبق له الزواج الصحيح فعاقبه بالرجم لغلبة العقل على الشهوة فى هذه الفترة ، فـالأول يعذر ويستحق بعض العطف من التشريع الاسلامى دون الثانى ، وقلما سلمت روح هذا الأخير من القتل بعد انقضاء عقوبة السجن ، لأن الغيرة البشرية لن تسمح بالحياة لهاتك عرضها ، لعلم المهتوك عرضهم أن القانون لم يوفهم حق العقوبة ، فيترصدون للجانى حتى القتل ، وهذه ـ شهاداتنا لقضاء تصرخ أن وراء أغلب قضايا القتل عرض مهتوك ، فمن رحمة الله بعباده أن جعـل حد الزنا حقا من حقوقه ، فقضى برجم المحصن لتصفو قلوب البشرية من الثأر والحزازات .

واعلان العفو عن عقوبة المرأة تشجيع من القانون لها بارتكاب الجريمة ، فهى ولا شك مريـدة للجريمة ، غير مكرهة عليها ، ولا مخادعة بارتكابها ، لعد القانون حالة الاكراه والخداع من الزنـا بالجبر ـ كما سيأتى ـ وكان الأجدر به أن يعتبرها زانية ، ويعاقبها عقاب الزناة ، ان أراد بالمجتمع صلاحا وأمنا ،واما أن يطلق للمرأة الحبل على الغارب تغرى وتثير وترتكب ويطلب من الرجال أن يكونوا فى صف الملائكة فذلك استهزاء وسخرية بالعقـل البشـرى .

---

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢٩٧ .

٢ ـ الزنا بالجبر :

يعرف البند ٣٧٥ من قانون العقوبات الزنا بالجبر بأنه : "كل ذكر يجامع امرأة فى صورة من الصور التالية ما عدا الصورة المستثناة يعد مرتكبا لجريمة الزنا بالجبر .

١ ـ دون ارادة المرأة. ٢ ـ دون رضا المرأة .

٣ ـ مع رضا المرأة حيث أبدت رضاها لخوف الهلاك أو الضرر .

٤ ـ مع رضا المرأة وعلم الواطئ أنها ليست زوجته وتعتقد الموطوءة أن الواطئ هو زوجها الشرعى أو تظنه زوجها الشرعى .

٥ ـ مع رضا المرأة أو دون رضاها ما دامت لم تبلغ الرابعة عشرة من عمرها .

شرح : ولتحقيق الجريمة يكفى الايلاج .

استثناء ـ جماع الرجل زوجته اذا اكتمل لها ثلاثة عشر عاما ، ولا يعد ذلك من باب الزنا بالجبر "(١)

وينص البند الذى يليه على عقوبة الزنا الجبرى بأن : "كل شخص ارتكب الزنا بالجبر يعاقب بالسجن على نوعين : مدى الحياة(٢) أو سجن يصل الى عشر سنوات ، وتلزمه الغرامة المالية ، الا أن يكون من ارتكب معه جريمة الزنا بالجبر زوجته ، ولا يقل عمرها عن اثنى عشر عاما ، وفى هذه الحالة يعاقب المجرم باحدى العقوبتين : السجن الذى يبلغ حده الأقصى سنتان أو الغرامة المالية أو يجمع بينهما "(٣)

فالصور التى جمعها القانون فى الزنا الجبرى لاتخلو عن وطء اكراه ، أو شبهة أو صغيرة لم تبلغ سن القانون للمباشرة ، ولا شك أن المكره لا يوجه اليه لوم فضلا عن أن يعاقب فى عرف البشر ، فجاء تشريع القانون موافقا للشريعة فى رفع العقاب عن المكرهات ، ولكن أخطأ المشرع البشرى فى فهم نفسية المرأة حين برأها من العقاب فى كل العمليات الجنسية ، فان كان الرجل يقوى

---

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢٢١.

(٢) سجن مدى الحياة هو سجن ٢٥ سنة كما نص عليه البند ٥٧ من مجموعة تعزيرات ص ٢٧ .

(٣) مجموعة تعزيرات ص ٢٢٢ .

عليها بالاكراه ، فإنها تفوقه فى الاغراء ، ولا يستبعد أن تمتلك من الوسائل ما تثير به الرجل على عمل الفحشاء ، وهذه قصة يوسف عليه السلام أكبر شاهد لذلك : " وراودته التى هو فى بيتهـا عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك " (١) " قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عـن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين " (٢)

وما دام الأمر كذلك فلا مرية أن القانون ناقص فى تشريعاته ، وأن العقل البشرى ما زال فـى حاجة الى هداية الله ، وانه لم يشب عن الطوق بعد ، وأن تشريع السماء أوفى وأكمل لتغطيـة الحاجات البشرية جمعاء ، فلا يصح ترك الحبل على غارب الفتنة الهوجاء ، تسير فى الطريق تغز و الناشئة بلباسها المشدود ، وزينتها الفاتنة ، ومشيتها الجذابة ، فإن وقعت الجريمة والحال كمـا ذكر كان أمام القاضى شبهة درء الحد عن الرجل الذى غزى فى عفته ، وكفى تشريع الله احتياطـا أن يعد المرأة المتعطرة التى خرجت من البيت لتشهد الصلاة بالجماعة مصابة بالجنابة ، فيعاقبها بالاغتسال عند العودة الى البيت كشرط لقبول الصلاة . (٣)

وكذلك الوضع فى الصورة الرابعة فإنه وطء شبهة ،فإن خلت الموطوءة بينها وبين ارتكاب الجريمـة لشبهة النكاح ، فإن العكس ممكن أيضا ، فإن أمكن خداع المرأة فإن خداع الرجل محتمل كذلك ، بل هو واقع بعد نبذ المرأة كل قيود الاخلاق فى المجتمعات المنحلة ، والتشريع البشرى بوضعه الحالى يحمى المرأة دون الرجل ، وذلك استخفاف بأحد شقى الانسانية ،بيد أن تشريع الاسـلام الكامل لم يفرق بين الرجل والمرأة فى هذه القضية ، فان وفر للمرأة درء الحد للشبهة فانـه يعطى الحق ذاته للرجل حين يعرف فقهاء الاسلام الزنا بأنـه : "كل وطء وقع على غير نكـاح ، ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين وهو متفق عليه بالجملة من علماء الإسلام " (٤)

ومنهم النظر فى الصورة الخامسة لا يخفى عليهم ما رضيها للمصلحة العامة ،فالبنت واهلها ادرى بالمصلحة

---

(١) يوسف آية : ٢٣ (٢) يوسف آية : ٣٢

(٣) وذلك بنص الحكم النبوى ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : " لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب ينفح ، ولذيلها اعصار فقال :يا أمة الجبار ، جئت من المسجد ؟ قالـت نعم ، قال وله تطيبت ، قالت نعم : قال انى سمعت حبى أبا القاسم صلى اللـه عليه وسلم يقول : " لا تقبل صلاة لامرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة " رواه أبو داود فى سننه جـ ٤/٧٩ باب ما جاء فى المرأة تتطيب للخروج ، وانظر سنن الترمذى جـ ٤/١٩٤ ، ومسند أحمد جـ ٤٠٠/٢ ، ٤١٤ ، ٤١٨

(٤) ابن رشد بداية المجتهد جـ ٢/٤٣٣

من المقنن البعيد عن البيئة ، فتحديد سن النكاح إن حقق مصلحة فى منطقة فقد أخفق فى مناطق ، ويبدو أن المشرع البشرى أدرك بعض أبعاد هذه القضية حين اعترف للفتاة بالزواج فى اكتمال الثانية عشرة من عمرها ،غير أن التضارب فى التشريع بدا واضحا حين منع الزوج من حقوقه الزوجية ، لعدم بلوغ الفتاة السن القانونية المطلوبة وهو أكثر من ذلك غرابة حين يقحم الزوج المخالف للائحة السن فى قائمة الزناة المجبرين ، الذين يستحقون تغليظ العقوبة عن الزناة العاديين .

والقانون بنظريته يحابى الفرد على حساب الجماعة ، والمجرم على حساب المسالمين ، يقدس حقوقه ، ويهدر حقوقهم ، اذ يحصر الزنا فى الاعتداء على حقوق الزوج ، ويعتبر الزنا بالجبر تدخلا مشينا فى الحرية الشخصية للمفعول به ، دون أن يعتد بحقوق المجتمع الذى يتمتع الزوج والزوجة والمجرم بأمنه واستقراره ، وبكلتا نظريته الغاء لحقوق المجموع ، وتعاطف مكشوف مع الجريمة والمجرم ، وتلك نتيجة منطقية للقوانين الأوربية الرأسمالية ، لأنها تبالغ فى تقديس الفرد وتجعله محور الحياة الاجتماعية كلها ، أضف اليه مبالغتها فى التحريج على حق المجتمع فى فرض القيود على الحرية الفردية .

وامتدادا لهذه النظرية المقدسة للفرد أصبح الزنا من بالغ غير مشغول بالزواج جريمة معتادة فى المجتمعات المطبقة لهذا القانون ، ويتكرر وقوعه بمرأى ومسمع من الناس دون أن يملكوا لمنعه حولا ولا قوة ، لأن القانون اعتبر الزنا من المسائل الشخصية التى لا تمس مصلحة الجماعة ولا كيان الأمة ، وما دامت الجريمة قد تمت بالتراضى فإن القانون لا يهتم بها ،ولا يعتبرها جريمة ، ونتيجة لهذا التشريع المجحف بحقوق المجتمع كثرت الفحشاء ، ومن ثم كثر أولاد الحرام الذين مر بك مسيرهم الى البعثات المسيحية فى فصل أثر النشاط التنصيرى السابق ".

واذا قارنت بين تشريع الزواج فى الاسلام وفى القانون الوضعى فى دائرة منع الزنا ، وتطهير المجتمع من أولاد السفاح ، وجدتهما على طرفى نقيض ، فالاسلام يحث على الزواج المبكر ويعين على اتمامه من بيت المال ، اذا حالت الظروف الخاصة دون اتمامه ، ويحرص على تنظيف مجتمعه من كل وسائل الاغراء المثيرة للشهوة و ... ، بينما القانون يخلق العراقيل فى طريق الزواج المبكر بتحديد سن الزواج بثمانية عشر عاما للذكر ، وست عشرة سنة للأنثى .

فالطاقة الحيوية الفائضة اذا لم تجد طريقها الى الحلال لا بد أن تنحرف الى الحرام وارتكاب جريمة الزنا لسهولة الوصول اليها ٠

وقانون المرافعات الجنائى يعين على ارتكاب جريمة الزنا من طرف غير ظاهر ، حين ينص فى مادته ١٩٩ على أنه : " لا يصح للمحكمة التحقيق فى شكاوى الجرائم المرتكبة ضمن مادة ٤٩٧ و ٤٩٨ [1] من قانون العقوبات الا فى الصور التالية :—

أ — أن يكون المدعى زوجا أو من يقوم مقامه فى تعهد المرأة ، وصيانتها عند ارتكاب الجرم وأن تكون الشكوى تحريرية يتقدم بها المدعى الى رئيس الدائرة للشرطة ٠

ب — أن يتقدم المدعى الزوج أو المتعهد برفع الدعوى بعد اذن المحكمة، مالم يكن الزوج دون الثامنة عشرة أو مجنونا أو مريضا أو شيخا هرما ، فللمحكمة أن تأذن لشخص ما ينوب عن صاحب الحق برفع الدعوى عنه ٠

ج — اذا كان الزوج مرتبطا بالجيش الباكستانى ولا تسمح له جهة الارتباط برفع الدعوى شخصيا ولم يتقدم المتعهد بالمرأة بالدعوى أيضا فله أن يستجيب ضمن مادة " ١٩٩ أ " فيتقدم المدعى بالدعوى مشفوعة بوثيقة توكيل من الزوج مصدقة من جهة الارتباط بالجيش " [2]

فحين لا يسمح قانون المرافعات برفع الدعوى الا من هذه الجهات فقد أمن المجرمون الذين لا يراقبون من هذه الجهات أو لا يتصلون بها ، وبفرضه القيود السابقة على المدعى ، وحصر المدعوى فى دائرة ضيقة الغى حق المجتمع فى مراقبة الجريمة ، وأعطى المجرمين وثيقة حصانة قانونية يأمنون بموجبها من مراقبة العيون الجماعية التى تسهر لخلق مجتمع نزيه من الفحشاء ، فما أن منع المجتمع من اداء دور المراقبة حتى فتحت أبواب الجريمة علنا ، وأصبحت الصحف اليومية تنشر العشرات من الأخبار المتصلة بهذه الجريمة أو المفضية اليها ٠

وبعد أن قـرر القـانـون بـأن الـزنـا جريـمـة شخصيـة واعـتـداء عـلـى

---

(١) وتنص هذه المادة أن " كل شخص هرب أو راوغ حتى تمكن من تهريب امرأة متزوجة من زوجها ، أو ممن هو متعهد بالمحافظة عليها لغرض أن ترتكب جرما محرما أو يخفيها أو يحبسها لذلك الغرض يعاقب باحدى العقوبتين : بالسجن الذى يبلغ أقصاه سنتان أو الغرامة المالية أو يجمع بينهما " مجموعة تعزيرات ص ٢٩٨.

(٢) مجموعة ضابطة ص ١٥٦.

حقوق الزوج فحسب - كما مر - كان من غير المستبعد أن تنضم جريمة الزنا الى قائمة الجرائم التى تقبل التراضى والتنازل من صاحب الحق[1]، وبذلك فتح باب شر عظيم ومورد مال محرم أمام ضعاف النفوس بخلاف الشريعة فإنها اعتبرت الاعتداء على العرض اعتداءاً على حق من حقوق الله، لا يسقط بالتراضى ولا يقبل المساومة، وقد حاولت الدولة فى تعديلها الأخير عام ١٩٧٩م (تنفيذ الحدود) اعادة الأمور الى نصابها السليم، وتنفيذ العقوبة الاسلامية على مرتكب الزنا فعرفت الحد بأنه " العقوبة التى حكم بها القرآن أو سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام "[2] والتعزير ما عدا الحد.

وحددت عمر البلوغ بثمانية عشر عاما وأربع عشرة سنة لكل من الذكر والأنثى على الترتيب.[3]

وسمت تعديلها بـ " تشريع تنفيذ الحدود " وعرفت الزنا والمحصن من الزناة بما هو معروف فى الشريعة الاسلامية، وعاقبت الزانى والزانية المحصنين بالرجم، والبكر من النوعين بجلدهما مائة جلدة بعد توفر الشروط التى ذكرها أغلب الفقهاء فى ضوء الكتاب والسنة. ولكن ذلك لا يمنع من وجود هفوات واليك طرفا منها :-

هفوات قانون الحدود فى جرائم الزنـا :

مما يلفت النظر فى هذا التعديل الأخير أنه لم يزل يحمل بصمات القانون، ويستمد منه بعض تشريعاته، ويحمل روحه فى بعض عقوباته واليك الاثبات.

أ - يقسم التعديل الأخير الزنا الى نوعين : الزنا، والزنا بالجبر، ويبدو أنه يتبع القانون أو يقاربه فى هذا التقسيم، ولم يستثن من صور المادة ٣٧٥ الا الصورة الخامسة والاستثناء، مع أن التشريع الجديد لا يفرق فى العقوبة بين النوعين، بل يغلظ العقوبة على البكر المجبر فيضيف الى الحد عقوبة تعزيرية واجبة قد تصل الى الاعدام، ووكل تعيينها الى القضاء فى ضوء الطرق التى ارتكبت بها الجريمة[4] ولا يرتاح الاسلام لهذا التقسيم، بل يستوى عنده الزنا سواء وقع عن رضا وطيب خاطر من الطرفين، أو اكره أحدهما الآخر - مع اختلاف

---

(١) راجع المادة ٣٤٥ ضمن مواد مجموعة ضابطة ص ٢٠١.
(٢) مجموعة اسلامى تعزيرى قوانين " مجموعة قوانين تنفيذ الحدود " ص ٤.
(٣) " " " " ص ٥.
(٤) انظر " " " المادة السادسة ص ٥.

موقف الشريعة فى العقوبة فى هذه الحالة — وكان الأولى الغاء هذا التمييز ، وجمع صور الزنا فى تشريع واحد تمشيا مع التشريع الاسلامى طوال القرون الماضية ، ويضاف الى ذلك عدم ايجاب العقوبة التعزيرية على البكر المجبر ، لأن التعزير لا يجامع التعيين والوجوب ، والا أصبح حدا ، كما أن الأولى أن تظل العقوبة التعزيرية دون الحد ، اذ الحد أقصى عقوبة لتلك الجريمة فى الشريعة ، وليكن التعزير دونه .

ب — تنص المادة العاشرة من التعديل ضمن تقسيماتها الفرعية بـ " أن من ارتكب جريمة الزنا المستوجبة للتعزير يعاقب بسجن عشر سنوات سجنا مجهدا ، وجلده ثلاثين جلده ، وتغريمه غرامة مالية " (١) والعقوبة الأخيرة هى محل نظر لأنها لا تتفق مع روح الاسلام فى عقوبة هذه الجريمة ، ويمكن ربط هذه الجزئية وتفسيرها بالبند ٣٤٥ من قانون المرافعات الذى يشير الى التراضى والمصالحة حول هذه الجريمة ، وتزداد الشبهة قوة عندما لا نرى ذكرا لهذا البند ضمن البنود المنسوخة أو المقيدة ، وقد استقصى المعدل الأخير فأشار الى جميع البنود التى تَمتّ بصلة الى الزنا ، غير أن حسن الظن يحملنى على افتراض ذهول المعدل وعدم استحضاره لهذا البند ، وإن كان غير ذلك فلا شك أنه احياء للروح الغربية التى قننت جبر الأعراض بالمال . غير أن ذلك الجبر مرفوض فى نظر الاسلام فقد روى زيد بن خالد وأبو هريرة رضى الله عنهما قالا : " إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انشدك الله الا قضيت لى بكتاب الله ، وقال الخصم الآخر وهو أفقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله وأئذن لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال :
ان ابنى كان عسيفا — اجيراً — على هذا فزنى بامرأته ، وإنى أخبرت أن على ابنى الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس الى

---

(١) مجموعة اسلامى ص ٦.

امرأة هذا فان اعترفت فارجمها " .(١)

ويقول الشيخ المودودى : "إن هذه الجريمة فى القانون الاسلامى غير قابلة للتراضى وان قصة العسيف ذكرت فى أغلب كتب الحديث ... ولا تنصّ القصة على أن الترضية لا محل لها فى هذه الجريمة فحسب ، بل نعلم منها أن القانون الاسلامى لا يبيح جبر الأعراض المهتوكة بالمال ، ولتخط القوانين الغربية بالتبريك فى جبر تقدير الأعراض وتصويرها على الطريقة الديوثية " (٢) وهذه الناحية العقابية تلائم التشريع الهادف الى جمع المال لا التشريع الذى يقصد تقويم السلوك البشرى .

ج ـ تنص المادة الخامسة عشرة المعدلة أن : " كل رجل خادع امرأة ليست زوجة له ، بأنها زوجته الشرعية ، فقبلت أن يواقعها تحت هذا الوهم يعاقب بالسجن مدة خمس وعشرين سنة مع الاشغال الشاقة ، والجلد بما لا يزيد على ثلاثين جلدة ، كما توقع عليه غرامة مالية " (٣) فالمخادع مجامع امرأة لا تحل له ، فهو زان لا شبهة فيه ، بينما هى مخدوعة اشتبه عليها الزوج بغيره ، فيجب أن يعاقب الرجل بعقوبة الزنا جلدا أو رجما . ولا عقوبة على المرأة

د ـ يقفو التعديل الأخير خطوات القانون فى انزال العقوبة القصوى على من خطا المراحل الأولية لارتكاب الزنا ، ويخفف فى العقوبة بعد وقوع الفحشاء ، فمثلا تفيد المادة ٣٧٢ من قانون العقوبات أن : " كل من باع أو اجر أو رفع يده (يد الولاية) عن شخص لم يبلغ الثامنة عشر لقصد أن يشغله بعمل مشين ، أو جماع محرم مع شخص ما ، أو بأمر غير مباح ، أو يبرم عقد البيع أو الايجار ... لاحتمال وقوع تلك الأعمال من المباع ... يوما ما ، يعاقب باحدى العقوبتين السجن الذى يصل أقصاه الى عشر سنوات أو يعاقب بغرامة مالية " (٣) بينما عقوبة الزنا لاتعدو سجن خمس سنوات كما مر .

---

(١) الحديث متفق عليه صحيح البخارى جـ ٢٤/٨ ، كتاب المحاربين باب الاعتراف بالزنا ، وصحيح مسلم جـ ١٢١/٥ كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا .

(٢) تفهيم القرآن جـ ٣٣٢/٣ .

(٣) مجموعة اسلامى ص ٨ .

ونجد ما يشبه ذلك في التعديل الأخير فمثلا لا تنص المادة الحادية عشرة أن "كل شخص اختطف امرأة ، أو هرب بها ليكرهها أو يعلم أنها ستكره على خلاف ارادتها بالزواج بشخص ما أو أنها سترغم على الجماع خلاف مشيئتها ، وان المرتكب يعلم أنه سيجبرها على الوطء غير المشروع أو سيراوغها على ذلك ، يعاقب بالسجن المؤبد وجلده ثلاثين جلدة ، ويعاقب بغرامة مالية ..." (١) بينما عقوبة الزنا المستوجبة للتعزير لنقصان الشهود أو ما يشبه ذلك لا تعدو سجن عشر سنوات سجنا مجهدا مع ثلاثين جلدة وغرامة مالية . (٢)

هكذا نجد القانون بعقوباته المتنوعة غير قادر على منع جريمة العرض وردع الزناة عن ارتكاب الزنا ، فإن عجز عن ايقاف الفحشاء وسرقة الأعراض فهو أكثر عجزا عن ايقاف جريمة القتل الوثيقة الصلة بالعرض ، وعقوبة القانون — السجنية وما دونها — للقتل والزنا شبيهتان بالقاء الهشيم على النار لتزداد لهيبا .

وعند العودة الى شريعة الله وعقوبتها الرادعة نجدها تعتبر الزنا بجميع أنواعه من الجرائم الضارة بمصلحة المجتمع ومصلحة الأسرة والفرد معا ، ولهذا جعلت العقاب فيها حقا لله عز وجل ، واعتبرت الاعتداء على العرض اعتداء على حق الله ، فلا تسمح لأحد كائن من كان بالعفو أو التخفيف في العقوبة المحددة ، اذا ثبتت الجريمة فى دولة مسلمة ، ولكنها لا تعاقب الا بعد أن تسد جميع المنافذ المؤدية اليها ، وتهيئ جميع الوسائل الكفيلة بالقضاء على الجريمة حتى تنعدم مبرراتها ، يقول الاستاذ محمد قطب "وحين يحكم الاسلام لن تكون هذه المثيرات الجنونية التى تدفع الشباب دفعا الى الهبوط ، لن تكون السينما العارية ، والصحافة الخليعة ، والأغانى المتبذلة والفتنة الهائجة فى الطريق ، ولن يكون الفقر الذى يمنع الناس من الزواج ، وعندئذ فقط يطالب الناس بالفضيلة وهم قادرون عليها ، وتوقع عليهم العقوبة وهم غير معذورين " (٣)

هـ — ترك التعديل الأخير التغريب ونفى سنة من عقوبة الزانى البكر ، الواردة فى صحيح كتب السنة فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

" خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد

---

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢١٩ .

(٢) مجموعة اسلامى ص ٦ .

(٣) مجموعة اسلامى المادة العاشرة ب ص ٦ .

(٤) شبهات حول الاسلام ص ١٦٤ .

جلد مائة والرجم " (١)

وفى قصة العسيف قوله صلى الله عليه وسلم : " أما الوليدة والغنم فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام " .

وكان الأجدر بالتعديل وهو يسعى الى اعادة الأمور الى نصابها أن يعترف بهذه العقوبة بغض النظر عن خلاف الحنفية رحمهم الله ، وكان الأولى بالمعدل أن يعاقب البكر المجبر وغير المجبر بالنفى والابعاد اتباعا لسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وتميما للعقوبة التى قضت بها السنة ، ولا سيما أنه أضاف عقوبة تعزيرية واجبة على البكر المجبر بعد الجلد ، وخيّر المحكمة فى تعيينها حسب نوع الجريمة والمجرم ، غير أن القضاء الباكستانى لا يسعه معاقبة هذا المجبر ـ فضلا عن غيره ـ بالتغريب لأن لائحة العقوبات لا تشمله .

الجرائم المتصلة بالأموال :

يضم قانون العقوبات فى باب جرائم الأموال احدى عشرة قضية رئيسية ، وهى : السرقة والاستحصال بالجبر (الغصب) ، والسرقة بالجبر ، والنهب (الحرابة) والتملك الجنائى غير المشروع فى الأموال ، والخيانة الجنائية فيها ، وما يتصل بالأموال المسروقة ، والاحتيال ، واخفاء الأموال تمويها على الدائنين ، واتلاف الأموال للاضرار بصاحبها ، والتعدى الجنائى غير المشروع فى الممتلكات .

والذى يهم البحث هو القضايا الأربع الأولى واجزاء من القضية الأخيرة ، وما عدا ذلك فهو خارج عن نطاق البحث ، وقد طرق الفقه الاسلامى بعض تلك القضايا بصورة أوسع وأشمل كاتلاف الأموال ، وأخرى بصورة موجزة كالجنايات التى تتصل بالأموال المسروقة ، ومنها ما هو جديد على الفقه الاسلامى ، ومحل نظر من علماء الاسلام .

السرقة : تعرف المادة ٣٧٨ من قانون العقوبات السرقة بقولها : " كل شخص يحرك مالا منقولا

---

(١) الحديث رواه مسلم جـ ٥/١١٥ كتاب الحدود باب حد الزنا .

بنية أخذه بسوء قصد من حيازة شخص بدون رضاه يعد مرتكبا لجريمة السرقة " [١] وتعاقب المادة التالية مرتكب السرقة فتنص " كل من ارتكب جريمة السرقة يعاقب باحدى العقوبتين : بالسجن الذى يصل أقصاه الى ثلاث سنوات أو بغرامة مالية أو بالعقوبتين معا " [٢]

تلك هى السرقة ، وهذه عقوبتها ، اذا وقعت الجناية فى غير الأماكن التى تحرز فيها الأموال لأن المادة ٣٨٠ حددت السرقة من الحرز بالبنيان والخيمة والمراكب البحرية ، وعاقبت السارق من هذه الاحراز بسجن يصل الى سبع سنوات ، وبغرامة مالية . [٣]

ولا يختلف تعريف القانون للسرقة عن الشريعة الاسلامية كثيرا اذ يعرفها الفقهاء : بأخذ العاقل البالغ نصابا محرزا أو ما قيمته نصاب ملكا للغير ، لا ملك له فيه ولا شبهة ملك على وجه الخفية مستترا من غير أن يؤتمن عليه ، وكان السارق مختارا غير مكره . سواء أكان مسلما أم ذميا أو مرتدا ذكرا أو انثى ، حرا أو عبدا [٤] ولكن شتان بين عقوبة القانون وعقوبة الشريعة ، فلا تتحد عقوبة القانون لجناية السرقة ، ففى السرقة الصغيرة تخفف العقوبة ، وتشتد فيما اذا وقعت لمال محرز فى تلك الاحراز الثلاثة ، أو وقعت الجريمة من الخادم فى مال سيده [٥] وتغلظ بسجن مجهد قد يصل الى عشر سنوات اذا وقعت الجناية عن استعداد مسلح ، أو تخويف لصاحب المال بالقتل أو الايذاء . [٦]

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : هل السجن أو الغرامة أو كلاهما معا نجحا فى منع ارتكاب هذه الجريمة ؟ وتجيب على ذلك سجلات الشرطة ، ومنصات المحاكم بالفشل ، واخفاق العقوبة فى محاربة جريمة السرقة ، وعلة ذلك أن عقوبة السجن أو الغرامة أو الجمع بينهما لا تخلقان فى نفس السارق العوامل النفسية التى تصرفه عن ارتكاب الجريمة ، ولأن عقوبة السجن لا تحول بين السارق وبين الكسب والعمل الا مدة السجن ، وليس له حاجة اليه مادام موفر الطلبات ، ملبى

---

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢٢٤ . (٢) انظر مجموعة تعزيرات ص ٢٢٨ . (٣) المصدر السابق ص ٢٢٩ .

(٤) انظر عبد الرحمن الجزيرى الفقه على المذاهب الأربعة جـ ٥/١٥٦

(٥) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٣٨١ ص ٢٣٠ .

(٦) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٣٨٢ ص ٢٣٠ .

الحاجات ، وما ان يخرج الجانى من محبسه حتى يعود الى السرقة من جديد فى جناية مشابهة وهكذا يظل الناس وغرف السجن فى دوامة لا نهاية لها .

ولكن انظر الى عقوبة قطع اليمنى من مفصل الكف التى حكم بها خالق الكون وعالم دخائله ، — فالسارق حين يسرق يستصغر كسبه الحلال ، ويفكر فى زيادة الثراء وتنميته عن طريق الحرام وجنايته هذه غايتها ابراز قدراته الواسعة على الانفاق ، أو الارتياح من عناء الكد والعمل ، فالدافع اذن جوع أو تكاسل عن الكسب الشريف أو اختلال الميزان الاقتصادى بين أفراد الأمة ، وقد حاربت الشريعة هذه الدوافع فى النفس البشرية بتوزيع الثروة توزيعا عادلا ، وبتقرير عقوبة القطع فما ان تحل بالمجرم حتى تنقص فعالية اليد أو الرجل ، ومن ثم ينقص الكسب والثراء .

يقول عبد القادر عودة فى معرض تحليله العوامل النفسية لمحاربة جريمة السرقة فى الاسلام " فالشريعة الاسلامية بتقريرها عقوبة القطع دفعت العوامل النفسية التى تدعو لارتكاب الجريمة ، بعوامل نفسية مضادة ، فاذا تغلبت العوامل النفسية الداعية وارتكب الانسان الجريمة مرة كان فى العقوبة والمرارة التى تصيبه منها ما يغلب العوامل النفسية الصارفة فلا يعود للجريمة مرة ثانية ذلك هو الأساس الذى قامت عليه عقوبة السرقة فى الشريعة الاسلامية ، وإنه لعمري خير أساس قامت عليه عقوبة السرقة من يوم نشأة عالمنا حتى الآن ، وإنه السر فى نجاح عقوبة السرقة فى الشريعة الاسلامية قديما ، وهو السر الذى جعلها تنجح نجاحا باهرا فى الحجاز فى عصرنا هذا فتحوله من بلد كله فساد واضطراب ونهب وسرقات الى بلد كله نظام وسلام وأمن وأمان " .[1]

وعقوبة السرقة لا تتنوع فى الاسلام ، سواء وقعت الجريمة من حرز محدود كالصور التى ذكرها القانون ، أو من حرز أوسع وأشمل كما يعرفه فقهاء الاسلام ، وسواء سرق الخادم من مال سيده أو الأجير من مال صاحب العمل ، أو العكس ، كل ذلك متساو فى نظر الاسلام ، ويشترط فى ايقاع عقوبة القطع وغيرها من العقوبات — أن تتحقق الجريمة بشروطها المعروفة وأن تنتفى مبرراتها ، وان تخلف أحد الأمرين فلا قطع ، فهذا عمر بن الخطاب الملهم رضى الله عنه يوقف حد القطع عام الرمادة حين حبس المطر فأجدبت الأرض ، واعتبر الجوع شبهة يمنع أقامة الحد [2] . وقضى

---

(١) التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى جـ ١/ ٦٥٢

(٢) انظر ارواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل جـ ١٠/ ٣٩٠

رضى الله عنه فى قصة الغلمان الذين سرقوا ناقة المزنى بتغريم حاطب بن ابى بلتعة سيد الغلمان بالمال ، وعفا عنهم للشبهة أيضا فقد روى " أن رقيقا لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها فرفع ذلك الى عمر بن الخطاب فأمر عمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم ثم قال عمر آراك تجيعهم ثم قال عمر والله لاغرمنك غرما يشق عليك ، ثم قال للمزنى كم ثمن ناقتك فقال المزنى قد كنت والله امنعها من أربعمائة درهم فقال عمر اعطه ثمانمائة درهم " (١)

ويعلق الاستاذ محمد قطب على الحادثتين فيقول : " هذه الحادثة كتلك ، قاطعة الدلالة فى أن العقوبة لا تنفذ فى الاسلام حتى يضمن ولى الأمر أن مبررات الجريمة غير قائمة ، فاذا قامت المبررات ولو على سبيل الشبهة ـ سقط الحد ، والرسول هو الذى يقول : " ادرءوا الحدود بالشبهات " فيجعل ذلك مبدأ تشريعيا ، لا تصل الرحمة الى أبعد منه فى معاملة الفرد حتى وهو يعتدى على أمن الجماعة وطمأنينتها " (٢)

الاستحصال بالجبر " الغصب " :

يعرف قانون العقوبات الاستحصال بالجبر " كل من يبعث قصدا فى نفس شخص الخوف من الأضرار به أو بأى شخص آخر ، وبذلك يحمله عن سوء قصد على أن يسلم لشخص ما اى مال أو كفالة مال (سند قانونى) أو أى شئ موقع عليه بامضاء أو ختم يمكن تحويله الى سند قانونى يعد مرتكبا لجريمة الاستحصال بالجبر " (٣) وتعاقب المادة ٣٨٤ مرتكب الاستحصال بسجنه ثلاث سنوات أو تغريمه غرامة مالية أو الجمع بين العقوبتين . (٤) ، وتشتد عقوبة القانون حسب نوع التخويف فإن كان قتلا أو ضررا بالغا أمكن عقاب الجانى بما يصل الى سجن عشر سنوات ... (٥)

وممعن النظر فى تعريف الاستحصال بالجبر لا يشك انه نوع من الغصب ، والمغالبة لأخذ المال والذى جر الحديث عنه أن قانون العقوبات يربط السرقة بالجبر والنهب بالاستحصال بالجبر وعقوبته المحددة فى القانون جزء من تشريعه العام الرامى الى التخفيف عمن يغصب الأموال مع الاحتفاظ بمبدأ تفضيل الفرد على الجماعة ، بينما الشريعة الاسلامية لم تحدد عقوبة معينة

---

(١) الخبر أخرجه الامام مالك فى الموطأ وانظر جلال الدين السيوطى تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك جـ ٢/٢٢٠ كتاب الاقضية باب القضاء فى الضوارى ...

(٢) الإنسان بين المادية والاسلام ص ٢٠١ .

(٣) مجموعة تعزيرات المادة ٣٨٣ ص ٢٣١ .

(٤) مجموعة تعزيرات ص ٢٣٢ . (٥) مجموعة تعزيرات المادة ٣٨٦ ص ٢٣٣ .

للغاصب والمبتز ، وانما وكلت ذلك الى الأفراد والمجتمع ،فاذا لم يكن للقضية حل الا بالقضاء فإن الحاكم يعزره بما يحقق مصلحة الأفراد والأمة معا .

وتحديد العقوبة للغاصب فى القانون مرجعه فساد التشريع الوضعى ، لخلوه من تشريعات تحض على التعاون والبر ، وترشد أهل الاصلاح الى الأخذ بيد المظلوم ،والضرب على يد الظالم الغاصب ، وقد عالج الاسلام الغصب عن طريقين :ـ

١ ـ طريق التربية النفسية . وذلك حين حذر المصطفى عليه الصلاة والسلام من عقوبة الله يوم القيامة "من أخذ شبرا من الأرض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين " (١) والتحذير والتخويف للنفس المسلمة اردع من العقاب وانزال الجزاء .

٢ ـ يأمر القرآن الكريم المسلمين بالتعاون على البر والتقوى ،والامتناع عن المعصية والاعتداء " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان " (٢) وتشكل المجتمع الاسلامى الأول فى ضوء الآية على ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله " انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال : رجل يا رسول الله انصره اذا كان مظلوما أفرأيت اذا كان ظالما كيف انصره ،قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره " (٣) ومثل هذه التشريعات كفيلة برفع الغصب ، والضرب على يد الغاصب من فئة المسلمين أفرادا أو جماعة .

ومن منطلق التعاون هذا أجمع العلماء على أنه ليس على الغاصب ،ولا على المكابر المغالب قطع ألا أن يكون قاطع طريق شاهرا للسلاح على المسلمين مخيفا للسبيل فحكمه حكم المحارب (٤) وان لم يتمكن العلاجان من كبح جماح الغاصب فيد الحاكم والقضاء فى الاسلام أقوى من الأفراد فلها تعزيره بما تراه مناسبا لردعه عن غيه .

---

(١) الحديث رواه البخارى جـ ٤/ ٧٤ كتاب بدء الخلق باب ما جاء فى سبع أرضين ومثله فى سنن الدارمى جـ ٢/ ٢٦٧.

(٢) المائدة آية : ٢.

(٣) الحديث أخرجه البخارى جـ ٨/ ٥٩ كتاب الاكراه باب يمين الرجل لصاحبه .

(٤) انظر بداية المجتهد جـ ٢/ ٤٤٦.

السرقة بالجبر :

تفيد المادة ٣٩٠ من قانون العقوبات أن كل سرقة بالجبر تتوفر فيها السرقة أو الاستحصال بالجبر و " تكون السرقة سرقة بالجبر اذا سبب الجانى أوشرع فى أن يسبب عمدا ،لأى شخص موتا ، أو أذى أو حجزا غير مشروع أو تسببا فيه ، أو خوفا من موت عاجل ، أو اذى عاجل ، أو حجز عاجل غيرمشروع أو تسبب فيه ، وكان ذلك لغرض ارتكاب السرقة أو عند ارتكابها ، أو عند الهرب ، أو الشروع فى الهرب بالأموال التى حصل عليها من السرقة " .

ويكون الاستحصال بالجبر سرقة بالجبر اذا كان الجانى حاضرا عند ارتكاب جريمة الاستحصال بجوار الشخص الذى حصل تخويفه ، ويرتكب الاستحصال بتخويف ذلك الشخص بموت عاجل ، أو بأذى عاجل ، أو بحجز عاجل ، أو اصابة هذه الجنايات شخصا آخر ،وبذلك يحمل الشخص الذى حصل تخويفه على تسليم الشيء حالا وفى المكان نفسه " (١)

وتعاقب المادة ٣٩٢ مرتكب جريمة السرقة بالجبر بسجن يصل الى عشر سنوات وبغرامة مالية واذا وقعت الجريمة بين غروب الشمس وطلوعها فإن عقوبة السجن قد تصل الى أربع عشرة سنة .(٢)

عرفت أن تحول السرقة الى السرقة بالجبر مركب من جريمتين جريمة أخذ المال ، وجريمة القتل أو الاذى .... أو التسبب فيهما ، وكذلك الاستحصال بالجبر لا يتحول الى سرقة بالجبر الا بتحقق جريمتين الغصب ، وارهاب المغصوب منه على تسليم المغصوب حالا فى حالة الارهاب ، ولا يدخل فى نطاق البحث الا السرقة المحولة الى السرقة بالجبر .

فالقانون حين عاقب الجانى فى السرقة الجبرية بثلاثة أضعاف عقوبة السرقة ، كأنه أغمض عينيه عن الجريمة الكبرى ، وهى قتل النفس بغير حق على أعلى تقدير ، أو التسبب فى الحجز غير المشروع على اقل تقدير ، فالعقوبة فى الحالتين غير رادعة ، لأن الأصل فى العقاب أن يعوّد الجانى التذكر عند معاودة الجريمة ، وهذا غير حاصل بالسجن ، ولا سيما اذا وقع مع جريمة السرقة بالجبر قتل أو اذى بالغ .

فجريمة السرقة بالجبر فى نظر القانون جريمة واحدة ، بينما شريعة الله تفرعها الى جريمة أساسية

---

(١) مجموعة تعزيرات ص ٣٣٥ . (٢) انظر مجموعة تعزيرات ص ٣٣٧ .

وهى السرقة ، وجريمة فرعية ،ارتكبت من أجل تحقيق الأولى قد تكون قتلا وقد تكون جرحا ... ، ولكل جريمة عقابها الرادع ، حدا أو تعزيرا . ولا يستسيغ العقل البشرى أن يهدر الدم البرئ من أجل سارق يأخذ المال ، ويقتل من يقف فى طريقة لتحقيق جريمته المالية ، فالقانون بتطويل عقوبة السجن فى حالة القتل والجرح قصير النظر ، يحتاط للمال ، ويفرط فى حفظ حياة صاحب المال ، وبذلك يفتح باب القتل من أيسر طرقه ، فللجانى أن يسرق ويقتل ...، دون أن يجد يدا تعاقبه بمثل جنايته ، وتحفظ للمسالمين حياتهم وأموالهم .

واذا أردنا حماية الأرواح والممتلكات واعطاء الجريمة حقها من التقدير والرعاية فلنعمد الى شرع الخالق ، ونعاقب الجانى بقدر جنايته " وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به "[1] وشرع الله أرحم من المشرع البشرى يسجن تسع سنوات فى جريمة سرقة لم تتم ، بعد أن حجز الجانى صاحب المال ، أو تسبب فيه ، وظلم العقوبة الوضعية غير خاف فى الحالتين ، ففى السرقة مع القتل نجد المشرع البشرى مجحفا بالدم وأصحابه ، ومقصرا عن اقامة التوازن بين الجريمة والعقوبة ، وفى السرقة غير المكتملة هو ظالم للجانى بعقوبة عشر سنوات ، اذ يستحق الجانى أكبر قدر ممكن من التخفيف فى العقوبة ، بيد أن المشرع البشرى لم يعط الجريمة أو مرتكبها أى قدر من العناية بل تغاضى عنها ، وسوى بينها وبين الجريمة المكتملة ولا تخلو عقوبته والحال هذه من الافراط أو التفريط .

النهب (الحرابة) :

تعرف المادة ٣٩١ من قانون العقوبات النهب بأنه : " اذا اشترك خمسة أشخاص أو أكثر فى ارتكاب جريمة النهب ، أو الشروع فى ارتكابها ، أو اذا كان مجموع عدد الأشخاص المشتركين فى ارتكاب جريمة النهب ، أو الشروع فيها ، والأشخاص الحاضرين الذين يساعدونهم على ارتكابها أو الشروع فيها يصل الى خمسة أشخاص أو أكثر ، فإن كل شخص ارتكب الجريمة أو شرع أو ساعد فى ارتكابها يعد مرتكبا جريمة النهب ".[2]

وعقوبة النهب هى سجن الجانى مدى الحياة أو سجنه سجنا مجهدا يبلغ أقصاه عشر سنوات مع غرامة مالية[3] وتشديد العقوبة

---

(١) النحل آية ١٢٦ : (٢) مجموعة تعزيرات ص ٢٣٧

(٣) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٣٩٥ ص ٢٣٨ .

القانونية فيما يظهر يرجع الى تعدد الجناة الحاضرين على أرض الجريمة ، وما يحدثه ذلك من ارعاب بالنسبة للمجنى عليه ،ولكن ستظل علامة الاستفهام قائمة أمام القانون الانجليزى فى اتحاد عقوبته بين المجرم وبين من يعينه فى الجريمة ، وذلك وارد فى أغلب تشريعاته العقابية للمعاونين وشتان بين المباشر والمعاون ،فالعقل يحتم التفريق بين المجرمين لا فى النهب المشترك بل فى جميع الجنايات ، فالقاتل غير الممسك ، والممسك غير المترصد لعيون الأمن ، والكل جان ، تختلف جنايته عن الآخر ،وسوقهم الى حبل المشنقة أو السجن بالتساوى أمر لا يرتاح اليه العقل ، بل يوجب التفريق بين هؤلاء الجناة جميعا .

لذا لا يتردد القضاء الاسلامى فى التفريق بين المشتركين فى النهب والسرقة الجماعية، يعاقب السارق المخرج للشىء من الحرز بالحد ، اذا توفرت فيه شروط السرقة ، ويعاقب المعاون بالتعزير ، والى ذلك تشير عبارة الفقهاء رحمهم الله : " اذا اجتمع المباشر والمتسبب قدم المباشر على المتسبب " وتلك هى العناية الدقيقة لملاءمة العقوبة للجريمة ، وتحقيق التوازن بينهما ،ولشدة تحرى فقهاء الاسلام لهذا التحقيق نجد أنهم اختلفوا فيما اذا سرق جماعة مشتركين ولم يبلغ المال المسروق نصاب السرقة لكل منهم ، فذهب أبو حنيفة رحمه الله الى عدم القطع ،بحجة أن القطع علق بهذا القدر ، لا بما دونه ، فلا تقطع أيد كثيرة فيما أوجب فيه الشرع قطع يد واحدة ، وذهب من عداه الى قطع الجميع ، لأن العقوبة فى نظره انما تعلقت بقدر المال المسروق .(١) كل ذلك ينبئك عن حرصهم رحمهم الله فى تحقيق التوازن بين الجريمة والعقوبة .

التعدى الجنائى غير المشروع فى الممتلكات :

صلة التعدى الجنائى ... بالسرقة واضحة ، وتنص المادة ٤٥١ على أن " كل من يتعدى على الأمكنة لارتكاب جريمة عقوبتها السجن . يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز سنتين ، وتضاف

(١) راجع للتفصيل بداية المجتهد جـ ٢/٤٤٨ .

اليه الغرامة المالية ، واذا كانت الجريمة المراد ارتكابها جريمة سرقة فيجوز أن تصل مدة السجن الى سبع سنوات " .(١)

وتعاقب المادة ٤٥٤ كل من ينقب جدارا لارتكاب السرقة يسجن سجنا قد يصل الى عشر سنوات مع الغرامة (٢) ، وان ارتكبت الجريمة ليلا بطريقة سرية وكتمان فالعقوبة حينئذ قد تصل الى سجن أربع عشرة سنة وغرامة مالية .(٣)

وعقوبة القانون فى هذه الجرائم غير مقبولة عقلا ،غلظة فى العقوبة عند البدء والشروع ، ولين ورخاوة بعد الإتمام ، فإن ثقب السارق الجدار ،ولم يتمكن من ارتكاب السرقة عوقب بسجن عشر سنين ، أو أربع عشرة سنة ، وآخر سرق المتاع واكتملت الجريمة على يديه ،لا تعدو عقوبته ثلاث سنوات أو سبع (٤) ، إن العقل ليحتار فى تبرير هذا المنطق المقلوب ، قسوة فى موضع اللين ، ولين فى موضع القسوة .

هفوات "قانون الحدود " فى جرائم الأموال :

لم تعط تباشير الخير فى الحفاظ على الأموال ثمارها حتى اليوم ،ولكن الأمل معقود عليها عاجلا أو آجلا ،فالحد الاسلامى فى جريمة السرقة والحرابة هو الحل الوحيد الذى يحد من وقوع هاتين الجريمتين ، ويخفف عن الناس عبء حراسة ممتلكاتهم ليل نهار ، ويعيد اليهم الثقة المفقودة من التشريع منذ قرنين ، ولكن يلاحظ على التعديل الأخير (تنفيذ الحدود) أمور أهمها :

أ — تعرف المادة الخامسة من التعديل الأخير السرقة المستوجبة للحد بقولها " يستوجب عقوبة السرقة حدا كل بالغ يسرق أموالا تصل النصاب ، أو تزيد عليه ، من حرز بطريق الستر والخفاء شريطة ألا يكون المسروق أموالا مسروقة ، ومع علم الجانى أن قيمة تلك المسروقات تبلغ النصاب أو تقاربه أو تزيد عليه " (٥)

ويفسر التوضيح الثانى طريق الستر والخفاء بأن المراد منه " أن السارق يجزم أثناء السرقة أن صاحب المسروق لا يعلم عن فعلته شيئا ،ويلزم لأخذ المسروق خفية اذا كان الوقت نهارا ويدخل

---

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢٧٢. (٢) انظر مجموعة تعزيرات ص ٢٧٣.
(٣) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٤٥٧ ص ٤٧٣.
(٤) وذلك اذ وقعت الجريمة من الاحراز الثلاثة / راجع المادة ٣٨٠ ص ٢٢٩.
(٥) مجموعة اسلامى ص ٢٦.

فى النهار ساعة قبل طلوع الشمس وساعتين بعد غروبها — أن تستمر السرقة على طريق الخفاء حتى اكتمال الجريمة ، وإن كان الوقت ليلا فلا يلزم استمرارها بعد الشروع فيها بالخفاء " .(١)

ومن المعروف فى الفقه الاسلامى بالنسبة لعقوبة السرقة المستوجبة للحد أن الجانى لا يشترط فيه بل لا يفترض أن يكون عالما بأن المسروق يبلغ النصاب .... وانما ذلك من اختصاص القضاء الذى يعاقب الجانى ، لذا لم يشترط العلماء فى السارق الا البلوغ والعقل وأن يكون غير مالك للمسروق منه ، وألا يكون له عليه ولاية ، وألا يكون محاربا فى دار الحرب(٢) واشتراط العلم بالنصاب بمثابة ايقاف العمل بالحد ، لأن العقل لا يتصور اعترافا كهذا من مجرم ارتكب السرقة المستوجبة للحد ، فالأولى حذف هذا القيد الذى لا محل له فى تشريع الاسلام .

وفى التوضيح تجد المقنن قد تجاوز حدود السرقة فى تعيين " طريق الستر ليلا " حيث رفع مسئولية صاحب المال عن المحافظة على أمواله ، وعاقب السارق فيما يعد و بما لا يستحق ، لأن شرط السرقة أن تتم خفية ، وهنا ليست كذلك اذ شرع فيها خفية واكتملت علنا ، فالعقوبة الى التعزير أقرب منها الى الحد .

ب — ضمت المادة الحادية عشرة العديد من الصور المسقطة للحد منها " صورة ج " وهى قبل أن يتم تنفيذ الحد يسحب صاحب المسروق تهمة السرقة ، أو يدلى بتصريح أن الجانى أقر كذبا ... "(٣)

فرفع التهمة عن الجانى بعد بلوغ الحاكم أو القاضى فى الحدود أمر لا تقره سنة المصطفى والمنفذ الأول لخاتمة الشرائع عليه الصلاة والسلام ، وقد جمعت السنة القواعد الأساسية لما يصح التغاضى عنه ، أو ابراء المتهم مما اتهم به فى حديثين من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، تقول عائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم الا الحدود "(٤)

ويروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم " تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب "(٥) وفيما يدو أن

---

(١) مجموعة اسلامى ص ٢٦ (٢) راجع تفصيل هذه الشروط وغيرها فى الفقه على المذاهب الأربعة جـ ١٥٤/٥ (٣) مجموعة اسلامى ص ٢٩ (٤) الحديث أخرجه أبو داود فى سننه جـ ٤ / ١٣٣ كتاب الحدود باب فى الحد يشفع فيه .

(٥) سنن أبى داود جـ ١٣٣/٤ كتاب الحدود باب العفو عن الحدود مالم تبلغ السلطان .

المعدل اعتبر عقوبة السرقة حقا من حقوق صاحب المال ، له المطالبة به ، أو التنازل عنه ، قبل رفع الدعوى ، وبعد ثبوت التهمة ، غير أن الشريعة الاسلامية تعطيه هذا الحق قبل رفع الدعوى وتسحب منه ذلك بعد الرفع ، وحادثة سرقة رداء صفوان خير دليل فى القضية ، يقول رضى الله عنه : "كنت نائما فى المسجد على خميصة لى ثمن ثلاثين درهما ، فجاء رجل فاختلسها — استلبها — منى ، فأخذ الرجل ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر به ليقطع ، قال فأتيته فقلت اتقطعه من أجل ثلاثين درهما . أنا ابيعه وانسئه ثمنها ؟ قال : فهلا كان هذا قبل أن تأتينى به " (١)

فالحنان والشفقة تراهما على أتم الوجوه من صفوان رضى الله عنه ، حيث حاول تنحية الحد عن السارق رحمة بيده ، فاقترح بيع المسروق وتأجيل الثمن ، باعتبار العقوبة حقوقا من حقوقه فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك : " فهلا كان هذا ... " فلو صح دفع الحد والاعفاء عن العقوبة المقررة شرعا بعد رفع القضية الى القاضى أو الوالى لنحى عن هذا السارق .

وكذلك قصة المخزومية السارقة التى أهم قريشا شأنها ، فكلم أسامة رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم فيها ، فتلون وجهه وقال : " يا أسامة اتشفع فى حد من حدود الله " ثم قام فاختطب فقال : أيها الناس ، انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (٢)

فلو كان هناك متسع لدرء الحد بعد ثبوته عند الحاكم أو القاضى لكان أولى الناس بهم هو نفسه عليه الصلاة والسلام ، فهو أرحم بالسارق من صاحب المسروق باخبار الله عز وجل " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " (٣) لذا يعرف العلماء الحد بأنه " عقوبة مقدرة شرعا تجب حقا لله عز وجل " (٤) فالحدود حقوق الله ، وحقوق الله اذا ثبتت يجب صيانتها باقامة العقوبة المفروضة وليس لأحد أن يتنازل عنها بعد بلوغ الحاكم .

---

(١) سنن أبى داود جـ ١٣٨/٤ كتاب باب من سرق من حرز رقم الحديث ٤٣٩٤ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه ، شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٨٦/١١ .
وانظر سنن أبى داود جـ ١٣٣/٤ رقم الحديث ٤٣٧٤ .

(٣) الانبياء آية : ١٠٧ .

ومن الغريب وغير المعقول عند العقلاء أن يتولى من سرق منه المال تكذيب اقرار الجانى لرفع الحد عنه ، وتكذيبه فى هذه الحالة شبيه بطلاق من ليس فى عصمته أنثى ، فالانحراف عن الاقرار حق للمعترف ، لا لمن اعترف له ، لأنه لا يملك الاقرار حتى يملك الانحراف عنه ، وحتى لو افترضنا أن عقوبة السرقة حق من حقوق المسروق منه ، فانه لا يملك الا العفو عن العقوبة دون سائر الحقوق التى تتصل بالجناية ، كالمستأجر لا يملك من العين المستأجرة سوى المنفعة ، أو ما استؤجرت من أجله ، فلا يعدو وضع المسروق منه وضع المستأجر اذا كانت العقوبة حقا من حقوقه يختص بها وحده ، وليس الأمر كذلك لأن الحدود حقوق الله تقام لمصلحة المجتمع ، لا لفرد بعينه .

ج — ظل التعديل الأخير مرتبطا بقانون العقوبات الانجليزى فى العديد من بنوده ، ففى المادة الرابعة عشرة والعشرين يعاقب السارق ومرتكب جريمة الحرابة اللذان لم تبلغ جنايتهما الحد بالعقوبات التعزيرية الانجليزية ، التى فشلت فى حفظ الأموال ، ومنع عصابات السلب والنهب .

جريمة شرب المسكرات :

وقبل أن نترك قانون العقوبات نقف وقفه التفكه عند عقوبته لشارب المسكرات ، حيث تنص المادة ٥١٠ ان " كل من يوجد بحالة سكر فى مكان عام ، أو فى أى مكان يعتبر دخوله فيه تعديا عليه ،ويسلك فيه سلوكا معيبا يضايق شخصا من الأشخاص ، يعاقب بالسجن العادى الذى يصل أقصاه الى ٢٤ ساعة ، أو بغرامة مالية تصل الى عشر روبيات ، أو بالعقوبتين معا "(١)

ويعلق الشارح على هذه الجريمة وعقوبتها بقوله : " هذه الجريمة هى أصغر جريمة فى قانون العقوبات الباكستانى ، وعقوبتها القصوى هى حبس ٢٤ ساعة ، والتى تنتهى على العموم بانتهاء مجلس القضاء اليومى "(٢) بيد أن الاسلام عد هذه الجريمة ضمن قائمة الجرائم الكبرى وفرض على متعاطيها عقوبة حدية .

فالاسلام حين يفرض العقوبة على السكير حدا يعيده الى واقع الحياة ليتحمل مسئولياته

---

(١) مجموعة تعزيرات ص ٣١١ ، (٢) آيم — أشرف — بيك مجموعة تعزيرات ص ٣١١ .

وتبعاته ، ويحثه على المواجهة والمجالدة ، ويبغض اليه الهروب من المشكلات ، بينما تخفيف العقوبة الى الحد السابق أو التشريع الذى يبيح شرب المسكر مطلقا تحببان اليه الهروب واعلان الهزيمة أمام مشكلات الحياة ، فالكأس التى تخدر أعصابه رويدا رويدا تبعده عن تلك المشكلات ، وتخلق له فى الخيال عالما جديدا هو بطله المغوار ، ليس فيه شئ من تلك المعضلات ، ومن ثم يفقد جهازه المجالد والمصارع قدرته على مواجهة وقائع الحياة •

وقد جاء التعديل الأخير يلبى رغبات المسلمين فى التقليل من هذه الجريمة باعلان الحد الشرعى وتطبيقه على من يتعاطى شيئا مسكرا ، ولكن المعدل يستشرف الى القانون الوضعى أكثر منه الى الفقه الاسلامى ، فما عقوبة السجن التعزيرية لشارب الخمر الذى لا تصل جريمته الي الحد بسجن يصل الى ثلاث سنوات الاجزء من القانون فى تغليظ العقوبة قبل اتمام الجريمة ، والتخفيف بعده فايجاد التوازن بين الحد والتعزير أمر مطلوب شرعا ، واقامة التوازن بين ثمانين جلده وسجن يصل الى ثلاث سنوات أمر يخفى على العقل حكمته •

هكذا فشل القانون فى الحفاظ على كليات الحياة ، التى يرتبط استقرار البشر وأمنهم باستقرارها وسلامتها ، فما خيبة التقنين البشرى فى الحد من الاعتداء على النفس أو العرض أو المال أو العقل الا اعلان بالهزيمة أمام هذه الجرائم والتحديات ، فهو لما سواها مما يدانيها أو يصغرها أضعف حولا وأقل مقدرة على مطاردة المجرمين ، واستخلاص المسالمين الآمنين من شباكهم المنصوبة •

قانون الاثبات وبعض محتوياته :

فاذا كان هذا مصير قانون العقوبات • فما مدى صلاحية قانون الاثبات ، وطرق البينات لاثبات جريمة من الجرائم ، وما هى الشهادة التى يرتضيها هذا القانون لاثبات تهمة من التهم ، وهذا ما سأحاول تسليط الضوء عليه بايجاز فى النقاط الرئيسية التالية :ـ

صدرت الموافقة على قانون الاثبات من مجلس التشريع فى ١٥/٣/١٨٧٢م ، وحل محل طرق الاثبات الشرعية فى أول سبتمبر ١٨٧٤م ، وبعد استقلال المستعمرة الهندية اختارته كل من الهند وباكستان وبورما وسيلان بعد تعديلات يسيرة كقانون لاثبات الجنايات ، والقضايا

المتنازع عليها .

فإن كان الاقرار والشهادة سيدى الاثبات فى الاسلام ، فإن قانون العقوبات الانجليزى قدم عليهما الكتابة فى الوثائق والمعاهدات اذ نصت مادته ٥٩ على : أن ما عدا المقالات والوثائق فى الدعاوى يثبت بالشهادة التقريرية ". (١)

عدد الشهود بين القانون والشريعة لاثبات قضية من القضايا :

لا شك أن شهود القضية هم الذين يقع عليهم عبء الاثبات ، وكلما كثر عددهم كان جانب الدعوى أقوى وأثبت ، وكلما قل عددهم وهنت الدعوى وضعف الاثبات ، غير أن قانون الاثبات يكتفى لاثبات قضية من القضايا بشاهد واحد حيث ينص فى مادته ١٣٤ على أنه " لا يختص عدد معين من الشهود فى قضية لاثبات حادثة من الحوادث " . (٢)

وبناء على ذلك تثبت الدعاوى الجنائية والمدنية فى المحاكم بشاهد واحد ، وذلك اذا وثقت المحكمة بصدق قوله ، فان كان مثل هذا الاجراء لصالح الدعوى فمن السهل أن يتمكن شهود الزور وأصحاب الأغراض الدنيئة من ايقاع الأبرياء فى شباك التهمة ، وهذا ما هو حادث بالفعل ، فان الشهادة كثيرا ما تبتكر على أبواب المحاكم ، وتشترى الذمم بالاموال وعرض الدنيا .

وإن قارنت بين طرق الاثبات فى الاسلام وبين قانون الاثبات الانجليزى وجدت بينهما بونا شاسعا ، فالاسلام لا يضع جميع الدعاوى فى صف واحد ، ولا يجمع الجرائم فى قائمة واحدة وانما تختلف طريقة الاثبات فيه بين دعوى جنائية وأخرى مدنية ، وما يعده القانون من الجنايات — الشخصية التافهة كالزنا يثبت بشهادة شاهد واحد يحتاط الاسلام لاثباته بأربعة شهود ، ولا تثبت التهمة حتى يشهدوا الجناية عيانا كالمرود فى المكحلة ، وإن نقص العدد أو لم تكن شهادة أحدهم شهادة عينية ، جلد الشهود ، وأخلى سبيل المتهم ، وهكذا نجد للاسلام عددا معينا من الشهود على قدر عظم الجناية وخفتها .

وما دامت الجنايات تعظم وتصغر ، والعقوبات تزيد وتنقص ، والناس يختلفون فى درجة الصدق والكذب ، كان من المنطق ألا يتساوى عدد الشهود فى الجنايات والدعاوى المختلفة .

---

(١) شرح قانون شهادت "شرح قانون الاثبات" ص ١١٨ .
(٢) " " ص ١٩٧ .

شهادة المرأة بين القانون والشريعة :

جر قانون الاثبات قاعدة المساواة فى تحمل الشهادة وأدائها بين النوعين من البشر، فتساوت المرأة بالرجل فى أداء الشهادة فى القضايا المدنية من طرفى النزاع ، وفى القضايا الجنائية هى أهل للشهادة من الطرف ألا ضعف المدعى عليه. اذ تفيد المادة ١٢٠ " فى اجراءات القضايا المدنية أطراف النزاع وزوج طرف أو زوجته أهل لاداء الشهادة ، وفى الاجراءات الجنائية زوج "المدعى عليه " وزوجته متساويان فى أهلية الشهادة وأدائها (١)

ومن المعروف غير المثير للجدل أن شهادة المرأة أمر مفروغ منه فى الاسلام ، قال تعالى " واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى " (٢) وفى ضوء الآية سار المسلمون عبر مسيرتهم القضائية ، فقضوا بحكم الله فعادلوا شهادة امرأتين من الوجهة القانونية التشريعية بشهادة رجل واحد فى المعاملات المالية ، وما ان ألغى القضاء الاسلامى حتى نفذ المستعمرون قاعدة المساواة فى كل شئ واتهموا تشريع الخالق بازدراء المرأة ، وأنها فى نظره تساوى نصف الرجل ، نظرا لكون شهادتها تعادل نصف شهادته ، دون أن يدققوا النظر فى فطرة المرأة ، وما جبلت عليه من الانفعال السريع ، أو العطف الأمومى المتدفق... ، وكل ذلك مظنة لأن تتأثر بملابسات القضية فتضل عن الحقيقة بوعى أو بغير وعى .

لذلك راعى الاسلام أن تكون شهادتها نصف شهادة الرجل ، لتوفير كل الضمانات المطلوبة فى الشهادة ، سواء كانت الشهادة لصالح المتهم أو عليه ، فالتفاوت هنا لا علاقة له بالرجولة والذكورة ، وإنما مرده اعتبارات فطرية ،والتزامات شرعية .

فالاسلام يعتبر رسالة المرأة الاجتماعية هى السهر على شئون الأسرة ، وبذل كل ما تملكه من نشاط لتربية النشئ الصالح ، وقادة المستقبل ، وهذا ما يقتضى منها لزوم البيت فى غالب الأوقات ولا سيما أوقات البيع والشراء ،وما دوام خروج المرأة من مملكتها لا يقع الا لحاجة أدركنا سر تنصيف الشهادة ، فليس من شأنها فى الغالب أن تشهد المعاملات المالية ، وما يشهد بصرها من ذلك على وجه المصادفة فإنها تمر به عابرة لا تلقى له بالا ، واذا وقفت فى

---

(١) قانون شهادت ص ١٨٥ . (٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢ .

صف الشهود كان أمام القاضى احتمال نسيانها أو خطئها ووهمها ، ولكن اذا انضمت اليها امرأة اخرى وشهدت بمثل مشاهدتها زال ذلك الاحتمال ، وقوى جانب التذكير والتثبت . ، وذلك هو المطلوب للعدالة لاحقاق الحق وابطال الباطل .

ثم ان شهادة المرأة فى الاسلام فى القضايا المدنية المتنازع عليها أو الجنايات ليست على درجة واحدة ، بل تختلف قيمة شهادتها من قضية الى أخرى من واقع طبيعة الانثى ، وعلى قدر تعاملها واتصالها بالقضية ، لذا صنف فقهاء الاسلام شهادة المرأة على مراتب :*

أ — استبعاد شهادة المرأة فى بعض القضايا الجنائية التى ترتفع فيها موجة عاطفتها ، فتطغى على عقلها وعلى الحقيقة معا ، وذلك كشهادتها على حادث يوجب حد الزنا ، فكان من الرحمة بها والعدل مع الجناة ان تحتاط الشريعة لمثل هذا الموطن ، فأعفتها من الشهادة .

ب — اعتبار شهادة المرأة نصف شهادة الرجل تمشيا مع التزامات المرأة الشرعية تجاه المجتمع وذلك فى مجال التجارة والتصرفات المالية ، وهو المنصوص عليه فى الآية (١) ، لأن المعروف من طبع البشر ان ذاكرتهم تقوى فى الأمور التى تهمهم ويمارسونها ، وتضعف فيما لا يهمهم ولا يكثر اشتغالهم به ، وعلى ذلك كان من المنطقى التثبت والتحقق أن يطالب القضاء بتوفير ثقة أشد فيما يتصل بجانب الضعف وقلة التذكر ، وبما أن الاسلام رضى للمرأة لزوم البيت وعدم تبذلها فى الأسواق كان تشريعه فى تنصيف الشهادة فى الأمور المالية مكرما للمرأة ، وملائما لفطرتها كأنثى .

ج — تقديم شهادة المرأة على شهادة الرجل فى بعض القضايا كأساس للاثبات أو النفى كقضايا الولادة والبكارة والثيوبة والعيوب الجنسية لدى المرأة التى لم يكن يطلع عليها الا النساء فى العصور الماضية ، ولا تقل شهادتها اليوم عن الرجل بعد مشاركته لها فى هذه الأمور كالأطباء ونحوهم .

د — مساواة شهادة المرأة بالرجل سواء بسواء . وذلك فى قضية اللعان ، فعندما يقذف الزوج

---

(١) يا أيها الذين آمنوا ... واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر أحداهما الأخرى ... الآية ٢٨٢ سورة البقرة .

زوجته بارتكاب الزنا ، ولا يملك شهادة لاثباته ، فالحكم الشرعى أن يلج كلاهما باب الملاعنة ليتم التفريق بين الزوجين : " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم ، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ، والخامسة أَنَّ غضب الله عليها ان كان من الصادقين " (1)

ويبدو أن المشرع الانجليزى قد أدرك بعض هذه الجوانب ، وعد شهادة المرأة فيها أضعف من الرجل ، وأومأ الى ذلك ناصا على مساواة المرأة بالرجل فى الشهادة فى القضايا المدنية وخصص مساواتها بالرجل فى القضايا الجنائية لصالح المدعى عليه دون المدعى ، وهذه التفرقة فى الجنايات اقرار من المشرع البشرى بعدم مساواة شهادتها فى كل شئ ، وهذا ما قضت به الشريعة الاسلامية ، وامتازت عن القانون وتفوقت عليه فى تحديد القضايا التى تعد شهادة المرأة فيها مساوية للرجل أو دونه أو مفضلة عليه ، وأغرب ما نجد فى باب الاثبات فى القانون ما يسمى بشاهد الملك واليك الحديث عنه باختصار .

شاهد الملك :

تقضى العدالة بالتحقيق مع المتهم وعقابه اذا ثبت عليه الجناية ، ومدلول ذلك أن غير المتهم ممن شهد الجناية أهل لابداء ما عاينه أو سمعه .... ولا يتعقل قبول متهم كشاهد فى جناية هو أحد مرتكبيها ، فلا يملك المتهم الا الدفاع عن نفسه ، وابراء ساحته من التهمة ، وذلك هو الذى يتمشى مع منطق التخاصم والمقاضاة ، غير أن قانون الاجراءات الجنائية يعطى القاضى حق عرض العفو على متهم وابرائه من جناية تصل عقوبتها الى سجن سبع سنوات فما فوق ، وتحويله من قائمة الجناة الى قائمة المثبتين " الشهود " بشرط أن يفضى الى المحكمة افضاء كاملا وصادقا عن الجريمة ، وبكل الظروف المتصلة بها ، وبالأشخاص الذين اشتركوا فيها باعتبارهم فاعلين أو محرضين عليها .

تقول المادة ٣٣٧ " يجوز فى كل جريمة تختص محاكمتها بالمحكمة العليا ، أو بقاضى المديرية

---

(١) النور آية : ٦ — ٩ .

أو فى كل جناية تصل عقوبة سجنها الى عشر سنوات ٠٠٠٠ أو فى جناية تصل عقوبتها الى سجن سبع سنوات ٠٠٠٠ لقاضى المديرية ، أو لقاضى الدرجة الأولى فى أى وقت أثناء التحقيق أو المحاكمة أن يعد بالعفو لغرض الحصول على شهادة أى شخص يظن أنه شارك بطريق مباشر أو غير مباشر فى الجريمة المطلوبة ، أو على علم خاص بها ، بشرط أن يكشف كشفا كاملا وصادقا عن كل الظروف التى يعلمها ،وتكون متصلة بالجريمة المذكورة ، مع تعيين الأشخاص الآخرين الذين شاركوا فيها باعتبارهم جناة مباشرين أو مساعدين ٠٠٠ "

" وكل شخص يقبل عرض العفو طبقا لأحكام هذه المادة تحرر أقواله أمام القاضى الذى يحاكمه كشاهد من شهود القضية ٠٠٠ " (١)

وتعطى المادة ٣٣٨ حق عرض العفو وابراء المتهم لكل محكمة بدأت فيها محاكمة أى جريمة من الجرائم على الشروط المذكورة سابقا بقصد الحصول على شهادة شخص يظن أنه شارك فى الجريمة بطريق مباشر أو غير مباشر ، أو أنه على علم خاص بها ٠ (٢)

ويطلق على هذا المتهم أو الجانى فى القانون اسم " شاهد الملك " King,s Witness ومن المشكوك فيه ايقاف الجريمة بهذا المسلك ٠

أ ــ عرض العفو أو ابراء المتهم حق من حقوق المجنى عليه ،أو من له صلة به فى ضوء مبادئ العدالة ،وسحب هذا الحق منه واعطاؤه للسلطة القضائية تعد على حق المظلوم ، فلا تخلو حينئذ ساحة القضاء من الظلم ، ومن ثم لا يخفى مناقضة العرض لما تقوم المحاكمات من أجله ، وما ينتظره الناس من دفع الظلم بالقضاء ٠

ب ــ اذا كان حق التنازل عن الجريمة أو العقوبة ثابتا للمدعى أو القضاء وفق نظرية القانون ، فان الرعاية والتقدير للجريمة والمجرمين يدعوان الى المساواة بين مرتكبى الجريمة ، ويرفضان التفاوت بين مجرمين اشتركوا فى جريمة واحدة ، فبأى منطق يفضل المتهم "شاهد الملك" على أصحابه

---

(١) مجموعة ضابطة ٠٠٠ ص ١٩٧ ولعل أول من عرض عليه العفو الموعود على أرض الهند هو الشيخ محمد جعفر التهانيسرى احد أعضاء حركة الجهاد التى حمل لواءها السيدان راجع للتفصيل كالابانى ص ٥٤.

(٢) انظر مجموعة ضابطة ص ١٩٨.

ج — نقل المجرم من صف الجناة الى المدافعين عن القضية أمر لا يقبله العقل ، فضلا عن أن يبرره القضاء ، فان كانت العقوبة تردع الجانى عن أن يعود الى الجناية أو مثيلاتها مستقبلا ، فما الذى يقوم باداء هذا الدور فى هذه النقلة وخدمة القضية بأخذ الشهادة من أحد المجرمين فان عدم القضاء شاهدا ففى الناس غنى عن مثل هذا الشاهد ، والظلم لا يدفع بمثله ، ولذلك خلت منصات القضاء الاسلامى من مثل هؤلاء الشهود المتهمين بالجناية — فى كل الفترات الممتدة عبر التاريخ .

د — من الرحمة بالمتهم عرضه على التحقيق فى مختلف مراحله ، فإن ثبتت براءته عاد الى المجتمع وهو نقى لم تلوث التهمة جانبه ، وإن ثبت عليه شيء عوقب بما يستحق ، وإن عفا عنه أصحاب الحق أضحى أسير احسانهم مدى الحياة ، وبهذا المسلك تتوثق الروابط بين المتنازعين ، واما إنّ برأته المحكمة ايفاء بوعدها فلن ينجو من عقاب أصحاب الحق ، مهما بذل له من الضمانات أو أحيط بسياج الاجراءات الأمنية شبه الواقية ، لأن محاربة العنصر الفطرى أمر غير مقصور فى النفس البشرية .

الاصلاحات المطلوبة فى القضاء :

وإن أردنا عودة القضاء الى أداء وظيفته من منع الجريمة ، أو الحد منها ، يلزمنا الأخذ بالوجهات التالية :—

أ — الغاء حرفة المحاماة :

يجب تطهير ساحات المحاكم من المحامين المحترفين ، ولو رجعت ببصرك الى تاريخ القضاء فى الاسلام وحاولت أن ترى صناع المحاماة على أبواب المحاكم أو فى قاعاتها لأعياك ذلك ، وبعد استحكام السلطة الاستعمارية فى الهند سمح للمحامين بدخول ساحات المحكمة ، كمترجمين ينقلون الى القاضى الأوربى كلام المتخاصمين ، ويعيد اليهم استفساراته حول القضية ، ويشير تقرير الدولة عن البنجاب لعام ١٨٦٣م — ١٨٦٤م الى ذلك بقوله " فى محاكم المدن الكبيرة سمحنا للمحامين بالدخول فيها ... ونرى أن ذلك سيعين المحكمة ، ويزيل العقبات الكثيرة التى تعترض طريق الفصل بين الناس ".(١)

---

(١) ريبورت مجموعى بينجاب عن عام ١٨٦٣م — ١٨٦٤م ص ٥ .

ولما كانت الترجمة تتطلب الوقت الكثير تراكمت القضايا أمام المحاكم ، وشح المترجمون لقلة من يتقن الانجليزية آنذاك ، مما حمل الأوربيين على التفكير مرة أخرى فى الخلاص من هذه الأكداس ، حتى وجدوا الحل الأمثل المؤقت فى حث المترجمين فى الإسراع ، وزيادة عددهم مهما أمكن ، ولو باعطائهم نفقات فرضها لهم القانون على حساب العدل والقضاء ، فاضطر الناس أن يطلبوا ودهم لاسترداد الحقوق المرتبطة بوجودهم ، حتى أصبحوا يشكلون جسر العبور بين المتقاضيين والمحكمة ٠

وبعد رحيل القضاة الأوربيين واحلال من يفهم لغة الشعب مكانهم أمل الناس تطهير المحاكمات من هذا الطرف الدخيل ،ولكن هيهات ، لعدم وجود مصرف لخريجى كليات الحقوق الكثر لدى الدولة ، واحتياج القضاة الى فهم القانون الذى لا يتمتع بأى رصيد شعبى فى الدول المنفذة له ، ويقترح الاستاذ المودودى كحل وسط لمعضلة العدد الهائل من هؤلاء الخريجين فيقول : " لقد قام الحكم الاسلامى فى أكثر من نصف الدنيا فى الأثنى عشر قرنا الماضية ، فلا ترى لهذه الحرفة عينا ولا أثرا فى نظامه القضائى ٠ بل كان عندنا بدلا منها منصب الافتاء فعلينا أن نجدده اليوم مرة أخرى ، والمفتون فى الزمن القديم كانوا يكسبون معيشتهم على أكثر الأحوال بحرفة من الحرف الحرة ، ويفتون للناس بدون نظير شئ من الأجرة ولكن لما قد ازدادت مرافقنا اليوم يجوز أن نعين عددا كافيا ممن لهم خبرة بالقانون بما يكون فيهم من الاخصائيين فى مختلف شعب القانون ، ونقطع لهم الرواتب المعقولة من الخزانة العامة حسب حاجات كل بلدة ومقاطعة ، وتكون زيارة الخصمين أو " خدمتهما " لهم بشئ من المال غير مشروع بحكم القانون " (١)

فالمحاماة بوضعها الحالى يأبى روح الاسلام وجودها ، ومن المحال أن يسرى تشريع الله فى المنازعات بروحه الصحيحة ، ويؤتى الثمار المرجوة منه ما دامت المحاماة الحرفية قائمة ، بل الذى يجزم به المطلع على أعمال أغلب المحامين أن المسلمين سينسلخون من الايمان بعد مجئ الشريعة الى منصة القضاء إن بقى هؤلاء يتلاعبون بالشريعة الالهية مثل تلاعبهم بالقوانين الوضعية ،وذلك غير مستبعد ممن حرفته أخذ المال كأساس لأحقية المعطى فى القضية ،فكل من يدفع المال من الخصمين فهو على الحق فى نظر المحامى ٠

---

(١) انظر نظرية الاسلام وهديه ص ٢٢٣.

وسينتج الغاء المحاماة أمورا محمودة أهمها :ـ

أ ـ يقل بين المسلمين عادة التخاصم الذميمة ، التى يرتبط بقاؤها ببقاء المحاماة فى الغالب ، والغاؤها وسيلة لاحلال الإخاء محل التنازع والخصام .

ب ـ تصبح المحاكمات مختصرة ، فيتوفر للمتخاصمين ولقضاتهم الوقت ، وتتهيأ لهم سبل الوصول الى الحق فى أسرع وقت ممكن ، لخلو جلسات المحاكمة من طرف ترتبط مصلحته بالتطويل لتبرير " الأتعاب " فيربح قضاء الاسلام الزمن فيسرع فى اصدار الحكم ، وتلك ميزة الاسلام فى القضاء .

ج ـ يتوفر للمتحاكمين وللدولة المسلمة الكثير من النفقات ، لأنه كلما أسرع فى الفصل فى القضية ربح المتخاصمون أجور النقل على أقل تقدير ، فيبذلون الوقت الذى ربحوه فى الصالح العام أو الخاص ، وترتاح أعصابهم من أرهاق المثول أمام القضاء ، وتنعدم الدعاوى التى يرفعها الجد ويتابعها الأبن بالانفاق ، ولا يفصل فيها الا بعد أن يعجز الحفيد سنا ومالا .

د ـ تظهر ملابسات القضية على خير وجه أمام القضاء ، اذ الجريمة لا تخفى معالمها مالم يمرن مرتكبيها على اخفائها ، وبعد انعدام الجبهة الممرنة يسهل كشف الجانى ، ودراسة ظروف الجناية والأسباب المؤدية اليها ، وفى ضوء هذه البساطة يسهل على القاضى اصدار الحكم وتمييز الجناة .

ب الغاء الرسوم القضائية :

والوجهة الاصلاحية الثانية التى لا تقل أهمية عن الغاء حرفة المحاماة هى الغاء رسوم المحكمة التى فرضها المستعمر لجمع المال ـ كما مر معنا ـ من الطرق المتنوعة ، فان كنا مسلوبى الارادة مستعمرين آنذاك فقد عادت الينا الارادة والاستقلال ، وآن لنا أن نصفى المحكمة من المحدثات الضارة بمصالح العباد التى لا عهد للقضاء الاسلامى بها طوال القرون الماضية والاسلام بحكم انصاف المظلوم من الظالم يأبى تصور مثل هذه الرسوم ، ولم تكن المحكمة يوما بقالة لا ينال منها أحد العدالة دون أن يدفع ثمنها ، ولم يكن من نصيب المظلوم الذى لا يملك قيمة العدالة أن يتنازل عن حقه ، ويتحمل الضيم لعدم قدرته على دفع الرسوم .

وسيتعرض أخصائى الاقتصاد على الالغاء بحجة أن المحكمة لن

تستطيع سداد تكاليفها المتنوعة والوفاء بمطالبها الكثيرة •

ويجيب المطلع على سير القضاء فى الاسلام ،بأن النظام الاسلامى متى ساد البلاد لن يكون فى حاجة الى هذا الحشد الهائل من العاملين فى المحكمة ، وسوف يستغنى عن العديد منهم ، لأن تشريعاته الاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية ستقلل مما اعتاد عليه الناس من التخاصم ، ومن ثم لن تكون المحكمة بحاجة الى هذه الكثرة العاملة فى ساحاتها اليوم ، وبذلك يستغنى القضاء الاسلامى عن دفع رواتب العديد من القضاة والنظار والمستشارين والنواب ، الذين تتحمل رواتبهم اليوم كضريبة لازب للتشريعات الوضعية التى لا تضمن العدالة ، ولا تمنع الظلم بين الناس •

ويقترح الاستاذ المودودى وسيلة أخرى لسداد نفقات المحكمة بعد الاستغناء عن العديد من عمالها فيقول : " ثم إن ما عسى أن يبقى بعد كل ذلك من تكاليف نظام المحاكم على خزانتنا ، سوف لا نحمله على كل متظلم من أرباب القضايا ،وانما سوف نحمله على الذين يستغلون وجود المحاكم ويحاولون أن يجنوا منها منافع غير مشروعة ، أو الذين ينالون من وظيفة المحاكم منافع غير عادية كأرباب القضايا المزورة ، والشاهدين بالزور ، والمتخلفين عن الاجابة اذا دعتهم المحاكم الى حضورها، وذلك بصورة أن نغرمهم غرامات مالية ، ونلزمهم اداءها •

" كما أنه من الجائز أن تسدد هذه التكاليف بغرامات المجرمين المحكوم عليهم فى المحاكم ، أو بأن نضع الضريبة بحسب سعر محدد على كل من ينال من المحكمة مرسوما ذا مقدار محدد من المال ، على أنه من الواجب أن نسدد ميزانية مصلحة العدالة من الخزانة العامة ،اذا هى لم تسدد بمثل هذه التدابير ، لأن الفصل بين الخلائق وانصاف المظلوم من الظالم من الواجبات الأساسيه لنظام الحكومة ".(١)

وجهة نظر قابلة للأخذ والرد ، يمكننا السير عليها فى دور التدرج والانتقال ، دون الاستمرار والمداومة ،لأن تسديد تكاليف المحكمة من جيب الخصوم أو بعضهم مظنة للمساومة والانحياز ، وتغلب أهل المال على الحق ، وعلى من يسعى لاسترداده ،لذلك كاد أن يخلو القضاء الاسلامى فى الماضى من العقوبات المالية لصالح الدولة أو المحكمة ••••، بل الوضع أوسع مدى حيث لم تشرع عقوبة مالية فى حد من الحدود ، أو فى جريمة تعزيرية معينة ، ولو استقصيت الحوادث التى

---

(١) نظرية الاسلام وهديه ص ٢٢٨.

عوقب أصحابها في القضاء الاسلامي بالغرامة المالية لما تجاوزت عدد أصابع اليد الواحدة ٠

وما دام الاسلام لا يحبذ تغريم الناس بالمال ، لكونه غير رادع ، أو يخلف آثارا اقتصادية غير محمودة ٠٠٠٠ ، وجب التقليل من العقوبات التعزيرية المالية ، وترك ما ينحوه القانون الوضعي عند تذييل معظم بنوده بقوله " ٠٠٠ وبغرامة مالية أو بالعقوبتين معا " ٠

ج — تكوين مجمع علمي قضائي :

الأمر الاصلاحي الثالث الذي لايقل عن الغاء المحاماة والغاء الرسوم القضائية أهمية هو تكوين مجمع علمي تكون مهمته دراسة الأحكام القضائية بدقة ، واستعراض كل ما تم انجازه على أيدى اسلافنا من الأعمال في هذا الصدد حتى الآن ، من جمع وترتيب ، ووضع فهارس وعناوين في اسلوب يفهمه أهل هذا العصر ، وله في كتب القانون قدوة يمكنة السير عليها ، ولا شك أن مثل هذا العمل مجهد وشاق ، لأن طريقة التدوين لتراثنا التشريعي القديم مختلفة عن طريقة العصر الحاضر واسلوبه ، فلم تكن مسائل التشريع قد ظهرت تحت مختلف العناوين كالتي نراها اليوم ، كانفراد مسائل القانون الدستوري أو القانون الدولي في باب مستقل ، بل نجد ذكر ما يتصل بذلك مفرقا في أبواب النكاح والخراج والجهاد والارث ، وكالقانون الجنائي نجد مسائله مبعثرة في أبواب الحدود والجنايات والديات ٠

فالحاجة تدعو اليوم الى أن يتفرغ عدد من علماء الاسلام يملكون نظرة تبصر وادراك في مسائل القانون الحديث ليسعوا الى ترتيب التراث وتبويبه ، ويستخلصوا مسائله في أسلوب عصر خال من تعقيدات الفلسفة والمنطق اليونانيين ، ومن ثم يسهل صب المواد التشريعية في قالب قانوني على غرار كتب القانون المعاصر ، والجهد المتصل الذي بذله الدكتور تنزيل الرحمن في " مجموعة قوانين اسلام " خير قدوة لمن أراد العمل على هذا الدرب ، ولكن الحذر الحذر في اقتفاء أثره في عقوباته المالية

وكل ما يتم صياغته من المواد التشريعية يجب أن يأخذ طريقه الى التنفيذ ، فيلغي جميع ما كان قائما مقامه من القوانين الوضعية ، وبهذا التدرج وارتباط الجهات بعضها ببعض نضمن اعادة شرع الله الى منصات المحاكم من جديد في مدة غير طويلة ، والتدرج في التطبيق أمر لا مفر منه لأن البناء الذي تهدم منذ قرنين تقريبا لا يمكن اعادة صرحه دفعة واحدة في أسبوع أو شهر أو

سنة أو بضع سنين .

والتدرج سنة من سنن الله الكونية ، تأخذ به كل امة تريد استبدال شرع بشرع ،أو نظام بنظام وهذه كتب التاريخ تحدثنا عن تدرج الانجليز فى التشريعات الوضعية فى الهند ، فلم تأخذ مجراها الى الشعب دفعة واحدة فى مدة محددة ،وانما ظل الفقه الاسلامى يتمتع بالتطبيق على الأيدى الحاكمة غير المسلمة مدة غير يسيرة ، وصرف الانجليز قرنا أو ما يقاربه فى تبديل نظام الهند وقانونها وسيمضى وقت غير يسير حتى يعود شرع الله بكل جزئياته الى حياة المسلمين ،ولكن ذلك لا يمنع من تنفيذ بعض التشريعات حالا ، كالحدود والقصاص ، وما انتهى العمل فى تجهيزه كالشفعة وقانون الاثبات .

وللإسراع فى الانجاز واختصار الطريق أمام عودة شرع الله عز وجل يجب اشراك العلماء وخريجى المدارس الدينية فى سلك القضاء — رغم ضحالة معلوماتهم ، وقلة ادراكهم للعمومات الشرعية لأنهم أوسع ادراكا للأحكام الفرعية الشرعية من خريجى الحقوق والكليات القانونية ، وأقل ما يملكه المتخرج فى المدارس الدينية فهم النص الاسلامى بلغته العربية ، دون الاعتماد على الترجمة ، وهذه الميزة غير حاصلة لخريجى الحقوق ولا المحامين الذين أضنوا حياتهم فى القراءات القانونية .

د — اصلاح التعليم التشريعى فى كليات الحقوق والمدارس الدينية :

يجرنا هذا الوضع الهزيل للتعليم القانونى الى الكلام عن اصلاح جذرى لسير الدراسة فى كليات الحقوق والمدارس الدينية معا ، فالتعليم الذى يناله طلبة الحقوق لا يسد الفجوة من وجهة نظر الاسلام لأن المتخرج يجهل الاسلام وتشريعه ، بل تصطبغ عقليته بصبغة النظريات والأفكار غير الاسلامية ويتربى على صفات تعين على تنفيذ القوانين الوضعية وتعيق تنفيذ التشريعات الالهية ،فما لم نغير هذا الوضع فلن تنتج كلياتنا رجالا يجدر أن تناط بهم وظائف القضاء والافتاء فى دولة مسلمة .

وفى المدارس الدينية يشحن عقل الطالب منذ البداية بالفروع الفقهية المختلفة ، ثم يدرس الحديث بعدئذ من هذه الزاوية الفقهية المحددة ،وهكذا القرآن ،فلا يهتدى الا الى الخلاف والنزاع ، دون الوفاق وما اتفق عليه ، وتغيب عنه مقاصد الشريعة ومطالبها العامة الشاملة ، وينحصر الدين عنده فى ترجيح مذهبه الفقهى على المذاهب الأخرى .

والحل الأمثل أن يلزم الحقوقيون بدراسة تشريع الاسلام دراسة ملمة ، وأن يوجهوا فى مراحلهم التعليمية ما قبل الكلية الى القرآن والسنة ، ليقتبسوا من نورهما الأسس التشريعية العامة ، وبعد التحاقهم بالكلية يجب أن يدرس لهم أصول الفقه الاسلامى مع مبادئ القانون متقارنين ، وتاريخ الفقه الاسلامى فى مختلف اطواره ، ثم يدرس لهم المذاهب الفقهية المشهورة بصدر منشرح وقلب حمول .

وبالنسبة للمدارس الدينية يجب تقديم دراسة الكتاب والسنة دون طرق الخلاف على دراسة الفقه وتعطى الأولوية لمسائل الاتفاق والشمول ، ويخفف حمل الطالب أثناء الدراسة من الخلاف ، واختلاف الآراء ، وبذلك نضمن ايجاد قضاة على المنهجين يحملون عبء المحاكم ، مع أهليتهم لصياغة أحكام جديدة تتفق مع طموحاتنا الاسلامية فى دولة راقية ، فتنسد قنوات الاستيراد ، ونقل التقنين من الغرب .

وما لم نقم بعمل جاد يناهض قانون الانجليز ، وما بذروه فى القضايا الاجتماعية وفى التعليم وفى المعتقدات الدينية سنبقى متأثرين بالغرب تابعين له ، مع تملكنا الاستقلال وتحرير الأرض والشعوب ، لأن الغرب قد احتاط لبقائه مدة أطول بالتأثير فى هذه الزوايا الأساسية الأربع ، وتعهدها بتربية أفراد على منهجه ، وايجاد فرق تحمل لواء الدفاع عن أفكاره فى تلك الزوايا ، وتشجيع أخرى محسوبة على الاسلام ، وذلك بتجميع أفرادها المشتتين ، وتنظيمهم تحت زعامة موحدة ـ عجلة قيادتها فى الأيدى الأوربية ـ تمثل الغرب من واقع الحياة الغربية ، وتحث المنتسبين اليها على السير وراء الغرب حذو القذة بالقذة ... كل هؤلاء موضوع الحديث فى الباب التالى .

* * *

الباب الثالث

((أثر الفكر الغربي في الفرق المنحرفة عن الاسلام))

(الفصل الأول)

((الشيعة — الاثنا عشرية ، البهرة ، الاغاخانية — وأثر الفكر الغربي فيها))

ويشتمل

على النقاط الرئيسية

التالية :

١ — ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة .

٢ — معنى التشيع .

٣ — الشيعة الاثنا عشرية وأثر الفكر الغربي فيها .

٤ — البهرة وظاهرة الإخفاء .

٥ — البهرة والاستعمار .

٦ — منابذه البهرة لأهل السنة أيام الاستعمار .

٧ — البهرة والربا .

٨ — تقويم البهرة وأثره في صوم رمضان والحج .

٩ — البهرة والتعليم .

١٠ — مرتكزات الاغاخانية المعاصرة (حسن بن حسن آلموتي ، صدر الدين)

١١ — التعاون العسكري بين جيش اغاخان وشركة الهند الشرقية .

١٢ — دور الانجليز في دعم امامة أغاخان .

١٣ — موقف أغاخان من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى .

١٤ — ولي عهد الامامة علي خان وقتاله في صفوف الغربيين في الحرب العظمى الثانية .

١٥ — بعض الأسس الاغاخانية .

١٦ — نشاطات الاغاخانية في باكستان .

الفصـــل الأول

ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة :

الفرق المنحرفة عن الاسلام كثيرة ، وتعاونها مع الفكر المناوئ لدين الله ممتد عبر التاريخ ، فما من معاد لله ولدينه الا ويجد المساندة من هذه الفرق ، فحين احتل الانجليز الهند وجدوا فرقا تناوئ العقيدة الصحيحة ، فاستفادوا من مقاومتها ،ووجهوا جهودها الى ما يقوى جانبهم ويمد فكرهم وسلطانهم بالبقاء أطول فترة ممكنة .

أضف الى ذلك أن المحتلين شجعوا كل فكرة تبعد المسلمين عن دينهم المنزل ، وساندوا كل زعامة تقف سدا بين المسلمين وبين العودة الى شرع الله ، فخرجت الى حيز الوجود فــرق بعقائد وتشريعات لم يعرفها الاسلام من قبل ، ونسبت الى دين الله أمورا ما جاء الا لمحاربتها ، وتمت الحلقة بانشاء فرق على يد الاستعمار ، تحمل لواءه ، وتدافع عن فكره ، وتنقض الاسلام باســم الاسلام ، وعلى ذلك يمكننا تقسيم الفرق التى استفاد منها الغرب وفكره الى قسمين : —

أ — فرق كانت موجودة قبل الانجليز ، فغذيت ورفعت المراقيل عن تعميم فكرها ، أهمها الشيعة بفرقها الثلاثة — الاثنى عشرية ، البهرة ، الاغاخانية — والصوفية .

ب — فرق لم تكن موجودة فوجدت بايعاز من الفكر الغربى تارة ، وتشجيعهــا أفكـارا وتشريعات لا عهد للاسلام بها تارة أخرى ، أهمها : البريلوية ، وأهل القرآن ، والقاديانيـــة ، واليك الحديث عن كل واحدة حسب تأثرها بالفكر الغربى على حدة .

معنى التشيـــع :

الشيعة بصفة عامة هم الذين يرون أحقية على بن أبى طالب دون غيره من الصحابة رضوان الله عليهم بالخلافة والامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الصعب تحديد الفترة الزمنيـة التى ظهر فيها التشيع بهذا المفهوم ، وإن كنت تراه فى مظهره العملى فى أواخر خلافـــــة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولا سيما ابان احداث استشهاده ، وما خلف ذلك من حرب الجمل وصفين والنهروان .

والامامة فى نظر الشيعة أصل من أصول الدين ، لا يصح التصرف فيه من عامة المسلمين ، فلم يلتحق الرسول صلى الله عليه وسلم بربه عندهم الا بعد أن نص على خليفته على رضى الله عنـــه

من بعده ، وأما سائر المسلمين فيرون الخلافة من المصالح التى يجب على المسلمين اقامتها عن طريق الشورى ، فيقوم المنتخب باقامة الدين وتطبيق العدل بين أفراد المجتمع المسلم وحماية الثغور ، وحفظ الحدود للدولة الاسلامية ٠٠٠

ويوجد فى شبه القارة الهندية من منطلق النص على الامامة ثلاث فرق شيعية : الشيعية الامامية الاثنا عشرية ، الشيعة الامامية النزارية ، الشيعة الامامية المستعلية ، ويتفق الجميع فى سوق الامامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل من على ابن أبى طالب ، فالحسن والحسين ، فعلى زين العابدين فمحمد الباقر ، فجعفر الصادق رحمهم الله ٠

ويفترق الاثنا عشرية عن النزارية والمستعلية بجعل الامامة بعد جعفر فى ابنه موسى الكاظم ، فعلى الرضا ، فمحمد الجواد ، فعلى الهادى ، فالحسن العسكرى ، فمحمد القائم وبذلك يتم لهم اثنا عشراماما فسموا بذلك ٠

واما النزارية والمستعلية فيسوقون الامامة بعد جعفر فى ابنه اسماعيل فمحمد بن اسماعيل ٠٠٠٠ ويتسلسلون بها حتى امامهم المستنصر بالله ، معد بن على عاشر الخلفاء الفاطمين فى مصر ، ولسوقهم الامامة فى اسماعيل وابنه يسمون بالاسماعيلية ٠ واختلفت المستعلية مع النزارية فى المنصوص للامامة من ابناء المستنصر بالله ، فوثق الأولون أن النص وقع على أحمد بن معد المستعلى بالله ، ويرى الاخيرون أن النص وقع على اكبر الأبناء نزار بن معد المصطفى لدين الله ، وبذلك انقسمت الاسماعيلية الى نزارية ومستعلية ، وبقتل نزار ابان الثورة على أخيه دخل أئمة النزارية دور الستر، ولم يخرجوا الى مجتمعهم الا بعد أن اقتنصهم الانجليز ، فظهر امامهم أغاخان " الأول " فى ايران فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر بعد الميلاد :

وخلف المستعلى ابنه المنصور بن أحمد الآمر بأحكام الله ، الذى اغتاله النزاريون عام ٥٢٦ هـ ، فخلفه ابنه محمد الطيب أبو القاسم الذى دخل دور الستر عن الأعين فى مهده ، ويعترف لأخلافه بالامامة الآن " البهرة الشيعة " بفرقها المتعددة ٠

وكل ما ذكرت مما يتصل بالامامة وتعاقبها موضع خلاف شديد بين أهل السنة والشيعة من جهة وبين الشيعة الاثنى عشرية والاسماعيلية من جهة أخرى ، وبين الطيبية والنزارية مرة ، وبين اتباع احدى الطائفتين فيما بينهم مرة أخرى ٠

الشيعة الاثنا عشرية وأثر الفكر الغربي فيها :

تشير المصادر الى أن التشيع الاسماعيلى أقدم وصولا من غيره الى أرض الهند [١] ، فلم تطأ أقدام الاثنا عشريةهذه الأرض علنا الا بصحبة همايون بن بابر المغولى [٢] وظل ساعده يقوى يوما بعد يوم ، وسلطانا بعد سلطان ، ولم يحد أحد من قوتهم الا السلطان أورنك زيب عالمكير رحمه الله [٣] ، وازداد الوضع سوءا بالنسبة لأهل السنة فى أواخر الدولة المغولية لتشيع بعض ملوكها ، أو تقديمهم الحماية والرعاية للمتشيعين .

ويصف هذا الوضع المرزى عبد المجيد سالك فيقول : " ازداد نشاط التشيع فى الهند أيام انحطاط الدولة المغولية حتى أصبح من العسير التفوه بذكر اسماء الخلفاء الثلاثة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، فشمر الشاه عبد العزيز بن الشاه ولى الله عن ساق الجد فى الرد على هؤلاء مع قلة مؤلفاته ، اذ لا نجد له سوى " تحفة اثنا عشرية " و " عزيز اقتباس " و " سر الشهادتين " . [٤]

هكذا نجد التشيع الاثنى عشرى استغل ضعف دولة المسلمين السنية ، فبسط سلطانه على منطقة أوده وما جاورها ، متخذا مدينة لكهنو مركزا لجميع تحركاته ، وساعده على ذلك وجود المستعمر الذى ظل يترقب كل تحركات أهل السنة السلمية والمعادية ، وبعد انتقال السلطة الى الأيدى الانجليزية عام ١٢٧٢ هـ لم يكن للاثنى عشرية بد من التأثر بما تأثر به أهل السنة ، لذا نجد أغلب الاتجاهات الغربية ـ سواء كانت عقيدية أو اجتماعية أو قضائية أو تعليمية موجودة فيهم كوجودها بين أهل السنة ، غير أن شعورهم بكونهم أقلية بين المسلمين السنيين ظل يحد من انجرافهم وراء التيارات والأفكار الغربية ، وأهم آثار النفوذ الغربى بالنسبة للشيعة الاثنى عشرية تتمثل فيما يلى :ـ

١ ـ الاحساس بالتميز والانحياز عن أهل السنة ، فنظموا صفوفهم انطلاقا من هذا الاحساس ، فمثلا نرى أن مدينة لكهنو ظلت عام ١٩٠٤م مركزا مشتركا بين الشيعة والسنة والهندوس لاخراج المحمل العزائى يوم عاشوراء [٥] ، وكان يشترك فى تلك المسيرة المحرّمية كل أولئك جنبا الى

---

(١) انظر عبد الحى الحسنى / الثقافة الاسلامية فى الهند ص ٢١٧

(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٥٦

(٣) انظر تاريخ المسلمين ... جـ ٢/ ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٩

(٤) مسلم ثقافت ... ص ٦٢٤ وانظر هندو ستان مين مسلمانون كا ... جـ ١/ ٢٧٨

(٥) لجهل أهل السنة حكم الشرع فى مثل هذا العمل غير المشروع .

جنب ، وفى تلك السنة أخذ خطيب الشيعة مقبول أحمد يثير الحفائظ ، ويلقى المواعظ المليئة بالسب والشتم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعلن تبرؤ الأثنى عشرية من خلافة الخلفاء الثلاثة ، رضى الله عن أصحاب رسول الله ، وذلك أول اسفين دق بين أهل لكهنو لتحقيق القولة الانجليزية الشهيرة " فرق تسد " سواء أدرك الشيعة ذلك أو لم يدركوه .

وأقصى ما وصل اليه المستعمر لاضرام النزاع بين السنة والشيعة أن اعتبر مدينة لكهنو مدينة شيعية يتعرض فيها أصحاب المصطفى رضى الله عنهم أجمعين للسب والشتم علنا ، ويحرم على أهل السنة تعظيم الصحابة ، وكم من دماء سنية اريقت دفاعا عن عقيدة أهل السنة .[1] ولولا يد المستعمر الخفية ـ بعد القضاء والقدر ـ لكان المجتمع الاثنا عشرى محدود الخلاف ، يرتبط بأهل السنة ولو فى الظاهر .[2]

٢ ـ والأمر الآخر الذى يرينا أثر الغرب فى الشيعة الاثنى عشرية هو فتح مدارس خاصة بهم فى الهند الموحدة ، والمعروف فى تاريخ التعليم الاثنى عشرى أنهم كانوا يتلقون تعليمهم الدينى فى ايران ولم يكن لهم قبل الاستعمار معاهد أو مدارس تستطيع اشباع ما تتطلع اليه نفوس الدارسين وأول مركز تعليمى اقيم لهذا الغرض على أرض الهند هو الجامعة الناظمية فى لكهنو ، التى أسسها أحد أثرياء تلك المدينة عام ١٨٩٠ م ، ثم ظهرت فيها الى حيز الوجود مدرسة "سلطان المدارس" بمساعى رهط من العلماء ورجال الجاه والمال ، وهما أشهر معهدين للامامية الاثنى عشرية فى شبه القارة الهندية كلها .[3]

وينقسم نظام المعهدين التعليمى الى قسمين :

١ ـ القسم الابتدائى ، ويقضى الطالب فيه تسع سنوات من عمره ، يدرس خلالها جميع المواد الابتدائية .

٢ ـ القسم العالى : ومدة الدراسة فيه أحد عشر عاما ، يتلقى الطالب فيها جميع العلوم الأساسية والآلية ، كترجمة القرآن ، وتفسيره ، والحديث ، وأصوله حسب التواتر

---

(١) انظر تفاصيل مثل هذا التشاحن ، وما أنتج من المصادمات الدموية عند أفضل حق فى تاريخ احرار ص ٢١٩ ، ومرزا محمد مسلمانان هندكى حيات سياسى "الحياة السياسية عند المسلمين الهنود" ص ٢٢٢ .

(٢) انظر بعض التفاصيل للدماء المراقة فى مجلة الفتح جـ ٨٩/١٢ ومسلمانان هندكى حيات سياسى ص ٢٢٢ .

(٣) انظر مراكز المسلمين التعليمية ... ص ٦٣ ، ٦٦ ومجلة الفتح جـ ٩/ ٧٢ .

المألوف عند الاثنى عشرية ، والفقه الشيعى ، والعقائد ، والنحو ،والصرف ، والمنطق ، وعلم الكلام والأدب العربى ،وشطر من التاريخ الاسلامى فالعالمى .(١)

هذا ويمنح المعهدان خريجيهما ثلاث شهادات : القابل (بكالوريوس) الفضيلة، ممتاز الأفاضل أو صدر الأفاضل ،ويختصان بطلبة الشيعة ،ولا يسمح بالالتحاق بهما الا للطالب الاثنى عشرى أضف الى ذلك أنهما يقومان باعداد طلبتهما لأداء الامتحانات فى الجامعات الهندية الرسمية (٢)

وبلغ عدد المدارس الاثنى عشرية فى باكستان حسب احصاء الحافظ نذر أحمد ثمان عشرة مدرسة (٣) فالتعليم الاثنا عشرى برمته فى الهند كلها مدين للاستعمار، وملة من منة على تلك الطائفة ، هدف من ورائه اعانة الطوائف التى انحرفت عن جادة الحق ، وشغل المسلمين بعضهم ببعض .

البهرة وظاهرة الاخفاء:

تشير المصادر التى بحثت عن أصل كلمة " البهرة " أنها مأخوذة من فيوهار Vehru التى تعنى التجارة فى اللغة الكجراتية الهندية ، فالبهرة هم التجار ،وسموا بذلك لأن السواد الأعظم من تلك الأمة تعمل فى التجارة منذ ارتباطهم بعهد الاسلام (٤) ، ومركزهم الحالى هو مدينة " سورت " فى الهند ، وتشير رواية البهرة الفريدة أن أحمد المصرى أول اسماعيلى وطئت قدماه أرض كهنبايت فى الهند ، بأمر من المستنصر بالله الفاطمى لنشر الدعوة الاسماعيلية فى تلك الأرجاء . (٥)

ويعتبر البهرة بوضعهم الحالى ورثة الفاطميين المصريين ، وامناء دعوتهم عقيده وتشريعا ، ومؤلفات العهد الفاطمى هى المصادر المعتمدة لباطنيتهم دون ريب ، وإن كنت ترى أن عامتهم قد تأثر بالهندوسية والفكر الغربى معا فى الأونة المعاصرة ، وأخذ يتخلص من قيود التكتم

---

(١) انظر للتفصيل مراكز المسلمين ... ص ٦٤ (٢) انظر مراكز المسلمين ... ج ٦٦،٦٤

(٣) انظر جائزة مدارس عربية ص ٨٠٨.

(٤) انظر ابجد العلوم ... ج ٣ / ترجمة محمد طاهر فتني والاستاذ زاهد على البهرى تاريخ فاطمين مصر ج ٨٤/٢ ، ومحمد نجم الغنى فى مؤلفيه سلك الجواهر فى أحوال البواهر ص ٤١ ومذاهب الاسلام ص ١٢٣ والسيد أبا ظفر الندوى كجرات كى تمدنى تاريخ " تاريخ كجرات التمدنى "ص ٨٨ .

(٥) انظر عبد على سيف الدين ، مجالس سيفية المجلس التاسع ، نقلا عن السيد أبى ظفر الندوى عقد الجواهر فى أحوال البواهر ص ٦٣ والثقافة الاسلامية فى الهند ص ٢١٥ ، وسلك الجواهر ص ٤١ .

والانزواء ،وأسرار الدعوة وفلسفة اليونان ، غير أن زعيمهم (الداعى المطلق) ما زال محـور الحركة والتكتل ، لذا لا يسهل النفوذ اليهم ، والوصول الى ما عندهم ، وما يحتفظون بـه من وفاق أو خلاف مع شرع الله ويعود ذلك الى سببين :ـ

١ ـ ان قوام الدعوة الاسماعيلية هو الإخفاء ،وعدم العمل فى وضح النهار ، فإن كان أعداؤهم الأمويون والعباسيون فى الأزمنة الغابرة أجبروهم على ذلك السير فقد تمت لهم السيطرة علـى جزء غير يسير من العالم الاسلامى ، ابان عهد الفاطميين فى مصر ، والصليحيين فى اليمن ، غير أن دعوتهم لم تظهر من وراء القضبان الحديدية ، وما تزال كذلك رغم انتشار العلمانيـة والالحاد فى الدول التى يسكنونها الآن ، وإنهم اليوم فى مأمن على أرواحهم وأعراضهم ـ وأموالهم ان أرادوا الكشف عما يبيتون فى ظلم الليل .

فالبهرة كاليهود ،لا يسمحون لأحد باعتناق مذهبهم ، مالم يولد من أصل بهرى ، لذا يقول المرزا محمد سعيد أحد المعتمدين فى وزارة التعليم فى الهند " إن البهرة على العموم امـة محصورة ، لا يصح لفرد غير اسماعيلى الآن اعتناق مذهبهم البتة ، كما أن أواصر النكـاح تدور فيما بينهم كالحلقة المفرغة "[(١)] وفى زنجبار التى قطعت حبل الاتصال بين زعيم البهـرة وأتباعه ـ حاولت كسر هذا الطوق بجر العديد من البهرة الى التكلم عما يدينون فلم أفلـح ، وكادوا أن يتفقوا على قولتهم العامة " المذهب كالذهب يجب اخفاؤه " .

٢ ـ الداعى المطلق هو الحاكم الفعلى لجميع أفراد البهرة الشيعة ، له الأمر والنهى ، والاسود والأبيض بكل ما تحمل هذه الكلمات من معان ، فلا يصح من بهرى أن يؤم المصلين الا بأذنـه ولا يحق له أن يعمل عملا خيرا من بناء مستشفى أو مدرسة ... الا بأمره ، ولا ينعقد نكـاح البهرة الا اذا عقده الداعى أو من أذن لـه من عماله ، كما لا يصح من متبع الداعى أن يدعو الى المشاركة فى مراسم النكاح والزواج من ليس ببهرى الا باذنه أو باذن عامله .[(٢)] لذا يقـول الدكتور زاهد على البهرى ـ الخبير بما فى البيت ، وما يعانى أهله من أزمات ـ فى أهـم مؤلف نشر عن البهرة المعاصرة حتى الآن : " ومما يجدر ذكره أن المذهب الاسماعيلى منـذ

(١) مذهب اورباطنى تعليم " المذهب والتعليم الباطنى " ص ٣٢٤.
(٢) انظر كامثلة واقعية لهذا الاطار الحديدى فى " عقد الجواهر فى أحوال البواهر " ص١٢٤، ٢٨٥، ٣٥٩، ٣٨٠ .
ومذهب اور ... ص ٣٢٤ .

وجود الدولة الفاطمية حتى طوى فراشها لم يظهر على الملأ قط ، لأن منظمة الاسماعيلية المسماة بالدعوة أمر مستور ، فالستر والاسرار مما جبل عليه المذهب ، ومن هنا لا تكشف اسراره لكل أحد ، حتى إن الدارس الاسماعيلي لن يتلقى علم التأويل الا بعد عهود ومواثيق ، اما علم الحقيقة فلا يصل اليه الا الشاذ من البهرة ...

" وفى الآونة الحالية نستطيع ان نعد اخواننا العارفين بحقيقة المذهب الاسماعيلي على الأصابع ، ولتلك الندرة والقلة سببان : أولهما : ان لغة كتبنا الدعوية هى العربية (1) وثانيهما صعوبة الحصول على الاذن لقراءة كتاب من تلك الكتب " (٢)

ومن هنا يجد البهرة منافذ الخروج مما يلزمهم به أهل السنة ، ويتنصلون من تصرفات زعمائهم ، ومالكى نواصيهم إن ألمت بهم الملمات ، ولكن نجد من الظواهر ما هو موضع اتفاق بين العامة والخاصة من البهرة ، وتخالف شرع الله ، بغض النظر عن أن تكون تلك الظواهر من صميم الفكر الغربى ، أو ترتبط به برباط لا يرى بالعين المجردة ، واليك أهم تلك الظواهر :

* البهرة والاستعمار :

لن استرسل فى الحديث عن تعاون البهرة مع الاستعمار الانجليزى ، لأنه من المعروف أن الاستعمار اينما حل كبت الأغلبية لحساب الأقلية ، وساند المنحرفين على المستقيمين ، وهذا المسلك يستلزم تعاون الاقلية مع المستعمرين ... ، لذا لا نجد مقاومة تذكر من البهرة المالكين لشواطئ الهند تجاه الانجليز المغيرين على سلطة المسلمين مع تعارض مصالح الطرفين بعضهم تجاه بعض فى العلن ، وسأحصر بحثى فى هذه النقطة بعرض موقفهم من عدة احداث هامة لتصل من ورائها الى النتيجة دون عناء .

أ — فى عهد الداعى الرابع والأربعين محمد عز الدين وقعت سرقة ضخمة من مسكن اللورد الفنستن المسئول عن شركة الهند الشرقية عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٦م فى بومباى ، وكان من ضمن المسروقات سجلات الشركة الرسمية ، وبعض الأشياء الثمينة ، وحاولت الشركة القبض على المجرمين ، واعادة المسروقات فلم تفلح ، فاتصلت بنائب داعى الهند ، والتمست منه العون فى ذلك ، فرحب

---

(١) عامة البهرة لا يعرفون سوى اللغة الكجراتية .

(٢) همارت اسماعيلى مذهب كي حقيقت اوراس كانظام " مذهبنا الاسماعيلي حقيقته ونظامه " ص ١٢١

بذلك الطلب ،وتمكن خلال بضعة أيام من رد السجلات دون غيرها ، ومنذ ذلك الحين وطدت العلاقات بين الطرفين ، وأصبح فرض عين على كل رئيس للشركة الاتصال بالداعى طلبا لمعونته فى استتباب الأمن ، والرسائل المتبادله بين الطرفين خير شاهد لهذا التعاون .(١)

ب — قتل العالم . رمضان على السنى فى حى البهرة بمندسور فى ٢٥ / ربيع الثانى ١٢٣٩هـ فى عهد الداعى الخامس والأربعين على أيدى حرسه الخاص ، وحاول السنيون أخذ ثأره بمحاصرة مسكن الداعى فاستنجد بالانجليز ، فأسعفوه بثلاثة كتائب من جيشهم المسلح ، ثم شرعوا لـه قانونا يخوله اقامة كتيبة مسلحة تحفظه وتحفظ اتباعه فى كل نازلة وآفة ،ولما حاول العلامة مظهر على المطالبة بدم الفقيد حكم عليه بالسجن المؤبد من قبل محكمة انجليزية (٢) ، وما زال ذلك الدم البرئ معلقا بذمتهم حتى الآن .

ج — فى عهد الداعى السابع والأربعين عبد القادر نجم الدين (١٨٤٥م — ١٨٨٥م) توطدت علاقات البهرة مع الدولة المستعمرة أكثر من كل العهود السابقة ، نتيجة التعاون الوثيق بين داعى البهرة والحكام وظهرت نتيجة التعاون فى الامتيازات التى وهبت له ، فقد أعتبرته الدولة أعظم رؤساء منطقة دكن على الاطلاق ، واستثنته من قانون حمل السلاح ، وحمته من المثول أمام القضاء المدنى ، ولا زال الدعاة يتمتعون بهذه الميزات حتى اليوم .(٣)

د — أما الداعى الحادى والخمسون طاهر سيف الدين فتعاونه مع المستعمرين مازال حديث الشيوخ ومن طال بهم العمر حتى الآن ، فما أن تولى سدة الدعوة الطيبة أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٥م حتى أعلن ولاءه للدولة الحاكمة ، ويعبر الشيخ أبو ظفر الندوى عن هذا الاخلاص المتفانى فيقول : " ظلت علاقاته مع الدولة حسنة على الدوام ، والدولة بدورها أقرت لـه بكل الامتيازات الممنوحة للدعاة السابقين ، لذا اعترفت له بالامير الممتاز فى ولاية دكن كلها ، وفى الحرب العظمى قدر سيدنا طاهر سيف الدين الموقف حق التقدير ، فظهر بعد نظره

---

(١) انظر عقد الجواهر ص ٢٤٣، ٢٦٢.
(٢) " " " ص ٢٤٦، ٢٦٣.
(٣) انظر عقد الجواهر ص ٢٥٨.

فى الاخلاص للدولة ، وانقاذها بكل السبل الممكنة ، فوهب لها أموالا طائلة ، وأقرضها أخرى[١] وحث الاتباع على نهج هذا المنهج ،[٢] وقد مدت هذه اليد المنقذة الى المستعمرين حين كانت حركة الرسائل الحريرية المسلمة تخطط لطردهم ، وحين كان المسلمون موقنين أن الغرب يريد أن يمزق الخلافة العثمانية — رمز وحدة المسلمين — ويرغب فى الاجهاز عليها ، وتوزيع ثروتها من الولايات المسلمة بين الغاشمين الأوربيين .

منابذه البهرة لأهل السنة أيام الاستعمار :

لم يتجرأ البهرة الداؤدية على خصام أهل السنة طوال تاريخهم المديد على شواطئ الهند كتجرؤهم بعيد الحرب الكبرى الأولى ، ولم تشهد ساحات المجتمع البهرى نشاطا علنيا يعادى أهل السنة الا فى هذه الفترة ، وبدأت المعركة الكتابية بين الطرفين حين ألف داعى البهرة طاهر سيف الدين كتابه " ضوء نور الحق المبين " وأمر بطبع خمسة آلاف نسخة منه . وكلف أتباعه بقراءته على جموع البهرة ، وفى مجالسهم الخاصة والعامة .

وان تصفحنا الكتاب نجد المؤلف يكفر جميع أمة التوحيد ، ما عدا أتباعه الداؤدية فنراه مثلا يحكم على من لم يؤمن به بقوله " من لم يؤمن بى ، ويعترف بأنى داع له يجب عليه اتباعى ، لا يقبل منه توحيده ، أى ليس بمسلم البتة ... ومن يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة لا تقبل منهم كلمة الشهادة ، بل تضرب بها وجوههم ، وليسوا بمسلمين " .[٣]

ويحكم على المنشقين عن طاعته بقوله : " ان الحبل الذى أمركم الله الى الاعتصام به أحد طرفيه بأيديكم ، وهو أخوكم وأقل عبيد امامكم الذى يدعوكم اليه ويهديكم ، والطرف الآخر الذى بيد الله منتهى حدود عالم النفس ...، فمن زعم أن معرفته لنبيه أو وصى نبيه أو امام زمانه تكفيه دون معرفة داعيه فقد ضل عن قصد السبيل ، وباء بالعذاب الوبيل ، وكلمة شهادته لله غير مقبولة "[٤]

---

(١) عقد الجواهر ج ٢٧٨ وانظر لمزيد من التفصيل عن احداث الحرب وموقف البهرة منها ص ٢٨٣ — ٢٨٤

(٢) انظر عقد الجواهر ص ٢٨١ (٣) ضوء نور الحق المبين ص ٣٣ — ٣٤

(٤) ضوء نور الحق المبين ص ٣٥

فهب المسلمون بالرد عليه أفرادا وجماعات ، محاولين التعرف على حقيقة البهرة وخرجت الصحف تحمل العديد من المقالات التى تفضح المزاعم البهرية ، وقد تبرع حاجى أحمد من مدينة سورت بجمع خيرة الردود وطبعها باسم " سيف بردين فى الرد على ضوء نور الحق المبين " سيف الشرع فى الرد على ضوء نور ... " فخمدت تلك الجذوة ، وعاد البهرة الى التكتم من جديد .

البهرة والربا :

من الأمور المسلمة لدى بهرة اليوم أمر الربا ، فقد أباحوه أخذا واعطاء ، ولم يختلف قولهم عن قول حكام الهند المحتلين ، ومن الصعب تعيين الداعى الذى أباح لهم هذا التعامل " كما أن الصعوبة تكتنف الربا فى كونه مستحدثا فى عهد السادة الاوربيين ، أو انه تعومل به فى الخفاء دون العلن قبل مجىء هؤلاء ،غير أنه لم يبرز على الساحة علنا كظاهرة تعامل دون خلاف الا فى عهد الانجليز ، ومن هنا نص الشيخ محمد نجم الغنى ان البهرة يتعاملون بالربا علانية اعطاء وأخذا .[1]

تقويم البهرة وأثره فى صوم رمضان والحج :

عمدة التقويم الاسماعيلى اتمام شهر محرم بثلاثين يوما ، ونقصان صفر ، واكمال الربيع ،ونقصان أخيه ، واتمام جمادى الأولى ، ونقصان الآخرة ، واتمام رجب ، ونقصان شعبان ، واتمام رمضان ونقصان شوال ، واتمام ذى القعدة ونقصان ذى الحجة مالم تكن السنة سنة كبيسة[2] وينسبون هذا التقويم الى جعفر الصادق رحمه الله .

ويبنى على هذا التقويم تقديم يوم أو يومين عن عامة المسلمين فى صيام رمضان ، وعيد الفطر ،

---

(١) انظر مذاهب اسلام ص ١٢٤ وسلك الجواهر فى أحوال البواهر ص ٦٧ وعقد الجواهر ص ٣٨١

(٢) السنة الكبيسة هى التى يصبح شهر ذو الحجة فيها ثلاثين يوما ، ويعرف ذلك بأن تقسيم السنة الهجرية التى تود معرفة الكبيسة فيها بعدد الثلاثين فان كان المتبقى (٢ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ،)تكون السنة كبيسة ./ انظر محمد حسن الاعظمى ،نظام الصوم عند الفاطمين ص ١٣ ، ١٤ ، ٨٥ وعقد الجواهر ص ٨٥ ومذهب أوربا طنى تعليم ص ٣٢٣ .

والوقوف بعرفة ، ولربما امتثل له الاسماعيلية منذ ايجاده فى الخفاء ،ولكنهم لم يظهروا به كمنشقين عن عامة المسلمين طوال احقاب التاريخ الماضية ، ويبدو أن الفرصة لم تواتهم لاظهاره الا بعد استيلاء الانجليز على الهند .

ويبرر الشيخ أبو ظفر الندوى موقف البهرة فيقول : " من الأمور المشهورة عند المؤمنين — البهرة — حديث نقصان شعبان على الدوام ، واتمام رمضان الى الأبد ، والآية القرآنية : "ولتكملوا العدة " [1] خير شاهد لذلك ، والمراد من الاتمام ثلاثون يوما ، ومن الناقص تسع وعشرون يوما ، لذا نجد على العموم أن صيام المؤمنين تبتدئ قبل عامة المسلمين بيوم أو يومين ، ومثله العيد ، فإنهم يعيدون قبلهم بيوم أو يومين " . [2]

وان عدنا الى الحج نجد البهرة يقدمونه أيضا عن عامة المسلمين يوما أو يومين بناء على تقويمهم الخاص ، وينقل الشيخ محمد نجم الغنى عن أحد حجاج البهرة فى أداء مناسك الحج قوله فيقول : — " اناوصلنا عرفات قبل الناس ، كما وصل اليها اسماعيلية اليمن ... وقد أدى جميعنا مراسم الحج قبل الناس بيومين ، وحين تجمهرنا فى عرفات تحت قيادة عالم اسماعيلى يمنى أحاط بنا جمع من أهل السنة ، وسألونا عما نعمل قبل الوقفة ، فأجبناهم بقراءة أدعية مأثورة ، فانصرفوا بعد سماع هذا الجواب الساذج ، ثم انصرفنا الى مزدلفة ، وقضينا فيها ليلتها جوار طريق الطائف الذى يسلكه الحجاج القادمون من هذه المدينة ، وكلما سألنا الجمع السنى القادم الى عرفة عن سبب انصرافنا عنها أجبناهم بأنا قادمون من الطائف ، سننزل مكة ، ثم نقدم منها الى عرفة ، وهكذا قضينا تلك الليلة ، ثم عدنا الى عرفة ، وسرنا شركاء لعامة الحجيج " . [3]

البهـــرة والتعلـــيم :

يتبع البهرة فى باب التعليم نظرية افلاطون ،التى فحواها أن التعليم يجب ألا يبتذل ، فلا يستقى منه الا أشخاص معدودون ، ذوو صفات معينة من الذكاء وتذوق العلم ، لكى لا تضيع جهود المعلم سدى ولا يتطرق الكساد والتدنى لمستويات التعليم .

---

(١) البقرة آية : ١٨٥ . (٢) عقد الجواهر ص ٣٤٠ .

(٣) سلك الجواهر ص ٨٢ — ٨٣ ولم يذكر الشيخ اين باتوا الليلة الثانية ، انظر للتفصيل عقد الجواهر ، ص ٣٣٩ .

وبما أن نظام الدعوة عند البهرة قائم على غرار نظام الفاطميين المصريين ، فلم يكن لهم بد من أن يتبعوا تلك النظرية ، ويبدو أن دعاة الهند المطلقين سايروا النظرية بحزم مرة ، وبلين أخرى ، حتى عهد الداعى الخامس والأربعين طيب زين الدين (١٨٢١ — ١٨٣٧م) فإنه تمسك بالنظرية تمسك الواجد ضالته ، فوضع لتعليم البهرة الدينى شروطا وحدودا ، يجب أن يمتثل لها المعلم والمتعلم فنص ضمن الاصلاحات التى نفذها فى باب التعليم على انه " لا يجوز لاستاذ أن يدرس سوى الكتاب المقرر ، ولا يصح منه أن يدرس فوق درجته العلمية التى يحملها ، ولا يطلع على كتب أهل الظاهر الا باذن ، ولا يعلمها لغيره الا بعد استئذان ، ويحرم عليه أن يلقن العلم لغير مستحقه ، كما يحرم على الطالب الاطلاع على غير مقرره ". [٢]

وأشهر معاهد القوم العلمية على الاطلاق هو الجامعة السيفية فى مدينة سورت بالهند ، ويعود تاريخ وجودها الى عام ١٢٢٠ هـ ، ابان عهد الداعى الثالث والأربعين [٣] ويقدر عدد الطلبة الآن بحوالى خمسمائة طالب ، ينقسمون الى ثلاثة أقسام تمشيا مع قسمة العلوم عند القوم ، فيقضى الطالب السنوات الخمس الأولى فى دراسة علم الظاهر " علم الفقه " كالنحو والمنطق والأدب ... ، ويصعد سلم الصفوف العلمية كالتالى :—

يسجل مثلا خمسون طالبا فى الصف الأول ، فيدرسون النحو والصرف والأدب ، فمن عرف عنه قلة الوعى ، أو عدم الاستيعاب أو سوء الخلق يوصد باب التعليم امامه ، وهكذا الى نهاية السنة الخامسة ، فلا يصفو من الخمسين بهذه الطريقة عند نهاية المرحلة الأولى الا النصف أو ما دون ذلك ، فيمنحون شهادة "ملّا" ثم ينقل الناجحون إن أرادوا مواصلة الدراسة الى المرحلة الخمسية الثانية لدراسة " علم التأويل " وتصفو تلك المرحلة على الأربعة أو الخمسة من ذلك العدد ، فلا يصل الى القسم الأخير من علوم البهرة "علم الحقيقة " الا شخصان أو ثلاثة .

---

(١) انظر تفاصيل النظرية . وحججها فى عقد الجواهر ... ص ٣٧٦ وما بعدها .

(٢) عقد الجواهر ص ٢٥٢.

(٣) وهو عبد على سيف الدين وسمى المعهد باسمه .

ونشاط البهرة في باب التعليم ، وعلانية التدريس مدين للانجليز ، لما وفروا لهم من الحماية المطلقة [illegible] ولعل آخر نشاط البهرة في باب التعليم هو افتتاح فرع للجامعة السيفية بمدينة كراتشي الباكستانية في ذي الحجة عام ١٤٠٣ هـ ، وقد شارك في افتتاحه [illegible] زعماء بعض الدول الاسلامية ، كما أن وجودهم خارج شبه القارة الهندية وبلاد اليمن مدين أيضا للانجليز ، اذ هيأوا لهم سبل الهجرة الى كل بلد استعمروه في أفريقيا أو آسيا ، فنجد لهم اليوم أقليات ذات ثقل اقتصادي في الدول الأفريقية الشرقية .

مرتكزات الاغاخانية المعاصرة :

يرتكز بناء النزارية المعاصرة (الشيعة الامامية الاغاخانية) في ضوء مصادرهما المعتمدة اليوم على شخصيتين تاريخيتين : هما امام الاغاخانية حسن بن حسن بن محمد بن علي ابن نزار الفاطمي ، والمسير (الخليفة) صدر الدين ، الذي حمل عبء نشر الدعوة بين الهنود والسند آبان عهد امام النزارية اسلام شاه ، في الربع الأخير من القرن الثامن والربع الأول من القرن التاسع الهجريين ، ولفهم الاغاخانية المعاصرة يجب فهم هاتين الشخصيتين ، واليك الحديث عنهما بقدر ارتباط القوم بهما باختصار .

حسن بن حسن [illegible]

يعد حسن بن حسن الامام الرابع والعشرين من أئمة الاغاخانية ، ويحتفون في صفوفهم بحسن "على ذكره السلام" وهو العمدة في ربط نسب الأئمة الثلاثة ، الذين تولوا الامامة بعد نزار ، فمنذ استيلاء الحسن بن الصباح الحميري على قلعة آلموت (تعليم العقاب) سنة ٤٨٣ هـ الواقعة جنوب بحيرة قزوين الإيرانية الروسية ، هرب الرضيع علي بن نزار اليه ، على حد الرواية الاغاخانية ، بيد أن التاريخ يجهل من تناسل عن علي بن نزار على فرض وجوده ، الا بعد جيلين أو ثلاثة على اختلاف في الروايات الاسماعيلية النزارية ، ولا ينبني على اختلاف

النسب فيما نحن بصدد الحديث عنه شئ ، وإن كان ذلك هو الأساس الذى يخضع النزارية بموجبه لسلالة اغاخان اذ الجميع يتفق أن الحسن الكيانى أو النزارى احتفل بتولى الامامة وسمى احتفالاته "بعيد القيام" أو القيامة .[1]

ويقول السجل الرسمى الاغاخانى (نورمبين حبل الله المتين) عن خطبة عيد القيام لحسن " لقد جمع الامام حسن على ذكره السلام المتوفى سنة ٥٦١ هـ جميع أفراد الاسماعيلية فى مملكته ، وبعد أن علا على عرش الامامة والدولة قال مخاطبا اتباعه ومخاطبيه ظهر بواسطتى قائم القيامة ، وانى امام الزمان ، وإن الأوامر والنواهى عادات وتقاليد اتى بها الشرع ، وأنى أرفع عن أهل الأرض كل تلك التكاليف ، لأن الزمن زمن القيامة " فاحتفل كل اسماعيلية الموت بذلك اليوم ، وعرف فى التاريخ يومهم هذا بيوم عيد القيام ، ثم قال الامام مفسرا القيامة لاتباعه انى أعفيكم من جميع القيود الشرعية ، وفتحت لكم أبواب الرحمة ، لقد اطلعتكم جميعا فى هذه الدار العاجلة على اسرار الشريعة والقيامة .

" وإنى امام الزمان ، وإن الوضع وضع حرب ، فلا حاجة لكم الى التفكير وشغل البال ، فان ظللتم مشغولين بالاختلافات ستقتلون ، وما الشريعة الا اصول (نظريات) وان الحرب هى الأعمال ، وان الزلفى الى الله طريقها الأعمال فحسب .

"ثم نزل الامام رضى الله عنه بعد الانتهاء من الخطبة عن العرش ، فبارك مستمعيه قائلا : إن هذا اليوم يوم عيد ، أفطروا[2] وأقيموا الأفراح والاحتفالات ، فامتثل الاسماعيلية أمر الامام ، وقضوا يومهم المبارك بكل ما يليق به من ابتهاج وسرور وأخذوا يقيمو ن ذكراه كل سنة ، بعدان اتفقوا على تسميته " بعيد القيام " .

فمنذ عيد القيام أعفى الاسماعيلية النزارية من التكاليف الشرعية ، فلم يعودوا فى حاجة الى الصلاة والصوم والحج .... لذا نجد فرع النزارية " الخوجة " سواد الأغاخانية وأغناهم مالا

---

(١) انظر مصطفى غالب اعلام الاسماعيلية ص ٢٢٩ والاستاذ محمد كامل حسين طائفة الاسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها ص ٨١ — ٨٢ ونور مبين ٣٣٩ ، ومذهب اور ... ص ٢٩٩.

(٢) تحدد بعض المصادر هذا اليوم باليوم السابع عشر من رمضان عام ٥٥٨ هـ أو ٥٥٩ هـ / انظر مذهب أور باطنى تعليم ص ٢٩٩ ، وطائفة الاسماعيلية ص ٨٢ .

لا يلتزمون بالأعمال الشرعية الظاهرية ، ويدّعون أن معرفة الامام والمحبة والاخاء بين البشر كافية لنجاة الانسان فى هذه الدار العاجلة ، لذا احلوا " جَمَاعَت خانه " مقام المسجد ، وعوضوا الصلاة والصوم ... بتقديم هدايا عينية ، أو مالية الى الامام الذى ينتسبون اليه .(١)

البير صدر الدين الاجي : (٧٠٠ — ٨١٩ هـ)

منذ قضاء هولاكو على القلاع الاسماعيلية فى سَرخوشت وآلموت عام ٦٥٤ هـ ، ١٢٥٨ م فقدت النزارية كرسى الحكم فى شمال ايران ، وتحول حكامها وعامة أفرادها الى التجارة والزراعة كافراد مسالمين ، وحقيقة وضعهم فى ايران لا تعدد ما قاله قاضى بومبائى ارنولد فى ١٢ / نوفمبر ١٨٦٨م عند اصدار الحكم فى القضية التى حاول بعض الخوجة عن طريقها الفكاك من الالتزامات المالية لاغاخان ، وقد لخص المرزا محمد سعيد حكم ارنولد بقوله : " الشهادات التى قدمت من طرفى النزاع تجيب على التساؤل : من هو اغاخان ؟ وما صلته بالخوجة ؟ وخلاصة جواب القاضى على التساؤل : هى أن الحاكم الرابع لآلموت حسن على ذكره السلام كان يدعى الانتساب الى نزار ، وانى لفى شك من ذلك ، وان حسن واخلافه يذكرون فى نسب أغاخان .

" وقد قضى على آلموت عام ١٢٥٨ م غير أن الطائفة الاسماعيلية ظلت فى ايران والشام ومنذ ذلك الحين حتى ظهور اغاخان الأول لا نجد فى التاريخ ذكرا لمن ينتسب اليهم أغاخان ، الا اسلام شاه الذى تعترف روايات الخوجة بامامته ، وكان داعيته البير صدر الدين "(٢)

ويبدو أن النزارية منذ تشتيت هولاكو أخذت تبحث عن أرض بكر تفرخ فيها وتكون فى مأمن من هولاكو وامثاله فى المستقبل ، فانحدروا صوب الجنوب الشرقى ، وركزوا دعوتهم فى بلاد كشمير ووادى كلكت وجترال وبلاد السند والبنجاب وسواحل الهند ، وأرسلوا الدعاة اليها بالتتابع .

---

(١) انظر همارا اسماعيلى ...ص ١٢٢ ، ٦١٤ .

(٢) مذهب اورباطنى ص ٣٦٢ .

وانجح الدعاة على الاطلاق وأوسعهم نشاطا هما البير صدر الدين (٧٠٠ ـ ٨١٩) هـ الذى كلفه امام النزارية اسلام شاه (٧٧١ـ٨٢٧هـ) بتبليغ الدعوة الى الهنود ، والبير حسن كبير الدين (٧٤٢ ـ ٨٨٣ هـ) النزاريين الاسماعيليين .

ويلخص محمد على جنارا أعمال البير صدر الدين للدعوة النزارية فيقول : " وتفانى البير صدر الدين للدعوة الى الاسماعيلية فى الهند ، فاثمرت جهوده باسلام الألوف من الهندوس الشاسترية[1] فاقروا بكلمة التوحيد ... ، وسمى البيرجميع هؤلاء المسلمين الجدد "بالخواجة" التى تعنى التاجر ، والرجل المكرم ، وصاحب الدار ، ثم خففت هذه الكلمة ، فأصبحت تنطق بالخوجة "[2] واتخذ هذا الداعى مدينة كوترى بالسند مركزا لدعوته النزارية ، ومات فى بلدة اج " Uch " البنجابية ودفن بها .[3]

ويمكننا أن نقدر مكانة البير صدر الدين فيما تدين له النزارية من الفرمان (الأمر السامى) الذى أصدره سلطان محمد على شاه (الاغاخان الثالث) فى مدينة بونا الهندية مخاطبا اتباعه " ان دينكم أفضل الأديان ، وأصدقها وأعلاها منذ القدم ، وان هذا الدين قدأعطاكم اياه البيرصدر الدين بعدبحث وتنقيب ، فيجب عليكم حفظه ، وعدم التفريط فيه "[4]

ويتضح من هنا ان معتقدات الاغاخانية وتشريعاتهم خليط من فرامين الأئمة ، منذ عهد الظهور الاخير وأقوال الدعاة التى تنحصر بين دفتى كينان Ginans "القصائد الدينية "[5] والذى ينبغى التنبه اليه أن أقوال الدعاة تختلف من منطقة الى أخرى ، ومن داع الى آخر ، لذا نجد العديد من الاختلافات بين بعض الطوائف الاغاخانية ، فنجدهم مثلا شبيهين بالهندوس فى العادات والتقاليد فى المدن الهندية الساحلية[6] دون مركزهم فى هنزه بباكستان ، وما جاورها من المناطق الجبلية ، وهكذا فى كل منطقة يسكنونها نجدهم متلبسين بعادات البلاد وتقاليدها .

---

(١) طبقة من الشعب الهندوسى . (٢) نورمبين ص ٤٩٧ . (٣) انظر نور مبين ص ٤٩٩ .
(٤) مجموعة فرامين بونا ، فرمان رقم ١٠٢ وتاريخه ٢٨/٦/١٩٠٨م نقلا عن مولوى عبيد الله ، مذهب اسماعيلية قرآن وحديث كي روشني مين (المذهب الاسماعيلى فى ضوء الكتاب والسنة ص ١٣٢ . (٥) الكنان هو بمثابة القرآن لدى الاغاخانية ، وهو كتابهم المقدس ـ ويضم بين طياته أقوال العديد من الدعاه اشهرهم البيرصدرالدين والبير شمس الدين ، والسيد أمام شاه . (٦) انظر كأمثله مشتركة واقعية بين الهندوس والاغاخانية أصول شرع الاسلام ص ١ .

وحاصل القول أن المجتمع الاغاخانى الأفريقى غير مجتمع الخوجة فى الهند وغير مجتمع كلكت والسند ،ورابطة الاتفاق بينهم أمور معدودة كالخضوع لامام واحد وقبولهم أقواله ، واعطائهم له العشر مما يكسبون ، وتقديم الهدايا للامام فى العديد من المناسبات .

ويطول الكلام لو درسنا كل مجتمع أغاخانى معاصر على حدة ، وقارنا بينه وبين غيره من المجتمعات الاغاخانية اتفاقا واختلافا ، لذلك سأكتفى بعرض أبرز النواحى والأسس التى لها صلة بالفكر الغربى ، أو اشاعة المفاهيم المناهضة للاسلام باسم الاسلام .

التعاون العسكرى بين جيش أغاخان [1] وشركة الهند الشرقية :

تؤكد المصادر التاريخية أن ايران وقعت فريسة الثورات الداخلية منذ أواخر القرن الثانى عشر الهجرى ، مما هيأت الفرصة للاسماعيلية النزارية لعب دور فى سياسة غرب ايران ، ولا سيما فى مقاطعة كرمان ، وكانوا قد نزحوا اليها من الشمال "آلموت" بالتدريج وما أن اغتيل امامهم شاه خليل الله على والد أغاخان الأول عام ١٢٣٣ هـ حسب ادعاء المصدر النزارى حتى ثارت الاسماعيلية فى البلاد ، وعاثوا فى مقاطعة يزد المجاورة فسادا ، ولم تهدأ تلك الفتنة الا بعد أن غادر شاه حسن على (أغاخان الأول) ايران بما بقى من رجاله وعتاده ، بعد أن منيت جيوشه بهزائم متتالية على يد الجيوش الايرانية النظامية . [2]

وقد عاصرت حروب أغاخان حروب حركة السيد أحمد خان الجهادية ، فما ان الحق المجاهدون بربهم حتى ازيلت العقبات التى كانت تعترض طريق الانجليز الى أفغانستان ، فزحفوا اليها بحجة تأمين الحدود الشمالية الهندية ، من الفرس والروس ، محتلين مدينتى كابل وقندهار الأفغانيتين ، ويحدد محمد على جنارا مساهمات حسن على شاه فى هذا الاحتلال فيرى : انه عندما أيس حسن على شاه من عرش ايران ، اتجه الى أفغانستان فكتب الى اللورد ميكاتن أنه سيعين الجيش الانجليزى بجميع أفراد الجيش الاسماعيلى فى القضاء على ثورة قندهار ضد الانجليز ، وقد شارك الامام فعلا فى القضاء على الثورة اعانة للانجليز ووفاء بما وعد [3] وكان ذلك عام ١٨٣٩م . [4]

---

(١) أغاخان لقب عائلى لمن ينتسب الى بيت الامامة النزارية الآن ، ولا يختص به الامام وحده

(٢) انظر للتفصيل مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٣٣٤ وتاريخ الاسلام السياسى جـ ٤/ ٢٧٧ ونور مبين جـ ٦٢٢، ٦٢٥ ونزهة الخواطر جـ ٧/ ١٣٩ .

(٣) انظر نور مبين ص ٦٠٧ (٤) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٦٦٣ ط ٦ / ١٩٧٤م .

وبعد تمكين الاحتلال فى قند هار ،وجه أغاخان الأول الى اخضاع السند عن طريق اتباعه فيها ولوضع حد لعناد ميرنصيرخان أحد ولاة السند ،وحاكم مدينة كراتشى الساحلية آنذاك ويشير جنارا الى هذا الترويض ، وما جر ذلك من حروب دامية ، وموقف أغاخان منها فيقول : " بعد أن غادر الجيش الانجليزى قند هار الى كابل ، اتجه الامام الى مدينة سيالكوت (الباكستانية) فوصلها بعد ثلاثة أيام ، فرحب به أعيان البلد ، ثم اتجه الامام منها عن طريق باتلو الى السند ، وكان النزاع على تسلم مدينة كراتشى ميناء السند على أشده بين سرجار لس وميجراوت رام (اترام) من جهة ، ومير نصير خان من جهة أخرى ، فتدخل الامام فى المصالحة على أن يعطى المير مدينة كراتشى للانجليز ، ويدفع الانجليز مقابل ذلك جميع خراجها اليه ...

"غير أن الصلح لم يتم ، بل ثارت القبائل البلوشية على الانجليز ، مما جعل الامام يشارك فى الحرب فى صفوف الانجليز ، وذلك بارسال جزء من الجيش الاسماعيلى بقيادة أخيه " سردار محمد باقرخان " الى تلك الصفوف واحتفاظه ببقية الجيش الاسماعيلى لحفظ الحدود بين كراتشى وجهركه ، وكانت قيادته تضم آنذاك عشرين فرقة من الاسماعيلية الشجعان .(١)

وقد كافأه الانجليز مقابل كل هذه الخدمات بمكافأة متواضعة هى عبارة عن راتب تقاعدى تقاضاه فى حياته ، واستمر أولاده يتقاضونه بعد مماته ، وقد قدره كارسان دتاسى الفرنسى الذى عاصر الأحداث بألف روبية شهريا ، ومحمد على جنار " بـ ٢٠٠٠ جنيه استرلينى سنويا .(٢)

ومن المؤكد أن اقتناص الانجليز لأغاخان لم يأت عشوائيا ، ولا مصادفة ، بل جاء نتيجة دراسة مستفيضة للمناطق الشمالية الهندية ، وبعد تيقن تام أن أغلب الامم التى تسكن فى تلك الجبال ، وتزرع سهولها ووديانها تدين لامام يرتبط نسبه باسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق وأن اخضاع شمال شرق أفغانستان وشمال باكستان والهند ، وغرب الصين وجنوب الاتحاد السوفيتى مرتبط بامام يسيطر على هذه المناطق دينيا . ×

أضف الى ذلك أن المجاهدين السرحديين الذين يتبطنون الشريط الحدودى ، الذى يفصل بين المناطق الأغاخانية والهند

---

(١) نرومبين ص ٦٠٨ ، وانظر لتفصيل الحروب السندية الانجليزية ، اعجاز الحق قدوسى تاريخ سنده ج ٢/٦٧١ — ٧٠٤ ومذهب اسماعيلية ج ١٣٥ — ١٣٦ والثقافة الاسلامية ص ٢١٣.

(٢) انظر مقالات كارسان دتاسى ج ٢/ ٢٨٩ ، ونورمبين ص ٦١١.

الانجليزية يمكن التخلص منهم عن طريق اتباع أغاخان ، ويصبح وضعهم بين فكّى الكماشة إن استطاعوا مراودة الامام وتطويعه ، لذلك هيأ الانجليز كل السبل المتاحة لربط أغاخان باتباعه بغض النظر عن أن الاتباع يعترفون بامامة أغاخان أولا ؟ بل هيأوا له الجولات الواسعة المؤمنة فى كل منطقة عرفوا أن أهلها يعتقدون بوجود امام من نسل المصطفى صلى الله عليه وسلم .

لذا نجد الانجليز يسرعون فى نقله من السند الى منطقة بومباى بمجرد الانتهاء من خدماته فيها ، ويهيئون سبل الاجتماع بين أغاخان وبين اسماعيلية الهند فى كجه وكاتهياوار وما جاورها من البلاد النائية بعد ان منحوه مقرا فى مدينة بومباى يتخذه مركزا لدعوته ، فيكون أقرب اليهم فى اصدار الفرمانات الى الاتباع عند الحاجة .(1)

دور الانجليز فى دعم امامة اغاخان :

منذ استقرار أغاخان فى أرض الهند ، أخذت الخلافات تظهر فى صفوف الامامية وحاولت العديد من الطوائف المقرة بوجود الامام على الأرض ، الانفكاك من التزامات أغاخان ، شاكين فى امامته وانتسابه ،بل منهم من صرح أن اسلامهم جاء على يد البير صدر الدين ، وكان سنيا لذا يجب ابعاد أغاخان من زعامة الطائفة ، وعدم تمكينه من الأوقاف الخيرية ، واليك بعض تلك القضايا المثارة فى القضاء الانجليزى ، وحكم المحاكم الموالى لاغاخان .

١ — فى عام ١٨٥٨م وقع نزاع بين نزارية مسقط وولاة أغاخان وجباة خراجه وزكاته (2) ، واحيلت القضية الى محكمة بومبائى العليا ،ويسجل نتيجة حكم المحكمة محمد على جنارا فيقول : " ان الامام تغلب عليهم بواسطة الدولة ، فعوقبوا وسجنوا ، حتى أقروا بمال الامام " (3)

٢ — فى عام ١٨٦٦م ، ١٢٨٢ هـ " قدم دايا محمد ، ومحمد سانيان واتباعهما قضية الى محكمة بومبائى العليا ، مدعين أنه لا صلة لاغاخان بالخوجة ، وان ما تملكه طائفة الخوجة من الأوقاف لاحق لاغاخان فيه ، وأن على الولاة ومن يقومون بشئون الطائفة ان يقدموا حساباتهم للمشرفين دون اغاخان ، وأن تدخله فى شئون الخوجة يجب منعه بالقضاء ، وان البير صدرالدين

---

(١) انظر الدعوة الاسماعيلية ص ٣٣٦ .

(٢) انظر مذهب اسماعيلية ص ١٣٤ .

(٣) نور مبين ص ٦١٧ .

هو الذى شرفنا بالاسلام ، وكان سنيا ، لذا نحن من أهل السنة وكل من ليس بسنى من أفراد الخوجة يجب ابعاده ، وطرده من زمرتنا " .[1]

وقدمت الشهادات من الطرفين ، وأصر شهود أغاخان ان البير صدر الدين كان اسماعيليا يعتقد بامامة آباء اغاخان ، وأن طائفة الخوجة ظلت اسماعيلية طوال احقاب التاريخ ، وأن أغاخان هو امامها دون نزاع ، وصدر حكم القاضى جوزف آرنولد بعد طول الشهادات فى ١٢ نوفمبر ١٨٦٦م مثبتا امامة اغاخان ، مقويا مكانتها بين اتباعه[2] كما الزم خصوم اغاخان بدفع تكاليف القضية كلها .[3]

٣ — واخطر قضية قدمت الى القضاء الانجليزى بالهند تسمى قضية " حاجى بى بى " أو " قضية الارث " فى محكمة بومبائى العليا ، وذلك فى عام ١٩٠٨م ، حين تقدم أقرباء أغاخان الثالث الى القضاء ، مطالبين بحقهم من ارث أغاخان الأول ، اذ لم تقسم تركته منذ وفاته حتى تقديم الطلب ، والشهادات التى زودت بها المحكمة من أفراد عائلة أغاخان ، ومن لهم حق الارث ركزت على أمرين :

أ — ان أغاخان وجميع أقربائه اثنا عشريون قلبا وقالبا ، وقد أقر أغاخان أمام القضاء انه ظل بجوار والدته الاثنى عشرية أثناء ادائها بعض الطقوس المذهبية .

ب — ادعت حاجى بى بى ابنة اغاخان الأول ، وعمة أغاخان الثالث ، شقيقة ابيه ان أخاها على شاه لم يسمح لولده سلطان محمد شاه الا بالتقدم على المصلين ، دون غيره من أمور القيادة وأن شقيقها أخبرها بخلو العائلة الاغاخانية من منصب الامامة .

وقد حكم القاضى رسل أن المدعين لم يستطيعوا اثبات اثنى عشرية اغاخان ، أو أنه كان يتمذهب به فى الماضى ، ونص على اخراج القضية من المحكمة ، دون فض النزاع الأرثى ، كما الزم الحاجى بى بى وشريكاتها بدفع تكاليف القضية لصالح المدعى عليه .[4] ونلخص من ذلك

---

(١) نور مبين ص ٦١٩ . ونور مبين ص ٦٥٨ ,

(٢) انظر مذهب اسماعيلية ... ص ١٣١ .

(٣) انظر نور مبين ص ٦١٩ ومذهب اوريا طنى تعليم ص ٣٦٢ .

(٤) انظر مذهب اوريا طنى تعليم ج ٣٦٥ — ٣٦٦

أن امامة اغاخان لم ترسخ قواعدها الا بواسطة القضاء الانجليزى ، ولولا الأحكام القضائية الصارمة لماخضعت هذه الأمم لاغاخان وللانجليز هذا الخضوع الوديع .

موقف اغاخان من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى :

يقول ضياء الدين أحمد برنى : " اقترحت صحيفة لندنية ايام حرب البلقان أن يعود الاتراك الى آسيا ، لأنهم امة آسيوية ، وأن رجوعهم سيقضى على الحروب التى تنشأ يوما بعد يوم ... وقد أيد أغاخان هذا الاقتراح ، مما حمل محمد على (زعيم حركة الخلافة) على أن يرد عليه ردودا مفحمة قاسية "(١)

واشتعل فتيل الحرب الأولى عندما كان أغاخان الثالث فى زيارة لاتباعه فى زنجبار ، فوصلت اليه الوف المراسلات على حد قول (جنارا) تطالبه بالحضور الى بريطانيا ، فسافر أغاخان فى اثرها لمديد المساعدة للحكومة البريطانية فى الحرب . وصرح فور وصوله ... " لو سمح لى بخوض الحرب لدافعت عن بريطانيا حتى آخر قطرة من دمى " وكانت صحيفة " لندن ميل " قد ذكرت آنذاك أن أغاخان يمكنه أن يأمر عشرين مليونا من أتباعه بخوض الحرب دون أن يراجعه أحد فى ذلك ، فعلى الدولة أن تراعى مقامه ومكانته "(٢)

واعقب ذلك فرمان أغا خان الذى حض اتباعه فى الاخلاص والوفاء للدولة البريطانية " الفريضة الأولى على جميع أبنائنا الروحيين أن يذودوا عن حمى بريطانيا ، وأن يتعاونوا معها بكل جهد مستطاع ، وأن يخلصوا لها فى كل ما يمكنهم القيام به ، لأن الدولة البريطانية حارسة للدين ، هادفة الى الخير مدافعة عن الحرية لذا يجب عليكم الآن تقديم الخدمات غير المحدودة لهذه الدولة بامانة وتفان لا يماثلكم فيهما بشر على هذه الأرض "(٣)

ولى عهد الامامة على خان وقتاله فى صفوف الغربيين فى الحرب العظمى الثانية :ـ

يسترسل مصطفى غالب فى الحديث عن ولى عهد الامامة الاغاخانية ـ على خان بن سلطان محمد شاه قبل أن يتحول عنه نص الامامة ـ وحروبه فى صفوف النصارى ضد الاسلام

---

(١) عظمت رفته (المجد الضائع) ص ٣٨٨ . (٢) نور مبين ص ٦٧٨ .

(٣) كلام امام مبين (مجموعة فرمانات أغاخان الثالث سلطان محمد شاه على) جـ ٢٨١/٢ فرمان رقم ٤٤٠ .

فيقول : " والأمير على خان يتعشق الروح العسكرية ، ويحب المغامرات والرياضة وارضاء لميله الغريزى هذا تطوع سنة ١٩٣٩م في الفرقة الأجنبية بالجيش الفرنسى برتبة ملازم ، وحارب فى خط ماجينو عام ١٩٣٩م ، ثم عين مرافقا للجنرال (ويغان) ، ولما انهارت فرنسا انتقل الى الجيش البريطانى .

" وبعد احتلال سوريا ولبنان من قبل القوات البريطانية والفرنسية الحرة عمل (كضابط ارتباط) بين الجيشين ، ثم حارب فى ليبيا بصفوف الجيش البريطانى وراح يتدرج فى رتب الجيش حتى نال رتبة زعيم عام ١٩٤٥م ، ومنحه الجيش الأمريكى وساما للخدمات التى أداها كضابط اتصال ، وقد أدى خدماته هذه بكل امانة واخلاص " (١)

تلك بعض الخدمات المكشوفة التى قدمها أفراد اسرة أغاخان للاستعمار والمستور أكثر وأعظم وما زال الأغاخانيون يقدمون خدماتهم له فى كل ملمة وازمة ، فاذا كان هذا موقفهم من المسلمين فما الموقف الذى اختاروه لأنفسهم من أسس الاسلام ، وتعاليمه السمحة عقيدة وتشريعا ؟ اليك طرفا من ذلك دون تعليق لعدم صلتها بالاسلام .

بعض الأسس الأغاخانية :

تنص المصادر الأغاخانية أن كلمة توحيدهم هى : " اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأشهد أن أمير المؤمنين على الله " (٢) وتترجم الجملة الأخيرة من كلمة الشهادة : " بأنى اشهد أن عليا هو الله ، أو أن عليا من الله عز وجل " (٣) ويشرح المبشر البابوانى كلمة الشهادة الاغاخانية بقوله :

" اشهد أنه لا معبود بحق سوى الله ، وأشهد أن محمدا رسوله ، وأشهد أن رئيس المتدينين

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .

(٢) شكشن مالا بال منكه " كتاب المبتدئين " ص ٣ أحد الكتب المقررة للصف الأول فى المدارس الاسماعيلية بالهند . واسماعيلى تعليمات ص ١ الكتاب الأول للمدارس الاسماعيلية فى باكستان ، وانظر المبشر الأغاخانى على بهائى بابوانى مارك درشيكا (المرشد) جـ ١ / ٤٧ أحد الكتب المقررة فى المدارس الدينية الاغاخانية الليلية فى باكستان ، والخاخانيت كياهى (ماهى الاغاخانية) ص ٤ .

(٣) شكشن مالا ص ٤ للصف الأول .

عليا حل فيه نور الاله ، أى أن عليا من الله عز وجل " (١)

وبما أن أغاخان هو الامام الآن ، فقد انتقلت اليه جميع أوصاف على بن ابى طالب رضى الله عنه — وهو منها براء — وقد استحق ان يستفتح قاسم على الاغاخانى كتابه بنقل اعتراف أمامه أغاخان أن النزاريين يعبدونه لتمتعه بالامامة الروحية " انى أتصل مباشرة بمحمد صلى الله عليه وسلم ،ويؤمن بى عشرون مليونا من المسلمين ، ويعترفون بامامتى الروحية ، ويدفعون لى الخراج ، ويعبدوننى لأن فى عروقى دم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم " (٢)

ويذكر الدكتور محمد كامل حسين ضمن ذكرياته مع أغاخان الثالث حول موضوع معبوديته فيقول : " فاستأذنته فى توجيه سؤال ربما أغضبه ،فلما وعدنى بعدم الغضب ، قلت له لقد أدهشتنى بثقافتك وعقليتك ، فكيف تسمح لاتباعك أن يدعوك الها ؟

" فضحك طويلا ، وعلت قهقهاته ، ودمعت عيناه من كثرة الضحك ، ثم قال : هل تريد الاجابة على هذا السؤال ، إن القوم فى الهند يعبدون البقرة ، ألست خيرا من البقرة " (٣)

ومن منطلق الالوهية والتمتع بحقوق الخالق على المخلوق أعلن اغا خان الثالث للجمع الاسماعيلى عن العفو عما ارتكبته ايديهم قبل الاجتماع به فقال : " ما أرتكبتم من الذنوب الى هذا اليوم قد غفرناها لكم ، وحذار حذار من اقتراف الذنوب فى المستقبل " (٤)

ويتهم هذا الأغاخان منارات الهداية من الصحابة عند تحديد نسخ القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه بتقديم الفاظ فى القرآن الكريم ، وتأخير أخرى ، وحذف جزء ، واضافة غيره اليه " وفى الواقع نزلت التوراة والانجيل والزبور والفرقان على أمم مختلفة ، فى أوقات متفرقة ، وان القرآن كان حقا ، غير أنه أحدث فيه تقديم وتأخير ، وحذف واضافه وابدال وتغيير فى عهد عثمان ، وإن لدينا خلاصات لجميع هذه الأحداث ،وإن سألتمونا عنها سنريكم تلك الخلاصات"... (٥)

---

(٢) مارك درشيكا جـ ١/٤٧ ، وانظر المبشر الاغاخانى نصير الدين هنزى كنج سمادت يعنى سلسلة نورأمامت (خزينة السعادة) ص ٢٤ .

(٣) المرشد الحى الدائم . Ever Living Guide / Qassim Ili . M . J

(٣) طائفة الاسماعيلية ص ١٢٦ .

(٤) كلام امام مبين جـ ١/٣٣٤ فرمان رقم ١٥٥ .

(٥) كلام امام مبين جـ ١/٩٦—٩٧ فرمان رقم ٣٨ .

ويحمل النزارية لفظة الصلاة على معناها اللغوى ، ولا يعرفون لها معنى سوى الدعاء ، لذا يجتمعون مرتين فى جماعة خانة كل ٢٤ ساعة لتلاوة الدعاء ، ويستهل كتاب الدعاء الذى يقرأه النزاريون فى كل معابد تنزانيا اليوم باثبات صلاتين ، (دعاءين) فى اليوم والليلة ، مستدلا بقوله عز وجل : " اقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ... " (١) الآية ، ويحث الامام فى مقدمة الكتاب ابناءه الروحيين على الحضور الى المعبد عند طلوع الشمس وعند غروبها كل يوم . (٢)

يقول أغاخان الثالث عن أهمية الدعاء وما ينتج عنه أثر نفسى فى الشخصية النزارية " اساس الدين قراءة الدعاء فى الوقت المحدد فى جماعة خانة " وان لم تستطع الوصول اليها أيها الاغاخانى لبعدها فى الوقت المعين ، فاقرأ الدعاء فى الطريق سائرا ، وفى الدكان جالسا ، وفى القطار مسافرا ، وانك ان أديت الأدعية حقها فى وقتها تمكنت من الدين " (٣)

وما أن النزارية لا يعملون بالقرآن ، بل كتابهم وتشريعهم هو أغاخان نفسه فلا تستغرب ان اخبرتك أن الاغاخانية لا تفرق بين شعبان ورمضان فى الصوم ، بل تجد حياتهم لا تختلف فى هذا الشهر المبارك عن غيره ، والصوم الوحيد الذى يتعارفه الاغاخانية فيما بينهم هو صوم الثامن من رجب كل سنة ، وكان يطلق عليه قديما ساتمى نوروجو " Satmy No Rojo " ويستمر الأغاخانى صائما منذ فجر الثامن من رجب حتى العاشرة والنصف قبل الظهر منه ، فيذهب الى جماعة خانة للافطار .

وفى باب النكاح لو تصفحت الدستور النزارى لشرق أفريقيا تجده مستعارا من القانون الانجليزى الهندى برمته ، لا يلتفت الى الشرع الا فى باب تحريم النكاح بالمحارم ، وما عدا

---

(١) هود : ١١٤ .

(٢) دعاء الامامية الاسماعيلية الاغاخانية ص ٤ .

(٣) دعاء الامامية ص ٣٦ وانظر كلام امام مبين جـ ٢٤٠/١ فرمان رقم ١٠١ .

ذلك فالقانون والدستور متشابهان ، ويمكنك أن تطلق عليهما اصطلاح " صورة طبق الأصل "(١) لذا يصطدم مع شرع الله فى العديد من بنوده ، كاباحته الأنكحة التى يصح التعامل بها فى الدول التى يسكنها النزاريون ، "كل اسماعيلى أو اسماعيلية تزوج أو تزوجت ضمن قانون الدولة التى جرت فيها حفلة الزواج يعتبر ذلك النكاح صحيحا ونافذا ما دام صحيحا ونافذا فى نظر ذلك القانون " ،(٢)

وينبنى على ذلك صحة نكاح الزوجة الوثنية والمشركة بالنزارى ، كما يصح زواج النزارية بغير المسلم ما دام قانون البلد يبيح ذلك الزواج ،

وفى باب قطع العلاقات الزوجية سلب الدستور حق الطلاق من الزوج ، ووضعه فى يد المحكمة المختصة بفض مثل هذه النزاعات وتشترط المادة ٢٧٩ أن التفريق بين الزوجين لا ينفذ الا بعد مضى ستة أشهر من صحة النكاح (٣) ويجوز فى نظر الدستور أن يبيت الرجل والمرأة بعد صدور حكم التفريق بينهما تحت سقف واحد مدة ثلاثة أشهر (٤) كما أن الجمع بين المتفرقين - ارجاع - الزوجة أو الزوج مشروط باذن المحكمة ، بغض النظر عن عدد المرات التى وقع فيها التفريق وبغض النظر عن المدة التى يصح فيها الارجاع دون عقد جديد ، أو بعقد جديد ، أو بنكاح زوج آخر .(٥)

وهكذا نجد النزاريين لا يشتركون مع المسلمين أو مع الفاطميين المصريين فى الأمور المشهورة ، بل ان حياتهم شبيهة بحياة الأوربيين ، وثقافتهم هى الثقافة الأوربية ، ويمثلونها بحذافيرها بين المسلمين باسم الاسلام .

---

(١) كما اقتصر فى تحديد سن الزواج بستة عشر عاما للانثى ، وثمانية عشر عاما للذكر . انظر
Thi Constitution of the Shia Imami Ismailis in Africa
P. 28.
دستور الشيعة الامامية الاسماعيلية فى أفريقيا ص ٢٨ المادة ٢٥٠

(٢) دستور الشيعة ص ٢٧ المادة ٢٣٢.

(٣) " " ص ٣٠ .

(٤) " " ص ٣١ المادة ٢٨٥.

(٥) " " ص ٣٢ المادة ٢٩٤.

نشاطات الاغاخانية فى باكستان :

من الحقائق المؤلمة أن اقتصاد باكستان فى الأيدى الاغاخانية ، ففى ايديهم تجارة باكستان وصناعاتها المتعددة ،وبحكم النظم التى كانت سائدة فى باكستان لم يكن مفر من بروز هذه الحقيقة لأن المسلم لن يلقى الترحيب فى المحافل الاقتصادية الربوية ، فالنظام برمته يعين المتغرب ، ويعرقل ما وسعه متبع شرع الله ، وتلك محنة المسلمين فى كل بلد استقل بعد استعمار ،أو وصاية مفروضة ، وتشكلت آخر سهام اغاخان التى أصابت المحز فى أبناء التوحيد فى صورة " مؤسسة اغاخان " لمنطقة جترال الباكستانية .

وتستهدف المؤسسة عن طريق المال تحويل المسلمين الى الاسماعيلية النزارية ، وسلخهم من اتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم الى قبول تبعية كريم اغاخان ، وطريقها فى ذلك أن يدعو المسئولون عن المؤسسة اهل كل قرية الى الانضمام اليهم لتطوير منطقتهم اقتصاديا ،وينتخبون من كل قرية خمسين مندوبا أو أكثر ،ويفضلون أن يكون المندوب ذا صلة بالاسلام فى العلن ، فيأخذون من كل من اختاروه خمسا وخمسين روبية باكستانية كرسم عضوية واشتراك فى المؤسسة ، ثم يطلبون من المختارين أن يقدموا مشروعات اقتصادية لرفع مستوى الحياة لقريتهم ، ويقرضون لهذا الغرض ما بين ٢٠٫٠٠٠ روبية الى ٣٠٠٫٠٠٠ روبية ، وهكذا يشترون الذمم بثمن بخس لتخلف المنطقة وعدم معرفة أهلها أمور شرع الله .(١)

ولا شك أن هذه الأعمال توطئة للخطوة المرتقبة ، وتهيئة لاستخلاص الأرض لصالح الاغاخانية فى تلك المنطقة ، فحين يستحيل سداد الدين فى أجله المحدد تتحول الأرض تلقائيا الى ملكية المؤسسة ، وبذلك يتحقق جزء من الحلم الذى يتحدث عنه أغاخان أمام المسئولين عن النزارية فى العالم " مقومات الدولة أمور ثلاث ، شعب وأرض ، ومال ، وانا نملك الشعب والمال ، فلنسع لكسب الأرض حتى نقيم دولتنا المستقلة "

والخبير بجغرافية جترال ومضائق خُنْجُراب وياسين وجوبس ونيال واشوكمن ... الباكستانية يدرك الحصانات الفطرية ، وما هيأته القدرة الالهية من السدود الجبلية الشامخة ، والأنهر

---

(١) انظر تفاصيل هذه المؤسسة وأعمالها التطويريه والتنموية اغاخان فاونديشن جترال (مؤسسة اغاخان جترال) ص ٢.

الجارية ،والثلوج المتراكمة على قمم الجبال التى تتحاشاها الطائرات خشية تراكم الثلوج فى المحركات فى هذه المناطق .

وقد زرت المنطقة بمصاحبة مهندس يعمل فى تخطيط الطرق لربط هذه المناطق بعضها ببعض ، فمن أيسر الطرق لقطع هذه المنطقة عن باكستان القاء صخرتين تسدان الطريق البرى الوحيد ، (شارع ريشم) الذى نحت فى الجبال بجوار مجرى نهر السند ونهر العباسى ، ويربط باكستان بالصين ، أو هدم جسر من الجسور المقامة على نهر السند أو نهر العباسى ، ويزداد الوضع خطورة حين ندرك ان منطقة دره مضيق خنجراب " منطقة اغاخانية ، يشكل الاغاخانيون فيها الأغلبية المطلقة ، وتمتد هذه الأغلبية الى منطقة الحدود المشتركة بين كل من باكستان وأفغانستان والصين والاتحاد السوفيتى وأقل نسبتهم فى هذه المناطق المشتركة ٧٢ ٪ من المناطق ما هى اغاخانية ١٠٠ ٪ كمنطقة عاصمتهم هنزة .

* * *

الفصل الثاني

((الصوفية وأثر الفكر الغربي فيها))

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

١ ـ طريقة صوفية الهند في الدعوة الى الاسلام .

٢ ـ الصوفية وعدم تصادمها بالسلطة .

٣ ـ علوم الصوفية وصلتها بالشرع .

٤ ـ حال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزي .

٥ ـ النظرة السلبية الصوفية الى الحياة ونتائجها لصالح الفكر الغربي .

طريقة صوفية الهند في الدعوة الى الاسلام :

الصوفية هم العاكفون على العبادة ، المنقطعون الى الله ، المعرضون عن الدنيا وزينتها ، الزاهدون فيما يقبل عليه الجمهور ، من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، ولا يهم البحث من أمرهم هنا الا ما كان ذا صلة بالغرب ، وبفكره المستعمر ، سلبا أو ايجابا ، وبمعنى آخر الكشف عن معطيات الفكر الصوفي ، وما أمر به اتباعه تجاه المحتلين من مقاومة أو معاونة .

وبحكم توغل الاسلام في الهند على الأيدى الصوفية ، أصبحوا العمدة في تعاليم الاسلام ، ومرجع المسلمين في أمور الدين ، ثم إن الناطقين بالشهادتين قبلوا دعوتهم بصدر رحب ، اذ وجدوها تجدد نوازع نفوسهم — التي كادت ان تتلاشى وتلبى رغباتهم الباطنية ، فالأجير المحروم ، والمتظلم من ذى السلطة والآيس من حياة الذنوب .... كل هؤلاء وجدوا في الدعوة الجديدة خير مأوى ينسيهم ما هم فيه ، ويأخذ بأيدهم الى عالم غير عالمهم المشهود فالساعات التى يقضيها المريد " التابع " أو السالك مع شيخه تبعده عن هذا الكون ، وتنسيه همومه وآلامه .

أضف الى ذلك أن الهند أرض التصوف والتجرد ، من الملذات ومتطلبات النفس منذ القدم ، فالرهبنة والانزواء في المعابد ميزة تلك الوثنية التى يدين لها شعب الهند ، وان الهند وسي أقدم متصوف عرفه التاريخ حتى اليوم .

وما أن دخل الصوفية المسلمون هذه الأرض حتى وجدوا أنفسهم أمام اناس يفوقونهم في المجاهدات والرياضيات العسيرة ، فشقوا لأنفسهم سبيلا غير مسبوقة في الدعوة الى الاسلام ، ويحدد عبد المجيد سالك طريقتهم في الدعوة الى الاسلام فيقول : " انتشر الاسلام في الهند بتبليغ الصوفية أكثر من أى طريق آخر ، وكان الصوفية يضعون نصب أعينهم ايصال صوت الحق دون امتياز ، ولم يكونوا يفكرون في تفسيق أحدا وتكفيره ولم يكونوا ينطقون بكلمة تسئ الى أحد ، وكانوا يعتبرون الشعب بمختلف نزعاته عيال الله ، ولم يكونوا يثيرون الاختلافات أو يبحثون عن مكمن الضعف ، بل كانوا يقدمون المشترك المألوف لدى الجميع ، ويدعونهم الى التعاليم

الاسلامية أجمعين " (١)

ولم يقف تساهل بعض الصوفية فى باب الدعوة الى هذا الحد ، بل تجاوزه الى تنظيم حلقات الذكر المشتركة بين المسلمين والهندوس ، لذا نجد بين اتباع الصوفية ومن بايع على أيديهم أفرادا وثنين ، يعبدون الواحد الأحد عند الشيخ ، والآلهة المتعددة عند الكهان (البندت) ويعدون من مريدى الصوفية رغم معتقداتهم الهندوسية .

الصوفية وعدم تصادمها بالسلطة :

وكان من المنطق أن يسلك بهم الملوك وأصحاب السلطة سواء كانوا وثنين أو مسلمين مسلك الرفق والرأفة ، فما دام الصوفى يصرف الناس عن السلطان ولا ينازع السلطة أهلها فليعمل ما يشاء ، وليقل ما يريد ، ويقدم الشيخ أبو الحسن الندوى شهادة التاريخ فى الموضوع بقوله : " إن الملوك الذين لم يغفروا للعلماء جريمة قول الحق ، سلكوا بالصوفية فى أغلب الأحوال مسلكا رفيقا ، وسمحوا لهم بأداء واجبهم الدينى ، ومزاولة نشاطهم الاسلامى " (٢)

ولم يتغير هذا المنهج الصوفى المتقبل لكل سلطة فى أغلب الأحوال طوال أحقاب التاريخ ، فلا يهمه أن يتولى كرسى الحكم مسلم أو وثنى أو مسيحى أو يهودى ، ولا يبالى أن يلى السلطة أحد أبناء الهند ، أو دخيل متغرب ، ويحكى الشيخ الندوى موقف زاوية من تلك الزوايا ، ويفتخر بعدم حدوث اختلاف فى منهجها بعد الاحتلال عما كانت عليه قبله فيقول : " قد احتل الانجليز الهند ، ولما تؤثر حضارتهم وفلسفة حياتهم فى مجتمع البلاد ، فترى بقايا من الحياة الدينية الأولى ، ويحدثنا مؤرخ عن زاوية الشيخ غلام على الدهلوى (م ١٢٤٠ هـ) فيقول :

" رأيت بعينى فى هذه الزاوية رجالا من الروم والشام وبغداد ومصر والحبشة ، قد بايعوا الشيخ ، وعدوا المثول بين يديه حسنة الدهر ، وسعادة العمر ، أما الوافدون من البلاد القريبة فكانوا كالجراد ، ولا يقل عدد المقيمين فى هذه الزاوية عن خمسمائة رجل ، تقوم الزاوية بنفقاتهم " (٣)

---

(١) مسلم ثقافت ص ٢٣٦ .

(٢) المسلمون فى الهند ص ١٤٧ .

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٥٦ .

وينقل الشيخ محمد اكرام عن مصدر موثوق مشهدا من مشاهد المتصوفة فى البلاط السلطانى قبل الاحتلال بقليل فيقول : " اذا حضر المشائخ "بيرُ" عند السلطان ، وجرى الحديث عن تسلط الأعداء ، واحتلال البلاد ، فوضوا الأمور الى السماء ، وأخذوا فى بيان مسائل التصوف ، معددين حسنات العزلة ، مخوفين من اراقة الدماء وقتل العباد ، ثم يعرجون الى ذكر كراماتهم ، واستجابة من يدعون له ، فيمنون السلطان بجيوش الدعاء ، وان رفع اكفهم كفيلة بالنصر والفتح ، وأن الاعداء لن يتجهوا الى دولتك حتى يمزقهم الدعاء اربا اربا فيتكل على الدعاء ، ويترك اعداد العدة ، ويأخذ فى الراحة والاسترخاء ، فيقوى ساعد الاعداء ويقتطمون أطراف البلاد ، فتقبل جيوش الدعاء وتدبر السلطة ، ويضيع المجد والسلطان "(١)

هكذا كان جل المتصوفة فى الهند قبيل الاحتلال وتلك مشاربهم فى تهيئة الاتباع للدفاع عن أرض الاسلام ، يؤثرن السلامة على المجابهة والعافية على القتال ، ولم يكن أمثال الشيخ أحمد بن عرفان ... الا شاذا فى صفوف التصوف ، وبلغ الاهتمام بالتصوف غايته عند المسلمين الهنود فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، حتى أصبح العامة يشاركون المتفقهين فى الاقرار بأن التصوف والاسلام متلازمان كتلازم الجنوب للشمال واليسار لليمين فلايتصور وجود أحدهما الا بوجود الآخر ، وأن اعتناق هذا يوجب الخضوع لذاك ، ومازال الوضع على حاله عند سواد المسلمين فى تلك الديار حتى اليوم ، والمدركون لخطورة الوضع ، والمريدون لتنقية الاسلام من التصوف غير المشروع حفنة من الناس ، يمكنك حصرهم بسهولة ويسر .

علوم الصوفية وصلتها بالشرع :

وما زال التصوف يتمتع بالأغلبية المطلقة بين الجماهير ، مع اختلاف طرقه وتعدد مسالكه ، ويعتبر الناس علومه أشرف العلوم وأعلاها منزلة ، ويطلقون عليها اسم " العلوم الباطنية " تمييزا لها عن علوم الشريعة الظاهرية .(٢) ويستوى فى طلبها خريج المدارس الديوبنديه والندوية والبريلوية ، ما غرب [illegible] من له شيخ طريقة من طرق التصوف ، يطلقون عليه اسم

---

(١) رود كوثر ص ٦٠٣ .
(٢) انظر المسلمون فى الهند ص ١١٦ ومراكز المسلمين ص ٢ .

" مرشد " أو " بير " أو سَجّادَة نَشِيْن " ويروى الشيخ محمد اكرام تصوف مدرسة ديوبند فيقول : " لقد اسهب الشاه ولى الله فى الكتابة حول المعيشة والاقتصاد ، والاجتماع ، واتى بنظريات ايجابية فيها ، غير انه لم يسر بايجابيات هذه الحياة ، ولم يفرح بمعطياتها ،

" وقد سلكت ديوبند منهجه ، فلن تشم رائحة الراحة العاجلة فى جنباتها ، وتعمق هذا الاتجاه فى عصر الحاج امداد الله ، فقد ظل مولانا رشيد أحمد منسلخا عن الدنيا كل الانسلاخ ، بينما وجدت فرص الاتصال باهل الثراء والمال لمولانا محمد قاسم ، غير أن الرجل لم يكن عالما فحسب ، بل كان عارفا بالله ٠٠٠٠ وقد أثمرت جهود هؤلاء الاطهار فى ديوبند فى صورة يجمع سوره المحيط به اليوم بين معهد لتلقى العلم ، وزاوية لأهل الله ٠ "(٢)

ولو تتبعنا ما يشتغل به أغلب الصوفية نجده بعيدا عن لب الاسلام حينا ، ومتصادما حينا آخر ، ففى التوحيد مثلا تجدهم أحد رجلين : وجودى أو شهودى ، فالوجودى يرى أن الاله حالّ فى كل مخلوقاته ، من الحجر والشجر والحيوان والنار ، والماء والهواء والانسان نفسه ٠٠٠٠ ومتحد معها بذاته أو روحه أو صفاته ، فمن عبد شيئا من هذه الخلائق فقد عبد الله عز وجل ، لأن الاله موجود فيها ، ولا وجود لشئ غيره عز وجل ، نعوذ بالله ، وينتج هذا التصور فى باب التوحيد صورتين منافيتين للاسلام :—

أ — العالم خيال محض ، واوهام مختلفة اذ لا وجود الا لله ٠

ب — العالم المشاهد هو الحقيقة والله سبحانه وتعالى هو الخالق ، ولكنهم صرفوا صفاته وفاعليته عنه الى بعض مخلوقاته ، وتعقل هذه الصورة اسهل من تعقل الأولى ، وعليه غالبية المنتسين الى الاسلام في حياتهم العملية ، اذ المشائخ والأضرحة ، والقبور والأولياء والتمائم والأشجار والأحجار ٠٠٠ تعبد وتستنفع وتخاف وتسترزق ٠٠٠٠ كل ذلك يعمله المنتسب الى الاسلام عن اعتقاد مبناه أن هذه المخلوقات تملك ما يطلبه منها من النفع والضر ٠

والشهودى — وحدة الشهود — لا يختلف عن الوجودى فى باب التوحيد الا باختلاف زيد عن بكر فى الانسانية ، فالنظريتان تناقضان حقيقة التوحيد الذى جاءت به

---

(١) انظر المسلمون فى الهند ص ١١٦ ومراكز المسلمين ص ٢٠

(٢) موج كوثر ص ٣٥٢ ٠

الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ودعا اليه الكتاب المجيد ، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا قطع المتخصص فى تعاليم الشاه ولى الله " انه لا فرق بين النظرتين فى النتيجة ، وان الوضع لا يعد وكونهما تعبيرين لمسمى واحد ، فلا ينبغى توجيه نقد لطرف دون آخر أو تأييد هذه دون تلك " (١)

وان عدت الى نظرية " تصور الشيخ " تجدها تصرف أغلب لوازم العبادة من الخضوع والهيبة والوضوء واستقبال القبلة واخلاء الذهن من كل شيئ ... الى الشيخ دون الخالق عز وجل ، فالنظرية تجسد وجود معبود فى العقل ، وخلق مثيلات اللات والعزى تعبد من دون الله من وراء ستار الباطن .

وان عدنا الى اذكار الصوفية ، وترانيمهم الخفية والجهرية ورقصهم وطربهم ومجاهداتهم والحانهم الموسيقية وحفلاتهم السنوية على قبور المشائخ نجدها ركنا من أركان الاسلام الصوفى مع أنها دخلت الى دينه من الامم التى جاورها عبر التاريخ ثم أصبحت جزءا من دينه ، لا يتم اسلام المرء عنده حتى يتحلى بها . (٢)

حال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزى :

ويصف صاحب " موج كوثر " الوضع السلبى الذى وصل اليه المسلمون كنتيجة منطقية لهذه المعتقدات ابان القرن الثالث عشر الهجرى فيقول : " كان القرن الثالث عشر أهم منعطف فى حياة المسلمين الهنود ، ففيه تم اكتمال تحطيمهم سياسيا ، واحاط بهم الانحطاط الدينى احاطة السوار بالمعصم ، لقد تركوا الهندوسية ، غير أنهم لم يتخلوا عنها من الناحية المعنوية فان كانوا من قبل يسجدون للأصنام فقد أخذوا ينحنون للمشائخ والقبور الآن ، ويطلبون منهم قضاء حوائجهم ، فاحلوهم مكان البراهمة فى العبادة ، ولم يعد الامتثال لأحكام القرآن ، وسنة سيد الانام ، واتيان الأعمال الحسنة ضروريا للتربية الروحية ، بل أصبحت هذه الغاية تطلب عن

---

(١) غلام حسين جلبانى ، شاه ولى الله كى تعليم " تعليمات الشاه ولى الله " ص١٣٦ . ومن الناس من يرى تناقضا بين النظريتين كالدكتور برهان أحمد فى اطروحة الدكتوراة انظر للتفصيل مجلة معارف ج ٢٢٣/٥٠

(٢) انظر للتفصيل مجلة برهان ج ١٣٩/١ ومسلم ثقافت ص ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ١٥٥ .

طريق المراقبات وقراءة الاذكار والمخصوصة والتفات المرشد واهتمامه بأمر المسترشد .

" وكانت التمائم والمعلقات فى الأعناق والأعضاء نافقة الاسواق ، فاذا الم بالمرء مرض أو أراد الحصول على أهداف معينة ، سعى فى جلب أكبر قدر ممكن من هذه العينات ، — فيخط له اليوكيون (الكهان) الهندوس ومشائخ الصوفية (بير) خطوطا مبهمة ، وبذلك يمنعونه من الطرق الشرعية المطلوبة فى مثل تلك الاحداث " .(١)

تلك هى الصورة المجملة التى كان عليها التصوف عند دخول الانجليز ، زهد فى الدنيا وانصراف عن سنن الله الكونية ، واعتزال عن أمور الحياة ، فالدنيا فى نظر الصوفى أضحت دائرة عذاب ، والمرء يمثل فيها دور المسجون ، الذى صدر الحكم القضائى فى حقه ، وأمثل الطرق للعودة الى مكانه الرفيع أن يترفع عما تحتاج اليه نفسه وتدعو اليه ضروريات الحياة ، فليشق على نفسه وجسمه بالرياضات والمجاهدات العصبية ، حتى تتحرر روحه من سلطة الجسم والنفس .

النظرة السلبية الصوفية الى الحياة ونتائجها لصالح الفكر الغربى :

وبهذه النظرة السلبية الى الحياة ينسى المسلم حقيقة وضعه على هذه الأرض ، وانه خليفة الله فيها ، ويظن أنه القى به فى أوحال هذا العالم ، وأوساخه المادية ، وان النجاة فى البعد عنها والهروب من احداثها ، فينظر الى الأمور نظرة مشدوه مسلوب القوى ، لايعنيه الانجاء نفسه ، فلاتتحمل أعصابه أعباء التحضر والتمدن فضلا عن اقامة الخلافة الالهية فى الأرض

وتنتج هذه النظرة السلبية الى الحياة فى القادة والشعب نتائج مفتتة ، يصل بأصحابها الى القنوط واليأس ، وعدم اصلاح هذه الحياة تجتمع أهمها فيما يلى :—

أ — تنتزع الرهبنة الصوفية خيار البشر من الامة ، وتشغلهم بالمجاهدات والرياضات وحمل المشقات عن أمور الحياة ، وتضنى قواهم فيما لا علاقة له بهذا المجتمع الأرضى على الاطلاق فتخلو الساحة للاشرار يفسدون ويعبثون وتؤول اليهم امور الناس دون منازع ، فيوجهونها الى الشر دون الخير والى الفساد دون الصلاح .

---

(١) موج كوثر ص ١٣.

ب — ينسلخ الصوفى من المسئولية الجماعية ، فلا يهتم الا بتربية نفسه ، ولا يزعجه الا نجاة ما بين جنبيه ، فكأنه لم يخلق الا للفردية المؤلمة ، لا يهمه من فساد المجتمع أو اصلاحه شيئ ، ويحقق القولة المسيحية الشهيرة " دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله " ، وينسى أو يتناسى قولة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... " (١)

ج — تهيئ الصوفية نفوس العامة لتحمل الظلم ، والصبر غير المشروع ، وتسلب منهم قوة المقاومة والوقوف فى وجه الطغيان والاستبداد ، فتصبح الامة لقمة سائغة للظلمة والمتجبرين يخضعون لكل سلطة وحكم ، يرتبطون بالغيب ارتباط المتواكل وتارك الأسباب ، فلا يسمون الى تنحية الظلم ونصرة المظلوم ، وذلك هو السر الذى جعل الصوفية لا تصطدم بأصحاب السلطة عبر التاريخ .

د — يستولى اليأس والقنوط على الحياة ، وتتوقف عجلة التقدم والنمو البشريين ، وتجف منابع الابتكار ، وتنعدم الاكتشافات ، ويحبب الي الناس الفرار من التمدن والتسابق الى الأفضل والأعلى ، ومن ثم يفقد نظام السعى فى الأرض ، واكتشاف سنن الله الكونية فيها جدواه ، فيقل الانتاج وتصبح الامة عالة على غيرها من الأمم إن شاءوا اعطوها ، وإن شاءوا منعوها .

وهذه النظرة السلبية الى الحياة كانت خير عون للمستعمرين للاحتلال وسلب خيرات البلدان الاسلامية ، فالغربيون مثلهم كمثل من سبقهم من الملوك لم ينشئوا الصوفية انشاء ، كما أنه ليس لهم فضل فى ايجادها ، وانما وجدوها قائمة على أسس تخدم النزعة الاستعمارية ، وتؤمن لهم مقاليد الحكم دون عناء ، فغذوها ، وأنفقوا على مشاهدها وزواياها ، بعد أن فرضوا لها المرتبات فحققوا هدفين فى آن واحد : هدف الحفاظ على التقاليد الدينية الموروثة فى نظر الناس ، وهدف صرف الانظار عن الاستعمار واستغلال البلاد .

لذا قضت المصلحة الأوربية ان يشجعوا الصوفية ماديا ومعنويا أينما وجدت ، ويسهلوا لها طرق انتزاع البشر ، لقتل الحيوية المسلمة المجاهدة ، فاعتنوا بمشائخها وقدموهم على أبرز رعايا مستعمراتهم ، وعلى الذين قضوا حياتهم فى المصالح الاستعمارية ، وفضلوهم على الحكام

---

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه جـ ٢١٥/١ كتاب الجمعة باب الجمعة فى القرى والمدن .

المحليين فى الابهة والاجلال ...

كل ذلك التشجيع جاء ليظل شرع الله وأحكامه الجهادية متوارية عن الناس ، وليبقى المسلم منصرفا عن العمل بحقيقة دينه يطول ليله ، ويقصر نهاره ، ويشتغل عن الجد والكد ، ويصرف قواه فيما لا يمت الى هذه الحياة الأرضية بصلة ، فاجتهد المستعمرون عن طريق الصوفيـــة أن يهجر المسلم هذا العالم ، ويتنازل عنه ، زهدا فيه ، وخوفا من خطره ، فحققت لهـم طرق الصوفية المتنوعة كل ذلك بالعزلة والانزواء ونزع خيار البشر .

※ ※ ※

الفصل الثالث

((البريلوية وأثر الفكر الغربي فيها))

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

١ ـ مؤسس البريلوية أحمد رضا خان .

٢ ـ تعاون البريلوية مع الاستعمار .

٣ ـ تكفير البريلوية المسلمين .

٤ ـ أهم الأسس للفرقة البريلوية .

٥ ـ تأثير الفكر البريلوى لصالح الفكر الغربي فى الامة .

مؤسس البريلوية أحمد رضا خان (١٢٧٢ هـ / ١٣٤٠ هـ)

تجرع الانجليز مرارة القتال أثناء اشتباكهم مع حركة الجهاد السرحدية ، التي حمل لواءها الشهيد أحمد بن عرفان ، وأدركوا أن الاسلام يطبع اتباعه بطابع الشريعة والعقيدة ، وأن حركات المسلمين وسكناتهم في العسر واليسر تنطلق من مرتكز ما ينسب الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبحثوا عن أفراد يخدمونهم في تنفيذ السياسة الاستعمارية في بني جلدتهم باسم الدين ، لأنه الطريق الوحيد لتحقيق أهدافهم في البلد الاسلامي من أقصاه الى أقصاه

هذا وقد اختلفت طرق كسب هؤلاء الأفراد ، فمنهم من جاءهم فرارا من الفقر ، ومنهم من أتاهم لاكتساب الجاه ، والمكانة المرموقة في المجتمع الذي يعيش فيه ، ومنهم من بذلوا له المال حتى رضي بخدمتهم ،

ومن هؤلاء الذين خدموا الاستعمار عن حسن نية ، أو سوء قصد الشيخ أحمد رضا خان (١٨٦٥م ـ ١٩٢١م) زعيم الطائفة البريلوية ، ولفظ البريلوي يعني الانتساب الى مدينة " بانس بريلي " في ولاية اترابرديش في وسط الهند مسقط رأس أحمد رضا خان ، ولا يهمنا في شأن دينه ودين من ينتسب اليه الا أمران : تعاونه المكشوف مع الاستعمار وتكفيره المسلمين الذين لا يستسلمون لبدعه وانحرافاته عن شرع الله عز وجل تحقيقا لمبدأ المستعمرين " فرق تسد "

تعاون البريلوية مع الاستعمار :

أدلى أحمد رضا خان بدلوه في البحوث التي اثيرت حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام في الهند ، وهداه تفكيره الى تصنيف كتيب اسماه " اعلام الأعلام بأن هندوستان دار الاسلام وأتبعه بآخر باسم " أحكام الامارة والجهاد " وثلثهما بـ " دوام العيش في أن الأئمة من قريش" وجميعها تدور حول عدم فرضية الجهاد على المسلمين الهنود ، وأن الهند دار اسلام ، ولا جهاد في دار تنتسب الى الاسلام .

وبالعودة الى الكتيب الأول نجده مقسما الى قسمين : قسم بين فيه كاتبه أن الهند المغتصبة ما زالت دار اسلام ، لوجود الحرية الدينية في اداء الصلوات والصيام ...، وخص القسم الأخير

بتفكير من يسعى فى اعادة الهند الى أصحابها وطرد الدخلاء المسيحيين " إن الوهابيين [١] مرتدون ، يجوز استرقاق نسائهم ولا يجوز أعطاء الامان المؤبد لهم ، ولاتؤخذ منهم الجزية ، ولا تحل مناكحتهم [٢] ولا تؤكل ذبائحهم ، وإن الصلاة على ميتهم حرام ، وإن مخالطتهم ومجالستهم ومحادثتهم ومشاركتهم فى أمورهم حرام شرعا ، قاتلهم الله أنى يؤفكون " [٣]

ويحسم النقاش فى دوام العيش فيعلن بملء فيه أنه " لا جهاد ولا قتال على مسلمى الهند فى ضوء الشريعة الاسلامية " [٤] ويرد على حركة الخلافة التى أوجدها المسلمون كوسيلة ضغط على الانجليز لحفظ الخلافة العثمانية ، ورمز وحدة المسلمين : " إن التقنع بحماية الأتراك خداع محض ، وانما المقصود الحقيقى من وراء حركة الخلافة تحرير الأراضى الهندية دون شئ آخر " [٥]

وحين احتج العلماء على هذه الفتوى سافر البريلوى الى أرض الحرمين ، فنزل ضيفا على الشريف حسين بمكة — حرسها الله — الموالى للانجليز ، وبرر له الخروج على العثمانيين بعد أن كفر الأتراك وأخرجهم من دائرة الاسلام ، وصنف كتابا بهذا الصدد أسماه " حجة داحرة " وخلص فيه الى القول : " أن الأتراك بعد خولهم الحرب ضد الانجليز خالفوا الآية " لا تفسدوا فى الأرض " فيجب قتالهم والخروج عليهم بحكم القرآن " [٦] واستوثق لفتوه من علماء البلاط الشريفى ومدرسى الحرمين .

وأعقب حركة الخلافة حركة المقاطعة التجارية ، التى استجاب لها جميع أفراد الشعب الهندى ، وتسبب عنها الكساد والفساد فى البضائع المصنعة فى بريطانيا ولم يجرؤ أحد على كسر هذا الطوق الا أحمد رضا بفتواة " المحجة المؤتمنة فى آية الممتحنة " فاستفتحه بقوله " ان

(١) المقصود من الوهابية عند الاطلاق فى لسان هذه الطائفة المسلمون المخالفون لهم فى جزئية من الجزئيات .

(٢) انظر قضية من قضايا فسخ النكاح ، فى صورة مناظرة جرت بين البريلوية والديوبندية لمدة ثلاثة أيام . منظور أحمد سنبهلى الديوبندى ورحم الهى البريلوى صاعقه آسمانى برفرقة رضا خانى " الصاعقة السماوية على الفرقة الرضاخانيه " حين عقد ديوبندى على بريلوية .

(٣) اعلام الاعلام بأن هندستان دار الاسلام جـ ١٩ — ٢٠ .

(٤) دوام العيش فى أن الأئمة من قريش ص ٤٦ .

(٥) دوام العيش ص ٩٥.

(٦) نور محمد ، بريلوى فتوى ص ٢١.

المعاملة الدنيوية التى لا تضر الدين ليست ممنوعة مع أحد ، سوى المرتدين مثل الوهابية والديوبندية وأمثالهم " ثم وصل الى الهدف فصرح " أن المقصود من هذه الحركة هو الحصول على الحرية من الانجليز لا غير " وقطع الشك باليقين حين قال : " إنه لاجهاد علينا مسلمى الهند بنصوص القرآن العظيم ، ومن يقل بوجوبه فهو مخالف للمسلمين ، ويريد الاضرار بهم " .(١)

ويشرح المعروض الذى قدم فى حفل وداع مايكل فرانسس ادوارد حاكم البنجاب من قبل علماء البريلوية ما تكن صدورهم حيث يقول : " قبل كل شئ نهنئ معاليكم بمناسبة انتهاء الحرب العالمية الضروس ، وقد انتهت بكل خير فى حكم معاليكم الموقر ، وقد عادت الدولة البريطانية ذات البركات الالهية أكثر عظمة من ذى قبل ، كما صرح بذلك الملك المعظم : إن سيوف الدولة البريطانية ما دخلت غمودها حتى نال العالم الحرية والأمن ، وعم الخير والرفاهية بين الشعوب المستضعفة ...

" ولا ننسى ذلك الفضل الذى منت به علينا حكومتكم الرشيدة ، حين أيد سفهاؤنا الأتراك ، وساندوهم فيما يبتغون ، كل ذلك أتى نتيجة عدم وعيهم واعطاء الأمور حقها من الفهم والادراك ومع ذلك فقد أكرمنا (أكدرنا) ملكنا المعظم بعدم انتهاك مقدساتنا الاسلامية ، وإن هذه الروح الفياضة جددت فينا حب الولاء والوفاء ...

" ونرجو من معاليكم بعد العودة الى بريطانيا أن تؤكدوا للملك أن وفاءنا وولاءنا لن يتغير أبدا ، مهما قامت الإحن والثورات ، وانا على ثقة أن اتباعنا فى الجيش سيكونون أوفياء لملكنا المعظم دوما وأبدا ...

" وانا نأسف على أعمال أولئك الأعداء ، أعداء الوطن الذين نظموا الاضطرابات والتجمعات غير الشرعية ، وشوهوا وجه منطقة بنجاب الجميل ، ونعود فنؤكد لمعاليكم انا ننكر تلك الأعمال بشدة ، لأن كتابنا العظيم يوصينا بالابتعاد عن ذلك " (٢)

ويسجل شاهد الانجليز فرانسس روبنسن شهادته فى أحمد رضا خان فيقول :—

" إن البريلوى كان عمله حماية الحكومة الانجليزية ، فإنه أيد الحكومة فى الحرب العالمية

---

(١) جميع هذه الأقوال وغيرها من الأقوال البريلوية المؤيدة للانجليز يمكنك مشاهدتها فى مؤلف احسان الهى ظهير / البريلوية عقائد وتاريخ ص٤٠ — ٤٤.

(٢) مجلة جتان ص١٢ عدد اكتوبر ١٩٦٦م.

الأولى ، واستمر في هذه الحماية والتأييد للحكومة حتى أيام حركة الخلافة سنة ١٩٢١م ، وعقد المؤتمر في بريلي وجمع فيه العلماء الذين كانوا يخالفون ترك موالاة الحكومة ، والذين كان لهم أثر كبير في نفوس العامة المتعلمين والدارسين المسلمين " (١)

ويصل باحث الفرق الباكستاني احسان الهي ظهير الى انه " لا يمكن لمنصف أن يعرض عن القول بأن كل وزن البريلوي والبريلوية وثقلهم كان في كفة المستعمر الغاصب ، ان لم يقل بعمالتهم وجاسوسيتهم وعملهم على حسابهم (لحسابهم) ، لأنه أمر الناس بمقاطعة الجهاد والمجاهدين وترك موالاتهم ضد الاستعمار والمستعمرين ، بل خلاف ذلك أمر الناس بولايتهم وموالاتهم ، فالمسلمون يقاطعون ويخاذلون ، والنصارى المستعمرون يوالون ويناصرون " (٢)

ولا غرابة في صدور مثل هذه الأعمال والفتاوى من رجل أشرف على تعليمه وتثقيفه المرزا غلام قادر — الابن البكر لغلام مرتضى ، الشقيق الأكبر لغلام أحمد زعيم القاديانية — منذ نعومة أظفاره . (٣)

تكفير البريلوية المسلمين :

من الصعب أن نجد كتابا أو كتيبا أو فتوى ، أو خطابا عاما ، أو خطابا خاصا لأحمد رضا خان يخلو من تكفير واحد من المسلمين ، وتبعه في خطوته هذه جميع علماء البريلوية ، وما زالت تلك الألة غير الواعية تصدر أحكام التكفير كل يوم ، وآخر انتاجها تكفير أئمة الحرمين ، وان كتب الفرق والتاريخ عاجزة عن ذكر جماعة تماثل البريلوية في باب التكفير ، فان كانت الخوارج كفرت مرتكب الكبيرة فإن هؤلاء كفروا من لا يقيم المولد ، أو من لا يؤذن على القبر بعد دفن الميت فيه ...

---

(١) نقلا عن البريلوية عقائد وتاريخ ص ٤٤ وانظر قاضي أفضل حق اقبال كے ممدوح علماء " العلماء الذين مدحهم اقبال " ص ١٨.

(٢) البريلوية عقائد وتاريخ ص ٤٤.

(٣) انظر بدر الدين أحمد قادري سوانح أعلى حضرت " سيرة أحمد رضا خان " ص ١٥ والبريلوية ص ١٩.

أهم الأسس البريلوية :

ولعل من المفيد ان أوجز الأسس التى ينبنى عليها مذهب البريلوية ، ومن المدهش أن أغلب مسلمى شبه القارة الهندية على هذا المذهب ، ولا سيما الطبقات الكادحة ، اذ كان الجهل فاشيا فيها ، لا يستطيع أحدهم نطق الشهادتين نطقا صحيحا فضلا عن فهم أمور الصلاة والزكاة والصوم ... ، فاستغلهم البريلوية ، فزينوا لهم البدع والانحرافات ومنّاهم علماء الطائفة بالنجاة يوم الحشر بتقديم النذور والهدايا وتعظيم قبور الأولياء ، كما أن جيرة الهندوس والاسماعيلية أثرت فيهم بحكم الجوار فقلدوا عباد البقر وأتوا طقوس الاسماعيلية فى العديد من مناحى الحياة الشرعية .

من المعتقدات الأساسية عند البريلوية أن محمدا صلى الله عليه وسلم نور مجسم من نور الله ، لا بشرية فيه ، وقد سجلت بنان أحمد رضا خان عدة كتب وكتيبات فى هذا الصدد أهمها : " صلاة الصفا فى نور المصطفى " و " نفى الفى عمن انار بنوره كل شئ " يقول فى مقدمة كتابه الأول بلغة الضاد " اللهم لك الحمد يانور ، يا نور النور ، يانور قبل كل نور ، ونور بعد كل نور ، يامن له النور ، وبه النور ، ومنه النور ، واليه النور ، وهو النور ، صل وسلم وبارك على نورك المنير الذى خلقته من نورك ، وخلقت من نوره الخلق جميعا ، وعلى أشعة أنواره ، آله وأصحابه وأقماره أجمعين "(١)

وبما أن محمدا مصدر الخلق عند أحمد رضا فنجده يعين بعض من خلق منه فيقول :
" إن محمدا ليس بعين الله ، ولا هو غير الله ، انه مظهر صفات الله ، محيى الأرواح ، منه خلق الجن والأنس ، ومنه ظهر العرش والكرسى ، ومنه خلق آدم وحواء "(٢)

واقرأ بعد هذا التصور الدخيل على الاسلام فى صاحب الرسالة الخاتمة ، قول الله عز وجل " قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا "(٣) فهل بعد هذا مطمع فى نفى البشرية عن محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) صلاة الصفا فى نور المصطفى ص٣٣ المطبوعة بمجموعة رسائل جـ١/٣٣.
(٢) " " " " " ص ٣٧ " " " " جـ١/٣٧.
(٣) سورة الكهف آية : ١١٠ .

وبما أن محمدا صلى الله عليه وسلم جزء من الاله ، فلم يكن للبريلوية مندوحة أن يصفوه بما يختص به الخالق عز وجل فقالوا إنه يعلم الغيب ، ويعلم ما كان وما يكون في هذا الكون الوسيع

" وأن الله عز وجل منح صاحب القرآن سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم علم جميع الموجودات ، وعلم ما كان وما يكون ، وعلم جميع ما في اللوح المحفوظ ، وإن اللوح المحفوظ باخبار السنة مسجل فيه كل كائن من البداية الى النهاية ، بل الى دخول أهل الدارين دورهم ومنازلهم ، فهو عبارة عما كان وما يكون " (١)

وما دام محمد صلى الله عليه وسلم نورا من نور الله ، فلا بد أنه يتصرف تصرف الخالق والمالك في هذا الكون ، فبه عند البريلوية يستعان ويستغاث ، لأنه الحاكم المطلق في المخلوقات والموجودات " إن النبي صلى الله عليه وسلم نائب مطلق عن الله عز وجل ، وإن العالم كله تحت تصرفه ، يفعل ما يشاء ، يعطي من يشاء ما يشاء ، يومنع ما يشاء عمن يشاء ، فلا معقب لحكمه في العالمين ، ومن لم يجعله مالكا حرم من حلاوة السنة .

" إن الأرض وما عليها كله له ، والجنة وملكوت السماوات في قبضته ، مفتاح الجنة والنار في يده تقسيم الأرزاق والأموال في تصرفه صلى الله عليه وسلم ، الدنيا والآخرة جزء من عطائه ، وإن الأحكام التشريعية مفوضة اليه ، يحرم ما يشاء على من يشاء ، ويحل لمن يشاء ما يشاء ، ويسقط أي فريضة عمن يشاء (٢)

ومن معتقداتهم " حاضر وناظر " العيان والمعاينة ، ويعني هذا المعتقد في عرف الشرع البريلوي " أن صاحب القوة القدسية يستطيع أن يرى العالم مثل رؤيته كفه من مكان وجوده ، ويستطيع سماع الأصوات القريبة والبعيدة ، كما أنه يطوف بالعالم في لمحة بصر ، فيغيث المضطرين ويجيب الداعين ، كل هذه التصرفات تصح جسما وروحا ، وهي ثابتة للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، بل ثابتة للأولياء والصالحين بنصوص الكتاب والسنة " (٣)

---

(١) أحمد رضا خان خالص الاعتقاد ص٣٣ .

(٢) أمجد علي الأعظمي بهار شريعت (ربيع الشريعة) جـ ١٦/١ .

(٣) أحمد يار جاء الحق وزهق الباطل جـ ١٦٠/١ .

أما فى باب العمل فنجد البريلوية يركزون على اقامة الموالد ، والبناء على القبور ، وعلى تجصيصها وتنويرها ووضع الستور والعمائم والثياب عليها ، وعلى التعييد عندها كل سنة ، وقراءة القرآن على الأموات وعلى قبورهم ، وتكليف أهل الميت بجلب الأطعمة الى مشائخ البريلوية لمدة تتراوح بين ثلاثة أيام وأربعين يوما ...

وأغرب ما نشاهد عند القوم هو جبر الأعمال الشرعية المتروكة كالصلاة والزكاة والصوم ... بالأموال والأقوات بعد الوفاة ، ويسمون ذلك حيلة الاسقاط (اسقاط الواجبات) ويشرح طريقتها أحمد يار فيقول : "مقدار الصدقة عن كل صلاة أو صوم متروك هو مقدار صدقة الفطر المعروفة ، فمثلا من مات تاركا صلوات سنة كاملة يتصدق عنه بالقدر السابق ، بيد أن اخراج مثل هذا المقدار لا يسع كل أحد ، ولا يستطيع كل انسان أن يتصدق بهذا القدر ، وأمثل الطرق لذلك أن يأخذ ولى الميت مقدار صدقة شهر فيتصدق به على الفقراء ، ثم يرد الفقراء الى الولى ما تملكوه ، وتكرر هذه العملية حتى تبلغ المدة المتروكة ، وهذا هو الاسقاط الجائز شرعا " (١)

تأثير الفكر البريلوى لصالح الفكر الغربى فى الأمة :

وهكذا شجعوا الأتباع على ترك العمل ، وحرضوهم على عصيان أوامر الشرع حتى هان على عامة البريلوية ترك الصلاة والصوم ... التى عليها مدار النجاة حسب تعاليم الشريعة السمحاء وابرزوا لافتات الكفر والتكفير أمام كل من خالفهم فى هذه المبتدعات التى لم يأذن بها شرع الله .

ومما لا شك فيه أن الاستعمار لم ينشئ هذه الفرقة ، ولم يضع أسس هذه المبتدعات ، لتناقض فكر البريلوى والبريلوية مع فكره الملحد ، فلن ينشئ فكرا يفضى الى الاشراك فى تسيير أمور العالم مع انكاره وجود الخالق عز وجل ، فالقول بايجاد هذه الطائفة ، أو ايجاد أفكارها قول لا يعتمد على دليل ، أضف الى ذلك أن أغلب أفكار البريلوية لها امتداد تاريخى فى تلك البلاد ، قد يصل الى عدة أحقاب فيما مضى من الزمن .

فإن كان الاستعمار لم ينشئ البريلوية فإنه قد استغل أفكارها لصالحه كل الاستغلال ،

---

(١) جاء الحق وزهق الباطل جـ ١/٤٦٨ — ٤٦٩ وانظر تفاصيل هذه الحيلة والأعيان التى تجوز بها البريلوية عقائد وتاريخ ص ١٤٤ — ١٤٦.

فوجهها لضرب العقيدة الصحيحة ، وحال بها بين المسلمين وبين ما يأمرهم به دين اللـــه ، وتلك خدمة لا تدانيها خدمة ، فتحققت اماله المعلقة التى كان يسعى اليها الغربيون منـــذ الحروب الصليبية ، فحل غير شرع الله مما لا يتنافى مع المصالح الاستعمارية مكان شرع اللـــه ، وتجسدت آمالهم فى صورة أمور ثلاثة مازالت الامة تعانى آلامها ، ويتجرع المصلحون مرارتهـــا اليوم ، كتجرع اخوانهم الذين عاصروا الاستعمار بالأمس .

أ — تهوين أمر العلماء فى نظر العامة ، والاستخفاف بهم ، لأنهم كفار لا يستحقون أى تقدير أو احترام ، وبذلك انقطعت الصلة بين العلماء الربانيين وعامة الناس .

ب — فقدت القيادات المقتدرة — التى حملت السيوف فى وجه الانجليز وفى وجه كل معتـــد على شرع الله — مراكزها القيادية ، وحل محلها علماء البريلوية الموالين للفكر المستعمر فى صورة تشجيع الناس على عصيان أوامر الله وارتكاب منهياته .

ج — شغلوا الامة بابراز خلافات تبعد بهم عن قضيتهم الأم ، قضية طرد الدخلاء والفكر الدخيل .

لذلك نجد الوثائق السرية البريطانية — التى فقدت جدواها الآن ، وأصبحت من معروضات المتحف البريطانى تعلن : " أن الشيخ أحمد رضا خان كان يتقاضى خمسمائة روبية شهريا مـــن بريطانيا عن طريق أمير رامبور كعب على خان مقابل تكفيره علماء المسلمين الذى يقودون حركـات تحرير الهند " (١)

ويشغل البريلويون اليوم حكومة باكستان التى أعلنت تطبيق الشريعة الاسلامية فى البلاد بقضية دية المرأة ، ويريدون لها دية مساوية بدية الرجل تبعا للغرب فى المساواة بين الانثى والذكر ، وبسبب ضجتهم هذه فى الصحافة تأجل تنفيذ قانون القصاص والدية الاسلاميين ، وكان من المفروض أن يأخذ طريق العمل مع قانون الشهادة الاسلامى فى غرة صفر ١٤٠٥ هـ من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مجلة جتان ص ٧ عدد ٢٢ اكتوبر ١٩٦٦م .

الفصل الرابع

((القرآنيون وتأثرهم بالفكر الغربي))

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

١ — السيد أحمد خان وأثر أفكاره في القرآنيين والقاديانيين .

أ — مفهوم النبوة •

ب — مفهوم الوحى وطريقته •

ج — شروط السيد لقبول السنة •

د — مفهوم الجهاد •

هـ — مفهوم الموالاة الشرعية •

٢ — القرآنيون وصلة فكرهم بالغرب •

٣ — ابرز الزعماء القرآنيين

٤ — نماذج من التغريب •

أ — حركة التدين (الارتداد)

ب — توريث غير المسلم من المسلم •

ج — حرية التصرف في المال عند الوفاة •

د — أحكام القرآن في التركة مؤقتة •

هـ — قواعد الحجب مجحفة •

و — نظام القرآن الاقتصادى (الاشتراكية في الأموال)

ز — نزع التأبيد من أحكام الاسلام •

السيد أحمد خان وأثر أفكاره في القرآنيين والقاديانيين :

قبل الكلام عن الفرقتين ـ القرآنية والقاديانية ـ ينبغى التعرف على أفكار السيد أحمد خان فى أمور خمسة (النبوة ، الوحى ، السنة ، الجهاد ، الموالاة الشرعية) اذ أنها الأسس المعتمده فى فكرهاتين الفرقتين .(١)

١ ـ مفهوم النبوة :

ينكر السيد أحمد خان أن تكون النبوة منحة الهية ، أو اختيارا ربانيا خاصا ، ويخطئ العلماء الذين فهموها على هذا المنوال فيقول : " لقد فهم العلماء المتقدمون النبوة كمنصب من المناصب يعطيه الله لمن يشاء ، أوينتخب أفرادا لحملها ، كالملوك الذين ينتخبون الوزراء ويختارون عمال الدولة ... ، غير أنى لا أفهم النبوة على هذا الوضع ، بل النبوة أمر فطرى ـ والنبى نبى ولو كان فى بطن أمه ، يولد نبيا ، ويموت نبيا ـ توجد تلك الملكة فى الأنبياء بمقتضى فطرتهم كوجود أى ملكة انسانية أخرى ، فمن يوجد فيه تلك الملكة يكون نبيا ، ومن يكون نبيا يوجد فيه تلك الملكة كبقية الملكات البشرية التى تتصل بتركيب الانسان وأعضائه من القلب والعقل .

" ملكة النبوة هذه شبيهة فى صلتها بصلة أعضاء الجسم بعضها ببعض ، فمن ثم لا اختصاص فيها كعدم اختصاص الوف الصلات والملكات الكامنة فى النفس البشرية ، فقد يكون الانسان بمقتضى فطرته مالكا لقوة فى فن من الفنون ، ويعتبر فيه اماما ونبيا ، كالحداد فهو امام ونبى فى فنه ، والشاعر فهو امام ونبى فى فنه ... "(٢)

وهذا الزعم أتفه من ان يرد عليه ، ويكفينا فى كشف زيفه قوله تعالى فى منح النبوة لموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : " فلما آتاها نودى ياموسى ، انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى "(٣)

---

(١) وجمع هذه الأمور هنا لا يعنى سوى اعطاء صورة واضحة عن الرجل ، وتجزئتها بين فصلين يفوت المقصود .

(٢) مقالات جـ١٣/٦٦ـ٦٧. واعتبر السيد أحمد خان ايديسن وستيل الانجليزيين من الأنبياء على هذا الأساس . انظر مقالات جـ١٣/١٩، ٢٩.

(٣) سورة طه آية : ١١ـ١٢ـ١٣.

٢ — مفهوم الوحي وطريقته :

يمتنع عند السيد أحمد خان وجود ملك ينزل بالوحي من السماء الى الأرض ، بل الوحي عنده شبيه بالاتصالات اللاسلكية المعروفة لدينا اليوم ، يكتسب النبى الايحاءات الربانية المنعكسة على قلبه ، فيسمع ويرى بملكة النبوة الداخلية امورا لا وجود لها فى خارج كيانه ، نتيجة اتجاه جميع قواه الى المرئيات والمسموعات الداخلية ، فتتراءى له صورة ما فى قلبه متمثلة فى الخارج فيخبر عنها بالوحي والالهام ، واليك رأيه بنصه : " لا توجد واسطة بين الله والنبى لإيصال الوحي الاهذه الملكة ، وهى التى يقال عنها الناموس الأكبر ، وفى لسان الشرع جبريل .

" فقلب النبى هو المرآة التى تتراءى له فيها التجليات الربانية ، وذلك هو الرسول الذى يجلب الرسالة الالهية ، وتلك المضغة المجسدة هى التى تخرج منها الأصوات الالهية ، وهى ذاتها الأذن التى تسمع تلك النبرات غير الصوتية ، ومن ذلك القلب يخرج الوحي كخروج الماء من النافورة ، وعليه ينزل ، ويرى صاحبه صورة الوحي فيه ، فيخبر عنها بالايحاء والالهام ، دون أن يكلمه أحد ، يتكلم عن نفسه ، ويقول عن نفسه ، وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى .

" وهذه الحوادث والأمور الواردة على القلب فطرة بشرية ، لا يتخلف قانونها ابدا ، ويسمع النبى كلامه النفسى بأذنيه الخارجيتين ، كأن شخصا يخاطبه من الخارج ، ويرى بعينيه الخارجيتين ، كأن شخصا يقف أمامه .... ومع فارق التشبيه نثبت أن الالوف منا من رأى حالات فاقدى العقل يسمعون أصواتا دون متكلم ، ويرون أشخاصا فى الخارج مع انفرادهم عن البشر .... وتلك كلها أوهام من أوهامهم ، لارتكاز كل قواهم واتجاهها الى شئ معين " (١)

ومفهوم السيد هذا للوحى وطريقته مختلف عن المفهوم الذى أورده الشرع ، واتفقت عليه سائر الامة الاسلامية ، ويكاد أن يتحد بالتحليل النفسى عند العلماء لبعض الحالات المرضية ومرد ذلك أنه تكفل بشرح الاسلام فى ضوء ما يقبله الغرب ، وتقره علومهم التجريبية ، ومادام الوحي غير معترف به فى المعامل الغربية فليكن شبيها بحالة من الحالات النفسية المعترف بها لدى الغرب .

---

(١) مقالات ج ٦٨/١٣ . وانظر مقالا آخر لطريقة الايحاء مقالات ج ١٣٨/١ .

٣ — شروط السيد لقبول السنة :

يشترط السيد أحمد خان لقبول السنة شروطا ثلاثة :

١ — أن يكون الحديث المروى قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالجزم واليقين •

٢ — أن توجد شهادة تثبت أن الكلمات التى أتى بها الراوى هى الكلمات النبوية بعينها •

٣ — ألا يكون للكلمات الواردة فى الحديث معان سوى ما ذكرها الشراح ، فإن تخلف أحد هذه الشروط الثلاثة لا يصح عنده نسبة القول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أنه حديث من أحاديثه• (١)

وهذه الشروط لا تتوفر الا فى المتواتر اللفظى دون سائر السنة الصحيحة المتواترة تواترا معنويا ، أو السنة الأحادية التى عليها مدار الأحكام الشرعية عند المسلمين •

وبناء على موقفه هذا جعل الأحكام الواردة عن طريق السنة بوجه عام أحكاما لا يجب على المسلمين اتباعها ، ولا يلزمهم العمل بمقتضاها " وأن ما استنبط العلماء من نصوصها الحالية من الأحكام انما هى أحكام اجتهادية ، لا نصية فيها ولا حتمية ، لاحتمال ألا يكون ذلك مقصوده عليه الصلاة والسلام • (٢)

٤ — مفهوم الجهاد :

ابان السيد مفهوم الجهاد الاسلامى فقال : " لا يبيح الاسلام الفساد والغدر والثورة تجاه من منح الأمن والسلام ، سواء كان معطى الأمن مسلما أو كافرا ، بل يرشد الى طاعته والاعتراف له بالايادى البيضاء ، ويوجب ايفاء العهود المبرمة بينه وبين المسلمين ، ولا يسمح لأحد بالحرب أو باراقة الدماء للسلطة أو فتح بلاد لم تدخل بعد فى الاسلام • ولا يرتضى ايصال صوت الحق بمهاجمة الناس والتغلب عليهم •

" ولم يعط حق رفع السيف الا فى صورتين :

أ — عندما يهاجم الكفار المسلمين لعدائهم للاسلام والرغبة فى ازالته من الوجود — لا لغرض التملك (الاستعمار) لأن الحروب التى تقع للتملك سواء كانت بين المسلمين أنفسهم أو بينهم وبين الكفار فإنها حروب دنيوية لاصلة لها بالدين •

---

(١) انظر مقالات جـ ١/٣٣ ، ٤٠ •

(٢) انظر مقالات جـ ١/٦٩ •

ب — عندما يسلب الأمن من أموال المسلمين وأرواحهم ، ويظلمون لكونهم مسلمين ويمنعون من اداء الواجبات الدينية ، وفى هذه الحالة أيضا لا يسمح الاسلام لاتباعه المظلومين المقرين بالمحكومية علانية أوضمنا لدولة ما رفع السيف فى وجهها ، بل طلب منهم تحمل الظلم أو الهجرة من أراضى هذه الدولة . ومن عداهؤلاء من المستقلين أو غير المحكومين من رعايا دولة أخرى — له رفع السيف لانقاذ المسلمين الذين يتحملون الظلم لاتسامهم بالاسلام ، أو لاعادة الحرية الدينية المسلوبة أو الأمن المفقود ، ولكن متى دخلت شائبة التملك ، أو غرض دنيوى آخر فى تلك الحرب فان الاسلام لا يسمح بنسبتها اليه [1]

ويفسر قوله تعالى : " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله " [2] بقوله " من الخطأ أن يفهم من هذه الجملة قتال المسلم لاعلاء دين الله حتى لا يبقى دين سواه ، لأن ذلك أمر غير معقول كما أنه لم يقع من السلف فيما مضى ، ولن يقع فيما يأتى ، بل معناه الظاهر البين أن القتال يحدد برفع العوائق التى يقيمها الكفار فى وجه اقامة دين الله ، وتخليصه منها حتى يقيمه المسلم ويمتثل له دون ايذاء " [3]

ووجهة نظر السيد هذه حول الجهاد الاسلامي مرفوضة بمسيرة الجهاد طوال الاحقاب الماضية فقد جاهد المسلمون منذ فجر الاسلام لابلاغ دين الله الى الناس ، أضف اليه انهم قاتلوا لرفع الظلم عن المسلمين ، وغير المسلين ، ولم يستسغ مفهوم السيد للجهاد الا من ربط مصلحته بالاستعمار ، أو من أراد مخادعة نفسه عن الشعور بالإثم الذى سيلحقه لقعوده عن الجهاد المفروض عليه لاسترداد بلاد المسلمين ، وذلك هما السببان الرئيسيان لتوجيه الجهاد وتفسيره بهذه الوجهة المنحرفة .

٥ — مفهوم الموالاة الشرعية :

قلما نجد بحثا شرعيا أو اجتماعيا للسيد أحمد خان الا وتتخلله جمل تحث المسلمين على التعامل السلمى ، والاستسلام لحكم الانجليز ، ولا يجد غضاضة فى تحميل النصوص مالا تحتمله فمثلا يقول فى شرح الأثر الذى أورده فى مقالاته " إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان السلطان

---

(١) مقالات جـ ٢٧٤/١٣ .   (٢) البقرة آية : ١٩٣ .   (٣) مقالات جـ ٢٧٧/١٣ .

ظل الله فى الأرض يأوى اليه كل مظلوم ... الحديث ، فقد ورد لفظ السلطان فى هذا الحديث دون قيد أو وصف لذا يجب عليه سواء كان مسلما أو يهوديا أو مسيحيا أو عابد نار أن يعامل الرعية كما ورد بيانه فى الحديث .

" ولنعد الآن الى التفكير فى وضع المسلمين الذين استأمنتهم الحكومة الانجليزية فى الهند وتسعى لاقامة العدل بينهم حتى المستطاع ، ووضعت للفصل بينهم قوانين مفصلة ،حتى إن المرء يعرف نتيجة فعله قبل وقوع الفعل ، أضف اليه أنها منحتهم الحرية الدينية ، وتكفلت بحفظ أموالهم وأرواحهم — ما عدا حرية البغى والشر — لذا يجب على المسلمين وفق هذا الحديث شكر الحكومة الانجليزية ،وبما أنهم رعاياها يجب عليهم الامتناع عن البغى والفساد واثارة الفتن قولا وعملا .

" وكتب السنة تروى العديد من الأحاديث التى حث فيها النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين على طاعة امرائهم ، سواء ظلموهم أو عدلوا بينهم ، وتلك الأحاديث لا تقيد الأمير بقيد ، ولا تشترط فيه وصفا معينا ، فيتعين أن الحاكم أو الأمير يصح أن يكون من حملة أى دين ، وعلى المسلمين امتثال أوامره طبقا لهذه الأحاديث ، ومن ثم يجب على جميع المسلمين الهنود الذين يستظلون بظل الحكومة الانجليزية طاعتها ، بصورة تكشف عن الانتماء والمشاركة المعيشية "(١)

ويشرح الآيات التى تنهى عن اتخاذ اليهود والنصارى وأعداء الله وأعداء المسلمين أولياء فيقول : "ويجب أن نفهم بالنسبة لهذه الآيات أن الموالاة عموما ليست ممنوعة ، وانما الموالاة الممنوعة هى ما كانت دينا وشرعا ، وهى أن تحب المرء لدينه الذى اختاره ، وتعتقد أنه دين صحيح وحق ، فمثل هذه الموالاة محرمة شرعا ، وأما ما عداها فلا منع عنها "(٢)

وختم السيد كتابه " احكام طعام أهل الكتاب " بالموالاة التامة للانجليز فكتب باللغة العربية يقول : " الآن نختم هذه الرسالة على بيان أمر يليق بيانه فى هذا المقام ، فاعلم أن بعض علمائنا رحمة الله عليه قد منع من تعظيم الكافر من سبقة الاسلام وغيرها ، كما هو عادة أهل ديارنا ، واستدلوا على منعه بما هو مذكور فى " التهذيب " أن كل فعل فيه توقير الذمي فهو حرام كالقيام والسلام والمصافحة والمعانقة ، لأن الجزية عليهم للاهانة ، وبالسلام توقيرهم ، وفيه نظر على وجوه

---

(١) مقالات جـ ١٧٥/١ .   (٢) مقالات جـ ٣٤٧/١ .

" الأول : انه لا يوافقها الأدلة الشرعية ، لأن الله تعالى قال : " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاهـا الا ذو حظ عظيم "(١) وقال الله تعالى : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما "(٢)

" الثانى : إن الرواية المذكورة فى التهذيب " ليس يلائم حالنا ، ومن سكن ديارنا ، لأن المشركين أو النصارى فى ديارنا ليسوا بأهل ذمتنا ، بل نحن معاشر المسلمين فى رعيتهم ، وفى جوارهم ، ونسكن فى امانهم ، ونعمر فى ديارهم ، وهم احسنوا الينا بوجوه كثيرة ، يحكمـون علينا بالعدل على ما يمكنهم ...، ثم لا يمنعون اداء الفرائض كالصلاة والصيام ...، وهـم يحكمون علينا فى القضايا التى تتعلق بالمذهب خاصة كالنكاح والطلاق والميراث وغيره على ما هو مأثور فى شريعتنا ، فكيف لا نؤثرهم على أنفسنا ونختارهم ..."

" وما روى فى التهذيب عن منع السلام والمصافحة والمعانقة فهو متعلق بأهل الذمة ، كما هو مصرح فيه ، لا بالحكام والسلطان ، فعلينا أن نتفكر فى حالة يكون أهل الاسلام محكومين ، وغيرهم عليهم حاكما ، فما كان طريق معاشرة المسلمين فعلينا أن نعمل بذلك الطريق ، وتلك الحالة وجدت فى ثلاثة أقران : الأول كان بنو اسرائيل عبيدا لفرعون ، وهو عليهم سلطان قاهر ، والثانى كان المسلمون بمكة قبل الهجرة ، والثالث هاجر المسلمون بأرض الحبشة ، فكـان هؤلاء اطاعوا من كان لـه سلطنة عليهم ما استطاعوا ...

" فعلينا أن نفعل ذلك اتباعا لهؤلاء ولا نقع فى المهالك "(٣)

هذا وقد تمخضت عن أفكار السيد السابقة ، وغيرها فرقتان بين المسلمين حتى اليوم ــ ومازال فكره يتسع لظهور فرق حديثة تتبنى انحرافاته فى العديد من مناحى الحياة ، أو تنفرد بفكرة معينة ظلت جزءا مهملا من فكره العام ــ تحمل الأولى رسالته فى تفسير الاسلام على النظريات

---

(١) السجدة ٣٣ــ٣٥ . (٢) الفرقان : ٦٣ .
(٣) مقالات جـ١/٣٧٨ ــ ٣٨١ .

الغربية والأسس المادية ، ومبدؤها الأساسى انكار السنة جملة وتفصيلا ، وتأويل القرآن تأويلا يطابق هوى الغربيين وآرائهم وأذواقهم ،ويسمون بالقرآنيين ، نظرا لرفضهم السنة ، واكتفائهم بالقرآن لتشكيل الحياة الاسلامية .

والثانية هى القاديانية وافترى زعيمها على الله بنسخ الجهاد خدمة للاستعمار وساداته الأوربيين واليك الحديث عن الفرقتين بايجاز .

القرآنيون وصلة فكرهم بالغرب :

قبل الحديث عن منكرى السنة يجدر التنويه أن بحث الماجستير الذى تقدمت به لنيل الدرجة العلمية جاء تحت عنوان " فرقة أهل القرآن بباكستان ، وموقف الاسلام منها " وقد فصلت الحديث هناك عن هذه الفرقة ،وعن الأسس التى تقوم عليها ،وعن امتثالهم للتشريعات الاسلامية فى ضوء انكار السنة ، مع مناقشة شبهاتهم حول ثانى مصادر التشريع فى الاسلام ...

واما هنا فسأكتفى بعرض أبرز جوانب التأثر ونتائجه المباشرة ، وما استجد من الأحداث على ساحة هؤلاء .

تقول دائرة المعارف الاسلامية الأردية " لقد تغلب العقل على النقل فى الآونة المعاصرة فأخرج الى حيز الوجود اناسا أنكروا حجية السنة ، فمنهم من نادى بسلب حق التشريع من المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من فسر الرسول بالقرآن ، ومنهم من جعل أحكام النبى صلى الله عليه وسلم حينية خاصة " لعصره ولمن خاطبهم " ، ومنهم من أقر بحق التشريع له غير أنه رد السنة لأن روايتها غير ثابتة ولهذه الطائفة اعتماد كلي على المستشرقين فى ترديد الشبهات الواردة على السنة النبوية " .(١)

ومن المؤكد أن فكرة انكار السنة أو انكار حجتها كلها ليست وليدة الهند ذاتها ، سواء سلمنا أن السيد أحمد خان اختلق الشبهات لنزع الثقة عن ثانى مصادر التشريع فى الاسلام بعد عودته من أوربا ، أو اعتنق القرآنيون الفكرة نتيجة غزو تنصيرى ،مركز بيد أن الدراسات تشير الى تعاون العاملين فى تعميم هذا الاتجاه الهدام ، فمثلا يرى محمد على قصورى : "إن

---

(١) ارد ودائرة معارف اسلامية جـ ١١/٤٠٨ .

الحكومة المستعمرة لها يد فى الفرقتين ، القاديانية ، والقرآنية ،و إن المشروع الانجليزى فى تلك الآونة اتخذ نوعا جديدا من المناورات المناوئة للاسلام ، فضمت صفوفه السياسية كثيرا من القساوسة المنصرين ، مما مكنها من اصطياد بعض الشخصيات الاسلامية ، وايقاعها فى شبكة التحريف ضد الاسلام .

" كما انضم الى هؤلاء بعض من يريد الدنيا ، فحرضتهم السلطات الانجليزية على أن يقدموا بأعمال تبعد الثقة عن النفوس تجاه الحديث الشريف ، ويستغلوا الضمائر المنافقة من المسلمين وكان على رأس هؤلاء جميعا عبدالله جكرالوى ، وقد اختاره المسيحيون لاداء هذه المهمة ، فرفع صوته بانكار السنة كلها ، وأخذ يدعوا الى هذا المشروع الهدام ، فأخذت كتب التأييد والرسائل تصل اليه من دعاة المسيحية ، وتعده بالمساعدات المالية وتشكره على هذا المجهود الجبار .

" وقد عرفنا كل ذلك من قبل أحد أصدقائنا الصادقين ، الذى كان يقوم بدور الترجمة لهذه الرسائل ،لعدم معرفة عبدالله باللغة الانجليزية . ولو بذلنا قليلا من الجهد لامكننا الحصول عليها " (١)

ومن هنا نصل الى أن فكرة انكار السنة أو انكار حجيتها كلها فكرة غربية ، نقلها دعاة التنصير أو السيد أحمد خان ومن يماثله من الغرب الى الهند ، وتبناها القرآنيون واحدا تلو الآخر ، ويمكنك أن تتصور غموض مكانة السنة فى الاسلام آنذاك — لكثافة الشبهات الغربية التى نسجت حولها — مما كتبه الدكتور محمد اقبال شاعر الاسلام الذى لم ينج من نتائج ذلك الاعصار الغربى المدمر تجاه السنة التشريعية : " والطريقة التى يتبعها النبى هى أن يعلم أمته طريقة معينة ويتخذ منها نواة البناء وشريعة عالمية ،وهو فى هذه الحالة يؤكد المبادئ التى تنهض عليها الحياة الاجتماعية للبشر جميعا ،ويطبقها على حالات واقعية ...

" واحكام الشريعة الناتجة عن هذا التطبيق — كالاحكام الخاصة بعقوبات الجرائم — هى أحكام يمكن أن يقال أنها تخص هذه الأمة ، ولما كانت هذه الأحكام ليست مقصودة لذاتها فلا يمكن أن تفرض بحرفيتها على الأجيال المقبلة ، ولعل هذا هو السبب فى أن أبا حنيفة ... لم يكد يعتمد على هذه الأحاديث . (٢)

---

(١) مجلة الاعتصام اللاهورية الاسبوعية ص ٦٥ — ٦٦ العدد الخاص بحجية السنة فبراير ١٩٥٦م
(٢) تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ص ١٩٧ .

أبــرز الزعمــاء القــرآنيين :

وتتبع الخطوط المتشعبة لهذه الفرقة يوصلنا الى أن فكرة الاعتماد على القــرآن دون السنة فى الاسلام بدأت تغزو الهند منذ نهاية القرن التاسع عشر على أثر تعميم الأفكار التى ثبتهــا حركة السيد أحمد خان ،غير أن مفعولها الأكيد انصب على بنجاب بأواسط الهند الموحــدة ، فبدأ غلام بنى الشهير بعبد الله جكر الوى (١٨٢٥م ـ ١٩١٢م) نشاطه الهدام بانكار السنــة أو انكار حجيتها جمعاء ، متخذا من مسجد "جينيان" بلاهور مقرا لحركته تلك .

وشارك محب الحق العظيم آبادى عبد الله فى بث الشبهات حول السنة لدى البهاريين فى شرقى الهند ، كما انضم اليهما فى العقد الثانى من القرن العشرين الخواجة أحمد الديــن (١٨٦١م ـ ١٩٣٣م) متخذا مدينة أمرتسر مقرا لبث أفكاره " .[1]

ويمكننى القول فى ضوء الدراسة التى قمت بها فى بحث الماجستير أن الخواجة يعتبر أول الخلفاء والوريث البكر لفكر السيد أحمد خان عند هذه الطائفة ، فى ابتكار جسر العبــور للأفكار الغربية على أسس السيد المادية ، ومرد ذلك أن الرجل كان نابغة فى علم الاقتصــاد والجغرافيا والفلك والرياضيات والتاريخ والمنطق ... ، فحاول ايجاد التوافق بين نظريــات الغرب حول هذه العلوم وبين حقائق الاسلام .[2]

وخلف الحافظ محمد اسلم الجراجبورى (١٨٨٠م ـ ١٩٥٥م) الخواجة أحمد الدين فى حمل راية نقد السنة وهدم العلوم التى بنيت عليها كالفقه وعلم الرجال ... ، وأهم نقطــة فى فكر هذا الداعية المنكر الحجية السنة هو صبــغ المبادئ الاسلامية بالأفكار الاشتراكية ، كتحويل ملكية الأرض من الأفراد الى الدولة ، واختراع منصب "مركز الملة" ليحل محل مجلس التشريع الحاكم عند الاشتراكيين ، ومن هنا فسر كلمة الشهادة المكونة من النفى والاثبــات على المبادئ الروسية فقال : "إن الملة الروسية جددت العمل الاسلامى الذى وجد فــى العهود الاسلامية السابقة بل أجود منه ، اذ أطاحت بالرأسماليين وملاك الأرض ، وأصحــاب الامارات الصغيرة ، وهذا معنى (لا) من كلمة "لا اله الا الله" وهى أول لبنة فى الاسلام ،

---

(١) ولمزيد من المعلومات عن هذه الشخصيات / راجع بحث الماجستير ص١-٢٤ .

(٢) انظر محمد حسين عرشى قرآن ــ قــرآن تك " من القرآن الى القرآن " ص١٦ .

وأن عملها هذا هو عين الامتثال لمبدأ الشهادتين "[١]

وتتلمذ غلام أحمد برويز (١٩٠٣م ــ ١٩٨٥م)[٢] على الحافظ محمد أسلم ، فورث منه مخلفات الخواجة ومختلقات الحافظ ، ويشير داعية الاسلام الشيخ المودودى الى خطورة الفـلام فيقول : " ما أن حل القرن الثالث عشر الهجرى حتى دبت الحياة فى هذه الفتنة ... فكانت ولادتها فى العراق[٣] ، وترعرعت فى الهند وإن بدايتها فى هذه البلاد تعود الى السيد أحمد خان ، ومولوى " شيخ " جراغ على[٤] ، ثم كان فارسها المقدام عبدالله جكرالوى ، ثـم استلم الراية مولوى أحمد الدين الأمرتسرى ، ثم تقدم بها مولانا أسلم الجراجبورى وأخيرا تولـى رياستها غلام أحمد برويز الذى وصل بها الى ساحل الضلال " .[٥]

نمـاذج مـن التغـريـب :

هذا وقد أحدث الغاء السنة من الدين تطابقا بين فكر الغرب الملحد ، وفكر هـؤلاء المنحرفين فى أمور كثيرة أهمها :ــ

أ ــ حريــة التديــن " الارتداد "

أول ما يبتغيه الغرب ممن الزم نفسه بنشر التغريب بين المسلمين أن يطالب بالحرية المقدية وأن يكون المسلم مختارا فى تغيير عقيدته ، إن شاء استمسك بها ، وإن شاء غيرهـا الـى المسيحية أو الهندوسية ... أو نفى الأديان جميعا ، من غير أن يجد رادعا يحول دون تحقيـق

---

(١) نوادرات ص ١١٥ .

(٢) توفى فى ٢٤/٢/١٩٨٥م .

(٣) والصواب فى مصر ، لأن التاريخ الثقافى العراقى خلو من مثل هذه الأفكار ، أما مصـر فنعم فقد كادت أن تفا هى الهند أو تسبقها ، وأول الداعيين الى هذه الفكرة علانيـة فيها هو الطيب محمد توفيق صدقى فكتب عدة مقالات تحت عنوان الاسلام هو القرآن وحده " انظر مقالاته فى مجلة المنار المصرية ــ العدد التاسع والثانى عشر من عامها التاسـع ١٩٠٦ ، ١٣٢٤ هـ .

(٤) أحد أعضاء حركة السيد أحمد خان البارزين ، وتعتبر كتاباته حول الجهاد والـرق وتعدد الزوجات أكثر جرأة من كتابات السيد نفسه .

(٥) سنت كى آئينى حيثيت (مكانة السنة التشريعية) ص ١٦ .

تلك النزعة ، وتبرع الخواجة أحمد الدين بهذه المطالبة فى تفسيره فقال : " لا وجود لكتاب الهامى فى عالم الانسان أصدر حكمه بقوله " لا اكراه فى الدين " (١) " وما أنت عليهم بجبار " (٢) " لست عليهم بمصيطر " (٣) الا القرآن ، وقد جاءت تعليماته لمحو الالتزام بديانة ما ، فقدم الدلائل والبراهين المقنعة لهذا الاتجاه " (٤)

ويزيد برويز موقف القرآنيين وضوحا فيقول : " انعم النظر تجد القرآن لم يقل ان هؤلاء هم الذين تضرب أعناقهم ، وأنهم سيعرفون عقوبتهم اذا ارتدوا عن الاسلام " (٥) ، بل حكم القرآن الواضح فى هذه القضية هو أن الاعراض عن الاسلام لا يتأتى الا ممن لا يحسن التدبر ولا يملك البصيرة السليمة " ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم ... " الآية (٦) ويماثلهم فى العقوبة من يسلم ثم يعود الى سابق عهده ...

" وقد رأيت أن القرآن لم يفرق فى هذا الباب بين من لم يؤمن أصلا ، ومن آمن بالاسلام ثم رجع عنه ، لذا أخبر أن السبب فى الاثنين واحد " طبع الله على قلوبهم " (٧) ... وقد اتضح لك من الآيات السابقة حكم القرآن الجلى ، وأن اختيار الكفر بعد الاسلام ليس جرما ، وأن المرء فى حل من أن يبقى مسلما ، أو أن يتحول عن الاسلام الى الكفر ، وبذلك تعين أن الارتداد ليس جرما فعلام العقوبة عليه ؟ " (٨)

ويكفينا فى دحض هذا الافتراء ما ورد فى السنة التشريعية الثابتة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من بدل دينه فاقتلوه (٩) " وقوله عليه الصلاة والسلام : لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث بكفر بعد ايمان ، أو بزنا بعد احصان ، أو يقتل نفسا بغير نفس فيقتل " (١٠)

---

(١) البقرة آية : ٢٥٦ (٢) ق آية : ٤٥ (٣) الغاشية آية : ٢٢
(٤) تفسير بيان للناس جـ ٢/٣٦٠ (٥) يقصد متهكما أنه لا عقوبة على الارتداد .
(٦) البقرة آية ٦ ـ ٧ (٧) النحل آية : ١٠٨ ، ومحمد آية : ١٦
(٨) دواهم مسائل قتل مرتد غلام اولوند يا ن " مسألتان مهمتان قتل المرتد والأرقاء " ص ٣٥ ـ ٣٧ ويرى الرأى نفسه كريم بخش سكهانى فى كتابه قرآن كريم أورمروجة اسلام " القرآن والاسلام المعاصر " ص ٢٠٠ ، والسيد يعقوب شاه فى كتابه قوانين اسلامى كے نفاذ كامسئلة قرآن اورسنت كى روشنى مين (تنفيذ القوانين الاسلامية فى ضوء الكتاب والسنة) ص ١٢٨ .
(٩) الحديث رواه أبو داود فى سننه جـ ٤/١٢٦ كتاب الحدود باب الحكم فيمن أرتد .
(١٠) " " الدارمى " جـ ٢/١٧١ " ما يحل به دم المسلم ومثله فى سنن أبى داود جـ ٤/٢٦ كتاب الحدود باب فيمن ارتد .

ب : توريث غير المسلم من المسلم :

نظام الارث وقسمة التركات فى الاسلام واضح لا لبس فيه، ويندر وجود الاختلاف بين مسائله الكثيرة المتنوعة ، غير أن المنكرين للسنة تعرضوا لنقد بعض مسائله المجمع عليها ، حتى تواتى الوجهة الغربية من ذلك :

توريث غير المسلم من المسلم . يقول الخواجة : " اختلاف الدين بين الوارث والمورث لا يمنع من الميراث ، لأن القرآن اباح نكاح الكتابيات ، فالمسيحية تحت عصمة المسلم تعتبر زوجة ، والزوجة ترث بنص القرآن ، ولو كان اختلاف الدين مانعا من الميراث لما جاز أن تصبح الكتابيات امهات وزوجات للمسلمين " (١)

وعند غربلة هذا الزعم تجده سلاحا ذا حدين ، يخدم حركات التنصير من جهة ، ويقضى على سلاح العلماء الشرعى الذى كثيرا ما سل فى وجه من تسول له نفسه الارتداد عن شرع الله من جهة أخرى ، وأقل ما يقال فى رده أن حل الزواج بالكتابيات لا يستلزم احقيتها فى الارث ، والا لأنطبق عليها سائر أحكام الاسلام ، فتعامل معاملة المسلمات ، ثم إن الذى يثبت هو صحة التوارث بين الزوجة الكتابية من زوجها المسلم ، وتلك حالة ضيقة محدودة من حالات الميراث ، فكيف يصح أن يستنبط منها قضية " اختلاف الدين لا يمنع من الميراث " سواء كان المخالف كتابيا أو غيره ، زوجة أو غير زوجة ، وعمدة المنع قول النبى صلى الله عليه وسلم " لا يرث المسلم الكافر ، ولا يرث الكافر المسلم " . (٢)

ج — حرية التصرف فى المال عند الوفاة :

شملت نظم الاسلام اقامة التوازن فى حياة الانسان فردا أو جماعة ، طوال مدة بقائه على هذه الأرض ، من ذلك اشتمالها على تلك الأسس المقسمة لتركة المسلم بعد وفاته ، واعطاؤه حرية

---

(١) معجزة القرآن دربيان ميراث مسلمانان (معجزة القرآن فى بيان توارث المسلمين) ص ١٧ .

(٢) الحديث رواه البخارى فى صحيحه جـ ٨ / ١١ كتاب الفرائض باب لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم ، ومسلم فى صحيحه جـ ٥ / ٥٩ والدارمى جـ ٢ / ٣٧٠ كتاب الفرائض باب فى ميراث أهل الشرك وأهل الاسلام .

التصرف فى جزء من ماله قبيل الوفاة ، يوصى به لمن يراه أهلا ممن لا يرث من تركته ، حفظا للاموال ، وصيانة لحقوق الورثة ، غير أن القرآنيين يرون تبعا للنظرية الغربية أن الانسان حر فى تصريف ماله حيثما يحلو له ، فله أن يقسم تركته بالوصية إن شاء ، كما له أن يوصى بها كلها لمن شاء ،يقول السيد أحمد خان "الوصية غير مقيدة فى القرآن ، فيجب أن تنفذ كما أوصى بها ، حتى لو استغرقت المال كله ، ولا اعتبار لقول قائل أيا كان "(١)

ويقول الخواجة " والأمر العجاب أن الشخص لو وهب لأحد أبنائه ما يملكه فى حياته صحت هبته ،ولا ذنب عليه ، ولكن وصيته الواهبة كل ماله لأحد لا تنفذ بعد وفاته ؟ " (٢)

ويقول برويز : "يجب على كل مسلم بروح القرآن أن يوصى ان ترك مالا ، وتأتى أهمية هذه الوصية وتأكيدها من تكرارها مرتين فى آية واحدة ، دون أن يخبر عنها أنها تصح فى كذا لا فيما يعلوه ، ودون أن يعين أنها تجوز لفلان دون فلان ، بل كل شخص مختار فى وصية تركته ... ويجب أن تحتوى على جميع ما يتصل بالتركة ، ولكنه إن صادف أن المتوفى لم تتح له فرصة للايصاء ، أو بقى مال بعد وصيته ، ففى هاتين الحالتين تقسم التركة حسبما عينه القرآن "(٣)

وللمسلم المقر بالكتاب والسنة أن يفحم هؤلاء بقول النبى صلى الله عليه وسلم "ألا إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا يجوز وصية لوارث "(٤) وقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص حين مرض فى مكة وعاده النبى صلى الله عليه وسلم فيه : "يرحم الله ابن عفراء قلت يا رسول الله أوصى بمالى كله ، قال : لا : قلت فالشطر ، قال : لا ، قلت الثلث: قال فالثلث والثلث كثير ، إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس " (٥)

د ــ أحكام القرآن فى التركة مؤقتة :

لحمل الاسلام على النظرية الاشتراكية فى الأموال يرى برويز أنه "عندما يصل نظام القرآن الاقتصادى الى غايته لن تبقى هنالك أملاك فى التركة ، فلذا كانت الأحكام الواردة فى

(١) مقالات جـ ١٧٩/١ . (٢) معجزة القرآن ص ٧ .

(٣) تبويب القرآن جـ ١٣٩٠/٣ ، وانظر الحافظ محمد أسلم نكات قرآن ص ١٨ وعبد الله جكرالوى تفسير القرآن بآيات الفرقان ص ٣١٥ .

(٤) الحديث أخرجه الدارمى فى سننه جـ ٤١٩/٢ كتاب الوصايا باب الوصية للوارث .

(٥) الحديث أخرجه البخارى جـ ١٨٦/٣ كتاب الوصايا باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس .

التركة والوصية أحكاما انتقالية لا يسرى حكمها الا فى الفترة التى تتصل بما قبل وصول ذلك النظام الى كماله وغايته " (١)

هـ — قواعد الحجب مجحفة :

حمل المنكرون للسنة حملة ضارية على قواعد الحجب ، ومنع الميراث عن وارث ما ، لقيام سبب أو أكثر يمنعه من الارث ، كوجود من هو أقرب منه الى الميت .... وجماع قولهم فى ذلك أن قواعد الحجب ومنع الميراث مخالفة لفطرة البشر ، بل إنها تورث القطيعة ، وقد تؤدى الى القتل واهتم هؤلاء بمسألة توريث الحفيد مع وجود عمه اهتماما بالغا ، حتى استصدروا من حكومة باكستان تقنينا اعترفت له فيه بأحقية الارث تحت شعار العطف المزيف (٢) ، فأصبح الحفيد منذ ذلك اليوم وارثا نصيب أبيه من تركه جده ، (٣) مع وجود سبب المنع فى نظر الاسلام ، وبذلك نقضوا أوثق عرى الميراث تحت شعار الشفقة والرحمة ، وتقديم العقل على النقل تبعا لمنهج السيد فى تفسير الاسلام ، مع أن شرع الله لم يوصد أبواب الارث فى وجه هذا اليتيم ، بل إن الوصية الشرعية فى الثلث وما دونه هو الحل الأمثل لأمثال هؤلاء ، وفى مثل هذه الظروف .

و — نظام القرآن الاقتصادى " الاشتراكية فى الأموال " :

أقحم برويز نظرية " اشتراكية الأموال " الغربية فى القرآن ، وأسماها " نظام القرآن الاقتصادى " ويتحدث عنها فى الموضع المناسب وغير المناسب ، ويخضع آيات الكتاب حتى تسوغ تلك النظرية " الأساس فى وسائل الانتاج هو الأرض والقيام بمهمة ايتاء الزكاة الى الشعب من أوليات فرائض المملكة الاسلامية ، ولا يسع هذه الدولة القيام بهذا الواجب الا بنقل

---

(١) تبويب القرآن جـ ١٣٨٦/٣

(٢) وجرى التعديل ١٩٤٩م حيث نص على اعطاء الحفيد حصة أبيه من الأراضى الزراعية ، وفى عام ١٩٥٣م ضمت اليه الحفيدة / انظر تعديل النصين عند الاستاذ تنزيل الرحمن فى مجموعة قوانين اسلام جـ ١٩٨٠/٥ ويرى صاحب هذه المجموعة لحل هذه القضية " أن يجبر الورثة على تقسيم التركة على يد المحكمة ، ولها أن تأخذ ثلث التركة وتعطيه لمن لا يرث من الورثة ، على أن الميت (الجد) قد أوصى بذلك ، مالم يكن الميت قد أبى الوصية فى حق هؤلاء لتشاحن أو بغضاء أو نحو ذلك " . مجموعة قوانين اسلام جـ ١٩٨١/٥ .

(٣) انظر الحافظ محمد اسلم محجوب الارث ص ٣ و ٢٥ وادارة بلاغ القرآن عائلى قوانين / (الأحوال الشخصية) ص ١٦ وغلام أحمد برويز قرآنى فيصلى (الأحكام القرآنية) جـ ١١/٢

هذه الوسيلة الانتاجية من الأيدى الفردية الى الأيدى الجماعية ، فتحول ملكية الأرض الى الدولة وتتصرف فيه بما تراه مناسبا لتغطية متطلبات المحتاجين .... وفى ظل نظام الاسلام لا يمكن ترك فضول الأموال فى أيدى أصحابها ، ولا نتصور الملكية الفردية ممن يستظل تحت ظل هذا النظام بل تعمم الأرض والأموال والمصانع والتجارة ، وتوضع تحت تصرف الملكية المشتركة حتى تتمكن الدولة من تلبية حاجيات الشعب " (١)

ز ـ نزع التأبيد من أحكام الاسلام :

وآخر نزعة غرسها هؤلاء المنكرون أن هيأوا أفرادا بين الصف الاسلامى مهمتهم نزع التأبيد عن التشريعات الاسلامية الثابتة ، ودفعها الى عجلة التغيير والتحويل ، كتشريعات القانون ، يقرها مجلس وينسخها آخر تلبية لرغبات الشعب .

وبرز هذا الجانب عند القرآنيين المحدثين فى صور أهمها :

١ ـ فى الطلاق :

حيث يرى عمر أحمد العثمانى انه " لا يستثنى من قوله عز وجل " وبعولتهن أحق بردهن ... "(٢) الا المستطلقات " المخالعات " فلا يصح منهن العودة الى ازواجهن السابقين حتى ينكحن زوجا آخر ، واما من عداهن من المطلقات الرجعيات والبائنات والمبتوتات والمغلظات فيصح لأزواجهن أن يرجعوهن دون أن ينكحن زوجا آخر ، شريطة أن يتوقع من رجوعهن الاصلاح فى المجتمع الاسلامى النزيه " (٣)

٢ ـ فى الرجم :

وأقرب النتائج منالا لهذا الاتجاه هو ما حكمت به المحكمة الاسلامية الكبرى أخيرا بتاريخ ١٩٨١/٣/٣١م تجاه عقوبة الرجم الاسلامية ، فقد فسرها أغلب قضاة المحكمة بأنها عقوبة تعزيرية ، لا صلة لها بالحد (٤) ولا زالت هذه الحرية التفسيرية للتشريعات الاسلامية مستساغة

---

(١) قرآنى قوانين ص ١٥٩ . (٢) البقرة آية : ٢٢٨ . (٣) فقه القرآن جـ ٢٧٣/٢ .
(٤) انظر المحكمة الشرعية الكبرى بباكستان ، رجم ص ١١٤ .

لدى أغلب القضاة فى المحاكم حتى اليوم •

٣ — فى قطع السارق :

وآخر حد اسلامى تعرض للتحوير وعدم الثبات هو حد قطع السارق ، وأوله المستغربون بأن ما ذكره القرآن هو أقصى عقوبة لتلك الجريمة ، وأن المجتمع المسلم فى حل من وضع عقوبة لهذه الجريمة •[1]

٤ — ومنهم من يرى وجوب فصل التشريعات الدينية عن التشريعات القانونية ، ويحبذ اعادة النظر فى النكاح المدنى " نكاح المحاكم دون شهود أو أولياء " وفى طلاق المحاكم ، ودمج الزكاة فى ضريبة الدخل ، وحل التأمين بكل صوره ، والموافقة على جميع قوانين الشركات الأوربية لأن العصر قد اختلف وأثبت أشياء لا وجود لها فى الاسلام ،فيتعين مراعاة ذلك •[2]

ويمكنك تصور غموض الاسلام ومبادئه الخالدة عند هؤلاء آنذاك مما كتبه الشاعر محمد اقبال " والرأى عندى هو أن ما ينادى به الجيل الحاضر من احرار الفكر فى الاسلام من تفسير أصول المبادئ التشريعية تفسيرا جديدا على ضوء تجاربهم ، وعلى هدى ما تغلب على حياة العصر من أحوال متغايرة هو رأى له ما يسوغه كل التسويغ "[3] وقد رجع محمد اقبال عن هذا الرأى ، ودافع عن الاسلام دفاعاً مستميتاً ، ودواوينه المتعددة التى نظمها بعد هذا الرأى تشهد له بذلك .

---

(١) انظر مجلة صدق جديد جـ ١٩/ ٨ عدد ٢٢ أغسطس ١٩٦٩م •

(٢) انظر آصف على فيضى هندوستان مين مذهب اسلام برنظرثا نى كى ضرورت " حاجة الهند الى اعادة النظر فى الاسلام " ص ٢٧ — ٢٨ ،

(٣) تجديد التفكير الدينى ص ١٩٣ ويرى الرأى ذاته صاحب هندوستان مين مذهب •• ص ٢٥ .

الفصل الخامس

((القاديانية واخلاصها للفكر الغربي))

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية :

١ ـ فتوى العلماء حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام .

٢ ـ غلام أحمد القادياني ودعاواه .

٣ ـ الهدف الرئيسي من دعاوى الغلام .

٤ ـ موقف القاديانية من الجهاد بعد موت الغلام .

٥ ـ الغلام وادعاء النبوة .

٦ ـ تفسير القاديانية لـ " خاتم النبيين "

٧ ـ وحي الغلام .

٨ ـ ما تختلف فيه القاديانية عن الاسلام .

فتوى العلماء حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام :

كثيرا ما يتحدث الناس عن القاديانية ،وعن زعيمها المتنبئ وعن مناهضتها لعقيدة ختم النبوة ، ونسخ الجهاد ، ... لخدمة الاستعمار ، وكثيرا ما جرت المناقشات فى هـــذه الموضوعات على الساحات العامة والخاصة ،ولكن قلما نجد تحليلا ، أو ربط مسبب بسببـــه يوضح تلك الخطوط التى خنقت الاستعمار ، وضيقت عليه سبل الاستغلال ... حتى اضطـر الى ايجاد نبوة تساند غلبته وسيطرته ، وتهدئ غضب أهل الهند على السادة البيض .

لو عدنا الى الوراء قليلا ، وحاولنا تتبع الأحداث والعراقيل التى وضعت فى طريق الانجليز لمنعهم من الاستيلاء على الهند ،نجد اغلبها جاءت لتحقيق القاعدة الاسلامية "اما العلنية فى النفير العام — الجهاد ومقاتلة الكفار — فبالاجماع لأنه من اغاثة الملهوف والمظلوم " (١) لذا يقول القرطبى : " اذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر، فاذا كان ذلـــك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا اليه خفافا وثقالا ، شبابا وشيوخا ... ، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر ، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة ... ،وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج اليهم ... ولا خلاف فى هذا " (٢)

فلم تكن حرب بلاسى وبكسر وحروب حيدر على وابنه تيبو سلطان وحركة السيد أحمد الشهيد الجهادية وانتفاضة ١٨٥٧م الا حلقات من تلك السلسلة الحاجزة ، التى أقامها المسلمون لمنع تحويل الهند من دار الاسلام الى دار الحرب .

وبالقضاء على الانتفاضة الهندية خيل الى الانجليز أن الهند وقعت فريسة فى شباكهـــم ، لن تملك حولا ولا قوة لطردهم أبدا ، غير أنهم سرعان ما شاهدوا نهوض حركة الجهاد من جديد تقلق مضاجعهم ، وتهدد مستقبلهم فى تلك البلاد ، ومن غير المستبعد أن تقوى الحركة بانضمام المجاهدين الفارين من المحاكمة أو من رغبوا فى معاودة الجهاد عقب الهزيمة ، وذاك هـو

---

(١) انظر محمد بن محمود البابرتي شرح العناية على الهداية جـ ٥/ ٤٤٠ .
(٢) الجامع لاحكام القرآن جـ ٨/ ١٥١ .

سر كثرة القوة المجاهدة التى اعترف الانجليز بنشاطها وحيوتها فى هذه الفترة ، ووصفوها بأنها أقوى وأصلب عودا من عهد مؤسس الحركة .(١)

وبالكشف عن خطوط التموين ، ومراكز التدريب الجهادية فى المناطق الخاضعة للانجليز عام ١٨٦٩م اختفت الحركة فى العلن ودخلت فى دور السرية والاختفاء بعد أن حوكم كل من حامت حوله شبهة الجهاد أو اعانة المجاهدين ... ، واجتهد الانجليز أثر ذلك فى جمع فتاوى العلماء ، ونشرها بين المسلمين خوفا من حركة جهادية أخرى ، وكتابات العلماء والفتاوى التى وجهوها الى الأمة فى هذه الفترة أغلبها يمنع الجهاد ، ويوعز الى المسلمين بالخضوع والاستكانة ... ، ومرد ذلك قوة اليد الحديدية الخانقة والمشانق المتدلية من الأشجار على مفترق الطرق .

وان عدت الى الفتاوى وجدت أن محورها يدور حول وضع الهند السياسى ، وهل هى دار حرب يجب حمل السلاح على كل مستطيع لاستردادها ؟ أو أنها ما تزال دار اسلام لبقاء بعض الأحكام الاسلامية منفذة فيها على أيدى الحكام الجدد .

ونكاد نعدم فتوى تمنع الجهاد قبل الانتفاضة ، بل كانت فتوى الشاه عبد العزيز ـ التى صرحت ان الأجزاء المحتلة من الهند دار حرب ـ هى الأساس الذى يفتى فى ضوئه كل مفت وعالم(٢) ، ولكن الوضع اختلف بعد المحاكمتين (١٨٥٧م ـ ١٨٦٩م) واستشهاد أغلب العلماء البارزين على أرض المعركة أو على حبل المشنقة ، ولم يحدث تغيير فى الفتوى الا بعد القضاء على مخيم المجاهدين ، وعلى أثره أصبح المنع عن الجهاد هو الشغل الشاغل للمفتين والعلماء يستوى فيه من اعتبر الهند دار حرب ، ومن لم يعتبرها كذلك ، ولم يشذ عنهم الا من حمل السلاح فى يده ، وجالد الانجليز بسيفه وسنانه .

تقول فتوى الحجاز المكية شبه الاجماعية فى الاجابة على الاستفتاء الهندى ما نصه :

" ما قول علماء الاسلام فى الهند التى حكامها مسيحيون ، لا يتدخلون فى آراء الفرائض الدينية كالصلوات اليومية والعيدين ... ، غير أنهم يبيحون لأنفسهم ترك بعض أحكام الاسلام ،

---

(١) انظر همارے هندوستانى مسلمان ص ٤٥ و ٤٩ .

(٢) انظر باغى هندوستان ص ٢٥٨ .

كتوريث المرتد المتنصر ٠٠٠٠ أهى دار اسلام أم لا ؟

" وأجاب على الاستفتاء مفتى الحنفية الشيخ جمال بن عبدالله قائلا : ما دام بعض أحكام الاسلام سارى المفعول فالهند دار اسلام . ونصت اجابة مفتى الشافعية أحمد بن زينى ولهم على أن جريان بعض الخصائص الاسلامية كفيل باعتبار الهند دار اسلام . وأجاب مفتى المالكية الشيخ حسن بن ابراهيم بقوله : لقد ذكر فى شرح الدسوقى أن دار الاسلام لاتتحول الى دار الحرب بمجرد غلبة الكفار عليها ، بل تصبح كذلك اذا توقف العمل بجميع أحكام الاسلام " (١)

وقدم الاستفتاء الى علماء مدينة لكهنو فى الصورة السابقة بعد اضافة الجمل التالية : ان المسلمين لا يملكون القوة الكافية من العتاد والسلاح لمقاومة الحكام المسيحيين ، وإن قاتل هؤلاء فالهزيمة متيقنة فى الكفة الاسلامية ، وفى ذلك ذهاب عز الاسلام ، فأجاب على الاستفتاء كل من المفتى محمد على ، وعبدالحى ، وفيض الله ، ومحمد نعيم ، ورحمة الله ، وقطب الدين ، وأسعد الله اللكهنويين ، والمفتى لطف الله ، وغلام على الرامبوريين قائلين : " فى هذا الموضع – فى الهند – يتمتع المسلمون بالامان ، ولا يجب الجهاد فى موضع يأمن فيه المسلمون ، بل يلزم للقتال فقد الأمان وسلب الحرية ، ولا وجود لمثل ذلك فى الهند ، أضف الى ذلك ان من لزوم الجهاد أن يغلب على الظن غلبة الاسلام ، ورفع لوائه ، وان لم يكن الوضع كذلك فلا جهاد ولا قتال " (٢)

وأوصى أعضاء مجمع علماء مدينة كلكتة وأعضاء الهيئة التدريسية بالكلية المحمدية الكلكتية فى مؤتمرهم فى تلك المدينة بأن الهند ما تزال دار اسلام ، وأن الجهاد حرام على أرضها ، ولا يصح القيام به ، لأن الشريعة لا تسمح بالقتال فى دار الاسلام ، وهذا الأمر أوضح من أن يستدل عليه ، فلو عزم ضال ، أو فاقد وعى على الجهاد ضد حكام الهند الانجليز اعتبرت حربه حرب بغى وفساد ، وثورة ضد حكومة شرعية ، لا يجيزها الفقه الاسلامى ، ولو افترضنا وجود مثل هذه الحرب فإن المطلوب شرعا من المسلمين هو تأييد حكامهم للقضاء على البغاة " (٣)

---

(١) انظر همار هندوستانى مسلمان ص ٣١١ – ٣١٢ .

(٢) همار هندوستانى ص ٣١٤ وقد أرخت الامضاءات بـ ١٧ / ٤ / ١٢٨٦ – ١٧ / ٧ / ١٨٧٠م

(٣) " " ص ١٨١ و ٣١٦ وطبعوا توصياتهم فى كتيب أسموه جلسات مؤتمر المجمع المسلم المنعقد فى ٢٣ / ١١ / ١٨٧٠م ويمكنك رؤية ملخصها عند السيد نواب صديق حسن خان فى " ترجمان وهابية " ص ٩٥ .

ويلخص هنتر كتيب الشيعة الذى شمل أفكارهم حول الجهاد فى هذه الفترة فيقول :ـ
ركز الكتيب على الايمان بالأئمة الاثنى عشر ... وخلص الى القول ان الثورة أو الحرب أو أى جهد بشرى، يعتبر غير ذى جدوى فى الآونة الحالية ، وإن الدعوة الى الجهاد أو القيام به دون وجود الامام معصية لله عز وجل ، وإن كل من لم يوافق أصحاب الكتيب على رأيهم فهو مبتدع ومحدث فى دين الله عز وجل " . (١)

ويروى الشيخ نواب صديق حسن خان المحدث جواب الشيخ محمد حسين بتالوى أحد أبرز علماء أهل الحديث ـ السلفيون ـ فى الموضوع فيقول : " فى عام ١٨٧٥م أجاب الشيخ محمد حسين بتالوى على سؤال فحواه هل يصح رفع السلاح بموجب الشرع فى وجه الانجليز أو لا ؟ فأجاب بأن الجهاد ورفع السلاح فى وجه الدولة التى رفعت شعار حرية التدين لا يجوز شرعا ... وأن من فعل ذلك فهو باغ يجب عقابه .... ثم أرسل الشيخ فتواه الى أطراف الهند فوافقه العلماء على ذلك منوهين أن الجهاد مخالف للسنة والايمان ... وأن الموحدين لا يصح منهم رفع السلاح فى وجه الدولة ، ومن أتى شيئا من ذلك خالف المعتقدات الايمانية " (٢)

ويسم السيد نواب صديق حسن خان الحركة الجهادية والمتمثلين بفرضية الجهاد "بأنهم لا يفهمون من الاسلام الا قشوره .... وأن ما ادعوه من الجهاد لم يكن يعدو الفتنة قط ، ولن يؤيدهم فى ذلك ذو عقل سليم أو بصيرة نافذة .... وإن العلماء مختلفون فى شأن الهند أهى دار حرب أم دار اسلام ؟ فأغلبية الأحناف تحكم باسلامها ، فإن كانت الهند كذلك فما الجهاد ... ، بل عقد النية عليه فى مثل هذه الحالة أن هو الا كبيرة من الكبائر ، والذين نسبوا الهند الى دار الحرب كأهل دهلى فهؤلاء لا يجيزون الحرب أيضا مالم يسلب الأمان ، ويهاجر المجاهد الى خارج الهند .

" والحاصل أن البقاء فى دار الحرب واقامة الجهاد على الحكام فيها لا يجوز عند المسلمين سلفا وخلفا " (٣) .

---

(١) همارے هندوستانى ـ ١٧٢ و ١٧٧ .

(٢) ترجمان وهابية ص ١٢٠ ومؤلف البنالوى الاقتصاد فى مسائل الجهاد " الذى ألفه عام ١٢٩٢ هـ فيه المنع عن الجهاد ونسخ أحكامه انظر المجاهد محمد جعفر تهانيسرى " حيات سيد أحمد شهيد " ص ٢٥ .

(٣) ترجمان وهابية ص ٢٨ ـ ٢٩ وقد أفرد السيد مؤلفه " موائد العوائد لمنع الجهاد وتحريم رفع السلاح فى وجه الانجليز / انظر ترجمان وهابية ص ٩٦ .

ولو تتبعنا كتابات العلماء فى هذه الحقبة نجدها تتسم بالاستسلام والاعتذار والفكاك من تهمة الجهاد قولا وعملا ، سواء كانوا أفرادا مستقلين ، أو زعماء جماعات اسلامية ، ولعل قولة السيد نواب صديق حسن خان " وانه لا يوجد من أهل الحديث من أقام الحرب على الدولة فى هذه البلاد " [1] و " إن المسلمين الهنود لا يكنون أى عداء للحكام الانجليز ، سواء اتهمهم الأعداء بالوهابية أو لا ؟ " [2] خير عرض لذلك الواقع .

ويعلق هنتر على هذه الفتاوى ، وما تحدثها من آثار سلبية فى الأمة ، مقدرا مكانة العلماء فيمن يقود ونهم فيقول : " ومن حسن الحظ أن الفتاوى التى أفتى بها المفتون أتت لصالح المحافظة على الأمن ، وتوطيد أركانه ، وطاعة الدولة والايفاء بعهودها .... فلو أتت لصالح الثورة لكنا مهددين باخطار حالكة مهلكة .... وإنها ذات الفتاوى التى أحدثت الثورة ضد الملك أكبر المغولى ، وزلزلت كرسيه ، فلم يثر جنود البنغال الا على أساس الفتوى .... وما أجمل هذه اللحظات حيث نرى ان المنطقة التى أفتت بالثورة على أكبر انجبت هى ذاتها عالما أفتى بتحريم الثورة ، وايدنا كل التأييد " [3]

وإن عدت الى النصوص الفقهية التى بحثت موضوع دار الحرب ودار الاسلام تجد الهند فى ضوئها دار حرب لا محالة ، لأن الدار تنسب الى الاسلام أو الكفر بغلبة الأحكام ، فالدار التى يغلب عليها حكم الاسلام تكون دار اسلام ، والدار التى يغلب عليها حكم الكفر تكون دار كفر [4]

ومن هنا كانت الهند دار اسلام فى نظر العلماء حين احتل الكفار المراهتة اجزاء من الهند قبل الانجليز فى النصف الأول من القرن الثامن عشر ، لأن أحكام الاسلام ظلت على منصة الحكم ولم يختلف وضع القضاة والمفتين عن العهد السابق ، بل الكفار أنفسهم حكموا بالشرع ، وعاقبوا بعقوباته . [5]

غير أن تغلب المسيحيين كان مختلفا عن العهود السابقة ، ففى عهدهم أضحت الغلبة

---

(١) ترجمان وهابية ص ٤٠ .

(٢) " ص ٧ .

(٣) همارے هندوستانى ص ١٧٢ .

(٤) انظر السرخسى شمس الأئمة المبسوط جـ ١١٤/١٠ والقاضى أبا يعلى الحنبلى المعتمد فى أصول الدين ص ٢٧٦ .

من نصيب غير الاسلام ، وقد أدرك هنتر هذه الحقيقة دون جمهور العلماء فنص على : " أن الشروط التى وضعها أبو حنيفة ، ومن جاء بعده من السلف فى تحويل البلد من دار الاسلام الى دار الكفر تنطبق على الهند ، وإنها فى ضوء تلك المصادر الفقهية القديمة هى دار حرب لا دار اسلام ، بينما كتيب علماء كلكتة يصرح بعدم انطباق تلك الشروط رغم استيلاء الكفار وذهاب دولة الاسلام ، ومغلوبية أحكامه " . (١)

غلام أحمد القاديانى ودعاواه :

تلك هى الخلفية التاريخية والاجتماعية للأمة الاسلامية ، التى ظهر فيها أمثال غلام أحمد بن غلام مرتضى (١٨٣٥م — ١٩٠٨م) زعيم القاديانية ، ولو تتبعنا حياة الغلام وتطور مراحلها المختلفة نجدها تتسلسل كالتالى :—

١ — ظهر الغلام على شاشة المجتمع المسلم عام ١٨٨٠م ، كداع يبلغ دعوة الاسلام ، ويقف سدا منيعا أمام كل الضربات التى تهدف الى النيل من دينه ، وتمتد هذه الفترة الى نهاية سبتمبر عام ١٨٨٨م ، وإن كنت لا تعدم فيها للغلام أقوالا وادعاءات يصعب على المسلم تجاوزها دون نقاش كادعائه فى مارس ١٨٨٢م بأنه ملهم ومأمور من الله عز وجل .

٢ — وفى ديسمبر عام ١٨٨٨م أعاد الادعاءين — ملهم ومأمور من الله — وبدأ بأخذ البيعة ممن اتبعه ، وفى أواخر عام ١٨٩٠م زعم — بناء على الهام — أن عيسى بن مريم لم يمت على الصليب ، كما أنه لم يرفع الى السماء بل أنزله الحواريون من الصليب مجروحا ثم شفى وهاجر الى كشمير ، ومات بها موتة طبيعية ، وفى أوائل عام ١٨٩١م ادعى أنه المسيح الموعود ، والمهدى المنتظر " ظلت فى غفلة منذ اثنى عشر عاما عن ان الله جعلنى فى " البراهين " (٢) المسيح الموعود ، غير أنى تشبثت بعقيدة عودة المسيح الرسمية (الاسلامية)

---

(١) همارے هندوستانى ص ١٨٦.

(٢) أول مؤلف للغلام يتكون من أربعة أجزاء بدأ بتصنيفه عام ١٨٨٠م .

وبعد مضى المدة السابقة كشفت لى تلك الحقيقة ، وأخذت الالهامات تتواتر فى أنى المسيح الموعود " وفسر عقيدة عودة المسيح بأنه يعنى أن شخصا كعيسى بن مريم في الصفات والاخلاق الحميدة سيولد فى هذه الامة ، وان ذلك العهد قد انجز بوجود غلام أحمد ، فإنه كعيسى والمسيح الموعود .

٣ — وفى عام ١٩٠٠م أخذ خواص اتباعه يدعونه بالنبى ، ويمتثلون لأقواله كامتثال المسلمين للقرآن والسنة ،وفى ٧ أغسطس من السنة نفسها صرح الخطيب عبد الكريم فى خطبة الجمعة التي استمع اليها الغلام بقوله " مالم تجعلوا المسيح الموعود حكما بينكم ، ولم تؤمنوا به كايمان الصحابة بمحمد صلى الله عليه وسلم تصبحون كفير" الأحمديين " (١) الذين يفرقون بين رسل الله " ووثق الغلام ذلك المفهوم فقال : " ذلك ما أدين الله به " وبعد بضعة أشهر أعلن الغلام نبوته وزعم أنه مرسل من الله ، ولم يعد يقيد الفاظه ، ولا يؤول فى معناها كما كان يفعل فى السابق كتقييد النبوة والرسالة بالناقص والجزئى . (٢)

٤ — وفى عام ١٩٠٤م ادعى الغلام فى محاضرة عامة بمدينة " سيالكوت " انه " كرشن " الهند والهنود عباد البقر من ويلات الاستعمار وتقلبات العالم وزعم أنه الهم " ولقد كتبنا مجدك فى "كيتا " (٣) انك "كرشن " الذى يدفع السيئات ويجلب الخيرات " (٤)

الهدف الرئيسى من دعاوى الغلام :

تلك هى التقلبات والدعاوى الغلامية البارزة ، وبالعودة الى مراجعتها وانعام النظر فى مراميها نجد أن صاحبها تقنع بها لخدمة هدف معين ، وهو تحويل القلوب الهندية من

---

(١) نسبة الى غلام أحمد القاديانى .

(٢) انظر تطورات هذه الأحداث بمصادرها الوافية المعتمدة فى مؤلف نشرته الحكومة الباكستانية باسم " ريورت تحقيقا تى عدالت فسادات بنجاب عام ١٩٥٣م "تقرير المحكمة عن اضطرابات البنجاب ١٩٥٣م" ص ٨ — ٩ ، ومجلة ريويو آف ريلجنز القاديانية ص ٣٤٦ و ٣٤٨ عدد سبتمبر ١٩٠٢م ، والمودودى قاديانى مسئلة ص ٩١ — ٩٥ .

(٣) كتاب الهندوس المقدس .

(٤) راجع الالهام بأكمله فى ريويو آف ريلجنز ص ٤٠٥ عدد نوفمبر ١٩٠٤م .

التشاحن والبغضاء تجاه الانجليز الى الوئام والحب ، وصرفها من حمل السلاح والجهاد الى العيش بالمحكومية والاستسلام .

وحدد الغلام بداية هذه الخدمة فى عام ١٩٠٢م فقال : " منذ عشرين عاما (أى منذ عام ١٨٨٢م) تجدنى مشغولا فى تأليف الكتب ونشرها بالفارسية والعربية والأردية والانجليزية ، ذكرت فيها المرة تلو المرة أن فريضة الاسلام على المسلمين التى يأثم تاركها عند الله أن يكونوا أوفياء لهذه الدولة ، ويضحوا من أجلها خير تضحية ، وأن يسلوا من سويداء قلوبهم عقيدة المهدى السفاك ، وما يشبهها من المعتقدات غير الملائمة ، التى لا يستطيع أحد اثباتها من القرآن " (١)

وكثيرا ما ربط القاديانى وأتباعه دعوى المهدية ... بانكار الجهاد ، فها هو يقول : " وانى مؤمن أنه كلما ازداد اتباعى سينقص اتباع من يعتقد بالجهاد ، لأن الايمان بمهديتى ومسيحيتى انكار للقتال والجهاد " (٢) ويقول اتباعه " وليس من الصحة بمكان أن أصحاب هذه الفرقة (القاديانيين) اناس مغفلون ويتساوى مع المسلمين البله بل من يتوهم ذلك فهو مخطىء دون ريب ... ، ومن المسائل مسألة الجهاد التى ما زال المسلمون يعتقدون بها ، وأنهم يؤمنون بمجيئ المهدى السفاك الذى سيقاتل جميع الفرق ...، غير أن امامنا يعلمنا ان الجهاد والقتال حرام ...، ومن شروط البيعة عنده أن المبايع يجب عليه أن يقبح تلك الأمور ويعدها من كبائر الذنوب والآثام " . (٣)

وتتبع الاحداث يظهر أن الغلام أراد من كل تلك الدعاوى الجمع بين أمرين ، وضرب عصفورين بحجر واحد ، تثبيط الهمم واغماد السيوف المجاهدة فى منطقة سرحد ، وتهيئة القلوب الأفغانية لتتقبل الاحتلال البريطانى لأرضيها ، لذا نجد أن دعاه القاديانى النشيطين لم يكلفوا بتبليغ الدعوة الا فى المناطق المشتعلة ، أو التى تجاور الهند المحتلة من الشمال ، ولم يستسغ شعبها الخضوع والاستسلام ، فما اعدام عبداللطيف صاحب زاده ، وملا عبدالحليم جهار آسيانى ، وملانور على القاديانيين فى أفغانستان الا حلقة من تلك السلسلة الطويلة .

يقول المرزا بشير الدين محمود أحمد بن غلام أحمد الخليفة الثانى للزعامة القاديانية عن قتل

---

(١) غلام أحمد ترياق القلوب ص ٣٠٧ . (٢) غلام أحمد تبليغ رسالت جـ ٧ / ١٧ .

صاحب زاده ما نصه " صدفة وجد كتاب فى احدى المكتبات ... صنفه مهندس ايطالى ، شغل منصبا حساسا فى حكومة أفغانستان ، وقد سجل ببنانه أن استشهاد صاحب زاده جاء نتيجة تعليمه العلنى ضد الجهاد ، وقد خشيت أفغانستان أن شعبها بهذه التعاليم سيفقد شعور الحرية فيتغلب عليهم الانجليز ، وإن هذا الاستشهاد بهذه الرواية يوصلنا الى أن الشهيد لو مكث ساكتا ، ولم ينطق بكلمة تسئ الى الجهاد لما شعرت حكومة الأفغان بضرورة الخلاص منه " (١)

وظل الغلام طوال حياته وفى جميع مراحلها المتنوعة مشغولا ينسخ الجهاد السرحدى ، ففى حفلة تتويج ايدورد قيصر أشار الى " أن مؤلفاته لم تعط التأثير المطلوب فى المسلمين فلم تبرز النتائج المرجوة ، وأن سرحد لم تزل مشتعلة ، وفى تضحية علمائنا وجهودهم المتوالية تكمن النتائج المطلوبة ... ، ففى مقدورهم أن يثبتوا من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة أن رفع السيف فى وجه الدولة حرام لا يصح العمل به " (٢)

لذا تمنى مسئول مدينة بشاور الانجليزى نشر التعاليم القاديانية فى منطقة الحدود ، وخاطب الغلام بقوله " عندما أعيد النظر فى تعاليم الاسلام ، أرى أن ما يشرح به الخواجة (الغلام) تلك التعاليم هو عين ما يهدف اليه الاسلام ... ، وإنى سأفرح أكثر حين أرى كتيبك وفتواك عن عدم الحاجة الى الجهاد ينتشران فى منطقة الحدود الشمالية " (٣)

وقبيل الوفاة بسنة نرى القاديانى ينشر ملصقات حائطية تتنوع فى عباراتها وتتحد فى مفاهيمها من كون الجهاد قد نسخ ، وأن أهل سرحد لا يؤمنون الا بالمهدى السفاك ، رغم ما بذلنا من المساعى والجهود .(٤)

والذى أرى أن محور ادعاءات القاديانى المختلفة لم تعد نسخ الجهاد ، وبث روح الخضوع

---

(١) جريدة الفضل القاديانية ،خطبة الجمعة لمحمود عدد ٦ أغسطس ١٩٣٥م ، وبالمقارنة بين تاريخ الاعدام وتنبؤ القاديانى بمقتل حوارييه يظهر أن الخبر وصله قبل غيره ، فألقى محاضرة عامة وتنبأ فيها بذلك النبأ / انظر ريويوآف ريلجنز ص ٣٢٤ عدد سبتمبر ١٩٠٤

(٢) ريويوآف ريلجنز ص ٢٠ عدد يناير ١٩٠٣.

(٣) " " ص ٩٨ عدد مارس ١٩٠٤.

(٤) " " " ص ٢٣٨ " يونيو ١٩٠٧.

بين الصف المسلم ، فلو اطمأن الغلام الى وجود تلك الروح في الفترة التى كان يتقنع فيها بالدفاع عن الاسلام لما اعقبتها دعوى المسيح والمهدى المنتظر ، وإن الأخيرتين لو حققتا ما أوقف الغلام حياته من أجله لما تجرأ على فض ختم النبوة ، ولما ادعى الرسالة الالهية ، وان انحرافات الرجل سواء كانت عقدية أو تشريعية كلها تسلسلت في الظهور كنتيجة انتقال من دعوى الى أخرى واحتكاك مستمر بينه وبين المخالفين له في خدمة الاستعمار واطفاء شعلة الجهاد .

فحين خيب القول والتبليغ والكلمة المكتوبة الغلام في اخماد جذوة الجهاد استغل الرجل عقيدة المهدى المنتظر الاسلامية ، وحاول من خلالها اضفاء الشرعية على ذلك الزعم ، ولما أيس من تحقيق مطمحه من تلك العقيدة ارتقى سلم النبوة والرسالة ، فالغلام لم يحدد لحياته هدفا سوى ما ذكرت ، وما عدا ذلك جاء تبعا ونافلة لا أساسا ومتبوعا ، بصرف النظر عن أن التابع كان أهم وأخطر ، وبغض النظر عن أن الذين انضموا الى نحلته أو الذين تولوا الزعامة بعده جعلوا التابع هو الأصل ، والمتبوع وهدف حياة الغلام هو الفرع ، فالمسلكان هذا وذاك في صورتيهما السابقة واللاحقة يخدمان افساد الدين ، طالما لا يؤمن اتباعهما بحقائق القرآن وما آمنت به امة الاسلام .

موقف القاديانية من الجهاد بعد موت الغلام :

وان حاولت تتبع موقف القاديانية في مساعى استقلال الهند بعد موت الغلام تجده موقفا سلبيا ، فقد ظلت قيادة القاديانيين تتبع خطى غلامها حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ، فحين كانت حركة الرسائل الحريرية في أوجها غضب الخليفة بشير الدين محمود على اتباعه الذين لانَ جانبهم لتبنى نظرية استقلال الهند الاسلامية ، كالخواجه كمال الدين القاديانى وأمثاله ولم يسترح ضميره حتى كتب حلقات متتابعة في صحيفة " الفضل " تردع الخواجة وأمثاله ولم يصف الجو الا بعد تدخل حاكم الهند شخصيا ، وعقد مصالحة بين الطرفين .(١)

الغلام وادعاء النبوة :

ودعوى نسخ الجهاد هذه جرت الغلام الى ادعاءات أخرجته وأخرجت اتباعه من دائرة

---

(١) انظر موج كوثر ص ١٨٠ .

الاسلام باتفاق المسلمين من ذلك :

١ — ادعاء النبوة والرسالة الالهية ، وهو أعظم دعاويه على الاطلاق ، يقول الغلام قبل وفاته بثلاثة أشهر ما نصه " وإنى أدعى أنى رسول ونبى " (١) ويعلن فى الخطاب الذى أرسله قبيل وفاته بثلاثة أيام الى صحيفة " أخبار عام " اللاهورية ، ونشرته الصحيفة يوم وفاته فى ٢٦ مايو ١٩٠٨م بأنى نبى بالحكم الالهى ، وإن ابيت ذلك اثمت فكيف يصح منى انكار التسمية الالهية لى بالنبى ، وإنى سأظل عليها حتى أرحل عن هذه الدار العاجلة " (٢)

تفسير القاديانية لـ " خاتم النبيين " :

وفسر الغلام كلمة " خاتم النبيين " الواردة فى قوله تعالى " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (٣) بقوله " الختم المحمدى هو المعيار الصحيح لنبوة البشر وإن الورقة اذا ختمت أصبحت وثيقة وسندا ، ولن تكون أى نبوة حقة حتى تصدق بالختم المحمدى " (٤)

وفسر اتباع الغلام " خاتم النبيين " فقالوا : " الخاتم هو الختم ، فالنبى محمد اذن هو الختم فكيف يكون ختما إن لم يكن فى امته نبوة من نوع ما ؟ وعلى أى شئ يوضع ذلك الختم إن لم يكن فى الأمة نبى ؟ " (٥) " وانا لا ننكر كون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ولكن معنى الختم يختلف عندنا عن معنى الختم عند سواد أمة " احسان " (٦) وان تفسيرهم له ينافى عظمة الرسالة المحمدية ويحرم امة محمد من نعمة النبوة ، بل معناه أن محمدا ختم للأنبياء وسيكون النبى الآن وما بعد الآن هو الذى يصادق على نبوته محمد صلى الله عليه وسلم ... ، وانا نفهمه خاتم النبيين بهذا المفهوم " (٧)

---

(١) صحيفة بدر القاديانية عدد ٥ مارس ١٩٠٨م .

(٢) ريويوآف ريلجنز ص ١١٠ العدد الثالث المجلد الرابع عشر .

(٣) الأحزاب آية : ٤٠ . (٤) قاديانى مسئلة ص ١٢ .

(٥) صحيفة الفضل ص ٣ عدد ٢٢ مايو ١٩٢٢م .

(٦) مجلة اسلامية جملت صفحاتها وقفا لمن يرد على القاديانى واتباعه .

(٧) الفضل ص ٢ عدد ٢٢ سبتمبر ١٩٣٩م .

ويقول التقرير السرى الذى صدر من القاديان عام ١٩٣٢م بعنوان " أحمد رجل الساعة ونبى آخر الزمان " انتهزنا تلك الفرصة لنحمل الى العالم البشارات السعيدة ، بأن نبى هذه الأيام المباركة تنبأ بمجيئه الأنبياء العظماء ، وكان ظهوره فى تمام الوقت المناسب فى شخصية حضرة مرزا غلام أحمد القاديانى " (١)

اذن باب النبوة مفتوح عند السيد أحمد خان وعند القاديانية ، يلجه من يجد من نفسه قدرة على ذلك ، لذا ادعى جراغ دين ابان حياة المتنبئ عام ١٩٠٢م الرسالة ، وزعم أنه رسول الى أهل جمون وكشمير ، أنزل عليه الكتاب باسم (دعوى رسالت) وطلب التصديق من المسيح الكذوب ، فجاء الرد فى صورة الهام يوعد مدعى الرسالة بالهلاك وكان " جراغ قبل هذه الفرية من اتباع الغلام يشاركه فى أفراحه وأحزانه . (٢)

وحى الغلام :

جمع وحى القاديانى فى كتاب سمى " تذكرة " سجل على صدرها " مجموعة الهامات وكشوفات ورؤيا " اشتملت على بضع مئات من الصفحات ، وتصفحك بضع صفحات منها يظهر لك ان ما أوحى — على حد زعمه — الى الغلام يجمع بين العربية الركيكة (٣) والأردية غير المنضبطة بالقواعد والأصول (٤) والانجليزية القصيرة الجمل ، — المكتوبة بالأحرف الأردية (العربية) فى السابق (٥) المعدلة الى الاحرف اللاتينية الآن — والبنجابية المتداخلة بين الجمل للتظرف (٦) ، والفارسية (٧) ، وتلك لغات خمس اشتمل عليها خليط التذكرة .

ويدرك قارئ التذكرة بعد قراءة بضع صفحات ان أغلب محتوياتها مبتور من القرآن الكريم ، أو سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أو اشعار العرب وأمثالها المشهورة :— " واما بنعمة ربك فحدث " (٨) " رب اشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره " (٩) " إن المنايا لا تطيش سهامها " (١٠)

---

(١) ص ١ مطبوع على ستنسل اطلعت عليه فى القسم المحظور من مكتبة ربوة .

(٢) انظر تفاصيل هذه الرسالة والالهامات الرادعة فى ريويو آف ريلجنز ص ١٦٥ عدد مايو ١٩٠٦ .

(٣) انظر كمثال لذلك ، تذكرة ص ٢ - (٤) انظر كمثال لذلك تذكرة ص ٤٢ .

(٥) انظر " " ص ١١٥ لان الغلام لم يكن يعرف الانجليزية كما صرح بذلك فى التذكرة ص ٥٥ . (٦) انظر كمثال لذلك تذكرة ص ٩ . (٧) انظر كمثال لذلك تذكرة ص ٣٨ .

(٨) تذكرة ص ٤٦٥ . (٩) تذكرة ص ٧٩٠ . (١٠) تذكرة ص ٥٦٥ .

وبعد تصفح التذكرة يستنتج المرء أن الهامات الغلام وكشوفاته رؤى منامية ، لم يـأت اليه الوحى يقظة طوال حياته ، أضف الى ذلك أن باب الوحى والالهام واتصال متبع الغلام بالملكوت العلوى مفتوح أمام كل القاديانيين ، وقد روت مجلة " أحمدية كزت " القاديانية الكندية وحى الخليفة مرزا ناصر أحمد فنسبت اليه قوله : " لقد أوحى الىّ أن غلبة الاسـلام ووصوله الى الآفاق سيكون اشمل من الخلافتين السابقتين " (١) وقوله " بشرى لكم " (٢) كما كان وحى : " ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض " (٣) مشتركا بين كل من الغلام وفضل عمر والمرزا ناصر أحمد .

ما تختلف فيه القاديانية عن الاسلام :

وأخطر ما الهم الغلام طوال حياته كلها هو : " أن من لم يتبعك ، ولم يدخل فى بيعتك بل خالفك فهو عاص لله ولرسوله ، أو انه من أهل النار " (٤) ونسب اليه ابنه وثانى خلفائه قوله : " من الخطأ ان نقول ان اختلافنا مع مخالفينا ينحصر فى وفاة المسيح وفى عدة مسائل أخرى ، بل انا نختلف معهم فى ذات الله وفى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى القرآن وفى الصلاة ، والصوم والحج والزكاة ، والحاصل انه (أى الغلام) ذكر لنا بالتفصيل اننا نختلف معهم فى كل شىء " (٥)

ومن هذا المنطق لا تصح صلاة القاديانى مأموما خلف امام غير قاديانى ولا يصح لاتباع الغلام أن يصلوا صلاة الجنازة على من لا يؤمن بنبيهم حتى ولو كان المتوفى طفلا ، ويجب عليهم وفق التعاليم الغلامية ألا يزوجوا بناتهم الا من يعتقد معتقدهم .... وحاصل القول ان اتباع الغلام يجب عليهم أن يعاملوا المسلمين مثل معاملة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم للنصارى أبان حياته . (٦)

---

(١) ص ١ عدد أغسطس ١٩٨٠م (٢) أحمدية كزت ص ٦ عدد يونيو ١٩٨١م

(٣) انظر أحمدية كزت ص ٦ عدد يونيو ١٩٨١م

(٤) تذكرة ص ٣٣٦ وتاريخ هذا الالهام هو عام ١٨٩٩م

(٥) الفضل ص ٤ عدد ٣٠ يوليو ١٩٣١م

(٦) انظر ما تختلف به القاديانية عن الاسلام فى الأمور التشريعية ، قاديانى مسئلة ص ١٦ — ٢٠ و ص ٥١ — ٥٢

وآخر ايادى الفكر الغربى على هذه الطائفة أن نقلتها من الهند الى أغلب بلدان العالم ، واعانتها فى نشر دعوتها بين سكان المستعمرات البريطانية ، ويرتكز نشاطها الحالى فى دول جنوب غرب أفريقيا المطلة على المحيط الأطلسى ، ولا سيما فى غامبيا وغانا وزائير وسيراليون وساحل العاج ، اذ تكاد أن تستولى فى هذه الدول على رافدى التعليم والصحة ٠

((كلمة أخيرة))

****

لم أقصد من وراء هذه الدراسة ، وهذا العرض الواقعى الأسود بعث روح اليأس والقنوط فى نفوس المسلمين ، كما لا أرمى الى القول بأن ما وصلت اليه حالهم لا يمكن التغلب عليها ، ولكنى أردت كشف النقاب عن الحقائق والوقائع لنتعرف من خلالها على العلل التى تنتاب المسلمين ، والمشكلات التى تواجههم فى اقامة الحياة الاسلامية ، فالمستقبل للاسلام وللمسلمين ٠

فلا ينبغى أن يتسرب الينا روح اليأس رغم كل الأوضاع السابقة ، لأن وسائل علاجها والتغلب عليها ليست من الأمور المستعصية ، وانما قد يستغرق العلاج فترة طويلة من الزمن ، وقد لا يكتمل النجاح المرجو فى جيل أو جيلين ٠

والمؤشرات الدالة على العودة الى الاسلام آخذة فى التكاثر يوما بعد آخر ، ولا يسعنى حصرها ، وانما اكتفى بذكر بعض منها كدليل على عودة المسلمين الى دينهم القويم ٠

أ — فى باب نشر المسيحية وتنصير المسلمين إن كانت الدولتان المسلمتان — باكستان وبنجلاديش — قد غضتا طرفهما عن دعاة التنصير وعن نشاطاتهم فان من لا سلطة له من المسلمين أخذ يقاومهم ويزاحمهم فى أعمالهم كل حسب استطاعته ، فالعالم بالنصح والارشاد ، والجمعيات والمنظمات بجمع التبرعات وارسالها الى المناطق المنكوبة ، أو المصابة بالكوارث الطبيعية ، ولا أكشف عن سر اذا قلت إن " جمعية هداية الأمة " فى بنجلاديش التى لا يعرف عن أعمالها المختصون فضلا عن غيرهم — تعمل فى مقاومة التنصير منذ عام ١٩٥٤م

وان مقاومتها لا تعد شيئا اذا قارناها بمقاومة الأمة بكل قطاعاتها وطاقاتها المتاحة ، فخطر التنصير لم يعد له وجود اذا قارناه بعهد الاستعمار وفرض المسيحية بقوة الحديد .

ب ـ وفى التعليم نجد العديد من الظواهر لصالح العودة الى الاسلام ، منها :ـ

١ ـ يتم فتح العديد من المدارس العربية (الدرس النظامى) كل سنة مع عدم وجود دخل ثابت ، وموارد مالية معينة ، وانما تجمع المدارس نفقاتها من عامة المسلمين ، وما يتبرع به أهل الخير منهم ، فازدياد مثل هذه المدارس سنويا مبشر خير ، وللحكومة العسكرية الحالية فى الدولتين يد فى تشجيع هذا الرافد من التعليم ، حيث اعترفتا بشهادته ، وساوتاها بدرجة علمية من درجاتها المعترفة ، ومدت يد العون الى بعض هذه المدارس ، وذلك بمنحها منحا مالية مقطوعة وحمل رواتب بعض المدرسين العاملين فيها .

٢ ـ تعمل العديد من المنظمات الاسلامية الطلابية فى الدعوة الى الاسلام فى الرافد العصرى من التعليم ، أشهرها الجمعية الاسلامية للطلاب (اسلامى جمعيت طلبة ، اسلامى جهاترو شبير) والجمعية الاسلامية للطالبات (اسلامى جمعيت طالبات) ومنظمة الطلاب الاسلامية (جمعيت طلباء اسلام) وهيئة الطلبة الاسلامية (انجمن طلبة اسلام)

ج ـ كثر الضغط على الفرق المنحرفة عن الاسلام ، بالأوامر الرسمية حينا ، وبعامة المسلمين أحيانا اخرى ، كعدم السماح للقاديانيين بنشر معتقداتهم ، أو الدعوة اليها ، أو تسمية معابدهم بالمساجد داخل الأرض الباكستانية ، وكتخصص بعض العلماء فى الرد على هذه الفرق خطابة وتأليفا ، كالشيخ عبد الستار التونسوى حفظه الله ومن يسلك مسلكه فى الشيعة الاثنى عشرية ، والشيخ عبيدالله وعبدالرحيم الجترالبين والطبيب نزار على بنجوانى فى النزارية الاغاخانية ، ويفوق الآخير على الشيخين فى أنه ينتمى الى اسرة عريقة فى الاغاخانية ، وقضى شطرا من حياته فيها ، ويتمتع فى المنتمين اليها بمكانة عالية ، لذا كان تخليه عنها الى الاسلام بمثابة ضربة قاصمة للمجتمع الاغاخانى فى مدينة كراتشى ، وقد تمكن من اخراج بضع مئات من الأغاخانية وتوجيههم الى الاسلام من جديد .

د ـ تعمل كثير من الجماعات والهيئات لنشر الاسلام بين عامة الشعب ، بالموعظة والكلمة المكتوبة ، أقواها أثرا فى المثقفين والموظفين الجماعة الاسلامية (جماعت اسلامى) وفى الطبقة العاملة والأميين جمعية علماء الهند (جمعيت علماء هند) التى يطلق على فرعها الباكستانى اسم (جمعيت علماء اسلام) وهناك العشرات من الادارات الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية كلها تدعو الى الاسلام ، ويرتكز نشاطها فى فرع من فروعه .

هـ ـ اثبتت نتائج الاستفتاء الذى أجرى فى ١٩ / ديسمبر / ١٩٨٤م فى باكستان أن العودة الى الاسلام . وتأييد الجنرال محمد ضياء الحق فى أعماله الاسلامية هو ما يطمح فيه الشعب ، حيث جاء ٩٧٫٧١٪ من الأصوات لصالح تطبيق الاسلام ، وقد أدلى ٦٢٫١٦٪ ممن يستحقون التصويت بأصواتهم فى هذا الاستفتاء ، رغم الحاح الأحزاب السياسية كلها على الشعب بمقاطعة الاستفتاء ما عدا الجماعة الاسلامية ". [1]

و ـ أعلنت الحكومة الباكستانية فى الآونة الأخيرة أنها عازمة على تنقية الاقتصاد الباكستانى من الربا ، وأنذرت البنوك بانهاء معاملاتها الربوية قبل نهاية شهر يونيو ١٩٨٥م

نسأل الله للمسئولين ولعامة الشعب التوفيق والثبات والعودة الصادقة الى الاسلام عقيدة وتشريعا .

---

(١) انظر تفاصيل هذا الاستفتاء ونتائجه التفصيلية ، صحيفة جنك اليومية ص ١ عدد ٢١ ديسمبر ١٩٨٤م

((الخاتمـــة))

******

وفى الختام أود أن أذكر أهم النتائج التى توصلت اليها فى هذا البحث .

أولا :ـ أغلب أرض الهند فتحت بالدعوة الى الاسلام ، دون الحرب والقتال ، والفضل بعد الله فى ذلك يعود الى الصوفية ، الذين تفانوا فى نشر الدعوة الاسلامية ، وتثبيت أقدامها فى أرض الهند .

ثانيا :ـ إن الاسلام ظل رائد المسلمين حكاما ومحكومين فى الدول التى حكمت الهند قبل الدولة المغولية ، وأن المظاهر المنحرفة عن شرع الله قليلة ، اذا قارناها بنظام الاسلام الشامل الذى ساد حياتهم الفردية والاجتماعية .

ثالثا :ـ أعز الفترات الاسلامية فى الهند وأكملها وقوفا عند أحكام الاسلام هى فترة حكم فيروز تغلق وفترة حكم اورنك زيب عالمكير رحمهما الله .

رابعا : أظلم الفترات وأتعسها للاسلام هى فترة حكم الملك أكبر المغولى .

خامسا :ـ شركة الهند الشرقية لم تستول على الهند إلا على أشلاء المجاهدين ، وان الدعاية كانت أخطر سلاح بثه المستعمرون فى العامة ، لفصل التلاحم العقدى بينهم وبين المجاهدين .

سادسا : ما زال التبشير فى الدولتين المسلمتين ـ باكستان وبنجلاديش ـ يتمتع بحرية الحركة ، يفسد على المسلمين دينهم وعقيدتهم ، ومن أهم أسباب نجاحه فقر المنطقة وحاجة المسلمين الى لقمة العيش ومواساة الأيتام .

سابعا : فى باب التربية والتعليم نجد المنهجيين ـ الدينى المصرى ـ قاصرين عن تلبية أسس الاسلام التعليمية .

ثامنا : ما تزال الحياة الاجتماعية فى أغلب شعبها تتطلع الى الفكر الغربى ، وتعتبره القدوة فى حل مشاكلها المتنوعة .

تاسعا : " القانون وما يسود الحياة القضائية محتاجان الى تنقية شاملة ، والى وقفة صارمة ، لا تتأثر بالعواصف الغربية ، ولا تهاب تلك الاكداس القضائية المصانة ، كما ان تنفيذ الحدود غير كاف لتحويل القضاء من القانون الوضعى الى شرع الله عز وجل .

عاشرا : الفرق المنحرفة عن الاسلام ما تزال تؤيد الوضع القائم على التغريب والفكاك من مسئوليات الاسلام ، وتسعى الى ابقائه أطول فترة ممكنة .

الحادى عشر : مبشرات العودة الى الاسلام آخذة فى الأزديار يوما بعد آخر ، ولا أرى ذلك اليوم بعيدا حين يمتثل المسلمون بشرع الله في كل شعب الحياة .

وفى ختام هذا البحث المتواضع لا أستطيع أن أزعم أنى اتيت بما عجز عنه غيرى ، ووصلت بالموضوع الى درجة الكمال ، فكم رائد فكر يكتب بحثا اليوم ثم يراجعه غدا فاذا هو يقترح تقديم هذا ويستحسن تأخير ذاك ، وانه لو أضاف كذا لكان أجمل ، ولو حذف كذا لكان أسلم .

وغاية القول : انى بذلت جهدا ، وقضيت فترة امتدت الى ثلاث سنوات وبضعة أشهر ، حاولت فيها اخراج الموضوع على أحسن صورة ، فإن وفقت فهو ما قصدت ، وإن كان غير ذلك فعزائى فى قوله عز وجل : " لا يكلف الله نفسا الا وسعها ... " الآية ، والله أسأل أن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم .

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم ....
٢ أبجد العلوم الوشى المرقوم فى بيان أحوال العلوم / السيد صديق بن حسن القنوجى دار الكتب العلمية / بيروت ....
٣ أحسن البيان فى تنبيه الفرق والأديان (عبدالشكور ميواتى / طبع كيبتل برنتنك ورك دهلى ....
٤ أحكام القرآن لـ أبى بكر الجصاص / مطبعة عبدالرحمن القاهرة /نشر دار المصحف.
٥ أحمد رجل الساعة ونبى آخر الزمان / تقرير سرى للقاديانيين / مسحوب على ستنسل عام ١٩٣٢م ....
٦ اذا هبت ريح الايمان لـ أبى الحسن على الحسنى الندوى / مؤسسة الرساله ١٣٩٤
٧ أردو دائرة معارف اسلامية لـ نخبة من العلماء والمفكرين / طبع مطبعة بنجاب يونيورستي ١٩٦٦م ....
٨ ارواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل / محمد ناصر الدين الألبانى / الطبعة الخامسة ١٩٨٢م نشر المكتب الاسلامى / بيروت ....
٩ اسلام اور عورت (الاسلام والمرأة) / لـ مظهر الدين الصديقى / طبع سود ليتهو بريس دهلى ١٩٦٥م ....
١٠ اسلام باكستان مين (الاسلام فى باكستان) لـ الاستاذ محمد عثمان / طبع جديد بريس لاهور ١٩٦٩م ....
١١ اسلاميات لـ لمقاطعة بنجاب ١٩٨٢م ....
١٢ اسماعيلى تعليمات / المدارس الاسماعيلية الاغاخانية فى باكستان / نشر اسماعيلية ايسوسى ايشن كراتشى باكستان ....
١٣ الاصابة فى تمييز الصحابة لأحمد بن حجر العسقلانى / الطبعة الأولى ١٣٢٨ / مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ....
١٤ أصول شرع اسلام لـ دنشا فريد / طبع معظم برنترز / لاهور / ١٩٧٩م ....
١٥ أعلام الاسماعيلية لـ مصطفى غالب / منشورات دار اليقظة العربية / بيروت/ ١٩٦٤م
١٦ إعلام الاعلام بأن هندوستان دار الاسلام لـ أحمد رضا خان / مطبعة البريلى /الهند .
١٧ أغاخان فاونديشن جنرال (مؤسسة أغاخان فى جنرال) / لـ نخبة من العلماء ..

١٨ أغاخانيت كياهى (ماهى الأغاخانية) لـ مؤلف مجهول / نشر دار القلم بشاور / باكستان ....

١٩ اقبال كى ممدوح علماء لـ القاضى أفضل حق قريشى / نشر المكتبة المحمودية لاهور ١٩٧٧م ....

٢٠ انديا سندے سكول يونين (اتحاد مدارس التبشير فى الهند) / لـ السيدة اى ـ اينت / طبع مشن بريس اله آباد ....

٢١ الانسان بين المادية والاسلام / لـ محمد قطب / الطبعة الرابعة بيروت ١٩٦٥م .

٢٢ انكريزون كى لسانى باليسى (سياسة الانجليز اللغوية) / لـ السيد مصطفى على بريلوى / انجمن بريس / كراتشى ١٩٧٠م ....

٢٣ الأمن والعلى لـ أحمد رضا خان / طبع دار التبليغ / لاهور ....

٢٤ أورنك زيب خطوط كى آئينے مين (اورنك زيب فى ضوء مذكراته) لـ شمس بريلوى / طبع مشهور آفست كراتشى ١٩٧٠م ....

٢٥ أورنك زيب عالمكير برايك نظر (نظرة فى أورنك زيب) لـ شبلى نعمانى / طبع مشهور آفست بريس / كراتشى / ١٩٤٩م ....

٢٦ آئين اسلامى جمهورية باكستان (دستور جمهورية باكستان الاسلامية) لـ على محمد شاهين / نشر مكتبة فريدى كراتشى / ١٩٧٥م ....

٢٧ آئينة تثليث (مرآة التثليث) / لـ مولانا كوثر نيازى / شيخ غلام على ايند سنز لاهور الطبعة الرابعة ....

٢٨ باد شاه نامة / لـ عبد الحميد لاهورى / طبع ايشياتك سوسائتى كلكته بنغال / ١٨٦٧م ـ ١٨٧٢م ....

٢٩ باغى هندوستان "الهند الثائرة" / لـ محمد فضل حق / طبع اردو دائجست برنترز / لاهور / الطبعة الثانية / ١٩٧٤م ....

٣٠ باكستان مين مسيحيت (التنصير فى باكستان) / لـ الاستاذ محمد نادر رضا الصديقى / المطبعة العربية / لاهور / ١٣٩٩هـ ....

٣١ باكستانى مسلمانون كى رسوم ورواج (عادات المسلمين الباكستانين وتقاليدهم) / لـ شاهد حسين الرزاقى / طبع دين محمد بريس / لاهور / ١٩٦٥م ....

٣٢ بداية المجتهد / لـ ابن رشد / دار المعرفة بيروت / الطبعة الخامسة ١٩٨١م ..

٣٣ البداية والنهاية / للحافظ ابن كثير / مكتبة المعارف / بيروت / الطبعة الثالثة ١٩٧٨

٣٤ بردة (الحجاب) / لـ الأديب عبد الحليم شرر / مطبعة الجامعة الملية دهلى ..

٣٥ بر صفير باك وهند مين اسلامى نظام عدل كسترى / لـ الاستاذ محمد عبد الحفيظ الصديقى (نظام القضاء الاسلامى فى الهند) / طبع نور ارت بريس راولبندى ١٩٦٩

٣٦ بريلوى فتوى / لـ نور محمد / نشر أنجمن ارشاد المسلمين / لاهور / ١٣٩٩هـ ..

٣٧ البريلوية / عقائد وتاريخ / لـ احسان الهى ظهير /طبع مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ١٤٠٣ هـ ....

٣٨ بنات الصليب / لـ قمر الدين أحمد / انجمن بريس / كراتشى ....

٣٩ بنجاب كى عورت (المرأة البنجابية) / لـ أرشد أحمد / نشر ظفر سنز برنترز لاهور ١٩٧٦م ....

٤٠ بهار شريعت (ربيع الشريعة) / لـ أمجد على الأعظمى / نشر مكتبة اشاعة الاسلام دهلى ....

٤١ تاريخ ابن خلدون / لعبد الرحمن بن خلدون / نشر دار الكتاب اللبنانى ١٩٥٧م ..

٤٢ تاريخ احرار / لـ أفضل حق / أشرف بريس لاهور ١٩٦٨م ....

٤٣ تاريخ ادبيات مسلمانان باك وهند (تاريخ أدب المسلمين فى باكستان والهند) لـ / ممتاز منكلورى / مطبعة جامعة بنجاب / لاهور ١٩٧١–١٩٧٢م ....

٤٤ تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى / للدكتور/حسن ابراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية : الطبعة السابعة / ١٩٦٥م ....

٤٥ تاريخ بشارت الهند و باكستان / (تاريخ التبشير فى الهند وباكستان) / لـ المبشر خورشيد عالم / نشر بنجاب ريلجنز بك سوسائتى ١٩٤٩م ....

٤٦ تاريخ التعليم ايست انديا كمبنى كى عهد مين (تاريخ التعليم فى عهد شركة الهند الشرقية) / لـ مينجر دى باسو / طبع ايجوكيشنل بريس / كراتشى /١٩٧٦م ..

٤٧ تاريخ تعليم وتربيت اسلامية (تاريخ التعليم والتربية) لـ لأحمد شلبى / ترجمة / محمد حسين خان زبيرى / ادارة ثقافت اسلامية / لاهور ١٩٦٣م ....

٤٨ تاريخ تعليم هند (تاريخ التعليم فى الهند) / لـ نور الله و ج ب نائك / ترجمة / مسعود الحق / مطبعة أحمد برادرس برنترز كراتشى الطبعة الثانية ١٩٨١م .....

٤٩ تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند / لمسعود عالم الندوى / نشر وتوزيع دار العربية ...

٥٠ تاريخ الدعوة الاسماعيلية / لـ مصطفى غالب/ دار الاندلس للطباعة والنشر بيروت / الطبعة الثانية ١٩٦٥م ....

٥١ تاريخ ديوبند / لـ محبوب رضوى / الطبعة الثانية ١٩٧٢م ازاد بريس ديوبند /الهند

٥٢ تاريخ سنده / اعجاز الحق قدوسى / كاروان بريس / لاهور / الطبعة الثانية ١٩٨٠م

٥٣ تاريخ الشعوب الاسلامية / لكارل بروكلمان / دار العلم للملايين / الطبعة السابعة ١٩٧٧م ....

٥٤ تاريخ العالم / لجون ـ أ . هامرتن اشرفت على الترجمة ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم / نشر مكتبة النهضة المصرية ....

٥٥ تاريخ العرب العام امبراطورية العرب حضارتهم مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية للمستشرق ل ـ أ ـ سيديو / ترجمة عادل زعيتر / عيسى البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٩٦٩م ....

٥٦ تاريخ فاطمين مصر / لـ الاستاذ زاهد على البهرى / مطبعة ايجو كيشنل بريس / كراتشي / الطبعة الثانية / ١٩٦٣ ـ ١٩٧٥م ....

٥٧ تاريخ فيروز شاهى / لـ ضياء الدين برنى / ترجمة الدكتور السيد معين الحق طبع ش ـ م ـ شفيق ١٩٦٩م ....

٥٨ تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم لـ الدكتور أحمد محمود الساداتى / المطبعة النموذجية / نشر مكتبة الجميزات ....

٥٩ التبشير والاستعمار / لـ مصطفى خالد وعمر فروخ / الطبعة الرابعة ١٩٧٠م ....

٦٠ تهليغ رسالت / لـ غلام أحمد القاديانى /فاروق بريس قاديان ١٩٢٢م ....

٦١ تبليغى جماعت كاتاريخى جائزة (استعراض تاريخى لجماعة التبليغ) / لـ محمد أيوب قادرى / طبع انجمن بريس كراتشى ١٣٩١ هـ ....

٦٢ تبويب القرآن / لـ غلام أحمد برويز / علمى برنتنك / لاهور ١٩٧٧م ....

٦٣ تجديد التفكير الدينى فى الاسلام / الشاعر محمد اقبال / ترجمة عباس محمود ومراجعة عبدالعزيز المراغى والدكتور مهدى علام / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة / الطبعة الأولى / ١٩٥٥م ....

٦٤ تحريك باكستان اورخواتين (دور النساء فى انشاء دولة باكستان) / لـ نور الصباح بيكم / علمى برنتنك بريس / لاهور / ١٩٧٠م ....

٦٥ تذكرة / لـ غلام أحمد القاديانى / طبع ضياء الاسلام بريس ربوه باكستان / الطبعة الرابعة ....

٦٦ تراجم علماء حديث هند / لـ أبى يحى امام خان نوشهروى / طبع جيد برقى بريست دهلى ١٩٣٨م ....

٦٧ ترجمان وهابيه / لـ السيد صديق حسن خان / ثنائى برقى بريس أمرتسر ١٩٣٠م .

٦٨ ترياق القلوب / لـ غلام أحمد القاديانى / مطبعة ضياء الاسلام قاديان ١٩٠٢م ...

٦٩ التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى / لـ عبدالقادر عودة / دار التراث القاهرة / الطبعة الثالثة ١٩٧٧م ....

٧٠ تعليمات / لـ أبي الأعلى المودودي /مطبعة الله والا برنترز / لاهور / الطبعة السابعة ١٩٨٢م ....

٧١ تعليمى تجاويز برتبصرة (التعليق على المقترحات التعليمية) لـ نخبة من علماء الشريعة والمفكرين المحدثين / طبع مشهور آفست كراتشي / نشر المكتبة العربية نيوتاون ....

٧٢ تفسير بيان للناس / لـ الخواجة أحمد الدين / امرتسر / الهند ....

٧٣ تفسير الجن والجان على ما في القرآن / لـ السيد أحمد خان / مطبعة اسلامية سيتم / لاهور ....

٧٤ تفسير القرآن بآيات الفرقان / لـ عبدالله جكر الوى / مطبعة بنجاب سيالكوت ١٨٩٩

٧٥ تفسير القرآن العظيم / لـ أبي الفداء اسماعيل بن كثير / طبع دار احياء الكتب العربية نشر عيسى البابي الحلبي ....

٧٦ التفسير الكبير لـ فخر الدين الرازي / المطبعة البهية المصرية ميدان الأزهر ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م ....

٧٧ تفهيم القرآن / لـ أبي الأعلى المودودي / طبع مطبعة ارد و دائجست / الطبعة العاشرة ١٩٨٠م ....

٧٨ تمدن هند (التمدن الهندى) / لـ الدكتور لي بان الفرنسى / ترجمة سيد على بلكرامى / مطبعة شمس الأنوار ١٩١٣م ....

٧٩ تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك / لـ جلال الدين السيوطي / طبع مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى / القاهرة / ١٣٥٣ هـ ....

٨٠ تهذيب اسلامي (الحضارة الاسلامية) / لـ محمد مارماديوك المسلم الانجليزى / ترجمة الشيخ عطاء الله / طبع تعمير برنتنك بريس راولبندى / الطبعة الثالثة ١٩٦٥م

٨١ تأويل الأحاديث / لـ شاه ولى الله تحقيق /غلام مصطفى الأعظمى / مطبعة الحيدرى / حيدر آباد / السند ١٩٦٦م ....

٨٢ الثقافة الاسلامية في الهند / لـ عبدالحى الحسنى / مطبوعات المجمع العلمى دمشق ١٩٥٨م ....

٨٣ الجامع لأحكام القرآن / لـ محمد بن أحمد الانصارى القرطبي / دار احياء التراث بيروت ....

٨٤ جامع البيان عن تأويل آى القرآن / لـ محمد بن جرير الطبرى /عيسى الحلبي / الطبعة الثالثة ١٩٦٨م ....

٨٥ جاهلية القرن العشرين / لـ محمد قطب/ دار الشروق / طبعة ١٩٧٥م .....

٨٦ جاء الحق وزهق الباطل / لـ أحمد يارخان النعيمى / نورى بك د يو كانفور /الهند ٠٠
٨٧ جائزة مدارس عربية اسلامية (استعراض المدارس العربية الاسلامية / لـ حافظ نذر أحمد / طبع انجمن حمايت اسلام بريس / لاهور ١٩٦٠م ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٨٨ جماعت مجاهدين (الطائفة المجاهدة) / لـ غلام رسول مهر /علمى برنتنك بريس لاهور ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٨٩ جهيز ايكت (قانون تجهيزات الزواج) / ترتيب ملك ارشاد أحمد أرشد / طبع بروسس برونتر / لاهور ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٩٠ حاشية الشهاب / لـ أحمد بن محمد الخفاجى / نشر المكتبة الاسلامية ديار بكر /تركيا
٩١ حاضر العالم الاسلامى / لـ لوثروب ستووارد ترجمة /عجاج نويهض مع تعليقات الأمير شكيب ارسلان /دار الفكر / الطبعة الثالثة / ١٩٧١م ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٩٢ الحجاب / لـ أبى الأعلى المودودى / ط دار الفكر ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٩٣ حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة / لـ الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى المكتب الاسلامى بيروت / الطبعة الرابعة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٩٤ حركة تحديد النسل / لـ أبى الأعلى المودودى / مؤسسة الرسالة / ١٩٧٥م ٠٠٠٠
٩٥ حضارات الهند / لـ غوستاف لوبون / ترجمة عادل زعيتر / دار احياء الكتب العربية مصر / ١٩٤٨م ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٩٦ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى / لـ آدم متز ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة / دار الكتاب العربى /بيروت / الطبعة الرابعة ١٩٦٧م ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٩٧ حقائق عن باكستان / لـ محمد حسن الأعظمى / نشر الدار القومية للطباعة والنشر
٩٨ حقوق وفرائض نسوان (حقوق النسوة وفرائضهن) / القسيس ج ـ هـ ـ آربسن / نشر بنجاب ريلجئن بك سوسائتى لاهور ١٩٢٨م ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٩٩ سوانح أحمدى /المجاهد محمد جعفر تهانيسرى / صديقى انترنيشنل بريس لاهور ١٩٦٨م ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
١٠٠ حيات شيخ الهند مولانا محمود حسن ديوبندى لـ للمحدث / السيد أصغر حسين الطبعة الأولى / وفاق بريس / لاهور ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
١٠١ خالص الاعتقاد / لـ أحمد رضا خان / مطبعة أهل سنت والجماعت بريلى الهند ١٣٢٨هـ
١٠٢ خطبة صدارت (الخطاب الرئاسى) لـ أنور شاه كشميرى / جيد برقى بريس دهلى ١٩٢٨
١٠٣ دعاء الامامية الاسماعيلية الأغاخانية / نشر المنظمة الامامية الاسماعيلية / طبع اموجا برنتر دار السلام تنزانيا ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
١٠٤ دوام العيش فى أن الأئمة من قريش / لـ أحمد رضا خان / طبعة لاهور / باكستان ٠

١٠٥ دواهم مسائل قتل مرتد غلام أورلوندي ان / (مسألتان مهمتان قتل المرتد والأرقاء) لـ غلام أحمد برويز/ الطبعة الثانية ١٩٦٧م ....

١٠٦ الدول الاسلامية / لستانلي لين بول مع اضافات بارتولد وخليل أدهم التركي ترجمة محمد صبحي فرزات / مطبعة الفلاح دمشق / ١٩٧٤م ....

١٠٧ دين حق كي تحقيق (البحث عن الدين الحق) / لـ المبشر سكندره ارفنج / مشن بريس اله آباد ١٩٠٥م ....

١٠٨ ديوبند سے بريلي تك (من ديوبند الى بريلي) لـ أبي الأوصاف الرومي / نشر ادارة اسلاميات لاهور / ١٩٨٠م.

١٠٩ ربورت تحقيقاتي عدالت فسادات بنجاب ١٩٥٣م / (تقرير المحكمة عن اضطرابات بنجاب ١٩٥٣م) / لـ مقاطعة بنجاب ....

١١٠ ربورت مجموعي (التقرير الشامل) عن الأعوام (١٨٦٠ـ١٨٦١) (١٨٦١ـ١٨٦٢) (١٨٦٥، ١٨٦٧) / الحكومة البريطانية / طبع هوب بريس / لاهور ......

١١١ رجال السند والهند الى القرن السابع/ لـ القاضي أبي المعالي أطهر المباركفوري المطبعة الحجازية / بومبائي / ١٩٥٨م ....

١١٢ رجم / لـ المحكمة الشرعية الكبرى بباكستان / طبع اومني برنترز لاهور ١٩٨١م...

١١٣ رحلة ابن بطوطه / لـ محمد بن ابراهيم المعروف بابن بطوطة/ دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٠م ....

١١٤ رسائل ومسائل / لـ أبي الأعلى المودودي / طبع شفيق برنترز / لاهور / الطبعة السابعة ....

١١٥ رسمي بردى كي نقصانات اور اسلامي بردے كي نشانات (مضار الحجاب التقليدي وسيماء الحجاب الاسلامي) / لـ بير زاده شمس الدين / مطبعة كوابرتيو لاهور ١٩٥٥م ....

١١٦ روح المعاني / لـ محمود الألوسي / ادارة الطباعة المنيرية / لبنان ....

١١٧ روداد برده (محضر الحجاب) / لالسيد بركات أحمد طبع كليم بريس كراتشي ١٩٥١م

١١٨ رود كوثر (نهر كوثر) / لـ الدكتور شيخ محمد أكرم/ [illegible] بريس لاهور / الطبعة العاشرة ١٩٧٩م ....

١١٩ سرسيد اور اصلاح معاشرة (سر سيد أحمد خان واصلاحاته الاجتماعية) / لـ شاهد حسين الرزاقي /دين محمدي بريس / لاهور/ ١٩٦٣م ....

١٢٠ سرسيد كي كهاني انكي ابني زباني (حكاية السيد الشفهية لحياته) / رواية الطاف حسين حالي / تأليف ضياء الدين / طبعة لاهور.

١٢١ سفينة الأولياء / لـ داراشكوه ترجمة محمد على لطفى /مشهور بريس كراتشى / الطبعة الخامسة ١٩٧٥م ....

١٢٢ سلاطين دهلى كى مذهبى رجحانات (الميول الدينية عند سلاطين دهلى) / لـ خليق أحمد نظامى / الجمعية . بريس دهلى / ١٩٥٨م ....

١٢٣ سلاطين هند كى علم پرورى (احتفاء سلاطين الهند بالتعليم) / لـ محمد حفيظ الله طبع برقى آرت بريس پتنه / الهند / الطبعة الرابعة / ١٩٥٦م ....

١٢٤ سلك الجواهر فى أحوال الجواهر / لـ محمد نجم الغنى / مطبعة العلوم واخبار هز أعظم مراد آباد ١٩١٤م ....

١٢٥ سنت كى آئيني حثيت (مكانة السنة التشريعية) / لـ أبى الأعلى المودودى /مطبعة نور عالم لاهور / الطبعة الرابعة / ١٩٧٧م ....

١٢٦ سنن ابن ماجه / لـ محمد بن يزيد القزوينى / تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى / دار احياء التراث العربى ١٩٧٥م ....

١٢٧ سنن أبى داود /لـ سليمان بن أشعث الأزدى / طبعة الحلبى ١٩٥٢م ....

١٢٨ سنن الترمذى / لـ محمد بن عيسى الترمذى / دار الفكر ....

١٢٩ سنن الدارمى / لـ عبدالله بن عبدالرحمن باعتناء محمد أحمد دهمان / نشر دار احياء السنة النبوية / القاهرة ....

١٣١ سنن النسائى / لـ أحمد بن شعيب النسائى / المكتبة العلمية / بيروت ......

١٣١ شاه ولى الله كى تعليم (تعليمات الشاه ولى الله) / لـ غلام حسين جلبانى / طبع سنده يونيو رستى پريس ١٩٦٣م ....

١٣٢ شاه ولى الله كى سياسى مكتوبات (رسائل الشاه ولى الله السياسية) / جمع وترتيب خليق أحمد نظامى / طبع كاسمو برنترز / لاهور ١٩٧٨م ....

١٣٣ شبهات حول الاسلام /لـ محمد قطب / مطابع الشروق / بيروت / نشر دار الشروق الطبعة السادسة ....

١٣٤ شرح قانون شهادت (قانون الاثبات) / ترجمة م اشرف بيك / طبع ونشر مكتبة م محمد سليمان / لاهور ....

١٣٥ شرح النووى على صحيح مسلم / لـ الامام النووى / المطبعة المصرية ومكتبتها ....

١٣٦ شريعت اسلامى اور خاندانى منصوبه بندى (تنظيم النسل فى ضوء الشريعة الاسلامية) لـ الاستاذ أبى الشهاب رفيع الدين / طبع سبرآرت بريس / كراتشى / ١٩٦٧م ...

١٣٧ شكشن مالا بال منكه (كتاب المبتدئين) / لـ المدارس الاسماعيلية الأغاخانية بالهند /نشر اسماعيلية ايسوسى ايشن برائى هند / بومبائى ....

١٣٨ صاعقة آسمانى برفرقة رضاخانى (الصاعقة السماوية على الفرقة الرضاخانية) / لـ منظور أحمد سنبهلى الديوبندى ورحم الهى البريلوى ....

١٣٩ صحيح البخارى / لـ محمد بن اسماعيل /مطبعة دار الطباعة العامرة استانبول ...

١٤٠ صحيح مسلم / لـ مسلم بن الحجاج القشيرى / نشر مكتبة الجمهورية العربية /القاهرة

١٤١ صلاة الصفا فى نور المصطفى ضمن مجموعة رسائل / لـ أحمد رضا خان /طبعة كراتشى

١٤٢ ضوء نور الحق المبين / لـ داع البهرة طاهر سيف الدين / طبع برتشس انديا جهابه خانه بومبائى ١٩١٩م ....

١٤٣ طاهرة كى نام خطوط كامجموعة (مجموعة رسائل باسم طاهره) لـ غلام أحمد برويز مطبعة أشرف لاهور / ١٩٧٢م ....

١٤٤ طائفة الاسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها / لـ الدكتور محمد كامل حسين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / ١٩٥٩م ....

١٤٥ طبقات نورية در أحوال نوربخشية /لـ محمد بن ملا / ترجمة محمد سليمان كيلانى طبع أشرف بريس لاهور ....

١٤٦ العالم الاسلامى / لعمر رضا كحالة / المطبعة الهاشمية / الطبعة الثانية /دمشق ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨م ....

١٤٧ عائلى قوانين بر تبصرة (التعليق على قوانين الأحوال الشخصية) / لـ مفتى محمد شفيع / طبع سعيدى قرآن محل كراتشى ....

١٤٨ عرب أور هند كى تعلقات (صلة الهند بالعرب) / للسيد سليمان الندوى / طبع سنده آفست برنترز كراتشى ١٩٧٦م ....

١٤٩ عظمت رفته (المجد الضائع) لـ ضياء الدين أحمد برنى / طبع نشاط بريس / كراتشى ١٩٦١م ....

١٥٠ عقد الجواهر فى أحوال البواهر / لـ السيد أبى ظفر الندوى / طبع جاويد بريس كراجى

١٥١ علماء حق أوران كى مجاهدانه كارنامى (العلماء الربانيون وأعمالهم البطولية) / لـ محمد ميان / نشر مكتبة شيخ الاسلام برحيم يارخان باكستان ....

١٥٢ علم حديث مين باك وهند كاحصة (سهم الهند وباكستان فى خدمة السنة) / لـ الدكتور محمد اسحاق / ترجمة شاهد حسين الرزاقى / طبع حمايت اسلام بريس لاهور ١٩٧٧م ....

١٥٣ على برادران (الأخوان العليان محمد على ، شوكت على) لـ السيد رئيس أحمد الجعفرى / اشرف بريس لاهور / ١٩٦٣م ....

١٥٤ الغارة على العالم الاسلامى / لـ ا ـ ل ـ شاتليه تعريب محى الدين الخطيب ، ومساعد اليافى /المكتبة السلفية ومطبعتها /القاهرة الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ......

١٥٥ فتاوى عزيزى / لـ شاه عبدالعزيز / ترجمة عبدالواجد نولوى / ترتيب وتبويب الحاج محمد زكى ايجوكيشنل بريس كراتشى ١٣٩٦ هـ ....

١٥٦ فتح البارى / لـ أحمد بن على بن حجر / المطبعة السلفية / القاهرة / ١٣٨٠هـ ...

١٥٧ فتح القدير / لـ محمد بن على الشوكانى / مطبعة الحلبى / الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ

١٥٨ فتوح البلدان / لأبى الحسن البلاذرى / مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٩٧٨م ....

١٥٩ فقهاء هند / لـ محمد اسحاق بهتى / الحمرا آرت برنتر / لاهور ١٩٧٩م ....

١٦٠ الفقه على المذاهب الأربعة / لـ عبدالرحمن الجزيرى / دار احياء التراث / الطبعة الثالثة ....

١٦١ فقه القرآن / لـ عمر أحمد بن ظفر أحمد العثمانى / طبع فضلى ايند سنز كراتشى ١٩٨٠م ـ ١٩٨٢م ....

١٦٢ الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى / لـ الاستاذ محمد البهى / نشر مكتبة وهبة الطبعة الثامنة ١٩٧٥م ....

١٦٣ فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة / لـ محمد بن أحمد البيرونى / دائرة المعارف العثمانية / دكن / الهند / ١٩٥٨م ....

١٦٤ فى ظلال القرآن / لـ سيد قطب / دار الشروق الطبعة السابعة ١٣٩٨هـ ....

١٦٥ قاديانى مسئلة / لـ أبى الأعلى المودودى / مطبعة امبرنت لاهور / الطبعة العاشرة ١٩٨٢م ....

١٦٦ قرآن سى قرآن تك " من القرآن الى القرآن " / لـ محمد حسين عرشى / مطبعة نامى / لاهور / ١٩٧٥م ....

١٦٧ قرآن كريم أورمروجه اسلام (القرآن والاسلام المعاصر) / لـ كريم بخش سكهانى / نويد برنتنك بريس كراتشى ١٩٨٠م ....

١٦٨ قرآنى فيصلى (الأحكام القرآنية) / لـ غلام أحمد برويز / مطبعة أشرف لاهور / الطبعة الثالثة ١٩٧٣م ....

١٦٩ قرآنى قوانين / لـ غلام أحمد برويز / مطبعة علمى برنتنك لاهور / ١٩٧٨م ......

١٧٠ قصة الحضارة / لـ ول ديورانت / ترجمة زكى نجيب محمود / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / الطبعة الثانية ١٩٥٧م ....

١٧١ قوانين اسلامى كى نفاذ كامسئلة قرآن اورسنت كى روشنى ميں (تنفيذ القوانين الاسلامية فى ضوء الكتاب والسنة) / لـ السيد يعقوب شاه / طبع دين محمدى بريس / لاهور ١٩٧١م ....

١٧٢ قومى اسمبلى مين اسلام كامعركة (المعركة الاسلامية فى البرلمان) / لـ مولانـا عبدالحق شيخ الحديث/ نشر ندوة المصنفين / الطبقة الثالثة ....

١٧٣ كالاباني(منفى جزر اندمان)/ لـ محمد جعفر تهانيسرى / تقديم محمد أيوب قادرى طبع اسود أفست بريس فيصل آباد ١٩٧٧م باكستان ....

١٧٤ الكامل فى التاريخ / لـ على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير / دار الكتاب العربى / بيروت / الطبعة الثانية ١٩٦٧م ....

١٧٥ كجرات كى تمدنى تاريخ / لـ السيد أبى الظفر الندوى / مطبعة معارف أعظم كره / الهند / ١٩٦٢م ....

١٧٦ كزيتر ممالك محروسه (تقويم المستعمرة البريطانية) / لـ مهدى على خان/ مطبعة ابراهيم اكره / الهند ١٩٠٨م ....

١٧٧ كلام امام مبين / لـ سلطان محمد شاه على (أغاخان الثالث) / نشر اسماعيلية ايسوسى ايشن بومبائى / الهند ....

١٧٨ كليساوى تواريخ (تاريخ الكنائس) / لـ رينفرد / طبع تائمز بريس لاهور ١٩٥٨م

١٧٩ كنج سعادت يعنى سلسلة نورامامت (خزينة السعادة) / لـ المبشر نصير الدين هنـزى الأغاخانى /عباس ليتهو بريس / كراتشى / ١٩٥٧م ....

١٨٠ كنستوتشن آف لا (تاريخ القانون) / لـ السيد أمير شاه /مطبعة مصطفائى لاهور ١٩٧٩م ....

١٨١ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / لـ أبى الحسن على الحسنى الندوى / مطابع على بن على الدوحة الطبعة العاشرة /١٣٩٤هـ ....

١٨٢ مارك درشيكا (المرشد) / لـ المبشر على بهائى پابوانى الأغاخانى / نشر اسماعيلية أيسوسى ايشن بومبائى / الهند ....

١٨٣ المبسوط / لـ السرخسى / مطبعة السعادة / مصر / ١٣٢٤هـ ....

١٨٤ مجموعة اسلامى تعزيرى قوانين (مجموعة قوانين تنفيذ الحدود) نشرم محمد سليمان قريشى / لاهور ....

١٨٥ مجموعة تعزيرات باكستان (قانون العقوبات الباكستانى) / ترجمة ايم اشرف بيك طبع غفور سنز برنترز / لاهور ....

١٨٦ مجموعة التوحيد الرسالة الثانية عشرة / لـ شيخ الاسلام ابن تيمية ، وشيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب / دار الفكر / القاهرة / ١٩٧٨م ....

١٨٧ مجموعة ضابطه فوجدارى / حبيب الله خان / نشر م محمد سليمان قريشى لاهور...

١٨٨ مجموعة قوانين اسلام / لـ الاستاذ تنزيل الرحمن /جديد ارد وتائب بريس لاهور ١٩٦٥

١٨٩ محجوب الارث / لـ الحافظ محمد أسلم /فيض عام عليكره ١٣٤٢ هـ ....

١٩٠ محمد ن ايجوكيشنل كانفرس (مؤتمر التعليم المحمدى) / مجموعة من المحاضرين نشر جامعة عليكره / طبع مفيد عام أكره ١٨٩٢م ....

١٩١ مختصر دراسة التاريخ / لـ أرنولد توينى / ترجمة فؤاد محمد شبل مراجعة محمد شفيق غربال ، وأحمد عزت / لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٤م ....

١٩٢ مدارج السالكين بين اياك نعبد واياك نستعين / لـ ابن القيم الجوزية / مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ ....

١٩٣ مذاهب الاسلام / لـ محمد نجم الغنى / طبعة لاهور / ١٩٠٤م ....

١٩٤ مذهب اسماعيلية قرآن وحديث كى روشنى مين / (المذهب الاسماعيلى فى ضوء الكتاب والسنة) / لـ الشيخ عبيد الله الجترالى / نشر دار العلوم سرحد بشاور ١٩٨١م

١٩٥ مذهب اوربا طنى تعليم / لـ محمد سعيد الدهلوى / كيلانى اليكترك بريس لاهور ،

١٩٦ مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند / لـ عبد الحليم الندوى / مطبعة نورى / مدراس ١٣ الهند ....

١٩٧ المرأة بين الفقه والقانون / لـ مصطفى السباعى / ط الرابعة / بيروت / المكتب الاسلامى ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥م ....

١٩٨ المسالك والممالك / لـ عبيد الله بن عبد الله ابن خرذبه / نشر مكتبة المثنى / بغداد

١٩٩ مسلمانان هندكى حيات سياسى (الحياة السياسية عند المسلمين الهنود) لـ مرزا محمد / برقى بريس دهلى / ١٩٣٤م ....

٢٠٠ مسلمانون كاروشن مستقبل (مستقبل المسلمين المضيء) / لـ السيد طفيل أحمد / طبع بدر رشيد برنترز / لاهور ....

٢٠١ مسلم ثقافت هندوستان مين (الثقافة الاسلامية فى الهند) / لـ عبد المجيد سالك دين محمد بريس / لاهور ....

٢٠٢ مسلم عائلى قوانين (قوانين الأحوال الشخصية الاسلامية) / طبع محبوب برنتنك — كاربوريشن / لاهور ....

٢٠٣ المسلمون فى الهند / لـ أبى الحسن على الحسنى الندوى / مطبعة ندوة العلماء لكهنو ١٣٩٦ هـ ....

٢٠٤ مسند الامام أحمد / لـ أحمد بن حنبل / دار الفكر / بيروت / الطبعة الثانية ١٣٩٨

٢٠٥ مطالعة باكستان / لـ الصف التاسع والعاشر للعام الدراسى ١٩٨٢م ....

٢٠٦ معالم تاريخ الانسانية / لـ هـ ـج ، ولز ترجمة عبد العزيز توفيق / لجنة التأليف والترجمة والنشر / الطبعة الثالثة / ١٩٧٢م ....

٢٠٧ المعتمد فى أصول الدين / لـ القاضى أبى يعلى الحنبلى / تحقيق الدكتور وديع زيدان / دار الشروق / بيروت ....

٢٠٨ معجزة القرآن دربيان ميراث مسلمانان (معجزة القرآن فى بيان توارث المسلمين) لـ الخواجة أحمد الدين / مطبعة اسلامية سيتيم / لاهور ....

٢٠٩ مغربى فلسفة تعليم كاتنقيدى مطالعة (نظرة فحص فى فلسفة التعليم الغربية) لـ الاستاذ السيد محمد سليم / شركت برنتنك بريس / لاهور / ١٩٨١م ....

٢١٠ مغلية سلطنت أورمسيحيت (التبشير والدولة المغولية) / لـ بركة الله القسيس / بنجاب آرت بريس / لاهور ١٩٧٠م ....

٢١١ مقالات سرسيد أحمد خان / لـ سر سيد أحمد خان / جمع وترتيب محمد اسماعيل / زرين آرت / لاهور ١٩٦٢م ....

٢١٢ مقالات كارسان / لـ كارسان دتاسى الفرنسى / ترجمة الدكتور يوسف حسين خان والاستاذ عزيز أحمد والدكتور أختر حسين / انجمن بريس كراتشى ١٩٦٤م — وديال برنتنك بريس دهلى ١٩٤٣م ....

٢١٣ مقدمة مفتاح كنوز السنة / لـ السيد رشيد رضا / طبعة ١٣٥٣هـ / القاهرة ...

٢١٤ مكاتيب/ لأبى الأعلى المودودى / جيلانى برنتنك بريس / لاهور ١٩٧٢م ....

٢١٥ ملفوظات (الأقوال) لـ الشيخ محمد الياس / ترتيب محمد منظور نعمانى تنوير برقى بريس لكهنو الطبعة السادسة ....

٢١٦ الممالك الاسلامية / لـ لين بول

٢١٧ مستخب التواريخ / لـ عبد القادر ملك شاه البدايونى / كلكته ١٨٦٨م ......

٢١٨ـ ٢١٩ منتخب اللباب / لـ محمد هاشم المعروف بـ خافى خان / طبع ايشياتك سوسائتى كلكته / الهند ١٨٦٩م ....

٢٢٠ موج كوثر / لـ الدكتور شيخ محمد اكرام / مطبعة فالكن بريس / لاهور / الطبعة العاشرة ١٩٧٩م ....

٢٢١ موسوعة تاريخ العالم / لـ وليام لانجر وتمت الترجمة تحت اشراف الدكتور محمد مصطفى زياده / مكتبة النهضة / القاهرة / ١٩٦٢م ....

٢٢٢ مولانا مفتى محمود حيات وخدمات (مفتى محمود حياته وخدماته) / لـ نعيم آسى / طبع جاويد رياض برنترز / لاهور ....

٢٢٣ ميزان الحق / لـ المبشر فندر / المطبعة التبشيرية الأمريكية ١٨٦١م الهند

٢٢٤ ميكالى كانظرية تعليم / لـ اللورد ميكالى / ترجمة عبد الحميد الصديقى / طبع ايجوكيشنل بريس كراتشى ١٩٦٥م ....

مرجان

٢٢٥ ميلاخداشناس (تحفل معرفة الالــه) / لــ محمد قاسم نانوتوى / فهرسة حسين أحمد نجيب / طبع مشهور بريس / كراتشى ١٩٧٧م ....

٢٢٦ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر / لــ عبدالحى الحسنى / مطبعة مجلــس ادارة المعارف العثمانية / حيدر آباد / الهند / ١٣٧٨ هـ ....

٢٢٧ نشأة باكستان / لشريف الدين بيرزاده / ترجمة / عادل صلاحى / الطبعة الأولى جدة ١٩٦٩م ....

٢٢٨ نظام تعليم كى اسلامى تشكيل جديد (الصورة الحديثة لنظام التعليم الاسلامى) / لــ البروفيسور خورشيد أحمد / شركة برنتنك بريس / لاهور / الطبعة الثالثــة ١٩٨٢م ....

٢٢٩ نظام الصوم عند الفاطميين / جمع وترتيب / محمد حسن الأعظمى / نشر فى عهــد أيوب خان ....

٢٣٠ نظرة عابرة حول التعليم الاسلامى فى باكستان / لـــ محمد تقى عثمانى / قريشــى بريس ناظم آباد / كراتشى / ١٣٩٩ هـ ....

٢٣١ نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور / لــ أبى الأعلى المـــودودى مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٩٦٩م ....

٢٣٢ نفى الفى عن انار بنوره كل شىء ضمن مجموعة رسائل / لـــ أحمد رضا خــــان /

٢٣٣ نكات قرآن / لــ الحافظ محمد أسلم الجراجبورى / يونيين برنتنك دهلى ١٩٥٢

٢٣٤ نوادرات / لــ حافظ محمد أسلم الجراجبورى / يونيــن برنتنك دهلى ١٩٥١م ..

٢٣٥ نور مبين حبل الله المتين / لــ على محمد جان جنارا ....

٢٣٦ همارے اسماعيلى مذهب كى حقيقت اوراس كانظام (مذهبنا الاسماعيلى حقيقته ونظامه) / لــ الاستاذ زاهد على البهرى / نامى بريس / حيدر آباد / دكن / الهنـد ١٩٥٤م ....

٢٣٧ همارے هندوستانى مسلمان / لــ ولس ــ وليم ــ هــنتر / ترجمة صادق حســين / نشر اقبال أكيد مى لاهور / الطبعة الثانية / ١٩٥٥م ....

٢٣٨ الهند خلال العصور / لـــ أحمد بن ابراهيم البشيشى ....

٢٣٩ الهند شعبها وأرضها / لــ مانوراماموداك / ترجمة محمد عبدالفتاح / ومراجعـــة الدكتور عزالدين / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٦٤م ....

٢٤٠ الهند فى العهد الاسلامى / لــ السيد عبدالحى الحسنى / مطبعة دائرة المعارف العثمانية / حيدر آباد / دكن / الهند / ١٣٩٢ هـ ....

٢٤١ الهند القديمة حضارتها وديانتها / لــ محمد اسماعيل الندوى / طبع دار الشعب ١٩٧٠م ....

٢٤٢ هندوستان مين اجنبى راج (حكم الأجانب فى الهند) / لـ بيندل مون / مطبعة س ـ ب ـ ر كجرات ....

٢٤٣ هندوستان مين مذهب اسلام برنظر ثانى كى ضرورت (حاجة الهند الى اعادة النظر فى الاسلام) / لـ اصف على فيضى / نشر مكتبة جامعة دهلى ١٩٥٥م ..

٢٤٤ هندوستان مين مسلمانون كانظام تربيت وتعليم (نظام التربية والتعليم عند مسلمى الهند) / لـ مناظر احسن كيلانى / يونين برنتنك بريس / دهلى / الطبعة السادسة ١٩٦٦م ....
....

الصحف والمجلات

١ احسان ....

٢ أحمد يه كزت ....

٣ اردو دائجست ....

٤ اسلامى تعليم ....

٥ اشاعة السنة ....

٦ الاعتصام ....

٧ اورنتيل كالج ميكزين ....

٨ بدر ....

٩ برهان ....

١٠ بشرى ....

١١ جامعه ....

١٢ جتان ....

١٣ جسارت ....

١٤ جنك ....

١٥ حكمت قرآن ....

١٦ خاتون ....

١٧ الرشيد ....

١٨ ريويو آف ريلجنز ....

١٩ صدق جديد ....

٢٠ الفتح ....

٢١ الفضل ....

٢٢ مجلة الأزهر ....

٢٣ المحور ....

٢٤ معارف ....

٢٥ مجلة المنار ....

٢٦ المنبر ....

٢٧ منشور محمدى ....

٢٨ نوائى وقت ....

....

ملاحظة : من المصادر ما اشرت اليها فى اماكنها من الرسالة .

المصادر الانجليزية

(1) The Civil & Military Gazette. (Pakistan.)

جريدة الجازيت المدنية والعسكرية .

(2) The Constitution of the Shia Imami Ismaili in Africa. Printed at East African Printers Ltd. Nairobi.

دستور الشيعة الامامية الاسماعيلية في افريقيا .

(3) The Daily D A W N. (Pakistan.)

جريدة الصبح .

(4) In the Land of Sindhi and Blochi. Alcvin Van Miltenbury Rt. Rev Rotti Press Karachi. 1947.

في ارض السندى والبلوشى لـ الكون ون .

(5) Report Enquiry Committee on Christian Missionery Activities. Govt, of Madhia Perdesh India. 1956.

تقرير لجنة التحقيق عن نشاطات المسيحيين لـ حكومة مدهية برديش الهندية .

(6) Secondary Stage English Book One. Printed at Sind Offset Printers Karachi. 1982.

كتاب اللغة الانجليزية الاولى للمرحلة الثانوية .

(7) A short History of Muslim Rule in India . Ishwari Prasad . Indian Press Allahabad.

مختصر تاريخ الهند في العهد الاسلامي لـ ايشورى براساد .

(8) Evėr Living Guide . Qassim Ili . M . J . Din Muhammadi Press Karachi .

المرشد الحي الدائم لـ قاسم على م . ج .

(9) History of India from the Earlist Time to the Present Day . Dunbar. G. H . London . 1936 .

تاريخ الهند بين الماضي والحاضر لـ دنبرج . هـ .

(10) Riligiouns Policy of Mughul Emperors / Shre Ram Sharma . Oriental Publisher. Lohore . 1975 .

سياسة المغول الدينية لـ سرى رام شرما .

الفهـــــرس

م	الموضـــــوع	رقـــم الصفحـــة
	كلمة الشكر	
	المقدمة	ا ـ ز
	* الباب الأول (المجتمع المسلم فى الهند قبل الفكر الغربى)	١ ـ ٥٢
	ـ الفصل الأول : المجتمع المسلم قبل قيام الدولة المغولية	١ ـ ٢٦
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	
١	دخول الاسلام الى الهند	١
٢	الهند فى الخلافة الراشدة	١
٣	فتح السند فى العهد الأموى	٣
٤	جهاد الغزنويين فى فتح الهند	٥
٥	مظاهر المسلمين المميزة حتى نهاية الدولة الغزنوية ..	٧
٦	المظاهر المميزة لعهد الغوريين والمماليك	٩
٧	مميزات عهد الخلجيين وبنى تغلق	١٦
٨	فيروز تغلق وعهده الميمون	٢٠
٩	مميزات عهد الامارات المستقلة	٢١
	ـ الفصل الثانى (المجتمع المسلم فى عهد المغول) ..	٢٧ ـ ٤٢
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	
١	سياسة المغول فى الحكم	٢٨
٢	الملك أكبر ونتائج انحرافه	٢٩
٣	مرسوم العصمة وآثاره	٣٠
٤	التنصير وموقف أكبر منه	٣٢
٥	مقاومة انحراف أكبر ونتائجها	٣٤
٦	مميزات عهد جهانكير وشاهجهان	٣٥

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحـة
٧	أورنك زيب ومميزات عهده الميمون	٣٧
٨	" " فى نظر أعدائه	٣٩
	ـ الفصل الثالث (المجتمع المسلم فى عهد شركـة الهنـد الشـرقيـة	٤٣ـ٥٢
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية : ـ ...	
١	مميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنك زيب ...	٤٤
٢	موقف المسلمين من شركة الهند الشرقية	٤٦
	أ ـ الموقف الرسمى	٤٦
	ب ـ الموقف الشعبى (حركة الشيدين الجهادية انتفاضة ١٨٥٧م وآثارها فى المسلمين ...	٤٧
٣	محور اتجاهات النواب البريطانيين فى حكم الهند	٥١
	* الباب الثانى (أثر الفكر الغربى فى حياة المسلمين)	٥٣ـ٢٢٥
	الفصل الأول : أثر النشاط التنصيرى فى الأفكـــار والعقائد	٥٣ـ٨٠
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :	
١	التنصير فى عهد المغول	٥٤
٢	التنصير أثناء الحكم الانجليزى المباشر	٥٥
٣	طرق نشر المسيحية قبل الاستقلال (الجامعـات ، دور الأيتام ، الكتاب ، التعليم ، المناظرة ، ـ التطبيب ، الاعانة المالية ...)	٥٦
٤	السبل الحديثة لبث الانجيل (التوظيف، المشافى دور الأيتام ، معاهد التعليم، الصحافة ...)	٦٩
٥	الطرق المعاصرة لنشر المسيحية	٧٤
٦	أسبـاب نجاح التنصيـر فى المنطقة	٧٩

م	الموضـــــوع	رقم الصفحـــة
	ـ الفصل الثانى (أثر الفكر الغربى فى مجال التربيـة والتعليم	٨١ـ١٣١
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :ـ	
١	موقف الدول الاسلامية فى الهند من التعليم	٨٢
٢	الدرس النظامى	٨٦
٣	طرق القضاء على الدرس النظامى	٨٧
٤	دار العلوم ديوبند ومنهجها التربوى والتعليمى ...	٩١
٥	" " ندوة العلماء ومنهجها التعليمى	٩٦
٦	بداية التعليم العصرى	١٠٠
٧	توصية اللورد ميكالى التعليمية	١٠٢
٨	موقف السيد أحمد خان من التعليم	١٠٤
٩	أهداف التعليم عند الانجليز	١٠٨
١٠	محاولات اصلاحية فى التربية والتعليم	١١١
١١	دور المعاهد التنصيرية فى العملية التربويةوالتعليمية .	١١٢
١٢	التعليم بعد الاستقلال	١١٥
١٣	نظرة فحص فى المنهجين (الدينى والعصرى) ...	١١٨
١٤	بعض مميزات التعليم الاسلامى	١٢٥
	ـ الفصل الثالث (أثر الفكر الغربى فى مجـــال القضايا الاجتماعيـــة) ..	١٣٢ـ١٧٧
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :ـ	
١	تعليم المرأة	١٣٥
٢	الحجاب	١٤٣
٣	عمل المرأة	١٤٩
٤	زواج المرأة (جهيز ، زواج المسلمة بغير المسلم ، زواج من هو دون البلوغ ، النكاح بالقرآن ، تعدد الزواج ، الطلاق ، تحديد النسل)	١٥٤

م	الموضـــــوع	رقم الصفحـــة
٥	القوامة	١٧١
٦	ديـــة المرأة	١٧٢
٧	ارث المرأة	١٧٣
٨	سفر المرأة بدون محرم	١٧٤
٩	شـــرب المسكرات	١٧٥
١٠	الاقتصاد ووسائل الاعلام	١٧٧
	ـ الفصل الرابع (أثر الفكر الغربى فى مجال النظـــم التشريعية ....)	١٧٨ـ٣٣٥
	ويشتمل على :ـ	
١	قضـــاء المسلمين فى الهند قبل الحكم الانجليزى ...	١٧٩
٢	اتفاقية بكسر وخيانة شركة الهند الشرقية فى تنفيـــــذ بنودها المتصلة بالقضاء	١٨٠
٣	بداية التحريف فى القضاء وآثاره الوخيمة	١٨١
٤	فتوى السيد رشيد رضـــا حول القوانين الوضعية	١٨٤
٥	مناقشة الفتوى فى ضوء الكتاب والسنة وأقوال علماء الاسلام	١٨٦
٦	جهود العلماء فى وضـــع دستور اسلامى لدولة باكستـــان المسلمة	١٩١
٧	قانون العقوبات الباكستانى ومحتوياته	١٩٣
٨	بادرة خير فى اصلاح القانون	١٩٥
٩	الجوانب التشريعية الحديثة فى القانون وموقف الشريعة منها	١٩٥
١٠	نماذج مقارنة من الجرائم والعقوبات بين القانون والشريعة	١٩٦
	أ ـ جريمة القتل	١٩٦
	ب ـ جريمة الزنا	٢٠٢
	(ـ هفوات " قانون الحدود " فى جريمة الزنا .	٢٠٧
	ج (ـ الجرائم المتصلة بالأموال / السرقة /	٢١١
	(ـ الاستحصال بالجبر	٢١٤

م	الموضوع	رقم الصفحة
	ـ السرقة بالجبر	٢١٦
	ـ النهب	٢١٧
	ـ التعدى الجنائى غير المشروع فى الممتلكات .	٢١٨
	هفوات قانون الحدود فى جرائم الأمـوال	٢١٩
	د ـ جريمة شرب المسكرات	٢٢٢
١١	قانون الاثبات وبعض محتوياته	٢٢٣
١٢	عدد الشهود بين القانون والشريعة لاثبات قضية من القضايا	٢٢٤
١٣	شهادة المرأة بين القانون والشريعة	٢٢٥
١٤	شاهد الملك " "	٢٢٧
١٥	الاصلاحات المطلوبة فى القضاء	٢٢٩ـ٢٣٥
	أ ـ الغاء حرفة المحاماة	٢٢٩
	ب ـ الغاء الرسوم القضائية	٢٣١
	ج ـ تكوين مجمع علمى قضائى	٢٣٣
	د ـ اصلاح التعليم التشريعى فى كليات الحقوق والمدارس الدينية	٢٣٤
	* الباب الثالث (أثر الفكر الغربى فى الفرق المنحرفة عن الاسلام)	٢٣٦ـ٣١٣
	ـ الفصل الأول (الشيعة ـ الاثنا عشرية ، البهرة ، الأغاخانية ـ وأثر الفكر الغربى فيها) .	٢٣٦ـ٢٦٣
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	
١	ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة	٢٣٧
٢	معنى التشيع	٢٣٧
٣	الشيعة الاثنا عشرية وأثر الفكر الغربى فيها	٢٣٩
٤	البهرة وظاهرة الإخفاء	٢٤١
٥	البهرة والاستعمار	٢٤٣
٦	منابذة البهرة لأهل السنة أيام الاستعمار......	٢٤٥

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحـــة
٧	البهرة والربا	٢٤٦
٨	تقويم البهرة وأثره فى صوم رمضان والحج	٢٤٦
٩	البهرة والتعليم	٢٤٧
١٠	مرتكزات الأغاخانية المعاصرة (حسن بن حسن آلموتــى ؛ صدر الدين	٢٤٩
١١	التعاون العسكرى بين جيش أغاخان وشركة الهند الشرقية	٢٥٣
١٢	دور الانجليز فى دعم امامة أغاخان	٢٥٥
١٣	موقف أغاخان من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى	٢٥٧
١٤	ولى عهد الامامة على خان وقتاله فى صفوف الغربيين فى الحرب العظمى الثانية	٢٥٧
١٥	بعض الأسس الأغاخانية	٢٥٨
١٦	نشاطات الأغاخانية فى باكستان	٢٦٢
	الفصل الثانى (الصوفية وأثر الفكر الغربى فيها) ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	٢٦٤ـ٢٧٢
١	طريقة صوفية الهند فى الدعوة الى الاسلام	٢٦٥
٢	الصوفية وعدم تصادمها بالسلطة	٢٦٦
٣	علوم الصوفية وصلتها بالشرع	٢٦٧
٤	حال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزى ...	٢٦٩
٥	النظرة السلبية الصوفية الى الحياة ونتائجها لصالح الفكر الغربى	٢٧٠
	ـ الفصل الثالث (البريلوية وأثر الفكر الغربى فيها) ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :	٢٧٣ـ٢٨١
١	مؤسس البريلوية أحمد رضا خان	٢٧٤
٢	تعاون البريلوية مع الاستعمار	٢٧٤
٣	تكفير البريلوية المسلمين	٢٧٧
٤	أهم الأسس للفرقة البريلوية	٢٧٨
٥	تأثير الفكر البريلوى لصالح الفكر الغربى فى الامة ..	٢٨٠

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحـــة
	ـ الفصل الرابع (القرآنيون وتأثرهم بالفكر الغربى)	٢٨٢ـ٢٩٨
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :ـ	
١	السيد أحمد خان وأثر أفكاره فى القرآنيين والقاديانيين	٢٨٣ـ٢٨٩
	أ ـ مفهوم النبوة	٢٨٣
	ب ـ مفهوم الوحى وطريقته	٢٨٤
	ج ـ شروط السيد لقبول السنة	٢٨٥
	د ـ مفهوم الجهاد	٢٨٥
	هـ ـ مفهوم الموالاة الشرعية	٢٨٦
٢	القرآنيون وصلة فكرهم بالغرب	٢٨٩ـ٢٩٧
٣	أبرز الزعماء القرآنيين	٢٩١
٤	نماذج من التغريب	٢٩٢ـ٢٩٧
	أ ـ حرية التدين (الارتداد)	٢٩٢
	ب ـ توريث غير المسلم من المسلم	٢٩٤
	ج ـ حرية التصرف فى المال عند الوفاة	٢٩٤
	د ـ أحكام القرآن فى التركة مؤقتة	٢٩٥
	هـ ـ قواعد الحجب مجحفة	٢٩٦
	و ـ نظام القرآن الاقتصادى (الاشتراكية فى الأموال)	٢٩٦
	ز ـ نزع التأبيد من أحكام الاسلام	٢٩٧ـ٢٩٨
	١ ـ فى الطلاق	٢٩٧
	٢ ـ فى الرجم	٢٩٨
	٣ ـ فى قطع السارق	٢٩٨
	ـ الفصل الخامس (القاديانية واخلاصها للفكر الغربى)	٢٩٩ـ٣١٣
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :ـ	
١	فتوى العلماء حول تمييز دار الحرب من دار الاسلام	٣٠٠

م	الموضوع	رقم الصفحة
٢	غلام أحمد القاديانى ودعاواه	٣٠٥
٣	الهدف الرئيسى من دعاوى الغلام	٣٠٦
٤	موقف القاديانية من الجهاد بعد موت الغلام	٣٠٩
٥	الغلام وادعاء النبوة	٣٠٩
٦	تفسير القاديانية لـ " خاتم النبيين " ..	٣١٠
٧	وحى الغلام	٣١١
٨	ما تختلف فيه القاديانية عن الاسلام	٣١٢
	كلمة أخيرة	٣١٣
	الخاتمة ونتائج الدراسة	٣١٦
	المصادر والمراجع	٣١٨
	الفهرس	٣٣٥ـ٣٤٢

الخاتمة ونتائج الدراسة ٣١٦
المصادر والمراجع ٣١٨
الفهرس ٣٣٥ـ٣٤٢

جدول الخطأ والصواب لرسالة (اثر الفكر الغربى فى انحراف المجتمع ...)

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
د	٣	واذ	واذا
هـ	٩	البريطانيين	البريطانيون
ز	١١	الفصل	الفصول
١٢	٩	بضع	بضعة
٥	٢١	اذا	اذ
١٤	٨	للكسب	لكسب
١٥	١٤	فقال ا	فقال ان
٢١	١٥	عاش	عاث
٢٢	١٥	منفسا	متنفسا
٢٣	١٩	اسحابه	اصحابه
٢٤	١٥	الطيبه	الطيبة
٣٢	٥	انها	انه
٣٣	٨	اذر	ازر
٣٧	١٣	المذاهب	المذهب
٣٨	١٥	الافتا	الافتاء (٤)
٣٨	١٧	سيرهم (٤)	سيرهم
٣٨	٧	للحصول	الحصول
٣٩	١٦	نظر	فى نظر
٤١	٣	المباد	البادة
٤١	٦	ثانى	ثانية
٤٤	١٤	غزوى	غزو
٤٥	٩	الهناوس	الهندوس بكامل
٤٥	١٨	الشئون	الشؤم
٤٦	٢٦		انظر ولس وليم هنتر همارى هندوستانى مسلمان (مسلمونا الهنود) ص ٢٠٢
٤٧	٢	جمع	جميع
٤٧	٤	لنبذ	لبذر
٤٧	٤	العملية	العلمية
٤٧	١٩	احدا	احد
٤٨	١٣	الشيخ	السيخ
٤٩	٧	الزواج	الزوج
٥٧	٩	وزاد	وزاد من
٥٨	٢١	وركز	وركز بعد أن ظن انه
٦٣	٣	الطيب	الطبيب
٦٥	٣	بنبت	ببنت
٦٥	١٦	هذه	هذا
٦٧	٢١	العالى	العالمى
٧٢	١٥	٢٩٠٩	١٩٥٩
٧٤	١٣	الدولة	الدولة و
٧٦	١١	منها	منهن
٧٨	٤	السنوات	الاعوام
٨٣	٢٠	صنف	صف
٩٣	١٥	فنا	فنا (٢)
٩٣	١٦	مغنية	معينة
٩٦	١٤	النور قضيق	النور ، تضييق
٩٧	١٦	لبث	لبت
٩٧	٢١	تامين	تاميم
٩٧	٢٣	المكنة	الممكنة
٩٨	١٣	المسلمين	المسلمين ما تشاء
١٠٠	٣	غيرها	غيرها فى الاعم الاغلب
١٠١	٢١		يحذف كله
١٠٣	١٩	المقرات	المقررات
١٠٥	٤	جزءا	جزء
١٠٥	١٣	عدد	عد
١٠٧	٩	اختط	اخلط
١٠٧	١١	علاقتها	علاتها
١٠٨	١٠	صادقة	صادقة انذاك
١١٠	٢٢	وتربية	وتربيت ج ١/ ٢٢٥
١١٣	٩	وتبدو	ويبدو
١١٥	٤	افرادا	افراد
١١٨	١٩	اعترفت	اعترف
١١٨	٢١	هذا	هذه
١١٩	١٤	سوى	الا
١١٩	٩	توقف	تتوقف
١٢٠	٢١ ٢٢		يحذفان

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
١٢٢	٧	علاقتها	علاتها
١٢٢	١٠	بالسنة	بالنسبة
١٢٢	١٥	الاختقار	الاحتقار
١٢٦	٧	تحديثية	تحديثه
١٢٧	١٠	ظللوا	ظلوا
١٢٧	١٣	خطرهم	فطرهم
١٢٨	٢	عن	على
١٢٩	١٣	مستقبلها	مستقبلها العلمى
١٣١	١٠	الثانى	التالى
١٣٣	١٦	مما	بما
١٣٣	١٨	بطبعه	بطبعهم
١٣٤	٥	للمقبليين	للمقبلين
١٣٤	١٨	جاهدك	جاهداك
١٣٦	١١	شارع	شاع
١٣٨	٢٢	النشئ	النشء
١٣٩	١	المتهمين	المهتمين
١٣٩	١٧	١٩٨٢	١٨٨٢
١٤١	٢٤	ص ١	ص ٤
١٤٣	٢	تعلمتهابها	تعلمته به
١٤٣	١٣	حجاب	حجاب (٢)
١٤٣	١٧	اليوم (٢)	اليوم (٣)
١٤٤	١٠	لزوم	لزم
١٤٥	٧	الحجاب	للحجاب
١٤٥	٩	لا	الا
١٤٥	١٢	فيملق	فيملن
١٥٤	١٢	وأ توا	وا توا
١٥٦	٢٤	(٢)	(٢) حقائق عن باكستان
١٥٩	١٣	يمنعون	يمنعون تزويج
١٦٠	٦	هذه	ومن الصعب تحديد هذه
١٦٠	١٣	البنغال غير	البنغال (٣) غير (٤)
١٦٣	١٨	الأخرى	الاخر
١٦٥	١٣	التفت	التفتت
١٦٨	٥	تخصصها	تخصها
١٦٨	٢٢	ـــــ	(١) حقائق عن ص ١ ٢٥
١٦٩	١٢	وليست	وليس
١٦٩	١٩	مثابة	بمثابة
١٧٠	٥	البلايين	البلايين الخالية
١٧٠	١٩	يتعاطا و	يتعاطاه او
١٧١	١٤	العقيدة	العقدة
١٧٣	٤	بنصب	بنصيب
١٧٣	٥	تقفوا	تقفو
١٧٧	٥	خصارة	خسارة
١٧٧	٢٣	من	منه
١٨٠	٧	يقرون	يقررون
١٨١	٢	تنفيد	تنفذ
١٨٣	٨	الاعيان	الميان
١٨٥	٢	نحوه	نحو
١٨٥	٦	يعقد	يعتد
١٨٥	١٢	القيود	العقود
١٨٥	١٤	فعلم ما	فعلم مما
١٨٩	٥	شرع الله	شرع الله كله
١٨٩	١٥	الكافرين	الكفرين
١٨٩	٥	التفكير	التكفير
١٩٤	٣	ثلا ثا	ثلاثة
١٩٤	٢٥		(١) انظر ايم اشرف بيك مجموعة تعزيرات باكستان (قانون العقوبات الباكستانى) ص ١٠
١٩٩	٥	تصبوا	تصبو
٢٠١	٧	(١)	(×)
٢٠١	٢١		(×) آئين اسلامى ص ٥٠
٢٠٤	١٩	الخامسة	الخامسة وما بعدها
٢٠٥	١٤	النظرية	النظرة
٢٠٩	٣	القمة	القصة
٢٠٩	١٨	(٣)	(٤)
٢١٠	٢٣	الهامش ٤٣٢١	١٥٤ ٣٥٢٦ ٠
٢١١	٦	تميما	تتميما

يتبع

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١١	٨	تعينيها	تعيينها
٢٢١	٩	حقوقا	حقا
٢٢٥	١٣	يوقعوا	يدققوا
٢٢٥	٢١	دوام	داء
٢٢٦	١٣	التثبت	للتثبت
٢٢٦	٢	التذكير	التذكر
٢٢٧	١٤	ثبت	ثبتت
٢٢٨	١٣	المسلك	المسلك لا مور
٢٣٠	٣	مرة	مرة بعد
٢٣٠	١٥	مرافقتنا	مرافقتنا
٢٣١	١٣	مرتكبيها	مرتكبها
٢٣١	٢٣	سيتعرض	سيعترض
٢٣٣	١٥	عصر	عصري
٢٣٩	٥	لتشجيع	لتشيع
٢٣٩	١٥	٢٢٧٢	٢٢٧٣
٢٣٩	٢١	ظلت	ظلت حتى
٢٤٤	١٦	الطبية	الطيبة
٢٤٦	٢١	الجواهر	الجواهر ص ٢٤١ وسلك
٢٤٦	١٩	تقسيم	تقسم
٢٤٧	٢١	التعليم	التعليم (٤)
٢٤٨	٢١	(١)	(٤)
٢٤٩	٩	هما	هـا
٢٥٠	١٨	القيام	القيام (٣)
٢٥٠	٢٢	٣٣٩	٣٩٩
٢٥٠	٢٢		ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ وتاريخ فاطميين مصر ج ٢ / ١٧٦ ـ ١٧٧
٢٥٠	٧	تعدد	تعدو
٢٥٧	٢١	ضد	ضد أبناء
٢٦١	١٦	المشهورة	المشهودة
٢٦٣	٣	بصاحب	بصاحبة
٢٦٥	١٨	الرياضيات	الرياضات
٢٦٧	١٠	يؤثرن	يؤثرون
٢٦٨	٩	متصادقا	متصادما
٢٦٨	١٥	مختلفة	مختلقة
٢٦٨	١٦	حرفوا	صرفوا
٢٦٨	١٧	المنتسين	المنتسبين
٢٧٠	١٧	يصل	تصل
٢٧٥	١	بتفكير	بتكفير
٢٧٥	١٣	لفتو	لفتواه
٢٧٦	١٢	اكرمنا	اكد لنا
٢٧٧	١	استمرت	استمر
٢٧٨	٢١	نفس	نفى
٢٧٩	١٠	يومنع	يمنع
٢٨١	١٤	الذى	الذين
٢٨٢	١٤	حركة	حرية
٢٨٣	١٣	ملكة	وملكة
٢٨٤	١٢	بتكلوعن	بتكلم من
٢٨٦	٢	لاثباته	لا تباعه
٢٨٦	١٧	ذلك	ذانك
٢٩٠	٥	يقوموا	يقدموا
٢٩١	٣	ثبتها	بثتها
٢٩١	١٧	الحجية	لحجية
٢٩٢	٢٠	الطيب	الطبيب
٢٩٣	٢٨	٢٦	١٢٦
٣٠١	٩	آراء	اداء
٣٠٢	٩	قتل	قاتل
٣٠٣	٢٣	البنالوى	البتالوى ص ٢٤١
٣٠٤	٦٢		(٥) انظر همارى
٣٠٥	١٨	ظلت	ظللت
٣٠٦	٢	بانه يعنى	بانها تعنى
٣٠٦	١٢	كرشن	كرشن مخلص
٣٠٧	١٢	يتساوى	يتساوون
٣٠٧	١٩	لارضيها	لاراضيها
٣٠٨	٧	ينسخ	بنسخ
٣١٠	١٤	التبين	النبيين
٣١٥	١١	تنمية	تنقية
٣١٦	١١	للاسلام	للاسلام والمسلمين
٣١٩	١٥	باكستان	باكستان ١٩٧٣
٣٢١	١٤	الاستعمار	الاستعمار في البلاد العربية
٣٢٦	١٢	بخشية	بخشية الطبقات النورية في احوال النوربخشية
٣٢٨	٧	تاريخ	تاريخ تاريخ كجرات التمدني
٣٣٥	١٤	الخليجيين	الخلجيين
٣٣٦	١٠	الشيذين	السيدين
٣٣٧	٢٧	الزواج	الزوجات

ملاحظة : من الاخطاء ما تركناها لا دراكك لها بسهولة ويسر كنقط التاء المربوطة ونقطتي (شيء) وما شابه ذلك.